بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي): صالح بن محمد بن عمر الدميجي كلية: الدعوة والأصول الدين قسم: العقيدة
الأطروحة مقدمة لنيل درجة: الماجستير في تخصص: العقيدة
عنوان الأطروحة: "كتاب التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (ت ٨٠٤هـ) من أول كتاب التوحيد إلى آخره.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤١٩/٨/٢٧هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تم عمل اللازم، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه.

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الداخلي
الاسم: د. سليمان بن عبدالله السلومي	الاسم: د. محمود مزروعة	الاسم: د. أحمد بن سعد بن حمدان
التوقيع:	التوقيع:	التوقيع:

يعتمد

رئيس قسم العقيدة
الاسم: د. أحمد بن عبداللطيف آل عبداللطيف
التوقيع:

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة




بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
الدراسات العليا

كتاب التوضيح لشرح الجامع الصحيح

لابن الملقن

الإمام سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري
الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤هـ

دراسة وتحقيق

من أول كتاب التوحيد إلى آخره

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب

صالح بن محمد بن عمر الدميجي

إشراف

د . سليمان بن عبد الله السلومي

د . محمد سعيد بن محمد حسن البخاري

الجزء الأول

١٤١٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده وعلى آله وصحبه ..... وبعد :

فإن أصح كتاب بعد كتاب ا لله هو صحيح الإمام البخاري ، وقد توافرت همم كثير من العلماء على شرحه ؛ منهم من توسع في ذلك ومنهم من اقتضب ، حتى جاء في نهاية القرن الثامن الهجري العلامة سراج الدين أبي حفص عمر بن علي الأنصاري المعروف بابن الملقن (ت٨٠٤هـ)فجمع كثيراً من الشروح السابقة له وزاد عليها زيادات كثيرة في كتابه الموسوعي المسمى (التوضيح لشرح الجامع الصحيح) وقد وقع الاختيار على تحقيق ودراسة كتاب التوحيد منه لنيل درجة الماجستير في العقيدة ، واقتضت خطة الرسالة أن تكون على قسمين :

القسم الأول : الدراسة واشتملت على تمهيد وثلاثة فصول ، خصصت التمهيد لترجمة المؤلف ، عرضت من خلاله عصر المؤلف من الناحية السياسية والاجتماعية والعلمية ، واسمه ونسبه وكنيته ، ومولده ونشأته ، وطلبه للعلم ، وأبرز شيوخه وتلاميذه ومصنفاته ، ومكانته العلمية ، وعقيدته ، ووفاته .

أمّا الفصل الأول : فدرست من خلاله كتاب التوحيد للإمام البخاري مبيناً موضوعاته،ومنهج الإمام البخاري في تقرير العقيدة من خلال كتابه.

أمّا الفصل الثاني : فدرست من خلاله كتاب التوحيد من التوضيح لابن الملقن من حيث: اسم الشرح ونسبته إلى مؤلفه ، منهج ابن الملقن في شرح كتاب التوحيد ، مصادره في شرح كتاب التوحيد ، منهجه في تقرير العقيدة ومناقشة الفرق المخالفة ، ثمَّ قارنت بين الشارح وصاحب المتن في تقريرهما للعقيدة، وكذا قارنت بين التوضيح وشرح ابن بطال المالكي (ت ٤٤٩هـ) وبين التوضيح وفتح الباري لابن حجر (ت ٨٥٢هـ) ثمَّ ختمت هذا الفصل بذكر المؤاخذات على الشارح في الجزء موضع الدراسة.

أمّا الفصل الثالث : فعرَّفت من خلاله بنسخ الكتاب الخطية ووصفتها .

القسم الثاني : تحقيق نص الكتاب تحقيقاً علمياً متخذاً نسخة (أ) أصلاً مشيراً إلى الفروق بينها وبين النسخ الأخرى ،وكذا عزوت الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها ، وخرجت الأحاديث الواردة مبيناً درجتها ، وكذا ترجمت للأعلام غير المشهورين ، وعزوت الأقوال إلى أصحابها مع توثيقها من مصادرها ، وعلَّقت على مايحتاج إلى تعليق ـ خصوصاً في المسائل العقدية ـ، وفسرت الكلمات الغريبة ، وعرَّفت بالبلدان والكتب والفرق التي ذكرها الشارح ، وأخيراً عملت أحد عشر فهرساً كاشفة لمحتويات الكتاب .

أمّا النتائج التي خرجت بها من هذا البحث فأبرزها ، أهمية ربط العقيدة بمصدريها الكتاب والسنة، وضرورة التزام منهج السلف في فهمها وتلقيها ، وبطلان منهج المتكلمين في تلقي العقيدة ، كما اتضح أيضاً أهمية هذا الكتاب وغزارة فوائدة ، وسعة اطلاع مؤلفة وتمكنه ، كما ظهر أيضاً دقة فقه الإمام البخاري ، وقوة ردوده على المتكلمين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى ا لله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الطالب	المشرف	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
صالح بن محمد بن عمر الدميجي	د. سليمان بن عبدا لله السلومي	د. محمد سعيد بن محمد حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لاإله إلاَّ الله وحده لاشريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله .

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون ﴾[١] .

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً ﴾[٢]

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾[٣] .

أما بعد :

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

وبعد :

فإنَّ أجلَّ العلوم وأصل الأصول هو علم التوحيد ، الذي موضوعه معرفة الله تعالى بآياته وأسمائه وصفاته ، والقيام بعبوديته . وإثبات ماأثبته لنفسه أو أثبته له رسوله من صفات الكمال ونعوت الجلال ، وتنزيهه عمَّا نزَّه عنه نفسه أو نزَّهه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات النقص والعيب . والرد على من انحرف عن هذا الأصل فعبد غير الله أو أشرك في عبادة الله ، أو حرَّف أسماء الله وصفاته بالتأويل وسلك مسلك التعطيل والتمثيل .

---

(١) آل عمران ، الآية (١٠٢) .

(٢) النساء ، الآية (١) .

(٣) الأحزاب ، الآيتان : (٧٠ - ٧١) .

وبيان هذا الأصل والدعوة إليه والرد على من انحرف عنه أو حرَّف فيه ، هو وظيفة الرسل صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين ، وهو أيضاً وظيفة خلفاء الرسل ووارثيهم ، وهم العلماء العاملون ، فكان في كل زمان بقايا من أهل العلم يدعون من ضلَّ إلى الهدى ، ويُبَصِّرون أهل العمى ، ويصبرون منهم على الأذى .[١]

ولَمَّا كان متعلق التوحيد ومسائل الإعتقاد أموراً غيبية ، لم يكن في وسع العقل الإستقلال بمعرفتها ، بل كان التعويل في هذا الأصل على ماجاء في كتاب الله تعالى أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمنهما تستقى العقيدة النقية الصافية ، وبهما يرد على كل مبتدع وضال منحرف عن الصراط السوي والسبيل القويم .

لذا سار سلف الأمة في حياة رسولها صلى الله عليه وسلم وبعد مماته على التمسك بالكتاب والسنة ، دون معارضتها بشيء من نتاج العقول البشرية وإفرازات العقائد الوثنية التي ألبست طوائف من الأمة المحمدية علم الكلام ، الذي عمل في عقيدة المسلمين عمله ، فرقةً وشتاتاً ، وانحرافاً وضلالاً ، وابتداعاً ، مع الإصرار على التمسك به اعتقاداً لصحته وصوابه .

ومصداقاً لخبر الرسول صلى الله عليه وسلم « بأنَّه لن تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » [٢] ، فقد انبرى علماء السلف في بيان عقيدة التوحيد تعلماً وتعليماً ، ودعوةً وتوجيهاً ، وتأليفاً وتصنيفاً ، فمنهم من أفرد التوحيد بمصنفات خاصة حملت هذا الاسم، ومنهم من ضمَّن كتبه أبواباً لبيان التوحيد والرد على من انحرف عنه كأصحاب الكتب الستة ، والدارمي وغيرهم .

---

(١) انظر مقدمة كتاب الرد على الجهمية ، للإمام أحمد (ص ٨٥) .

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة / باب قوله صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم ح (١٩٢٠) (١٣/ ٩٧)

فمن الكتب التي أفردت لهذا الأمر ، حاملة اسمه مايلي :

١/ كتاب التوحيد ، لأبي العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي (ت ٣٠٦ هـ) .

٢/ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، للإمام أبي بكر محمد ابن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ، صاحب الصحيح (ت ٣١١ هـ) .

٣/ كتاب التوحيد ومعرفة أسماء ا لله عزوجل وصفاته على الإتفاق والتفرد ، للإمام الحافظ أبي عبدا لله محمد بن اسحاق بن مندة (ت ٣٩٥ هـ) .

٤/ الحجة في بيان المحجة وشرح التوحيد ومذهب أهل السنة [١] ، للحافظ قوَّام السنة أبي القاسم ، إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني (٥٣٥ هـ).

٥ / تجريد التوحيد المفيد ، للإمام تقي الدين ، أحمد بن علي المقريزي (٨٥٤ هـ)

٦ / كتاب التوحيد الذي هو حق ا لله على العبيد ، للإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي (ت١٢٠٦ هـ).

٧ / رسالة التوحيد ، للعلامة الشيخ : اسماعيل بن عبدالغني الدهلوي (١٢٤٦) .

٨ / الدر النَّضيد في إخلاص كلمة التوحيد ، للعلاَّمة محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠ هـ) .

٩ / دلائل التوحيد ، لعلاَّمة الشام الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ) .

وكان الإمام البخاري ـ رحمه ا لله ـ ممَّن أولوا هذا الجانب عناية كبرى فضمَّن صحيحه كتباً وأبواباً تقرر اعتقاد أهل السنة والجماعة ، وترد على المنحرفين عن منهاجهم ، المتبعين غير سبيلهم .

---

(١) الاسم المثبت على غلاف الكتاب " الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة " إلاَّ أن المؤلف قال في مقدمته : وسميته كتاب : " الحجة في بيان المحجة وشرح التوحيد ومذهب أهل السنة " (١/٨٤) .

ومن ذلك : " كتاب الإيمان " الذي قرَّر فيه اعتقاد السلف في الإيمان ، وأنَّه قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان ، وردَّ فيه على طوائف المرجئة الذين ضلوا في هذه المسألة .

وكذلك كتاب الفتن الذي قصد منه الرد على الخوارج .

وكتاب الأحكام الذي رد به على الرافضة .

وكتاب القدر الذي قصد منه الرد على القدرية بأنواعها .

ثمَّ ختم صحيحه بكتاب التوحيد والرد على الجهمية ، الذي قرّر فيه اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات ، مبطلاً أقوال الطوائف المنحرفة في هذا الباب من جهمية وقدرية ومعتزلة وغيرهم .

ولاتخفى قيمة هذا العمل من الإمام البخاري لما جعل ا لله لكتابه من القبول لالتزامه أن لايورد فيه إلاّ الصحيح ، يضاف لهذا ماحباه ا لله تعالى من قدرة استنباطية يلحظها المتأمِّل في تراجمه للكتب والأبواب في صحيحه .

فتسابق العلماء قديماً وحديثاً إلى شرح الكتاب والتعليق عليه .

فكان من هؤلاء الإمام سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي ، المعروف بابن الملقن (ت ٨٠٤) في كتابه الموسوعي " التوضيح لشرح الجامع الصحيح " الذي أطال مؤلفه فيه النفس ، فأضحى كتابه من أكبر شروح صحيح الإمام البخاري ، لما أعطى ا لله مؤلفه من سعة الإطلاع وكثرة المراجع التي توفرت لديه .

فجمع في كتابه شروحاً كثيرة لصحيح البخاري كشرح ابن بطال ، وأعلام الحديث للخطابي ، وشرح ابن التين ، والمهلب بن أبي صفرة ، وشروح شيوخه كقطب الدين الحلبي ، وعلاء الدين مغلطاي ، وغيرها ، فاشتهر كتابه وتناقله العلماء واستفادوا منه ، فكان ممَّن استفاد منه كثيراً تلميذه الحافظ ابن حجر في كتابه " فتح الباري " وكذا الإمام العيني في كتابه " عمدة القاريء ".

ولَّما كنت في طور البحث عن موضوع لرسالة الماجستير ، وقع الاختيار على تحقيق كتاب التوحيد من التوضيح ، ومَّما دفعني إلى ذلك الأمور التالية :

١/ تعلق الموضوع بصحيح الإمام البخاري ، ولاتخفى قيمة الاشتغال بهذا الكتاب والعيش مع هذا الإمام .

٢/ أهمية هذا الشرح وتقدمه على أشهر شروح صحيح الامام البخاري وهما : " فتح الباري " لابن حجر و " عمدة القاري " للعيني ، فبإخراج هذا الشرح يمكن المقارنة بين هذه الشروح ، ومعرفة مدى استفادة المتأخر من المتقدم .

٣/ أنَّ هذا الكتاب مازال مخطوطاً ولم يظهر حتى الآن مما يجعل إخراجه لطلاب العلم من الأهمية بمكان ، خاصة مع المكانة التي يحتلها مؤلفه .

٤/ هناك بعض المآخذ العقدية على الإمام ابن الملقن - رحمه الله - كتأويله كثيراً من الصفات ، وغيرها من المخالفات ، مما يجعل دراسته من متخصص في العقيدة أمراً حتمياً لازماً ، للتنبيه على المسائل التي خالف فيها مذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم ، تسديداً للكتاب ، ونصحاً للأمة .

فاستعنت بالله على العمل على تحقيق الكتاب معترفاً بعجزي وتقصيري وقصر باعي ، ولكن حسبي أنّي بذلت مافي وسعي ، ويعلم الله مقدار المشقة والصعوبات التي واجهتها في هذا المجال ، ولكنَّه تعب ينسى ومشقة تزول و " عند الصباح يحمد القوم السُّرى ".[1]

واقتضت خطة الرسالة أن تكون على النحو التالي :

عنوان الرسالة : كتاب التوضيح لشرح الجامع الصحيح ، لابن الملقن دراسة وتحقيق من أول كتاب التوحيد إلى نهايته .

وتنقسم الخطة إلى قسمين :

- القسم الأول : الدراسة .

- القسم الثاني : التحقيق .

القسم الأول : الدراسة واشتملت على تمهيد وثلاثة فصول :

---

[1] انظر : جمهرة الأمثال ، للعسكري (٤٢/٢) و مجمع الأمثال ، للميداني (٣/٢) .

التمهيد : ويحتوي على ترجمة مختصرة للمؤلـف ــ لسبق زملائـي إلى ترجمته ــ وتحتوي الترجمة على عشرة مباحث :

ــ **المبحث الأول** : عصـر المؤلـف مـن الناحيـة السياسـية والإجتماعيـة والعلمية.

ــ **المبحث الثاني** : اسمه ونسبه وكنيته .

ــ **المبحث الثالث** : مولده ونشأته .

ــ **المبحث الرابع** : طلبه العلم .

ــ **المبحث الخامس** : شيوخه .

ــ **المبحث السادس** : تلاميذه

ــ **المبحث السابع** : مصنفاته .

ــ **المبحث الثامن** : مكانته العلمية .

ــ **المبحث التاسع** : عقيدته .

ــ **المبحث العاشر** : وفاته .

الفصل الأول : دراسة كتاب التوحيد للإمام البخاري وفيه مبحثان :

ــ **المبحث الأول** : موضوعاته .

ــ **المبحث الثاني** : منهج البخاري في تقرير الغقيدة من خلال تراجمه .

الفصل الثاني : دراسة شـرح كتـاب التوحيـد مـن التوضيـح وفيـه المبـاحث التالية :

ــ **المبحث الأول** : اسم الشرح ونسبته إلى ابن الملقن .

ــ **المبحث الثاني** : منهج ابن الملقن في شرح كتاب التوحيد .

ــ **المبحث الثالث** : مصادره في شرح كتاب التوحيد .

ــ **المبحث الرابع** : منهجه في تقرير العقيدة ،ومناقشة الفرق المخالفة.

ـ **المبحث الخامس** : المقارنة بين الشارح وصاحب المتن في تقرير العقيدة .

ـ **المبحث السادس** : المقارنة بين هذا الشرح وبعض الشروح الأخرى المهمة للكتاب نفسه ، وهما شرح ابن بطال المالكي (ت ٤٤٩)، وشرح الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢) المسمَّى " فتح الباري " .

ـ **المبحث السابع** : المؤاخذات على الشارح في كتاب التوحيد .

الفصل الثالث : التعريف بالنسخ الخطية ووصفها .

القسم الثاني : التحقيق : وكان عملي فيه على النحو التالي :

١/ تحقيق النص تحقيقاً علمياً .

٢/ عزو الآيات القرآنية إلى سورها وذكر أرقامها .

٣/ تخريج أحاديث الشرح وبيان درجتها من الصحة أو الضعف بحسب الاستطاعة .

٤/ ترجمة الأعلام غير المشهورين .

٥/ عزو الأقوال إلى أصحابها مع توثيقها.

٦/ التعليق على المسائل التي تحتاج إلى ذلك .

٧/ تنظيم مادة النص .

٨/ تفسير الكلمات الغريبة .

٩/ التعريف بالبلدان والكتب والفرق التي يذكرها الشارح .

١٠/ القيام بعمل الفهارس اللازمة .

وختاماً فإنّي ـ أشكر ا لله ـ جلَّ وعلا ـ أولاً على مامن به عليَّ من الإشتغال بالعلم الشرعي ، ومايسَّر لي من إتمام هذه الرسالة على صورة أسأله سبحانه وتعالى

أن تكون مرضية ، وأتوسل إليه ـ تعالى ـ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم موافقاً لسنة نبيه الكريم صلى ا لله عليه وسلم.

هذا فإن كنت وفقت للصواب فمن ا لله وحده فله الحمد والمنّة ، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان ، وأسأل ا لله المغفرة .

ثمَّ أثنّي بالشكر والتقدير للمشايخ الفضلاء الذين أشرفوا علىهذه الرسالة .

وهم فضيلة الشيخ :د/ محمد بن سعيد القحطاني المشرف السابق على الرسالة .

والشيخ : د/ سليمان بن عبدا لله السّلومي الذي أكمل الإشراف على الرسالة فكان خير خلف لخير سلف .

والشيخ : د/ محمد سعيد محمد حسن، الذي تولى الإشراف على الرسالة من الجانب الحديثي .

فلهم جميعاً مني الشكر والدعاء على ماأسدوه لي من نصح وتوجيه ، ومـاأبدوه من ملاحظات واستدراكات ، ومامنحوه لي من وقتهم وعلمهم ، وماشملوني به من رعاية ومودة ، وماتصفوا به من أدب جمٍّ وخلقٍ رفيع ، ورحابة صدر .

فالشكر لهم موصول غير مقطوع ، والتقدير لهما ممدود غير مجذوذ ، فجزاهم ا لله عني خير الجزاء ، وبارك لهم في علمهم وفي أعمارهم ووأقاتهم وذرياتهم .

كما لايفوتني أن أشكر القائمين على كلية الدعوة وأصول الدين ، بجامعة أم القرى ، والقائمين على قسم العقيدة بالكلية ذاتها على ماقدموه ويقدمونه من خدمة للعلم وتسهيل لطلابه .

كما أشكر كل من قدم لي نصحاً أو توجيهاً أو مساعدة في المقابلة والمراجعة والتصحيح ، فلهم منّي جزيل الشكر والتقدير

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبه

صالح بن محمد بن عمر الدميجي .

القسم الأول

الدراسة

وتشتمل على

تمهيد وثلاثة فصول ٠

التمهيد : في ترجمة ابن الملقن - رحمه الله تعالى - ٠

الفصل الأول : دراسة كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٠

الفصل الثاني : دراسة شرح كتاب التوحيد من التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ٠

التمهيد
ويحتوي على ترجمة مختصرة للمؤلف
تشتمل على عشرة مباحث :

١ - عصر المؤلف من الناحية :
(السياسية والإجتماعية والعلمية)
٢ - اسمه ونسبه وكنيته .
٣ - مولده ونشأته .
٤ - طلبه العلم .
٥ - شيوخه
٦ - تلاميذه .
٧ - مصنفاته .
٨ - مكانته العلمية .
٩ - عقيدته .
١٠ - وفاته .

٣٠٧٣

١ - عصر المؤلف من الناحية السياسية والإجتماعية والعلمية

إنَّ دراسة العصر الذي عاش فيه المؤلف لا غنى عنها إذا ما رغبنا في التعرف على جوانب شخصيته المتعددة .

فالإنسان مدني بطبعه ، لا يعيش معزولاً عن الناس بل يخالطهم ويتعايش معهم ، يتأثر منهم ويؤثر فيهم ، تؤثر في صياغة حياته العلمية والعملية جملة الأحداث والوقائع التي يعاصرها ، أو التي سبقت عصره وبقي تأثيرها على أهل زمانه ، سواءً كانت هذه الأحداث أحداثاً سياسيةً ، أو اجتماعيةً ، أو علميةً .

وفى هذا المبحث - نعرض لإيضاح عصر المؤلف من الناحية السياسية والإجتماعية والعلمية ، بشيء من الإيجاز - بمالعله يفي بالمقصود .

أولاً : الحالة السياسية :

عاش ابن الملقن في القرن الثامن وبدايات القرن التاسع ، وهذه الفترة كانت مصر - بلد المؤلف - والشام تقعان تحت سلطان المماليك[١] الذين استمر حكمهم زهاء الثلاثة قرون (٦٤٨-٩٢٣هـ) ورثوه على اثر انقراض سلطان الأيوبيين.

وقد حقق المماليك في بداية عصرهم مفخرة إسلامية كبرى . على يد المظفر قطز إذا وقفوا زحف التتار سنة (٦٥٧هـ) فسلمت بقية العالم الإسلامي من تلك

---

(١) المماليك هم الأرقاء البيض من الترك وغيرهم ، الذين اشتراهم حكام الدولة الأيوبية بعد انقسامها لغرض تدريسهم وتهيأتهم عسكرياً ، ليكونوا عوناً لهم وسنداً في حروبهم ، إلا أن سلطانهم اتسع وقوي حتى أمسكوا بزمام السلطة . انظر : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور (١٦٥-١٦٦) وقيام دولة المماليك ، لأحمد مختار العبادي (ص١١).

الهجمة الشرسة ، يضاف إلى ذلك قضاؤهم على بقية الفلول الصليبية ، فطّهروا البلاد الشامية والمصرية من آخر قلاع الصليبيين[١] .

والمماليك فئتان هما :

١ – المماليك البحرية [٢] (الأتراك) وحكموا من سنة ٦٤٨ إلى ٧٨٤هـ.

٢ – المماليك البرجية[٣] (الجراكسة) وحكموا من سنة ٧٨٤ إلي ٩٢٣هـ.

وقد أدرك ابن الملقن شطراً من العهدين . وعاصر عدداً من السلاطين .

والسلاطين الذين عاصرهم ابن الملقن هم :

١ – الملك الناصر محمد بن قلاوون بن عبدالله الصالحي ، المتوفى سنة ٧٤١هـ.[٤]

٢ – الملك المنصور أبو بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون المتوفى سنة٧٤٢هـ.[٥]

٣ –الملك الناصر أحمد بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، الذي قتل سنة ٧٤٢هـ.[٦]

---

(١) انظر : الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، لإبراهيم بن محمد العلائي(ص٢٦٨ –٤٦٣)

(٢) سمُّو بذلك لكون التجار جلبوهم من البحر من بلاد القفجان . انظر : سير أعلام النبلاء ،للذهبي (١٩٢/٢٣) ، وانظر خبرهم في : خطط المقريزي (٣/ ٩٠ – ٩٨).

(٣) وهم من الجراكسة الذين احتل المغول بلادهم ، فجلب قلاوون أعداداً غفيرة منهم وكوَّن منهم فرقة أطلق عليها اسم « البرجية » نسبة إلى أبراج القلعة التى أنزلهم بها . انظر خبرهم في : خطط المقريزي (٣/٩٨–١٠٤).

(٤) انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير (٣٢٣/١٣) شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي (٦ / ١٣٤) .

(٥) انظر : ذيول العبر في خبر من غبر ، للذهبي (٤/١٢٤– ١٢٥) البداية والنهاية (١٤/٢٠٢–٢٠٣) .

(٦) انظر : السلوك لمعرفة دول الملوك ، للمقريزي (٢/٣/٥٩٣–٦١٩) الدرر الكامنة (١/٣١٤–٣١٦) .

٤ -الملك الأشرف علاء الدين كجك بن الملك الناصر محمد بن قلاوون . تولى بعد عزل أخيه المنصور وعمره سبع سنين ، ثمَّ خلع لصغر سنه وتوفي ٧٤٦هـ[(١)]

٥ - الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، توفي سنة ٧٤٦هـ.[(٢)]

٦ - الملك الكامل شعبان بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، قتل سنة ٧٤٧هـ.[(٣)]

٧ - الملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون ، وقتل سنة ٧٤٨هـ.[(٤)]

٨ الملك الصالح بن محمد بن قلاوون ، خلع سنة (٧٥٥) وحبس إلى أن مات سنة (٧٦٢ هـ)[(٥)] -

٩ -الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، اعتقل سنة ٧٦٢هـ. وكان أخر العهد به.[(٦)]

---

(١) انظر : ذيول العبر (٤/١٢٥-١٢٦) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر (٣/٣٥١-٣٥٢) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٤/٢٢٧) السلوك (٢/٣/١٦٩).

(٣) انظر : البداية والنهاية (١٤/٢٢٩) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغري بردي (١٠/١١٦-١٤٠).

(٤) انظر : الدرر الكامنة (٢/٨٣-٨٥) النجوم الزاهرة (١٠/١٤٨-١٧٤).

(٥) انظر : البداية والنهاية (١٤/٢٦١-٢٦٣) السلوك (٢/٣/٨٤٣-٩٣٠).

(٦) انظر : البداية والنهاية (١٤/٢٩٢) الدرر الكامنة (٢/١٢٤-١٢٥).

١٠ – الملك المنصور محمد بن الملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون ، خلع سنة (٧٦٤هـ) ومات سنة (٨٠١هـ)[١]

١١ – الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ، تولى وله من العمر عشر سنين ، وقتل سنة (٧٧٨هـ)[٢]

١٢ – الملك المنصور بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ، تولي وهو ابن ثمان سنين ، ومات سنة (٧٨٣هـ)[٣]

١٣ – الملك الصالح حاجي بن شعبان بن حسين ، تولى السلطة مرتين وخلع سنة (٧٨٤هـ) وبه انتهت سلطنة بيت محمد بن قلاوون .[٤]

١٤ – الملك الظاهر برقوق بن آنص ، مات سنة (٨٠١هـ)[٥]

١٥ – الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق ، قتل سنة ٨١٥هـ.[٦]

ويتسِّم عصر المماليك بعدم الاستقرار ، وكثرة الفتن ، والاضطرابات السياسية ، والتنافس على الحكم ، و الصراع بين الأمراء وسفك الدماء ، فلقد كان هؤلاء المماليك يتهالكون على السلطنة ، ويتقاتلون عليها ، بل إنَّ دولة المماليك الأولى والتى استمر حكمها مائة و ستاً وثلاثين سنة (٦٤٨ – ٧٨٤ هـ) قد توالى

---

(١) انظر : البداية والنهاية (١٤/٢٩١-٢٩٢) النجوم الزاهرة (١١/٧٠٣).

(٢) انظر : الجوهر الثمين (٤٠٩-٤٣٦) النجوم الزاهرة (١١/٢٤-٨٣).

(٣) انظر : المرجعان السابقان (٤٣٧-٤٥٥) و (١١/١٤٨-١٨٨).

(٤) انظر : الجوهر الثمين (٤٥٥-٤٥٧) و (٤٧٠-٤٧٨).

(٥) النجوم الزاهرة (١٢/١-١٠٥) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للشوكاني (١/١٦٢-١٦٤).

(٦) المرجع السابق (١٢/١٦٨) البدر الطالع (٢/٢٦-٢٧).

الحكم فيها تسعة وعشرون حاكماً ، منهم من كانت مدة حكمه دون السنة ، وأكثرهم قتل ، أو خلع .[١]

ثانياً : الحالة الإجتماعية :

لعل أهم ما يميز الحالة الاجتماعية للعصر الذي عاش فيه العلامة ابن الملقن أمران كان لهما الأثر البارز في المجتمع في تلك الفترة وهما :

الأول :ـ أقسام الناس وأصنافهم

وقد صنَّفهم المقريزى إلى سبع طبقات :-

القسم الأول : أهل الدولة وهم طبقة الأمراء ، وهم الطبقة العليا في المجتمع ، يعيشون فى قلاعهم وحصونهم ، لايخالطون بقية الناس ، ولايتزوجون منهم ، يُنشَّؤون ويدربون عسكرياً ، يهتمون بالرياضة والفروسية .

القسم الثاني : أهل اليسار من التجار ، وأولي النعمة من ذوي الرفاهية .

القسم الثالث : الباعة وهم متوسطوا الحال من التجار ، ويقال لهم أصحاب البز ، ويلحق بهم أصحاب المعايش وهم السوقة .

القسم الرابع : أهل الفلح ، وهم أهل الزراعات والحرث وسكان القرى والريف .

القسم الخامس : الفقراء ، وهم جل الفقهاء وطلاب العلم ونحوهم .

القسم السادس : أرباب الصنائع والأُجَرَاء أصحاب المهن ، من الخدم والحمَّالين والسُّواس والحاكة والبناة ونحوهم .

---

(١) انظر : التأريخ الإسلامي « العهد المملوكي » لمحمود شاكر (ص٣٥-٣٩). وللوقوف على اضطراب الأحوال في الدولة المملوكية بشقيها راجع خطط المقريزي (٣/٩٠-١٠٣).

القسم السابع : ذوو الحاجة والمسكنة ، وهم السُّوَّال الذين يتكففون الناس ويتعيشون منهم .[١]

وقد كان السلاطين في عصر المماليك يتمتعون برغد العيش ، والرفاهية التى تصل إلى حد الإسراف سيِّما في الحفلات والمناسبات .

ومن ذلك مافعله السلطان الأشرف شعبان بن حسين حين خرج إلى (سريا قوس) ، فخرج بتجمل زائد وطلب عظيم إلى الغاية ، جر فيه عشرون قطاراً من الهجن الخاص بقماش ذهب ، وخمسة عشر قطاراً بقماش حرير ، وقطاراً واحداً بلبس خليفتي ، وقطاراً آخر بلبس أبيض برسم الإحرام ، ومائة فرس ملبسة ... وقطاران من الجمال محملة خضر مزروعة كالبقل والشمار والنعناع والسلق والكسبرة وغير ذلك . وأمَّا أحمال المطاعم والمشارب والمآكل فلا تدخل تحت حصر ، منها : ثلاثون ألف علبة حلاوة ، في كل علبة خمسة أرطال كلها معمولة من السكر المكرر المصري ، وطيبت بمائة مثقال مسك ، سوى الصندل والعود.[٢]

وكذا اهتم سلاطين المماليك بإنشاء كثير من المنشآت الإجتماعية المتنوعة مثل الفنادق والخانات والأسبلة والحمامات وغيرها.[٣]

واهتموا أيضاً بإحياء المناسبات الدينية ، فبولغ في إحياء موالد الأولياء والصالحين وغيرها ، حتى أصبح ذلك ظاهرة متميزة في عهد المماليك.[٤]

---

(١) انظر : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، للمقريزي (٧٣-٧٦).

(٢) انظر : النجوم الزاهرة (١١/٦٩-٧٠). الدرر الكامنة (١/٨٣).

(٣) انظر : مصروالشام في عصر الأيوبيين والمماليك (ص٢٨٩).

(٤) انظر : النجوم الزاهرة (١٢/٧٢-٧٤).

الثاني :الأوبئة والمجاعات التى كان يتعرض لها المجتمع ٠

عمَّ الناس وباء عظيم كان له أثر بالغ في حياتهم الإجتماعية ، ألا وهو طاعون سنة ٧٤٩هـ٠ فلقد فشا الموت ، وعمَّت الأمراض والأوجاع ، وضعف الإنتاج ، وغلت الأسعار .

يقول ابن كثير : « وكثر الموت في الناس بأمراض الطواعين ، وزادت الأموات كل يوم على المائة ، وإذا وقع في أهل بيت لا يكاد يخرج حتى يموت أكثرهم ، ثم زاد الموتى على المائتين في كل يوم ، وتعطلت مصالح الناس » .[١]

ومن جهة أخرى شاعت الرشاوي ، وارتكاب المظالم من قبل بعض السلاطين

يقول المقريزي في معرض تصويره لما حدث للناس في عهد السلطان عزالدين أيبك : « فنزل بالناس من البحرية بلاء لا يوصف ، مابين قتل ونهب وسبي ، بحيث لو ملك الفرنج بلاد مصر مازادوا في الفساد على مافعله البحرية »[٢]

ثالثاً : الحالة العلمية :

لم يكن لسوء الأحوال السياسية والإجتماعية في عصر المماليك تأثير سلبي على الحالة العلمية في العصر ذاته ، بل شهد العصر المملوكي ، خاصة القرن الثامن الهجري نهضة كبرى ، يبرهن على هذا كثرة المدارس العلمية المنظمة ، وبروز عدد غير قليل من فطاحلة علماء الإسلام .

ومن أهم المدارس التى أنشئت في عصر المماليك :-

١ - المدرسة الظاهرية القديمة : أنشأها الملك الظاهر بيبرس البندقداري.[٣]

---

(١) البداية والنهاية (٢٣٧/١٤).

(٢) الخطط (٩٢/٣).

(٣) هو : الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس التركي البندقداري ، ثمَّ الصالحي النجمي ، كان مملوكاً للملك الصالح نجم الدين أيوب فأعتقه ثمَّ جعله قائداً على الجيش ، ثمَّ تولى السلطة سنة ٦٥٨هـ٠ له فتوحات مشهورة ووقائع عظيمة مع التتار والصليبيين، مات سنة (٦٧٦) . انظر : العبر (٣٣٠/٤)الأعلام، للزركلي(٧٩/٢).

٢ – المدرسة المنصورية : أنشأها الملك قلاوون.[1]

٣ – المدرسة الناصرية : ابتدأها العادل كتبغا[2] ، وأتمّها الناصر محمد بن قلاوون .[3] [4]

٤ – مدرسة السلطان الناصر حسن محمد بن قلاوون.[5] شرع في بنائها في سنة ثمان وخمسين وسبعمائة .

٥ – المدرسة الظاهرية ـ وهي غير الأولى ـ أسسها الظاهر برقوق سنة (٧٨٦هـ)[6].

وقد كانت هذه المدارس على درجة عالية من التنظيم والإدارة ، ذات أهداف بينة ومناهج محددة ، يدرَّس فيها الفقه على المذاهب الأربعة ، والحديث والتفسير والقراءات ، والطب أحياناً .

ونتيجة لهذا الاهتمام الواضح بالعلم ظهر في هذا العصر علماء فطاحلة ، لهم شهرتهم وتأثيرهم على الأمة الإسلامية في شتى بقاعها ، منهم : العز بن عبدالسلام ، وابن تيمية ، وابن القيم ، والذهبي ، وابن رجب ، وابن كثير ، والمزي،والسبكي ،

---

(١) هو : السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو المعالي قلاوون التركي ، مات سنة (٦٨٩هـ) انظر : العبر (٣٧٠/٤). البداية والنهاية (٣٣٦/١٣).

(٢) كتبغا المغلي المنصور زين الدين الملك العادل ، تسلطن بمصر عامين ، وخلع سنة (٦٩٦) ومات سنة (٧٠٢). انظر : الدرر الكامنة (٣٤٨/٣).

(٣) الملك الناصر أبو الفتح محمد بن قلاوون بن عبدالله الصالحي ، تولى الحكم ثلاث مرات ، توفي سنة (٧٤١) انظر : البداية والنهاية (٣٢٣/١٣) شذرات الذهب (١٣٤/٦).

(٤) انظر : الخطط للمقريزي (٣٤٦/٣).

(٥) المولود سنة (٧٣٥هـ) تولى السلطة مرتين وخلع للمرة الثانية سنة (٧٦٢) . انظر : البداية والنهاية (٢٩٢/٢٤).

(٦) انظر : حسن المحاضرة في تأريخ ملوك مصر والقاهرة ، للسيوطي (٢٧١/٢).

والعلائي ، والعراقي ، والهيثمي ، والزيلعي ، والبلقيني ، وابن حجر ، والعيني ، والسخاوي ، وابن خلدون ، والمقريزي ، والسيوطي » وغيرهم كثير .

وتآليف هؤلاء العلماء أكبر دليل على الازدهار العلمي في هذا العصر ، ويرجع هذا الازدهار إلى عوامل عديدة منها :

١ - تعظيم السلاطين والأمراء لأهل العلم حيث أجلُّوهم وقدموهم وأعلوا منزلتهم .

٢ - شعور العلماء بالمسئولية الجسيمة لتعويض ما أحرق من كتب فقاموا بالتدوين والتأليف ، لدحر الغزو المغولي والصليبي الهادف إلى طمس الحضارة الإسلامية .

٣ - إنشاء المدارس العلمية ، وتنافس سلاطين المماليك لإنشائها ودعمهاوالإنفاق عليها.[1] حيث أسسوا مكتبات تابعة للمدارس تحتوي على أمهات الكتب في مختلف العلوم .

فالمدرسة الفاضلية وقف عليها جملة عظيمة من الكتب يقال : إنَّها مائة ألف مجلد . أمَّا المدرسة المحمودية فقد عمل فيها خزانة كتب ، فيها كتب الإسلام في كل فن .[2]

وبعد ... فقد كان لهذا الإزدهار العلمي في هذه الفترة ، وكثرة العلماء الكبار الذين عاصرهم ابن الملقن وأخذ عنهم أثره الواضح عليه ، حيث تمكن في كثير من الفنون وبرع فيها ، يشهد لهذا تنوع مؤلفاته وكثرتها واشتهارها وانتشارها في الآفاق .

---

(١) انظر : عصر سلطان المماليك ، لمحمد رزق سليم (٣/٢١ ـ ٣٠).

(٢) انظر : الخطط (٣/٣٦٨).

٢ - اسمه ونسبه وكنيته

هو عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبدالله ، سراج الدين أبو حفص[١] الأنصارى الوادي آشي[٢] الأندلسي التكروري[٣] المصرى الشافعي.[٤]

ويعرف بابن النَّحوي – وبها اشتهر في بلاد اليمن – لأنَّ أباه علياً كان نحوياً ، وكان المؤلف يرتضي هذا اللقب لنفسه ويكتب بخطه : عمر بن أبي الحسن النحوي[٥]

واشتهر بابن الملقن – بضم الميم وفتح اللام وكسر القاف المشددة – نسبة إلى زوج أمه الشيخ عيسى المغربي – أحد أصدقاء أبيه – وكان رجلاً صالحاً يلقن القرآن بجامع ابن طولون ، فأوصى به والده قبل وفاته إلى الشيخ عيسى ، وكان عمره حينذاك سنة وأياماً، فتزوج الوصي بأمه ، وعاش في رعايته وكفالته ، حتى صار كأنَّه ابناً له ، ومن ثم نسب إليه ، واشتهر بها في حياته وبعد مماته ، إلاَّ أنَّه كان يغضب من هذه النسبة ولا يكتبها بخطه ، ولعل سبب ذلك أنَّها نسبة إلى غير أبيه الحقيقي .[٦]

---

(١) هذا هو المشهور من كنيته ، إلا أن ابن فهد في لحظ الألحاظ (ص١٩٧) ذكر أن كنيته : أبو علي .

(٢) نسبة إلى مدينة « وادي آش » بالأندلس ، بينها وبين غرناطة أربعون ميلاً . انظر : معجم البلدان (١٩٨/١).

(٣) نسبة إلى « التكرور » من بلاد أفريقية ، وهي قبيلة في أقصى جنوب المغرب ٠ معجم البلدان ص(١٣٨/٢) لأن والده رحل عن بلدته « وادي آش » إلى بلاد التكرور ، ومكث فيها مدة . انظر : إنباء الغمر (٢١٦/٢) لحظ الألحاظ (ص١٩٧).

(٤) انظر : إنباء الغمر (٤١/٥) الضوء اللامع (١٠٠/٦) لحظ الألحاظ (ص١٩٧) حسن المحاضرة (٤٣٨/١) البدر الطالع (٥٠٨/١).

(٥) انظر : المجمع المؤسس للمعجم المفهرس ، لابن حجر (٣١٢/٢) لحظ الألحاظ (١٩٧) الضوء اللامع (١٠٠/٦) البدر الطالع (٥٠٨/١).

(٦) انظر : الضوء اللامع (١٠٠/٦) البدر الطالع (٥٠٨/١) مقدمة تحفة المحتاج ، للمؤلف (ص١٢).

٣ - مولده ونشأته

ولد بالقاهرة في الرابع والعشرين من ربيع الأول من سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة . كما ذكر ذلك هو عن نفسه ، قال : كذا رأيته بخط والدي[١] ، وبهذا أرخه ابن حجر[٢] وابن فهد[٣] وابن العماد.[٤]

وذهب السخاوي إلى أنّه ولد في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة . قال : « قرأته بخطه ».[٥]

وقد رجح السخاوي ماذهب إليه بحجة أنّه كتبه بخطه وهو أعلم بنفسه ، ولا يسلّم له ماقال ، لأنَّ ابن الملقن ذكر القول الأول وقال : كذا رأيته بخط والدي ولم يعقب على ذلك ، ولاشك أنَّ الوالد أعلم بولادة ابنه من الولد نفسه ، وعليه فالأول هو الأرجح.[٦]

أمَّا نشأته ، فإنَّ والده قد مات وعمره سنة وأيام ـ كما تقدم ـ فأوصى به إلى الشيخ عيسى المغربي الذى تزوج بأمه وكان رجلاً خيراً صالحاً ، فنشأ السِّراج في كفالته وكان له نعم الوصي الذي أحسن التربية ، والقيام على تعليمه وتأديبه حتى بلغ هذه المنزلة العظيمة في ميدان العلم والمعرفة ، التي لم يكن ينالها لولا فضل الله – عزوجل – عليه ثم الرعاية الحسنة التي قام بها زوج أمه والوصي عليه .

---

(١) العقد المذهب (ل ١٣٧/أ) .

(٢) إنباء الغمر (٤٢/٥) .

(٣) لحظ الألحاظ (١٩٧) .

(٤) شذرات الذهب (٤٤/٧) .

(٥) الضوء اللامع (١٠٠/٦) .

(٦) انظر : مقدمة الأخ زبن العتيبي لكتاب التوضيح لشرح الجامع الصحيح (المقدمة وكتاب الوحي) ص (٣٠) .

فأنشأ له وصيه رَبْعاً[1] أنفق عليه قريباً من ستين ألف درهم فكان يتحصل لابن الملقن من ربعه كل يوم مثقال ذهب ، مما جعله يقبل على طلب العلم ، ولا يشتغل بالمعيشة .

فطلب الحديث النبوي في صغره ، فسمع الكثير من المشايخ ، وتفقه واشتغل في فنون كثيرة فبرع ، ودرس وأفتى وصنّف وجمع .[2]

---

(١) الرَّبع – بتشديد الراء وسكون الباء الموحده – : الدار ، والمقصود : أنشأ له داراً يتحصل أجرتها . انظر : لسان العرب (١٠٢/٨).

(٢) انظر : لحظ الألحاظ (١٩٧-١٩٨) الضوء اللامع (١٠٠/٦-١٠١).

٤ - طلبه العلم

ابتدأ العلاَّمة ابن الملقن طلبه للعلم في سن مبكرة جداً ، على يد وصية الشيخ عيسى المغربي، الذى ابتدأ بتحفيظه للقرآن فحفظه، ثمَّ حفظ بعده « عمدة الأحكام » وأراد أن يقرئه في مذهب مالك ، ولعل ذلك موافقة منه لمذهب والده ، فأشار عليه « ابن جماعة » وقد كان صديق لوالد المؤلف - بأن يقرئه في مذهب الشافعي فدرس « منهاج الطالبين »، للنووي وحفظه ، ثم أسمعه على الحافظين أبي الفتح ابن سيد الناس والقطب الحلبي .

وقد حبب إليه الحديث ، فاتجه إليه وهو صغير ، وأقبل عليه بكليته ، وعني به عناية فائقة ، وسمع الكثير من المشايخ حتى قال : « سمعت ألف جزء حديثية »[(١)]

وقد كان عنده عوال كثيرة ، وتفقه واشتغل في فنون كثيرة ، ودرس وأفتى وصنَّف وجمع ، ومازال دؤوباً في التحصيل والطلب لم تهن له عزيمة إلى قبيل وفاته ، يقول عنه تلميذه البرهان الحلبي الشهير بسبط ابن العجمي : « إنَّه قرأ في كبره كتاباً في كل مذهب وأنه أذن له بالإفتاء فيه ».[(٢)]

وعلى عادة المحدثين فقد رحل ابن الملقن رحلات كثيرة لطلب الحديث ، كان لهذه الرحلات أثر طيب في إنماء مواهبه وبناء شخصيته العلمية ، واشتهار أمره ، وارتفاع قدره ، وعلو إسناده ، ففي هذه الرحلات تعلَّم وعلَّم وجالس العلماء فأخذ عن المشايخ الفضلاء ، وأخذ عنه التلاميذ النجباء .

---

(١) انظر : الضوء اللامع (٦/١٠٤). وطبقات الشافعية ، لابن قاضي شهبة (٤/٥٤).

(٢) انظر : لحظ الألحاظ (١٩٧-١٩٨) الضوء اللامع (٦/١٠٠-١٠١) البدر الطالع (١/٥٠٨).

ومن أشهر رحلاته مايلي :-

١ - رحلته إلى بيت المقدس ، سنة (٧٤٩هـ) واجتمع في هذة الرحلة بالعلامة الحافظ العلائي ، وقرأ عليه كتابه « جامع التحصيل في أحكام المراسيل » وأجيز منه[١]

٢ - رحلته إلى دمشق سنة (٧٧٠هـ) وفيها سمع من ابن أميله وغيره من متأخري أصحاب الفخر بن البخاري ، واجتمع بالتّاج السبكي ، ونوَّه بذكره ، وقرَّضَ له على جزء من تخريج أحاديث الرافعي ، وأطنب في مدحه ، وكذا على تخريج أحاديث المنهاج ، واستكتب له عليه الحافظ عماد الدين ابن كثير ، وارتفع قدره ، وطار صيته ، وفي هذه الرحلة سمع على ابن كثير كتابه الأحكام.[٢]

٣ - رحلته إلى مكة المكرمة ، ولعلها كانت للحج ، مرتين ، الأولى سنة ٧٤٤هـ. يدل على ذلك قوله في ترجمة عبدالرحمن بن يوسف بن إبراهيم نجم الدين الأصفواني « حضرت عنده بمكة سنة أربع وأربعين »[٣]

والثانية سنة ٧٦١هـ. فقد ذكر السخاوي أنَّه قرأ بخط ابن الملقن إجازة[٤] كتبها في ذي الحجة سنة إحدى وستين وسبعمائة تجاه الكعبة المشرفة بمكة المكرمة .

٤ - رحلته إلى الأسكندرية ، وهي عدة رحلات . أشار ابن الملقن إلى أنَّ أُوْلَى رحلاته إليها كانت سنة خمس وخمسين وسبعمائة.[٥] ، واجتمع في الرحلة الثالثة بالشيخ نهار المغربي (ت ٧٨٠هـ)[٦] وكانت هذه الرحلة سنة (٧٧٨هـ) .[٧]

---

(١) انظر : العقد المذهب ، للمؤلف (ل ١٣٥/أ - ب و ١٦٨/ب).

(٢) انظر : لحظ الألحاظ (١٩٨) الضوء اللامع (١٠١/٦) إنباء الغمر (٢١٨/٢).

(٣) العقد المذهب (١٢٥/ب).

(٤) الضوء اللامع (١٠١/٦).

(٥) طبقات الأولياء ، للمؤلف ص (٥٠٠).

(٦) المصدر السابق ص (٥٧١).

(٧) انظر : كتاب « نزهة النُّظار في قضاة الأمصار ، للمؤلف » (ق ٢٨/ب).

٥ - شيوخه

لَمَّا توفي والده ، قيض الله له المربي الصالح ، والوصي الأمين الشيخ « عيسى المغربي » ، الذي أحسن تربيته ورغَّبه في طلب العلم ، فعني بالتحصيل وهو صغير ، خصوصاً وأنَّه عاش في عصر ازدهرت فيه الحركة العلمية ، فهيأ الله له جملة من المشايخ والعلماء ، الذين كانوا أعلاماً في وقتهم ، فأخذ عن عدد كبير منهم ، فمنهم من أخذ عنه بطريق التلقي والسماع ومنهم من أخذ عنه بطريق الإجازة ، ولكثرة شيوخه[1] فإنِّي سأقتصر ـ بمشيئة الله ـ على أشهرهم وأبرزهم في كل فن ، ممن كان له أثرٌ ظاهرٌ في بناء شخصيته العلمية مع التعريف الموجز بكل واحد منهم :

أولاً - شيوخه في الحديث :

مرَّ معنا أنَّ ابن الملقن - رحمه الله - قد اعتنى بسماع الحديث منذ صغره ، وأكثر من ذلك حتى ذَكَرَ مرة « أنَّه سمع ألف جزء حديثية » .

وكان من أبرز شيوخه في هذا الجانب :

١ - الإمام ، العلامة ، الحافظ ، المفيد ، الأديب ، البارع ، فتح الدين ، أبو الفتح ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن سيد الناس ، الأندلسي ، اليعمري ، المصرى ، الشافعي[2] . مولده سنة (٦٧١هـ).ولازم الشيخ ابن دقيق العيد ، وتخرج عليه ، وأعاد عنده عليه ، وكان يحبه ويثني عليه .

---

(١) ذكر منهم الأخ زبن العتيبي (٤٦) شيخاً في مقدمته لكتاب التوضيح - القسم الأول (المقدمة وكتاب الوحي)(١/٣٥-٤٨) ٠ وقد أفدت منه في هذا المبحث ومايليه وكذا مما كتبه د. نور الدين شريبة في مقدمة كتاب (طبقات الأولياء) و د. عبد الله اللحياني في مقدمة (تحفة المحتاج) وماكتبه جمال السيد في مقدمة (البدر المنير) والأخ سعد الشهراني في مقدمة كتاب التوضيح (القدر والرقاق) .

(٢) ترجمته في : تذكرة الحفاظ ، للذهبي (٤/١٥٠٣) وذيل التذكرة للحسيني (ص١٦) طبقات الحفاظ ، للسيوطي (ص٥٢٣) ٠

قال السيوطي : « كان أحد الأعلام الحفاظ ، إماماً في الحديث ، ناقداً في الفن ، خبيراً بالرجال والعلل و الأسانيد ، عالماً بالصحيح والسقيم ... حسن التصنيف ... شاعراً بارعاً متفنناً في البلاغة »[١]

قال ابن الملقن : « أجاز لي وسمعت عليه »[٢] توفي – رحمه الله – في شعبان سنة (٧٣٤هـ).

٢ – الإمام ، العلامة ، الحافظ ، الفقيه ، عالم بيت المقدس ، خليل بن كيكلدي ، صلاح الدين ، العلائي ، الشافعي[٣]. مولده سنة (٦٩٤هـ).

لازم البرهان الفزاري ، والكمال الزملكاني ، وبه تخرج . قال الذهبي : « حافظ ، يستحضر الرجال والعلل ، وتقدم في هذا الشأن ، مع صحة الذهن ، وسرعة الفهم »[٤].

من أهم مؤلفاته : « جامع التحصيل لأحكام المراسيل » ، و « تلقيح الفهوم في تنقيح صيغ العموم » في أصول الفقه ، و « الوشي المعلّم في ذكر من روى عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ ». وغيرها من كتبه المفيدة . توفي – رحمه الله – في المحرم ، سنة (٧٦١هـ).

وقد انتفع به ابن الملقن ، وأفاد منه ، وقرأ عليه في رحلته إلى بيت المقدس كتابه « جامع التحصيل » وأجاز له[٥]. وقد روى عنه عدة أحاديث في كتابه « البدر المنير»[٦]. وهو مُجِلٌّ له ، كثير الثناء عليه .

---

(١) « ذيل تذكرة الحفاظ » ، للسيوطي (ص٣٥٠).

(٢) العقد المذهب (١٣٣/ب).

(٣) ترجمته في : ذيل تذكرة الحفاظ ، للحسيني (ص٤٣) الدليل الشافي على النهل الصافي ، لابن تغري بردي (٢٩٣/١).

(٤) « طبقات الحفاظ » للسيوطي (٥٣٣).

(٥) انظر العقد المذهب (١٣٥/أ – ب) .

(٦) ينظر على سبيل المثال (٤٥٧/١).

٣ – الإمام ، العلامة ، الحافظ ، المحدث ، مغلطاي بن قليج بن عبدالله ، البكرى ، الحنفي ، علاء الدين[١] . مولده سنة (٦٩٠هـ).

لازم منذ صغره حلق أهل العلم ، وانهمك على الاشتغال ، حتى صار له مشاركة جيدة في فنون من العلم ، ولاسيما « الأنساب » . توفي – رحمه الله – سنة (٧٦٢هـ).

وقد كان ابن الملقن شديد الملازمة له ، بل به تخرج في الحديث ، استفاد كثيراً من مؤلفاته .

٤ – الحافظ ، المتقن ، أبو علي ، عبدالكريم بن عبد النور بن منير ، الحلبي ، ثم المصري[٢] . مولده سنة (٦٦٤هـ).

قال الذهبي : « جمع ، وخرَّج ، وألف تآليف متقنة ، مع التواضع والدين ... ومعرفة الرجال ، ونقد الحديث »[٣] . وأخذ عنه ابن الملقن الفقه ، وأُسمع عليه الحديث مبكراً [٤] توفي – رحمه الله – سنة (٧٣٥هـ) .

من مؤلفاته : « شرح صحيح البخاري » ، ولم يكمله ، في عدة مجلدات وعمل « تأريخاً لمصر » وبيَّض بعضه .

٥ – أبو بكر بن أبي بكر بن قاسم بن أبي عبدالرحمن ، زين الدين الرحبي ، الكناني . قال عنه الذهبى : « ديِّن ، خيِّر ، حسن المحاضرة » . توفي – رحمه الله – سنة(٧٤٩)[٥] .

---

(١) له ترجمة في : « الدرر الكامنة » (١٢٢/٥) ؛ و « الدليل الشافي » (٧٣٧/٢).

(٢) له ترجمة في : الدليل الشافي (٤٢٥/١) الدرر الكامنة (١٢/٣) الضوء اللامع (١٠٠/٦).

(٣) « ذيل التذكرة» ، للحسيني (ص ١٤ ، ١٥) .

(٤) انظر : لحظ الألحاظ ص (١٩٧).

(٥) له ترجمة في : « الدرر الكامنة » (٤٨٦/١).

وقد ذكر السخاوي ، وغيره أنَّ ابن الملقن كان شديد الملازمة له ، بل به تخرج ، وقرأ عليه « البخاري »[١]

هؤلاء هم أبرز مشايخه في الحديث ، الذين انتفع بهم أكثر من غيرهم ، وكان لهم التأثير الأكبر على نشأته العلمية .

ثانياً : شيوخه في الفقه :

وكان من أبرز مشايخه الذين أخذ عنهم الفقه :

١ – الشيخ ، الإمام ، تقي الدين ، على بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسي ... السبكي ، أبو الحسن ، الشافعي [٢] مولده سنة (٦٨٣هـ).

قال ابن فهد : « أقبل على التصنيف والفتيا ... وتصانيفه تدل على تبحره في الحديث ، وغيرها ، وسعة باعه في العلوم ، وتخرج به فضلاء العصر ... » توفي سنة (٧٥٦هـ) . اجتمع به في مصر وأخذ عنه الفقه [٣] .

٢ – العلامة ، جمال الدين ، أبو محمد ، عبدالرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي ، الشافعي ، الأموي القرشي[٤] . مولده سنة (٧٠٤هـ).

قدم القاهرة سنة (٧٢١هـ) ، فانتهت إليه رياسة الشافعية . قال الحسيني : « كان إماماً في الفقه ، وأكثر أهل زمانه اطلاعاً على كتب المذهب » . توفي – رحمه الله – سنة (٧٧٢هـ).

---

(١) « الضوء اللامع » (١٠٠/٦).

(٢) له ترجمة في « الدرر الكامنة » (١٣٤/٣) و « لحظ الألحاظ » (ص ٣٥٢)

(٣) انظر : العقد المذهب (١٢٦/ب – ١٢٧/أ) .

(٤) له ترجمة في : « الدليل الشافى » (٤٠٩/١) ؛ و « طبقات الشافعية » ، للحسيني (ص٢٣٦) ، و « الشذرات » (٢٦٣/٦).

وقد كان ابن الملقن من الملازمين له المنتفعين به . قال الغزِّي : « ولزم من مشايخ عصره : الشيخ جمال الدين الأسنوي ، وبرع عليه ، وصار من أعيان أصحابه »[١] .

٣ – كمال الدين ، أحمد بن عمر بن أحمد بن مهدي ، المدلجي ، النشائي ، الفقيه الشافعي [٢] . قال عنه الأسنوي : « كان حافظاً للمذهب ، كريماً متصوناً ، طارحاً للتكلف » . توفي – رحمه الله – سنة (٧٥٧هـ) .

ويشير السخاوي إلى تفقهه عليه ، فيقول : « وتفقه بالتقي السبكي ، والجمال الأسنائي ، والكمال النشائي ، والعز بن جماعة »[٣]

ثالثاً : شيخه في القراءات :

أخذ ابن الملقن القراءات على برهان الدين الرشيدي[٤] ، كما قال السخاوي[٥] . وهو : إبراهيم بن لاجين بن عبدالله الرشيدي. مولده سنة (٦٧٣هـ) .

قال ابن الجزري : « إمام ، علامة ، مقرئ ، نحوي ، بارع في العلوم » . وقال الأسنوي : « كان فقيهاً ، عالماً بالنحو والتفسير والقراءات » . توفي – رحمه الله – سنة (٧٤٩هـ).

رابعاً : شيوخه في العربية :

أخذ ابن الملقن – رحمه الله – علم العربية من أعلام عصره ، المقدمين في معرفة دقائقها وأسرارها . وأبرز هؤلاء :

١ – أبو حيَّان ، محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان ، الغرناطي ، أثير الدين ، الأندلسي ، الجياني . مولده سنة (٦٥٤هـ).

---

(١) مقدمة اللحيدان لـ « تلخيص تلخيص المستدرك » (ص٧١).

(٢) له ترجمة في : « الدرر الكامنة » (١/٢٣٨) ؛ و « الشذرات » (٦/١٨٢).

(٣) « الضوء اللامع » (٦/١٠٠) .

(٤) « طبقات القراء » ، لابن الجزري (١/٢٨) ، و « الدرر الكامنة » (١/٧٧).

(٥) « الضوء اللامع » (٦/١٠٠) .

قال ابن حجر عنه : « ... أمَّا النحو والتصريف : فهو الإمام المطلق فيهما ، خدم هذا الفن أكثر عمره ، حتى صار لا يذكر أحد في أقطار الدنيا فيهما غيره ». توفي – رحمه الله – سنة (٧٤٥هـ).[١] قال المؤلف : « سمعت عليه وأجاز لي »[٢]

٢ – الإمام ، العلامة ، المشهور ، الشيخ ، أبو محمد ، عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام ، الأنصارى ، جمال الدين[٣] . مولده سنة (٧٠٨هـ).

أتقن العربية ففاق الأقران ، بل الشيوخ ، حتى قال ابن خلدون : « مازلنا – نحن بالمغرب – نسمع أنّه ظهر بمصر عالم بالعربية، يقال له :ابن هشام، أنحى من سيبويه ».

من مؤلفاته الشهيرة ، والتى انتفع بها القاصي والداني : « شذور الذهب » ، « قطر الندى ، وبل الصدى » ، و « مغني اللبيب » ، و « قواعد الإعراب » .. وغير ذلك . توفي – رحمه الله – سنة (٧٦١هـ).

قال السخاوي عند ذكره مشايخ ابن الملقن : « وأخذ في العربية عن : أبي حيان ، والجمال بن هشام ... »[٤]

ولقد كان ابن الملقن – إلى جانب ماتقدم – مهتماً بالخط ، متقناً له ، وقد أخذه على : الشيخ ، الإمام ، شمس الدين ، محمد بن محمد بن نمير بن السراج الكاتب[٥] . مولده سنة (٦٧٠هـ).

وقد نصَّ ابن فهد على تتلمذ ابن الملقن على هذا العلم فقال : « وله الخط المنسوب ، جود فيه على ابن السراج »[٦] .

هؤلاء هم أبرز شيوخ ابن الملقن – رحمه الله – في شتى الفنون ، ومختلف العلوم .

---

(١) انظر : « الدرر الكامنة » (٥/٧٠) ؛ و « الشذرات » (٦/١٤٥).

(٢) العقد المذهب (١٣١/أ).

(٣) له ترجمة في : « الدرر الكامنة » (٢/٤١٥) ؛ و « بغية الوعاة »في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي (٦٨/٢) ؛ و « الشذرات » (٦/١٩١).

(٤) « الضوء اللامع » (٦/١٠٠).

(٥) له ترجمة في : « الدرر الكامنة » (٤/٣٥٠) ؛ و « بغية الوعاة » (١/٢٣٥) ؛ و «الشذرات » (٦/١٥٢).

(٦) « لحظ الألحاظ » (ص١٩٨) . وانظر : « الضوء اللامع » (٦/١٠٠).

٦ - تلاميذه

لقد كان من ثمار هذه الجهود العلمية المتواصلة لابن الملقن من إملاء ، وتدريس ، ونحو ذلك : أن خرَّج لنا نخبة من علماء هذه الأمة ، والذين كان هم أثر بارز في خدمة الكتاب والسنة وعلومهما ، ولازالت آثارهم حية بيننا تنطق بفضلهم ، وتشيد بعظيم جهدهم ، ساعد على هذا ما حباه الله تعالى لابن الملقن من دماثة الخلق ورحابة الصدر مما حبب الناس فيه فأقبلوا عليه ورغبوا فيما عنده ، ولذا كثر الآخذون عنه من جميع المذاهب والمشارب .

واستعراضنا لأهم تلاميذ ابن الملقن – رحمه الله – يعطينا صورة واضحة عن تلك المكانة التي كان يحتلها ابن الملقن – رحمه الله – بين أهل عصره ، ومدى إقبالهم عليه ، وانتفاعهم به .

وقد قام الشيخ الدكتور عبدالله اللحياني في هذا المجال بجهد مشكور ، حيث استطاع أن يجمع مائة وخمسة وتسعين تلميذاً وتلميذة ممن أخذوا عن ابن الملقن[1]. معتمداً في ذلك على كتاب « الضوء اللامع » و « البدر الطالع » و « معجم الشيوخ » لابن فهد و « الدرر الكامنة » . وسأقتصر هنا على أبرز هؤلاء التلاميذ ، مترجماً لهم بإيجاز ، مبرزاً مدى ارتباطهم بشيخهم واستفادتهم منه .

فمن هؤلاء :

١ – حافظ عصره ، الإمام ، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد ، شهاب الدين ، أبو الفضل ، الكناني ، العسقلاني ، المصري ، ثم القاهري ، الشافعي ، المعروف « بابن حجر » ، (ت ٨٥٢هـ).

وهو من أبرز تلاميذ ابن الملقن والآخذين عنه ، وقد أدخله في معجم شيوخه المسمَّى « بالمجمع المؤسِّس » ، وذكر هناك الكتب التي قرأها عليه ، وأخذها عنه .

---

(١) انظر : مقدمة « تحفة المحتاج » (١/١٧–٤٨).

وقد تفقه - رحمه الله - بابن الملقن ، حيث يقول : « قرأت على الشيخ قطعة كبيرة من شرحه الكبير على المنهاج ، وأجاز لي »[(١)]

كما قرأ عليه الحديث أيضاً ، يقول - رحمه الله - في « معجمه » : « وقرأت عليه جزءاً فيه السادس والسابع من أمالي المخلص ...»[(٢)]. وقال : « سمعت عليه المسلسل بالأولية ، تخريجه ... »[(٣)]. وقال : « الجزء الخامس من مشيخة النجيب ، تخريج أبي العباس بن الظاهري ...»[(٤)].

ويشير السخاوي - رحمه الله - إلى تلمذة ابن حجر على ابن الملقن فيقول : « واجتمع له من الشيوخ المشار إليهم ،و المعول في حل المشكلات عليهم ، ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره ، لأنَّ كل واحد منهم كان متبحراً في علمه ، ورأساً في فنه الذى اشتهر به ، لا يلحق فيه : العراقي في معرفة علوم الحديث ومتعلقاته ؛ وابن الملقن في كثرة التصانيف »[(٥)]

وقد استفاد ابن حجر من كتب شيخه ولا شك ، خاصة « شرح البخاري » ، حيث ينقل منه في كتابه « فتح الباري » ، وكثيراً ما يتعقبه .

كما أنَّه قد اعتنى عناية خاصة بكتابه « البدر المنير » ، فقام باختصاره ، وانتشر أمره واشتهر ذكره .

٢ - أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن أبي بكر بن ابراهيم ، ولي الدين ، أبوزرعة ، ابن الحافظ العراقي[(٦)]

---

(١) « المجمع المؤسس » (ق٢٦٦/أ)

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق

(٥) « الضوء اللامع » (٣٧/٢).

(٦) له ترجمة في : « طبقات الشافعية » ، لابن قاضي شهبة (١٠٣/٤) ، «والدليل الشافي» (٥٣/١) ، و « الضوء اللامع » (٣٣٦/١) ، و « الشذرات » (١٧٣/٧).

قال ابن حجر : « نشأ صيناً ، ديناً ، خيراً ، مع جمال الصورة ، وطيب النغمة ، والتودد إلى الناس ، وناب في الحكم ، ودرس في عدة أماكن ، ثم استقر في جهات والده بعد وفاته ، وعقد مجالس الإملاء بعده ، واشتهر صيته ، وصنف التصانيف ، وخرج التخاريج ... »[١]

من مصنفاته :

« شرح جمع الجوامع » للسبكي ،و« تحرير الفتاوي على التنبيه والمنهاج والحاوي » توفي – رحمه الله – سنة (٨٢٦هـ).

وقد تفقه أبو زرعة بابن الملقن[٢]. كما كان له اهتمام بمصنفاته ، فإنّه لما صنف كتابه : « تحرير الفتاوي » ، جمع فيه بين نكت ابن النقيب على « المنهاج » ، ونكت النشائي على « التنبيه » ، و « تصحيح الحاوي » لابن الملقن[٣].

٣ – إبراهيم بن محمد بن خليل ، الطرابلسي الأصل ، ثم الحلبي المولد والدار ، الشافعي ، برهان الدين ، أبو الوفاء ، حافظ بلاد الشام ، سبط ابن العجمي[٤].

مولده : في رجب سنة (٧٥٣هـ).

مات أبوه وهو صغير جداً ، فكفلته أمه ، فحفظ القرآن ، واعتنى بالحديث أتم عناية فسمع وقرأ الكثير ببلده على شيوخها : كالأذرعي ، والكمال ابن حبيب ، وابن العديم ، حتى قرأ على قريب من سبعين شيخاً .

وارتحل إلى الديار المصرية مرتين ، الأولى : في سنة ثمانين ؛ والثانية : في سنة ست وثمانين .

واجتهد الشيخ في فن الحديث اجتهاداً كبيراً ، واشتغل بالتصنيف .

فمن مصنفاته :

---

(١) « طبقات الشافعية » ، لابن قاضي شهبة (١٠٤/٤).

(٢) « الضوء اللامع » (٣٣٨/٢).

(٣) « الضوء اللامع » (٣٤٣/٢).

(٤) له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٢٦/١) ؛ و « الضوء اللامع » (١٣٨/١). و « الشذرات » (٢٣٧/٧).

شرح على البخاري ، سماه : « التلقيح لفهم قارئ الصحيح » ، في مجلدين . أفاد من ابن حجر في شرحه للبخاري ، و « نثل الهميان في معيار الميزان » ، و « الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث » و « التبيين لأسماء المدلسين » ، وغير ذلك من المؤلفات النافعة .

وقال عنه المقريزي : « صار شيخ البلاد الحلبية بغير تدافع ، مع تدين وانجماع ، وسيرة حميدة »[١]. توفي - رحمه الله - سنة (٨٤١هـ).

وقد كان البرهان الحلبي من تلاميذ ابن الملقن الذين أفادوا منه ، وانتفعوا به ، وقد أخذ عنه الفقه ، قال ابن فهد : « تفقه بحلب على جماعة ... وبالقاهرة على شيخ الإسلام البلقيني ، وسراج الدين ابن الملقن »[٢]. كما أخذ عنه علم الحديث أيضاً[٣]

وقرأ على ابن الملقن « الخصائص النبوية »[٤]

وقد كان - رحمه الله - مجلاً لشيخه ، كثير الثناء عليه ، وكتب بخطه الحسن « شرح البخاري » لابن الملقن ، ثم فقد منه نصفه في الفتنة ، فأعاد كتابته أيضاً[٥].

٤ - تقي الدين ،أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبدالصمد ، أبو العباس ، القاهري ، ويعرف بـ « ابن المقريزي » ، (ت ٨٤٥هـ)[٦]، صاحب « الخطط » وغيرها .

---

(١) « الضوء اللامع » (١/١٤٤).

(٢) معجم شيوخ ابن فهد (ص٤٩).

(٣) « لحظ الألحاظ » (٣٠٩).

(٤) « الضوء اللامع » (٦/١٠٤).

(٥) « الضوء اللامع » (١/١٤١).

(٦) له ترجمة في : « الدليل الشافي » (١/٦٣) ؛ و « الضوء اللامع » (٢/٢١) ؛ والشذرات (٧/٢٥٤).

قال : « صحبته سنتين ، وأخذت عنه كثيراً من مروياته ، ومصنفاته »[١]

٥ – محمد بن أحمد بن علي بن أبي عبدالله بن محمد ... أبو عبدالله الفاسي ، المكي ، المالكي ، شيخ الحرم ، ويعرف بـ « التقي الفاسي » ، (ت٨٣٢هـ) ، وهو صاحب : « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » ، و « شفاء الغرام » .

قال السخاوي : « دخل القاهرة غير مرة ... فقرأ بها على البلقيني ، وابن الملقن »[٢]

٦ – محمد بن عبدالدائم بن موسى بن عبدالدائم ، أبو عبدالله ، النعيمي ، البرماوي ، ثم القاهري ، الشافعي ، (ت٨٣١هـ)[٣].

أخذ عن ابن الملقن[٤] ، وقد اختصر « شرح العمدة » له .

٧ – محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد ... القرشي ، المخزومي ، السكندري ، المالكي ، المعروف بـ « ابن الدماميني » ، (ت٨٢٧هـ).[٥]

كان أحد الكملة في الأدب ، أقر له الأدباء بالتقدم فيه .

سمع بالقاهرة من ابن الملقن [٦]

٨ – محمد بن عبدالله بن محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف بن محمد بن أحمد ، أبو عبدالله ، القيسي ، الحموي الأصل ، الدمشقي ، المعروف بـ « ابن ناصر الدين » ، (ت٨٣٧هـ)[٧]، صاحب المصنفات النافعة التي منها « توضيح المشتبه » .

---

(١) « الضوء اللامع » (١٠٥/٦).

(٢) « الضوء اللامع » (١٨/٧).

(٣) له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢٨٠/٧).

(٤) « الضوء اللامع » (٢٨١/٧).

(٥) له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١٨٤/٧).

(٦) « الضوء اللامع » (١٨٥/٧).

(٧) له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١٠٣/٨).

قال ابن العماد في ترجمة ابن الملقن : « أخذ عنه جماعات من الحفاظ وغيرهم ، منهم : ابن ناصر الدين ، حافظ دمشق ، ووصفه بالحفظ والإتقان »[١] .

٩ - عمر بن حجي بن موسى بن أحمد بن سعد ، أبو الفتوح ، الحسباني الأصل، الدمشقي ، الشافعي ، المعروف « بابن حجي » ، (ت ٨٣٠هـ).[٢]

قال السخاوي : « دخل مصر سنة (٧٨٩هـ) ، فأخذ عن البلقيني ، وابن الملقن ... وأذن له ابن الملقن في الإفتاء والتدريس »[٣] .

١٠ - محمد بن عبدالله بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة ،أبو حامد ، القرشي ، المخزومي ، المكي ، الشافعي ، المعروف بـ « ابن ظهيرة » ، (ت٨١٧هـ)[٤] .

قال التقي الفاسي : « كان بارعاً في الفقه ، والنحو ... حافظاً لأسماء الرواة عارفاً بالعالي والنازل ... حسن السيرة في قضائه ، ذا حظ من العبادة والخير »[٥] .

تفقه بابن الملقن ، وأذن له في الإفتاء والتدريس[٦] .

فهؤلاء هم أبرز تلاميذ ابن الملقن الذين أخذوا عنه ، وتأثروا به ، وهم - في الوقت نفسه - من الأئمة الأعلام ، المشهورين بالتقدم بين الأنام .

هذا آخر ما أردت إيراده من تلاميذ ابن الملقن ، واقتصرت على هذا العدد تجنباً للإطالة .

---

(١) « الشذرات » (٧/٤٥).

(٢) له ترجمة في : « الدليل الشافي » (١/٤٩٦) ؛ و « الضوء اللامع » (٦/٧٨).

(٣) « الضوء اللامع » (٦/٧٨).

(٤) له ترجمة في : « طبقات الشافعية » ، لابن قاضي شهبة (٤/٦٧) و «الضوء اللامع »(٧/٩٢).

(٥) « طبقات ابن قاضي شهبة » (٤/٧٠).

(٦) « طبقات الشافعية » ، لابن قاضي شهبة (٤/٦٩) ؛ و « الضوء اللامع » (٧/٩٣).

٧ - مصنفاته

لقد اشتهر ابن الملقن - رحمه الله - بتفوقه في مجال التأليف والتصنيف ، وغزارة إنتاجه ، وشهرة مصنفاته وانتشارها وكثرة الانتفاع بها .

قال عنه الحافظ ابن حجر : « واشتهر بكثرة التصانيف ، حتى كان يقال : إنَّها بلغت ثلاثمائة مجلد مابين كبيروصغير »(١)

ويقول السيوطي : « أربعة تعاصروا : السراج البلقيني ، والسراج ابن الملقن ، والزين العراقي ، والنور الهيثمي ، وأعلمهم بالفقه ومداركه البلقيني ، وأعلمهم بالحديث ومتونه العراقي ، وأكثرهم تصنيفاً ابن الملقن ، وأحفظهم للمتون الهيثمي »(٢).

ولقد توفرت عدة عوامل ساعدته على ذلك ،أهمها :

* ضخامة مكتبته الخاصة ، واشتمالها على أشهر المراجع وأهمها ، وخاصة في علم الحديث ، لحرصه على اقتناء الكتب ، وذلك لسعة حاله .

* اتجاهه نحو التصنيف في وقت مبكر ، حيث يقول الحافظ ابن حجر : « واشتغل بالتصنيف وهو شاب ... حتى كان أكثر أهل عصره تصنيفاً »(٣).

* تفرغه ، وعدم انشغاله ، فإنَّه لم يشغل بتحصيل قوته ، كما سبق بيان ذلك ، وكذلك قلة عياله ، الأمر الذي أتاح له وقتاً أوسع للانكباب على الجمع والتأليف .

---

(١) إنباء الغمر (٥/٤٤-٤٥).

(٢) تدريب الراوى ، للسيوطي (٢/٤٠٦).

(٣) « المجمع المؤسس » (ق ٢٢٥/أ) .

* عنايته المبكرة بطلب الحديث وعلومه ، وسعيه المستمر في تحصيل الفوائد ، وجمع الشوارد ، مما هيأ له مادة علمية غزيرة ، كانت كفيلة بمسارعته إلى التأليف ، والتصنيف .

* امتداد حياته العلمية فقد عاش فوق ثمانين سنة ، ولم يتوقف عن التأليف إلاَّ قبيل وفاته بسنة أو سنتين[١].

* سرعته في القراءة والكتابة فقد ذكر عنه تلميذه سبط ابن العجمي أنَّه نظر مجلدين من « الأحكام للمحب الطبري » في يوم واحد[٢].

وذكر أنَّه ألف كتابه : « مختصر إستدراك الذهبي » في أيام يسيره[٣]، وأنَّه اختصر كتابه : « التذكرة في علوم الحديث » من كتابه « المقنع » في نحو ساعتين[٤].

وهذه المؤلفات الكثيرة لم يصل إلينا منها إلاَّ القليل ، وسأذكر هنا - بمشيئة الله - بعض المؤلفات التى عرفت له ، مع ذكر أماكن وجودها - إن علم ذلك - إلاَّ إذا كان الكتاب مطبوعاً فأكتفي بذكر طبعاته ، وسأرتب ذلك على الفنون .

فمن هذه المصنفات :

أولاً - المصنفات في الحديث :

١ - « البلغة في أحاديث الأحكام »[٥].

اختصره من كتابه « تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج » ، مع زيادات يسيرة وقد فرغ منه في سنة (٧٥٧هـ).[٦]

---

(١) انظر : مقدمة طبقات الأولياء (٤٧).

(٢) لحظ الألحاظ (ص٢٠٢).

(٣) مختصر استدراك الذهبي على مستدرك الحاكم (٣٥٨٤/٧).

(٤) التذكرة في علوم الحديث (ص٢٨).

(٥) « الضوء اللامع » (١٠١/٦).

(٦) أفاد الشيخ د. عبد الله اللحياني في مقدمة التحفة (٧٤/١) بأنَّ منه نسخة خطية في الجامعة الإسلامية بالمدينة الإسلامية برقم (١٤٩١) .

٢ – « تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج » . وهو أصل الكتاب الذي قبله ، وهو على أبواب « المنهاج » للنووي.[١]

٣ – « حدائق الحقائق ».[٢] وقد يسمى بـ « حدائق الأولياء » .

ويشتمل إلى جانب الحديث على جملة من حكايات الصالحين ، وجملة من الآثار ، والأشعار ، والنوادر . واختصره في كتاب سماه : « الرائق في حدائق الحقائق ».[٣]

ثانياً : المصنفات في رجال الحديث :

٤ – « إكمال تهذيب الكمال ». منها نسختان في مركز البحث العلمي بجامعة أم القري ، الأولى مصورة من مكتبة « قليج علي » ورقمها (٨٣٧) والثانية مصورة من دار الكتب المصرية برقم (٨٣٦).

٥ – « إيضاح الارتياب في معرفة مايشتبه ويتصحف من الأسماء والأنساب ، والألفاظ ، والكني ، والألقاب ، الواقعة في تحفة المحتاج إلى أحاديث المنهاج ».[٤]

٦ – « طبقات المحدثين ».[٥]

---

(١) وقد حقق الكتاب الشيخ د. عبدالله سعاف اللحياني ، ونال به درجة الماجستير ، من جامعة أم القرى ، سنة (١٤٠٤هـ) ، وطبع في جزءين سنة (١٤٠٦هـ) عن دار حراء للنشر والتوزيع .

(٢) كشف الظنون (٦٣٣/١) ، هدية العارفين (٧٩١/١) وقد ذكر نورالدين شريبة في مقدمة « طبقات الأولياء » (ص٥٥) أن للكتاب ثلاث نسخ خطية في مصر واليمن وبرلين .

(٣) مقدمة نور الدين شريبة لكتاب طبقات الأولياء (ص٥٧).

(٤) ومنه نسخة في مكتبة (تشستربتي) وعنها مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية . الكويت تحت رقم (٢/٩٣٣) وتقع في عشر ورقات . وهي نسخة جيدة ، وعليها خطه في طبقة السماع ، يفيد أنه قرئ عليه وعورض بأصله .

(٥) « الضوء اللامع » (١٠١/٦». «العقد المذهب » (١٣٧/أ). كشف الظنون (١١٠٦/٢).

٧ – « العدة في معرفة رجال العمدة » يعني : عمدة الأحكام ، للمقدسي . في جزء.[١] منه نسخة في دار الكتب المصرية.[٢]

ثالثاً : المصنفات في الشروح الحديثية :

٨ – « الإعلام بفوائد عمدة الأحكام ».[٣]

و « العمدة لعبد الغني المقدسي ، وهو شرح لها، يقع في ستة مجلدات كبار.[٤]

٩ – « التوضيح لشرح الجامع الصحيح »وهو كتابنا هذا،وسيأتي الكلام عنه

١٠ – « شرح زوائد مسلم على البخاري » . في أربعة أجزاء.[٥]

١١ – « شرح زوائد أبي داود على الصحيحين » .في مجلدين.[٦]

١٢ – « شرح زوائد الترمذى على الثلاثة ». كتب منه قطعة صالحة.[٧]

١٣ – « شرح زوائد النسائي على الأربعة ». كتب منه جزءاً. [٨]

---

(١) انظر : « الضوء اللامع » (٦/١٠١» . «العقد المذهب » (١٣٧/أ) . « الإعلام بفوائد عمدة الأحكام » للمؤلف (١/٧٢).

(٢) مقدمة طبقات الأولياء (ص٦١).

(٣) « الضوء اللامع » (١/١٠٢». «العقد المذهب » (١٧٠/أ).

(٤) منه نسخة في مكتبة الجامعة الإسلامية برقم ١–٦) ونسخة بالمكتبة المركزية بجامعة أم القري وأرقامها (٢١٦٠) (٢١٦١) (٢١٦٢) (٢١٦٣)(٢١٦٤) . وطبع جزء من الكتاب في أربع مجلدات بتحقيق عبدالعزيز المشيقح عن دار العاصمة ، طبعة أولى سنة (١٤١٧هـ) ويقوم طلاب الدراسات العليا بقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى بتحقيقه.

(٥) المجمع المؤسس (٢/٣١٩) ، طبقات ابن قاضي شهبة (٤/٤٥)ويوجد له نسخة خطية في خزانة الأوقاف ببغداد (٣٠١٢–٣٠١٥). « الضوء اللامع » (٦/١٠١).

(٦) « الضوء اللامع » (٦/١٠١).

(٧) المصدر السابق .

(٨) المصدر السابق .

١٤ - « شرح زوائد ابن ماجه على الخمسة ».[١]

١٥ - « المعين على تفهم الأربعين ».[٢]

١٦ - « شرح أحاديث منهاج الوصول إلى علم الأصول ».[٣]

رابعاً : المصنفات في التخريج :

١٧ - « البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ».[٤]

١٨ - « خلاصة البدر المنير ». في مجلد .[٥]

١٩ - « تذكرة الأخبار بما في الوسيط من الأخبار » .

في مجلد ، وهو تخريج لأحاديث كتاب « الوسيط » للغزالي في الفقه الشافعي.[٦]

٢٠ - « المحرر المذهب في تخريج أحاديث المهذب » في مجلدين ، كما يقول مؤلفه.[٧] و « المهذب » في الفقه الشافعي ، لأبي إسحاق الشيرازي .

٢١ - « تخريج أحاديث منهاج الوصول » .

---

(١) المصدر السابق (٦/١٠١ ، ١٠٢).

(٢) العقد المذهب (١٧٠/ب) منه نسخة بالمكتبة المحمودية بالمدينة في (٢١٨) صفحة .

(٣) كشف الظنون (٢/١٨٩٢).

(٤) يقوم عدد من طلاب الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بتحقيقه ، وقد طبع منه ثلاثة أجزاء عن دار العاصمة بالرياض بتحقيق جمال محمد السيد ، سنة ١٤١٤هـ

(٥) طبع الكتاب في جزءين بتحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، عن دارالرشد بالرياض .

(٦) « الضوء اللامع » (٦/١٠١) كشف الظنون (١/٢٠٠٩) والكتاب منه نسخة في مكتبة أحمد الثالث برقم (٧٣) ومنها نسخة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة برقم (٧٠٣٦ف).

(٧) « الضوء اللامع » (٦/١٠١) . «العقد المذهب » (١٧٠/أ) .

وهو تخريج للأحاديث والآثار الواقعة في « منهاج الوصول في علم الأصول » للقاضي ناصر الدين البيضاوي .

وذكره المؤلف في إجازته بمكة قال : « في جزء حديثي »[(١)].

٢٢ - « تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب »

وهو تخريج للأحاديث والآثار الواقعة في « مختصر منتهي السول والأمل في علمي الأصول والجدل » لابن الحاجب (ت٦٤٦هـ). صنف « المنتهى » ثم اختصره.[(٢)]

ويلحق بهذا كتاب :

٢٣ - « الإشراف على أطراف الكتب الستة » .[(٣)]

خامساً : المصنفات في مصطلح الحديث :

٢٤ - « المقنع في علوم الحديث » .

لخص فيه كتاب « علوم الحديث » لابن الصلاح ، بعد تهذيبه وتنقيحه ، وأضاف إليه زيادات كثيرة التقطها من عدة كتب في أصول الحديث .

ورتبه على خمسة وستين نوعاً كترتيب ابن الصلاح[(٤)].

---

(١) « الضوء اللامع » (٦/١٠١». « العقد المذهب » (١٧٠/أ).منه نسخة في تشستربتي ضمن مجموعة تحت رقم (٣٣٨٢) ويقع في حوالى (١٢) ورقة ، وعليه خط المؤلف في طبقة السماع ، وفيه إجازته لكاتبه . ونسخة أخرى في دار الكتب المصرية في (١٣)ورقة.

(٢) « الضوء اللامع » (٦/١٠١». « العقد المذهب » (١٧٠/أ). « كشف الظنون » (٢/١٨٥٦)

(٣) « العقد المذهب » (١٧٠/أ). « كشف الظنون » (١/١٠٣) الرسالة المستطرفة (ص ٢٦).

(٤) وحقق الكتاب في جامعة أم القرى الطالب جاويد أعظم ، ونال به درجة الماجستير سنة (١٤٠٣هـ) وطبع بتحقيق الأستاذ عبدالله الجديع عن دار فواز بالأحساء في مجلدين سنة (١٤١٣هـ).

٢٥ - « التذكرة في علوم الحديث »[١]

٢٦ - « التبصرة شرح التذكرة في علوم الحديث »[٢]

٢٧ - « الكافي في علم الحديث »[٣]

سادساً : المصنفات في الفقه ومتعلقاته :

٢٨ - « الأشباه والنظائر »[٤]

٢٩ - « عمدة المحتاج إلى كتاب المنهاج ».

والمنهاج هو : « منهاج الطالبين » للإمام النووي في فروع الفقه الشافعي[٥].

٣٠ - « شرح آخر للمنهاج » أصغر من الذى قبله قال عنه مؤلفه : « في مجلدين ».[٦] ولعله المسمى بـ « عجالة المحتاج »[٧]

---

(١) « الضوء اللامع » (١٠٢/٦). كشف الظنون (١٨٠٩/٢) حققها الأخ محمد عزيز شمس ، ونشرت في المجلة التى تصدرها الجامعة السلفية بالهند ، في العدد (٩) مجلد (١٥) سنة (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) كما حققها الشيخ على حسن عبدالحميد ، وطبعها فى دار عمان بالأردن سنة (١٤١٨هـ) في (٣٠) صفحة .

(٢) العقد المذهب (١٧٠/أ) كشف الظنون (٣٩٢/١).

(٣) « المجمع المؤسس (٨٥/٢-٩٠) ؛ و « لحظ الألحاظ » (ص١٩٩)

(٤) « طبقات الشافعية » ، لابن قاضي شهبة (٥٦/٤) ؛ و« كشف الظنون » (ص١٠٠) . وتوجد نسخة منه في مركز البحث العلمي ، بجامعة أم القري ، بمكة المكرمة تحت رقم (٨٩) مصورة عن مكتبة أحمد الثالث بتركيا . أفاد ذلك الأخ عبدالله اللحياني في مقدمته لـ « تحفة المحتاج » (ص٦٤).

(٥) « الضوء اللامع » (١٠١/٦).طبقات الشافعية (٥٨/٤) . وتوجد نسخة في مكتبة تشستربتي ، وعنها صورة في معهد المخطوطات ، بجامعة الدول العربية ، برقم (١٨٤١).

(٦) « الضوء اللامع » (١٠١/٦).

(٧) العقد المذهب (١٦٩/ب) طبقات الشافعية ، لابن قاضي شهبة (٥٨/٤).

٣١ – « وأفرد لغاته » . في مجلد[١].

وهو المسمى بـ « الإشارات إلى ما وقع في المنهاج من الأسماء ، والمعاني واللغات »[٢]

٣٢ – « تصحيح المنهاج » . في مجلد[٣]

٣٣ – « الكفاية في شرح التنبيه »[٤]

٣٤ – « هادي النبيه إلى شرح التنبيه »

وهو شرح آخر « للتنبيه » أصغر من الذي قبله ، قال مؤلفه – بعد أن ذكر الكبير – : « وآخر لطيف »[٥]

٣٥ – « أمنية النبيه فيما يرد على تصحيح التنبيه »[٦].

٣٦ – « إرشاد النبيه إلى تصحيح التنبيه »[٧]

٣٧ – « خلاصة الفتاوي في تسهيل أسرار الحاوي ».

وهو شرح « الحاوي الصغير » للماوردى[٨]

٣٨ – « تصحيح الحاوي » في مجلد .[٩]

---

(١) المصدر السابق .

(٢) « كشف الظنون » (١٨٧٣/٢).

(٣) « كشف الظنون » (١٨٧٣/٢).

(٤) « الضوء اللامع » (١٠١/٦) . « كشف الظنون » (٤٩١/١).

(٥) « الضوء اللامع » (١٠١/٦).كشف الظنون (٢٩/١).

(٦) مقدمة طبقات الأولياء (ص٥٠).

(٧) « الضوء اللامع » (١٠٢/٦).

(٨) « الضوء اللامع » (١٠٢/٦). ويوجد منه نسخة للجزء الأول والثاني في المكتبة الظاهرية رقم (٢٢٦٦–٢٢٦٧). وفي دار الكتب المصرية نسخة للجزء الثاني برقم (١٧١٠) ومنها صورة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القري برقم (٤٧٦) . كما أفاد بذلك الأخ سعد الشهراني في تحقيقه لكتابي الرقاق والقدر من التوضيح (٤٤/١).

(٩) « الضوء اللامع » (١٠٢/٦) و «كشف الظنون » (٦٢٥/١) ٠

ويوجد منه نسخة في دار الكتب المصرية بعنوان « شرح الحاوي الصغير »[١]

٣٩ - « شرح مختصر التبريزي ».

و « مختصر التبريزي » لأمين الدين ، مظفر بن أحمد ، التبريزي (ت٦٢١هـ). لخصه من « الوجيز » للغزالي . قال عنه مؤلفه : « في مجلد »[٢] منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية ، ضمن مجموع (١٩-٣١٧) . ورقمها (٢٣٢٣٣ب).[٣]

٤٠ - « جمع الجوامع » ، في الفروع .

قال مؤلفه رحمه الله : « وقد شرعت في كتاب ، جمعت فيه بين كلام الرافعي في : « شرحيه » ، و« محرره » ؛ والنووي في : « شرحه » ، و « منهاجه » ، و « روضته » ؛ وابن الرفعة في : « كفايته » و « مطلبه » ؛ والقمولي في : « بحره » و « جواهره » ؛ وغير ذلك مما أهملوه ، وأغفلوه مما وقفت عليه من التصانيف في المذهب نحو المائتين»[٤]

قال في « كشف الظنون »[٥] : « قريب من مائة مجلد ».

وقال أيضاً : « احترق غالبه »[٦].

٤١ - « شرح العمدة » ، في فروع الشافعية .

و « العمدة » للإمام أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي (ت٥٠٧هـ).[٧]

ويرى الأستاذ شريبة أنّه هو نفسه « الإعلام بفوائد عمدة الأحكام »[٨] ،

---

(١) مقدمة طبقات الأولياء (ص٥٤).

(٢) « الضوء اللامع » (١٠٢/٦).

(٣) مقدمة التوضيح (كتابي الرقاق والقدر) (٤٩/١).

(٤) « الضوء اللامع » (١٠٢/٦).

(٥) (٥٩٨/١).

(٦) « كشف الظنون » (١٨٧٣/٢). وانظر: مقدمة البدر المنير (١٠٣/١-١٠٤).

(٧) « كشف الظنون » (١١٧٠/٢).

(٨) « مقدمة طبقات الأولياء » (ص٥٨).

وتبعه على ذلك الشيخ عبدالله اللحياني.[١]

٤٢ – « الكافي » في الفقه . في مجلدين.[٢]

سابعاً : كتب في التراجم العامة والطبقات :

٤٣ – « العقد المذهب في طبقات حملة المذهب »[٣]

٤٤ – « الذيل على كتاب الأسنوي ».

ذكره السخاوي.[٤]

٤٥ – « طبقات القراء ».

ذكره السخاوي أيضاً.[٥]

٤٦ – « طبقات الأولياء »[٦]

٤٧ – « نزهة النظار في قضاة الأمصار »[٧]

له نسخ في مكتبات مختلفة.[٨]

---

(١) مقدمة تحفة المحتاج (٨٣/١).

(٢) العقد المذهب (١٣٧/أ).

(٣) « الضوء اللامع » (١٠١/٦). «كشف الظنون » (١١٠١/٢). وذكر له الأستاذ نور شريبة عدة نسخ في مكتبات مختلفة . انظر : مقدمة « طبقات الأولياء » (ص٦١-٦٢).

(٤) « الضوء اللامع » (١٠٢/٦).

(٥) « الضوء اللامع » (١٠٢/٦). « العقد المذهب » (١٣٧/أ).

(٦) والكتاب مطبوع بتحقيق نور الدين شريبة ، سنة (١٣٩٣هـ – ١٩٧٢م)في مجلد كبير ، في القاهرة ، ونشرته مكتبة الخانجي .

(٧) « كشف الظنون » (٢٩/١).

(٨) انظر : مقدمة « طبقات الأولياء » (٦٦) ، مقدمة « تحفة المحتاج » (٩٢/١).

ثامناً : كتب في مناقب بعض الأشخاص :

٤٨ - « درر الجواهر في مناقب الشيخ عبدالقادر ».

وهي رسالة في مناقب الشيخ عبدالقادر الجيلاني ، ذكر الأستاذ نور شريبة أنّها وجدت في آخر كتاب « طبقات الأولياء » ملحقة به ، ضمن ذيول الكتاب ، وذكر لها عدة نسخ خطية.[(١)]

٤٩ - « مناقب الإمام أبي القاسم الرافعي »[(٢)]

تاسعاً : كتب أخرى :

٥٠ - « غاية السول في خصائص الرسول » ، أو : « خصائص أفضل المخلوقين » . ذكره السخاوي[(٣)] ، وحاجي خليفة.[(٤)]

٥١ - « شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول » .

و « المنهاج » للقاضي ناصر الدين البيضاوى ، (ت ٦٨٥هـ).[(٥)]

٥٢ - « شرح مختصر ابن الحاجب »

والمختصر يسمى : « منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل » ، للإمام جمال الدين عثمان بن عمر ، الشهير بابن الحاجب ، (ت٦٤٦هـ).

وتقدم معنا أنّ للمؤلف تخريجاً لأحاديثه ، أمّا هذا الشرح : فذكره السخاوي[(٦)] ، وحاجي خليفة[(٧)] .

---

(١) انظر : مقدمة « طبقات الأولياء » (ص٥٦).

(٢) البدر المنير (٤٦٢).

(٣) « الضوء اللامع » (١٠٢/٦)، وسماه : « الخصائص النبوية ».

(٤) « كشف الظنون » (٧٠٦/١) ، (١١٩٢/٢) وقد حقق هذا الكتاب عبدالله بحر الدين ، ونال به درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية سنة (١٤٠٢هـ) وطبع الكتاب عن دار البشائر الإسلامية ، سنة (١٤١٤هـ) ٠

(٥) العقد المذهب (١٣٧/أ) ، طبقات الشافعية (٥٨/٤).

(٦) « الضوء اللامع » (١٠٣/٦).

(٧) « كشف الظنون » (١٨٥٦/٢).

٥٣ - « عدد الفرق »[١]

٥٤ - « شرح ألفية ابن مالك » في النحو .

قال ابن حجر : « صنف في كل فن ، فشرح الألفية في العربية »[٢] . وقال السخاوي : « وقفت عليه »[٣]

٥٥ - « الناسك لأم المناسك » .

ذكر السخاوي[٤] ، وحاجي خليفة [٥] . ولعله أحد كتب المناسك السالفة .

٥٦ - « عقود الكمام في متعلقات الحمام » .

ذكره حاجي خليفة ، وقال : « جزء لطيف ، مشتمل على جمل من الفوائد »[٦]

وذكره إسماعيل باشا[٧] .

٥٧ - « تاريخ ملوك الترك »[٨] وربما سمى بغير هذا الاسم.[٩]

٥٨ - « رسالة في تتبع أوهام ابن حزم »

---

(١) « الضوء اللامع » (٦/١٠٣). وانظر : « هدية العارفين » (١/٧٩٢).

(٢) « طبقات الشافعية » ، لابن قاضي شهبة (٤/٥٦).

(٣) « الضوء اللامع » ٦/١٠٣). وانظر : « كشف الظنون » (١/١٥٣).

(٤) « الضوء اللامع » (٦/١٠٣).

(٥) « كشف الظنون » (٢/١٩٢١).

(٦) « كشف الظنون » (٢/١١٥٦).

(٧) « هدية العارفين » (١/٧٩١).

(٨) العقد المذهب (١٧٠/أ).

(٩) انظر : طبقات الشافعية ، لابن قاضي شهبة (٤/٤٧). كشف الظنون (١/٢٨٠). هدية العارفين (١/٧٩١).

ذكره المؤلف في كتابه : « تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج »[١] قال – بعد أن تعقب ابن حزم في جملة من ذلك – : « وله من هذا القبيل عدة ، جمعتها في جزء مفرد »

وأشار المحقق إلى أنه جاء في نسخة أخرى : « سأجمعها » ، فالله أعلم هل تم هذا للمصنف أو لا ؟

٥٩ – « الكلام على سنة الجمعة قبلها وبعدها »

ذكر الأستاذ شريبة في مقدمة « طبقات الأولياء »[٢] .

٦٠ – « مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبدالله الحاكم »[٣]

هذه بعض مؤلفات العلامة ابن الملقن ، ولم أقصد بذلك الحصر والتتبع وإنّما التمثيل والإشارة .[٤]

والمتأمل في هذه المصنفات يلمح بعض السمات البارزة ، والمميزات الخاصة لمؤلفات ابن الملقن ، من ذلك :

---

(١) (٧٩٦/٢).

(٢) (ص٦٣). وذكر أن له نسخة في رامبور .

(٣) حُقِق الكتاب بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، حقق القسم الأول الاستاذ عبدالله بن حمد اللحيدان ، وحقق القسم الثانى منه الأستاذ سعيد بن عبدالله الحميد ، ونالا به درجة الماجستير ، وطبع الكتاب عن دار العاصمة بالرياض في سبعة مجلدات . عام (١٤١١هـ).

(٤) حاول بعض الباحثين حصر مؤلفات ابن الملقن التى علمت ، فذكر منها الأستاذ نورالدين شريبة (٦٨)كتاباً (مقدمة طبقات الأولياء ٤٧– ٦٧) وزاد عليها الشيخ عبدالله اللحياني فبلغت (٧٥) كتاباً (مقدمة تحفة المحتاج ٦٦– ٩٣) وعد منها الأخ زبن العتيبي (٩٥) كتاباً (مقدمة التوضيح – المقدمة كتاب الوحى – ٥٤/١– ٧٩) وأوصلها الأخ سعد الشهراني إلى (٩٦) كتاباً (مقدمة التوضيح – الرقاق والقدر – ٣٢/١-٥٩).

١ – كثرة مصنفات ابن الملقن ، حتى أنّها بلغت ثلثمائة مصنف ، كما قال هو عن نفسه [١] .

٢ – تنوع الفنون التى تناولها بالتصنيف ، حيث كتب في الفقه ، والحديث ، والرجال ، والنحو ، وغير ذلك ، وإن كان الجانب الحديثي هو الغالب على مؤلفاته ، مع عنايته بالفقه أيضاً .

٣ – تنوع حجم مؤلفاته مابين كبير وصغير ، ومتوسط ، فمن مصنفاته مابلغ عشرين مجلداً كـ « شرح البخاري » ،ومنها ما هو ست مجلدات ككتاب « البدر المنير» ، ومنها ما هو في مجلد كـ « شرح المنهاج » الصغير . كما أنَّ منها مابلغ وريقات معدودة ككتابه « التذكرة » في علم الحديث .

٤ – جودة مصنفاته ، وكثرة فوائدها ، وحسن ترتيبها ، وشدة تحقيقها ، حتى طار ذكرها فى الآفاق ، وعم النفع بها.[٢]

٥ – تحتل الكتب المصنفة في خدمة المذهب الشافعي مساحة كبيرة في قائمة مؤلفات ابن الملقن ، يلحظ ذلك بوضوح من أنعم النظر في هذه القائمة .

٦ – وربما ألف ابن الملقن – رحمه الله – عدة كتب تتعلق بكتاب واحد : في شرحه ، وإفراد لغاته ، وغير ذلك . قال ابن حجر : « ... فشرح كثيراً من الكتب المشهورة ، كـ « المنهاج » و « التنبيه » و « الحاوي » ، فله على كل واحدٍ منها عدة تصانيف ، يشرح الكتاب شرحاً كبيراً ، ووسطاً ، وصغيراً ، ويفرد لغاته ، وأدلته ، وتصحيحه ، ونحو ذلك »[٣] [٤]

---

(١) « إنباء الغمر » (٢/٢١٨).

(٢) انظر : « طبقات الشافعية » ، لابن قاضي شهبة (٤/٥٦).

(٣) « طبقات الشافعية » لابن قاضي شهبة (٤/٥٥).

(٤) انظر : مقدمة « البدر المنير » (١/٨٩–٩٠).

٨ - مكانته العلمية

احتل الإمام - ابن الملقن - رحمه الله تعالى ، مكانة بارزة بين علماء عصره ، حيث عُدَّ من الأكابر في ذلك الوقت ، بالغ تلاميذه ومعاصروه في مدحه والثناء عليه ، لّما علموا حالة ، علماً وإتقاناً وخلقاً ونفعاً لطلاب العلم ، زيادة على ما خلفه بعده من مصنفات مفيدة في شتى الفنون والعلوم .

وأنقل هنا بعض شهادات الأئمة له وثناؤهم عليه وعلى مؤلفاته :-

١ - نوه به التاج السبكي لما دخل الشام ، وكتب له تقريظاً على تخريج الرافعي أطنب في مدحه وألزم ابن كثير فكتب له.[١]

٢ - وأثنى عليه الحافظ العلائي فكتب له على كتابه جامع التحصيل في رواية المراسيل من تأليفه : قرأ علي هذا الكتاب الشيخ الفقيه الإمام العالم المحدث الحافظ المتقن سراج الدين شرف الفقهاء والمحدثين وفخر الفضلاء.[٢]

٣ - وصفه الحافظ العراقي : « بالشيخ الإمام الحافظ »[٣]

٤ - وقال تلميذه البرهان الحلبي ، سبط ابن العجمي : " حفاظ مصر أربعة أشخاص وهم من مشايخي : البلقيني وهو أحفظهم لأحاديث الأحكام ، والعراقي وهو أعلمهم بالصنعة ، والهيثمي وهو أحفظهم للأحاديث من حيث هي ، وابن الملقن وهو أكثرهم فوائد في الكتابة على الحديث ".[٤]

---

(١) لحظ الألحاظ (١٩٨) الضوء اللامع (١٠١/٦).

(٢) لحظ الألحاظ (٢٠٠) الضوء اللامع (١٠١/٦).

(٣) لحظ الألحاظ (٢٠٠-٢٠١) الضوء اللامع (١٠١/٦).

(٤) لحظ الألحاظ (٢٠١).

وقال عنه وعن تأليفه أيضاً : « كان فريد وقته في التصنيف ، وعباراته فيها جلية جيدة ، وغرائبه كثيرة ، وشكالته حسنة وكذا خلقه مع التواضع والإحسان ، لازمته مدة فلم أره منحرفا قط »[1]

٥ – ووصفه قاضي صفد[2] في طبقات الشافعية : بأنّه أحد مشايخ الإسلام صاحب التصانيف التي مافتح على غيره بمثلها في هذه الأوقات.[3]

٦ – ووصفه الغماري[4] : « بالشيخ الإمام علم الأعلام فخر الأنام أحد مشايخ الإسلام ، علاّمة العصر ، بقية المصنفين ، علم المفيدين ، والمدرسين ، سيف المناظرين ، مفتي المسلمين »[5]

٧ – وقال ابن فهد[6] : « الإمام العلامة الحافظ ، شيخ الإسلام وعلم الأعلام عمدة المحدثين ، وقدوة المصنفين » .

وقال عن مؤلفاته : « قد سار بجملة منها رواة الأخبار ، واشتهر ذكرها في الأقطار ، وكان رحمة الله تعالى عليه له فوائد جمة ، ويستحضر غرائب وهو من أعذب

---

(1) الضوء اللامع (١٠٤/٦).

(2) وهو محمد بن عبد الرحمن بن الحسين ، أبو عبدالله صدر الدين الدمشقي الصفدي المعروف بقاضي صفد ، لأنه كان قاضي قضاة المملكة الصفدية ، من مؤلفاته « كفاية المفتين والحكام من الفتاوى والأحكام » مات سنة ٧٨٠هـ. انظر : كشف الظنون (٨٣٦/١) هدية العارفين (١٧٠/٢) الأعلام (١٩٣/٦).

(3) الضوء اللامع (١٠٤/٦).

(4) محمد بن علي بن عبدالرازق ، شمس الدين الغماري ،المالكي ، كان عارفاً باللغة العربية بارعاً فيهما كثير المحفوظ للشعر مات سنة ٨٠٢هـ. انظر : الضوء اللامع (١٤٩/٩).حسن المحاضرة (٥٣٧/١).

(5) الضوء اللامع (١٠٤/٦).

(6) هو : محمد بن محمد بن محمد أبو الفضل تقي الدين ، ابن فهد الهاشمي ، الأصفوني ثم المكي مؤرخ من علماء الشافعية من مؤلفاته « لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ » و « قصص الأنبياء » مات سنة ٨٧١هـ. الأعلام (٤٨/٧).

الناس لفظا وأحسنهم خلقا ، وأجملهم صورة ، وأفكههم محاضرة ، كثير المروءة والإحسان والتواضع ، والكلام الحسن لكل إنسان كثير المحبة للفقراء والتبرك بهم مع التعظيم الزائد لهم »(١)

٨ – وقال عنه الصلاح الأقفهسي(٢) : « تفقه وبرع وصنف ، وجمع وأفتى ودرَّس ، وحدَّث وسارت مصنفاته في الأقطار وقد لقينا خلقا ممن أخذ عنه دراية ورواية ، وخاتمة أصحابه تأخر إلى بعد السبعين »(٣)

٩ – وقال عنه المقريزي : « كان من أعذب الناس ألفاظاً وأحسنهم خلقا وأعظمهم محاضرة صحبته سنين ، أُخذت عنه كثيراً من مروياته ومصنفاته »(٤)

١٠ – قال السيوطي(٥) : « الإمام الفقيه الحافظ ذو التصانيف الكثيرة ،أحد شيوخ الشافعية وأئمة الحديث ... برع في الفقه والحديث وصنف فيهما الكثير »(٦)

١١ – وقال أيضاً : « قال بعضهم : تفرد على رأس الثمانمائة خمسة بخمسة : البلقيني بالفقه ، والعراقي بالحديث ، والغماري بالنحو ، وصاحب القاموس باللغة ،

---

(١) لحظ الألحاظ (١٩٧–٢٠٠).

(٢) هو : خليل بن محمد بن عبدالرحمن ، صلاح الدين الأقفهسي ولد سنة ٧٦٣هـ. كان محدثا وخرج وصنف ومات سنة ٨٢١هـ. حسن المحاضرة (٣٦٣/١). طبقات الحفاظ (٥٤٧).

(٣) الضوء اللامع (١٠٥/٦).

(٤) الضوء اللامع (١٠٥/٦).

(٥) هو : عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد ، جلال الدين ، أبو الفضل السيوطي الشافعي ، نشأ يتيما وحفظ القرآن وسمع الحديث ، وبرز في جميع الفنون وفاق الأقران واشتهر ذكره من مؤلفاته : « الدر المنثور في التفسير » ، و « الإتقان في علوم القرأن » و « الجامعين الكبير والصغير » في الحديث مات سنة ٩١١هـ. انظر : البدر الطالع (٣٢٨/١).معجم المؤلفين (١٢٨/٥).وترجم لنفسه في حسن المحاضرة (٣٥٥/١–٣٤٤).

(٦) طبقات الحفاظ (٥٤٢/١).

وابن الملقن بكثرة التصانيف »[1]

١٢ – قال ابن حجر : « وهؤلاء الثلاثة : العراقي والبلقيني وابن الملقن كانوا أعجوبة هذا العصر على رأس القرن ، الأول في معرفة الحديث وفنونه ، والثاني في التوسع في المذهب ، والثالث في كثرة التصانيف »[2]

١٣ – قال عنه الحسيني[3] في طبقات الشافعية (٢٣٥-٢٣٦) : « وهو البحر الكامل كان من أفقه أهل زمانه وأفضل أقرانه ، ورعا زاهدا ، شهيراً بإخراج الأحاديث وتصحيحها وجرح الرواة وتعديلهم ».

١٤ – قال عنه ابن تغري بردي[4] : « الشيخ الإمام ... صاحب التصانيف الجليلة) قال : « وأثنى عليه الأئمة بالعمل والفضل ، ووصف بالحفظ ونوه بذكره تاج الدين السبكي وكتب له تقريظاً على شرحه للمنهاج »[5]

---

(١) حسن المحاضرة (٥٣٨/١).

(٢) الضوء اللامع (١٠٥/٦).

(٣) هو : حمزة بن أحمد بن علي الحسيني الدمشقي ، عز الدين ، من فقهاء الشافعية ، مؤرخ ، له مؤلفات منها : « ذيل مشتبه النّسبة » و « المنتهى في وفيات أولي النهى » و « الذيل على طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة » مات سنة ٨٧٤هـ. انظر : كشف الظنون (١١٠١/٢) الأعلام (٢٧٦/٢).

(٤) هو : يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي أبو المحاسن ، جمال الدين ، مؤرخ ، وقد عني بكتابة الحوادث . له مؤلفات منها « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » و « المنهل الصافي » مات سنة ٨٧٤هـ. انظر : البدر الطالع (٣٥١/٢). معجم المؤلفين (٢٨٢/١٣).

(٥) المنهل الصافي (١٤٦/٦).

١٥ – وعدَّه المولى طاشكبري زاده[١] : من الرؤساء الذين انفرد كل منهم بفن من الفنون فاق فيه أقرانه على رأس القرن الثامن وهم :

١ – البلقيني في الفقه الشافعي

٢ – وابن الملقن في كثرة التصانيف في الفقه الشافعي والحديث .

٣ – وشمس الدين الفناري في الاطلاع على كل العلوم العقلية والنقلية والعربية .

٤ – وأبو عبدالله محمد بن عرفة في الفقه المالكي ، بل وفي سائر العلوم بالمغرب .

٥ – مجد الدين الفيروز آبادي في اللغة .[٢]

١٦ – قال الشوكاني[٣] : « إنَّه من الأئمة في جميع العلوم ، واشتهر صيته وطار ذكره وسارت مؤلفاته في الدنيا »[٤]

---

(١) هو : أحمد بن مصطفي بن خليل أبو الخير عصام الدين طاشكبري زادة ، مؤرخ تركي الأصل مستعرب ، تنقل في البلاد التركية ، مدرساً للفقه والحديث وعلوم العربيه ٠ من مؤلفاته « مفتاح السعادة » «شقائق النعمانية على الدولة العثمانية » مات سنة ٩٦٨هـ .
انظر : الأعلام (٢٥٧/١).

(٢) تحفة المحتاج (٦٠/١).

(٣) هو : محمد بن على بن عبدالله الشوكاني : فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء من مؤلفاته : « نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار » « البدر الطالع بمحاسن القرن السابع » . مات سنة ١٢٥٠هـ ٠ انظر : الأعلام (٢٩٨/٦). معجم المؤلفين (٥٣/١١).

(٤) البدر الطالع (٥١٠/١).

١٧ - ووصفه ابن قاضي شهبة[١] بقوله : « الشيخ الإمام العالم العلامة لمصنفين »[٢]

١٨ - قال ابن بهادر[٣] ناسخ كتاب العقد المذهب ، للمؤلف : « قال الشيخ الإمام العالم العلامة جامع الفضائل عمدة المصنفين »[٤]

هذه مقتطفات من كلام العلماء وثنائهم على ابن الملقن ، تشهد بإمامته ورسوخ قدمه ومكانته الظاهرة بين العلماء .

بيد أنَّه لم يسلم من النقد ، والوصف بما يقلل من شأنه ومنزلته ، ولا غرو في ذلك فالكمال لله ، والعصمة لرسله ، وبقية البشر لا يسلمون من عوارض النقص ، والوقوع في الخطأ ، وقد وجهت سهام النقد لابن الملقن منها ماكان فيه وجه حق ومنه ماكان الصواب مجانباً له .

ومجمل الانتقادات عليه هي كما يلي :

أولاً : ماقاله الحافظ ابن حجر في شيخه الإمام ابن الملقن :

قال الحافظ : " كانت كتابته أكثر من استحضاره ، فلهذا كثر القول فيه من علماء الشام ومصر " .

---

(١) هو : أبو بكر بن أحمد بن محمد المعروف بابن قاضي شهبة الدمشقي تقي الدين الشافعي ، فقيه، مؤرخ، مفسر، تصدى للإفتاء والتدريس ، له مؤلفات منها«طبقات الفقهاء الشافعية »و « شرح التنبيه » مات سنة ٨٥١هـ . انظر : البدر الطالع (١٦٤/١) . معجم المؤلفين (٥٧/٣).

(٢) طبقات الشافعية (٤٣/٤).

(٣) هو : محمد بن محمد بن محمد بن بهادر ، أبو الفضل ، كمال الدين المؤمني الطرابلسي الشافعي ، مؤرخ من فضلاء الشافعية من مؤلفاته « فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر » مات سنة ٨٧٧هـ. انظر : الأعلام (٤٨/٧).

(٤) العقد المذهب (٢/أ) . وانظر : مقدمة الأخ زبن العتيبي لكتاب التوضيح – المقدمة وكتاب الوحي – (٨١/١-٨٥).

وقال : " إنَّه كان يكتب في كل فن أتقنه أو لم يتقنه "[١]

ثانياً : ما نقله السخاوي عن شيخه الحافظ ابن حجر في شيخه الإمام ابن الملقن أنَّه قال فيه : " لم يكن في الحديث بالمتقن ، ولا له ذوق أهل الفن ، ثم ذكر مسألتين في علوم الحديث يرى ابن حجر مخالفة ابن الملقن فيهما لأهل الفن "[٢]

ثالثاً : ماقاله ابن حجر - بعد أن ذكر وصف أكابر العلماء له بالحفظ والفهم : « ... ولعله كان في ذلك الوقت كذلك ، لأنَّا لما شاهدناه ، لم يكن بالحافظ ...»[٣] وقال مرة : « فلعله كان في أول أمره حاذقاً ... »[٤]

ويقول : « إنَّ الذين قرأوا عليه ورأوه من سنة سبعين فما بعدها ، فقالوا : لم يكن بالماهر في الفتوى ، ولا التدريس ، وإنَّما كانت تقرأ عليه مصنفاته غالباً فيقرر ما فيها ... »[٥]

ثم يعلّل الحافظ ابن حجر - رحمه الله - ذلك فيقول : « فكأنَّه لَّما طال عمره استروح ، وغلبت عليه الكتابة ، فوقف ذهنه »[٦]

رابعاً : قال عنه ابن حجي[٧] : " المصريون ينسبونه إلى سرقة تصانيفه ، فإنَّه ما كان يستحضر شيئا ، ولا يحقق علماً ويؤلف المؤلفات الكثيرة على معنى النسخ من

---

(١) انظر : أنباء الغمر (٥/٤٤) الضوءاللامع (٦/١٠٣).

(٢) انظر : الضوء اللامع (٦/١٠٣).

(٣) الضوء اللامع (٦/١٠٥).

(٤) أنباء الغمر (٢/٢١٨).

(٥) الضوء اللامع (٦/١٠٣).

(٦) طبقات الشافعية ، لابن قاضي شهبة (٤/٥٥).

(٧) هو : أحمد بن حجي بن موسى ، شهاب الدين أبو العباس السعدي الحسباني الأصل الدمشقي ، شيخ الشافعية ، وكان مؤرخاً حافظاً ، شرح قطعة من المحرر لابن عبدالهادي وغيره ، مات سنة ٨١٦هـ . انظر : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١٢/٤) الضوء اللامع (١/٢٦٩). الأعلام (١/١١٠).

كتب الناس "[١]

خامساً : قال السخاوي : " زاد غيره نسبته للعجز عن تقرير مالعله يضعه فيها ، ونسبته إلى المجازفة "[٢]

هذه أبرز الانتقادات الموجهة لابن الملقن ، وهي تشمل خطأً وصواباً ، وقد أجاب عنها الكثير ممن ترجموا له ، وليس في هذا إدعاء بأنَّ ابن الملقن لم تحصل له غفلة ، ولم يعتره نسيان بل هو بشر يؤخذ من قوله ماكان موافقاً للشرع معضوداً بالدليل ، وماعدا ذلك فلا يلزم الأخذ به ، سيَّما أنَّه كان من المكثرين من التأليف والتصنيف وكما قيل : « من ألف فقد استهدف » ، ولا يقدح هذا في إمامته وعظم منزلته بين العلماء .

وفيما يلي طرفاً مختصراً ، يجاب به على ما وجه لابن الملقن من انتقادات :

فبالنسبة لانتقاد تلميذه – الحافظ ابن حجر – من أنَّ كتابته أكثر من استحضاره ، وأنَّه كان يكتب في كل فن سواء أتقنه أو لم يتقنه ، وبأنَّه ليس بالمتقن في الحديث .

فهذا الكلام ليس بمسلم للحافظ ابن حجر ، بل جاء عن الحافظ نفسه مايفند هذه الأقوال :

قال ابن فهد : « ووقف صاحبنا الحافظ أبو الفضل ابن حجر على ترجمة صاحبنا الحافظ أبي الطيب الفاسي له – يعنى ابن الملقن – وفيها : ليس في علم الحديث بالماهر ، فانتقد ذلك وكتب مايدل على مهارته فيه »[٣]

---

(١) طبقات ابن قاضي شهبة (٤/٤٥–٦٠) إنباء الغمر (٥/٤٤).

(٢) الضوء اللامع (٦/١٠٣–١٠٤) وانظر : مقدمة الأخ زبن العتيبي لكتاب التوضيح – المقدمة وكتاب الوحي – (١/٨٦–٨٧).

(٣) لحظ الألحاظ (٢٠١) .

وعدَّه مع العراقي والبلقيني أعجوبةً لذلك العصر[1] ، فكيف يجمع بين الكلامين وأحدهما مدح وثناء ، والأخر نقد وجرح !!.

والجواب يمكن استنتاجه من النص الآتي لابن حجر :

يقول : "ولمَّا قدم دمشق نوَّه بقدومه تاج الدين السبكي سنة سبعين وكتب له تقريظاً على كتابه « تخريج أحاديث الرافعي » وألزم عماد الدين ابن كثير يكتب له أيضاً ، وكان المتقدمون يعظمونه كالعلائي وأبي البقاء ونحوهما ، فلعله كان في أول أمره حاذقاً ، وأمَّا الذين قرأوا عليه ورأوه من سنة سبعين فما بعدها فقالوا : لم يكن بالماهر في الفتوى ولا في التدريس ، وإنَّما تقرأ عليه مصنفاته غالباً فيقرر على مافيها »[2]

يؤخذ من هذا النص أنَّ الحافظ ابن حجر يقسم حياة شيخه – ابن الملقن – إلى فترتين ، الأولى : قبل سنة سبعين ، وكان فيها مقدماً معظماً ، والثانية بعد سنة سبعين وشأنه ومنزلته فيها أقل ، فيحمل ماجاء عن ابن حجر من ثناء على الفترة الأولى وماجاء من نقد على الفترة الثانية .

وإنَّ كلام ابن حجر وتقسيمه لحياة ابن الملقن لا يقر عليه ؛ فلم يذكر العلماء تَغيُّرَه إلاَّ بعد احتراق كتبه قبيل وفاته ، فحجبه ابنه ولم يلبث إلاَّ قليلاً حتى توفاه الله .[3]

وأثنى عليه من ترجم له من معاصريه وتلاميذه ، ولم يفرقوا بين حياته قبل السبعين وحياته بعدها .

بل إنَّه قد تولى أمر دار الحديث الكاملية[4] خلفاً للزين العراقي وكان ذلك في

---

(1) انظر : ما تقدم ص (٥٤) .

(2) إنباء الغمر (٥/٤٤) .

(3) الضوء اللامع (٦/١٠٥) .

(4) نسبة إلى منشئها الملك الكامل سنة (٦٢٢) بالقاهرة .

يوم الأثنين رابع شوال من سنة (٧٨٨هـ)[1] أي بعد السبعين .

وأمَّا ماذكروه من أنَّ كتابته أكثر من استحضاره ، فلا يقلل هذا من مكانة ابن الملقن وعلمه ، فإنَّه كان كثير التصانيف ولا يمكن لمثل هذا استحضار كل ماكتب ، خصوصاً مع كبر حجم بعض مصنفاته كـ « التوضيح » و « البدر المنير » و « الإعلام بفوائد عمدة الأحكام » وغيرها .

أمَّا ما نسبوه إليه من العجز عن تقرير مايضعه في كتبه ، وسرقة التصانيف ، فقد أجاب السخاوي – رحمه الله – عن ذلك : بأنَّه « غير مقبول من قائله ولا مرضي »[2]

ويقول الشوكاني – رحمه الله – : « وفي هذا من التحامل مالا يخفى على منصف ، فكتبه شاهدة بخلاف ذلك منادية بأنَّه من الأئمة في جميع العلوم ، وقد اشتهر صيته ، وطار ذكره ، وسارت مؤلفاته في الدنيا ... »[3]

وأمَّا ما نسبوه إليه من المجازفة ، فقد أجاب عنه السخاوي ــ أيضاً ــ بأنَّه : « غير مقبول من قائله ولامرضي »[4]

وأمَّا ما وصفوه به من أنَّه لم يكن في الحديث بالمتقن ولا له ذوق أهل الفن ، فإنَّهم إنَّما علَّلوا ذلك بمخالفته في مسائل خلافية في علم مصطلح الحديث ، اختار فيها ابن الملقن مسلكاً غير مايرجحه منتقدوه ، فلا عبرة بهذا المأخذ .

هذه أهم المسائل التى انتقدها عليه بعض من ترجموا له ، والجواب عنها من خلال سبر مؤلفاته وسيرته .

رحم الله ابن الملقن وجزاه على ما خلف من مصنَّفات ثمينه خير مايجزي عباده الصالحين .

---

(١) السلوك ، للمقريزي (٥٥/٢/٣).

(٢) الضوء اللامع (١٠٤/٦).

(٣) البدر الطالع (٥١٠/١).

(٤) الضوء اللامع (١٠٤/٦).

٩ - عقيدته

كان لانتصار عدد من خلفاء الدولة العباسية لعلماء المعتزلة ، ومانشأ عن ذلك من نقل الكتب اليونانية إلى البلاد الإسلامية وترجمتها في عهد المأمون ، وماصحب ذلك من حمل الناس على القول بما يقول به علماء المعتزلة ، كان لذلك أثره في توجه طائفة من الناس للأخذ بهذه العقيدة المنحرفة ، وكان علماء المعتزلة قد أدخلوا علم الكلام في تقرير مسائل الإعتقاد إبَّان إنشغالهم بالردود على اليهود والنصارى والوثنيين والفلاسفة .

ثمَّ لمَّا تخلت الدولة العباسية عن نصرة هذه الفرقة انبرى عدد كبير من علماء المسلمين[١] للرد على المعتزلة وبيان انحرافهم وضلالهم ، ومن هنا برز التيار الأشعري كخصم مشاكس للمعتزلة .

فأبوالحسن الأشعري الذي كان تلميذاً لأبي علي الجبائي ـ وهو من كبار المعتزلة ـ صعد يوم جمعة كرسياً بجامع البصرة ونادى بأعلى صوته : من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي ، أنا فلان ابن فلان ، كنت أقول بخلق القرآن، وأنَّ الله لايرى بالأبصار ، وأنَّ أفعال الشر أنا أفعلها ، وأنا تائب مقلع ، معتقد الرد على المعتزلة ، مبين لفضائحهم ومعايبهم[٢] .

ثمّ مال إلى قوله جماعة كالقاضي الباقلاني ، وأبي بكر بن فورك وغيرهم ، فنصروا مذهبه وألفوا فيه مصنفات كثيرة ، فانتشر مذهب أبي الحسن الأشعري في العراق في نحو سنة ثمانين وثلاثمائة ، وانتقل منه إلى الشام [٣] .

---

(١) لايعني هذا الكلام سكوت العلماء في تلك الفترة عن إنكار عقائد المعتزلة ، فمواقف الإمام أحمد مثلاً وغيره معلومة مشهورة ، إنّما المقصود ظهور ذلك وغلبته .

(٢) انظر : الخطط للمقريزي (٣/ ٣٠٧ ، ٣٠٨)

(٣) انظر : المرجع السابق (٣/ ٣٠٦ ، ٣٠٧)

فلمَّا حكم الأيوبيون ؛ عنوا عناية كبيرة بنشر مذهب الأشاعرة ، حتى أصبحت للأشاعرة في ذلك الوقت قوة كبيرة ، ثم سلك المماليك - ورثة الأيوبيين - مسلك الأيوبيين في ذلك - وساروا على نهجهم .

يقول المقريزي : " فكان هذا هو السبب في اشتهار المذهب الأشعري ، وانتشاره في أمصار الإسلام بحيث نسي غيره من المذاهب وجهل ، حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه إلاَّ أن يكون مذهب الحنابلة ، أتباع الإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، فإنَّهم كانوا على ماكان عليه السلف لايرون تأويل ماورد من الصفات ... " (١)

وكانت مصر - بلد المؤلف - تقيم تحت الحكم الأيوبي ، ثمّ المملوكي مما كان سبباً في اعتناق كثير من أهلها وعلمائها للمذهب الأشعري ، فلا غرابة أن يكون ابن الملقن أحد من تأثروا بالمذهب الأشعري ، يؤكد ذلك التأمل في مؤلفاته .

وشرحه لكتاب التوحيد من صحيح البخاري خير شاهد على أشعرية ابن الملقن وتقريره لعقيدتهم ، وربما خالفهم في بعض المسائل على ماسيأتي معنا بمشيئة الله بعد قليل .

وفيما يلي مجمل لعقيدة ابن الملقن - رحمة الله تعالى - :

١/ التزم ابن الملقن منهج المتكلمين في تقرير العقيدة ، وسيأتي معنا تفصيل ذلك عند الكلام على منهج ابن الملقن في تقرير العقيدة .

٢/ استدل ابن الملقن بدليل حدوث الأجسام ، المسمى " دليل الأعراض " وهو دليل المتكلمين المشهور ، وسيأتي الكلام عليه.

٣/ يثبت المؤلف الصفات السبع وهي: الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة ، ويستدل على ذلك بأدلة عقلية ونقلية ، ويذهب إلى أنَّ الله حي بحياة ، وعالم بعلم ، وقادر بقدرة ... ويرد على المعتزلة القائلين بأنَّ الله عالم قادر حي بنفسه لابقدرة ولابعلم ولابحياة .

يقول : " والرحمن وصفٌ وصَفَ به نفسه تعالى ، وهو متضمن لمعنى الرحمة ، كتضمن وصفه لنفسه بأنَّه عالم وقادر وحي وسميع وبصير ومتكلم ومريد ؛ للعلم

---

(١) الخطط (٣/ ٣٠٦ ، ٣٠٧).

والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام والإرادة ، التي جميعها صفات ذاته لاصفات أفعاله ، لقيام الدليل على أنَّه تعالى لم يزل ولايزال حياً عالماً قادراً سميعاً بصيراً ومتكلماً مريداً ... " [١]

وفيما يلي تفصيل لموقفه من إحدى هذه الصفات السبع ، وهي صفة العلم ، ليقاس عليه موفقه من بقية الصفات السبع ،

يقول ابن الملقن : " غرضه في هذا الباب إثبات علم الله تعالى ، صفة لذاته ، إذ العلم حقيقة في كون العالم عالماً ، إذ من المحال كون العالم عالماً ولاعلم له ... ثمَّ إذا ثبت كون علمه قديماً وجب تعلقه بكل معلوم على حقيقته ، وقد نص الله تعالى على إثبات علمه بقوله تعالى ﴿ إنَّ الله عنده علم الساعة ﴾[٢] وبقوله ﴿ أنزله بعلمه ﴾[٣] وغيرها من الآيات ... فمن دفع علم الباري تعالى الذي هو حقيقة في كونه عالماً وزعم أنَّه عالم بنفسه لابعلم ، فقد رد نصه تعالى على إثبات العلم الذي هو حقيقة في كونه عالماً ، ولاخلاف في رد نصه على أنَّه ذو علم وبين رد نصه على أنَّه عالم ، فالنافي لعلمه كالنافي لكونه عالماً ، وأجمعت الأمة على أنَّ من نفى كونه عالماً فهو كافر ، فينبغي أن يكون من نفي كونه ذا علم كافراً ، ومن نفى أحد الأمرين كمن نفى الآخر ، والقول في العلم بهذا كاف من القول به في جميع صفاته " [٤]

٤/ يثبت ابن الملقن من الصفات الخبرية : الوجه ، واليدين ، والعين ، واليمين ، ويمنع تأويلها ، مع التزامه بنفي أن تكون جارحة ، أو دالة على تجسيم .

---

(١) صـ (١٩٣) من هذا الكتاب .

(٢) لقمان ، الآية (٣٤) .

(٣) النساء ، (١٦٦) .

(٤) انظر : صـ (٢٠٧ – ٢٠٨) من هذا الكتاب .

يقول : " لله وجه هو صفة لذاته ، لايقال هو هو ، ولاهو غيره ، بخلاف قول المعتزلة ، ومحال أن يقال هو جارحه ، كالذي نعلمه من الوجوه ، كما لايقال هو تعالى فاعل وحي وعالم كالفاعلين والأحياء والعلماء الذين نشاهدهم ... " [١]

ويقول : " وقال ابن بطال : استدلاله [٢] بقوله تعالى ﴿ لم خلقت بيديَّ ﴾، وسائر أحاديث الباب على إثبات يدين لله تعالى ، هما صفتان من صفات ذاته ليستا بجارحتين ، بخلاف قول المجسمة المثبته أنَّهما جارحتان ، وخلاف قول القدرية ـ النفاة لصفات ذاته ـ ثم إذا لم يجز أن يقال : إنَّهما جارحتان ، لم يجز أن يقال : إنَّهما قدرتان ، ولا إنَّهما نعمتان ، لأنَّهما لو كانتا قدرتين لفسد ذلك من وجهين ... " ثمَّ ذكرها [٣] .

ويقول : " واستدلاله من هذه الآية والحديث على أنَّ لله تعالى صفة سمّاها عيناً ، ليست هو ولاغيره ، وليست كالجوارح المعقولة بيننا ... " [٤]

ويقول :" وفيه إثبات اليمين ، صفة من صفات ذاته ليست بجارحه ... " [٥]

٥/ يتأول ابن الملقن ماعدا هذه الصفات من الصفات الخبرية ، فتأول ماورد في : ((القدم)) [٦] و ((الإصبع)) [٧] و ((الساق)) [٨]

---

[١] صـ (٣٠٣) .

[٢] أي : البخاري .

[٣] انظر : صـ (٣١٩-٣٢٠) والمؤلف قد نقل تأويل أبي المعالي وابن فورك لهذه الصفة إلا أنه أعقبه بكلام ابن بطال المبطل لما ذهبا إليه .

[٤] صـ (٣٠٦-٣٠٧).

[٥] صـ (٢٢٧) وانظر : صـ (٣٦٣) .

[٦] انظر : صـ (٢٣٣-٢٣٨)

[٧] انظر : صـ (٣٢٩-٤٥٤)

[٨] انظر صـ (٤١٠) .

و « الحجاب »[١] و «الرداء »[٢] و «القبض »[٣] و « الحكمة »[٤] و « العزة »[٥] .

٦ / ينفي ابن الملقن قيام الصفات الاختيارية بالله تعالى ، بناءً على أصل الأشاعرة النافي لما يقوم بالله من الصفات الإختيارية .

فقد أوّل صفة « النزول »[٦] و « الإتيان »[٧] و « المشي »[٨] و « الهرولة »[٩] و « الضحك »[١٠] و « الغضب »[١١] و « السخط »[١٢]و « الرحمة »[١٣] و « المحبة »[١٤] و « الغيرة »[١٥] و « القرب »[١٦] و « الفوقية »[١٧]

---

(١) انظر صـ (٤١٤) .

(٢) انظر صـ (٤١٤).

(٣) انظر : صـ (٢٢٧)

(٤) انظر : صـ (٢٣١) .

(٥) انظر صـ (٢٢٩) .

(٦) انظر صـ (٥٥٥) .

(٧) انظر : صـ (٤٠٤) .

(٨) انظر : صـ (٢٤٩ و ٢٩٨ و ٢٩٩) .

(٩) انظر : صـ (٦٨٣) .

(١٠) انظر صـ (٤١٢ و ٤٢١).

(١١) انظر صـ (١٩٤ و ٢٩٢) .

(١٢) انظر : صـ (١٩٤ و ٢٩٢) .

(١٣) انظر : صـ (١٩٣ و ١٩٦ و ٢٩٢ و ٤٤٧) .

(١٤) انظر : صـ (١٨٩ و ٣٤٦).

(١٥) انظر : صـ (٣٤٢) .

(١٦) انظر : صـ (٦٨٢) .

(١٧) انظر : صـ (٢٩١) .

و « قرب العبد من ربه » [١]

٧ / يثبت صفة الكلام لله تعالى على مذهب الأشاعرة ومن ذلك :

ـ أنَّ كلام الله معنى قائم بالنفس دون الحروف والألفاظ وهو مايسميه الأشاعرة بـ « الكلام النفسي »[٢] ومن ثمَّ منع أن يكون كلام الله بحرف[٣] وصوت[٤] .

ـ أنَّ كلام الله قديم أزلي ، قائم بذات الله تعالى ، فالله لم يزل متكلماً بجميع كلامه[٥] ، ولايتعلق بمشيئة الله وقدرته ، ولايتكلم بما شاء إذا شاء[٦] .

ـ أن كلام الله معنى واحد لاينقسم ولايتجزأ [٧] ، إن عبر عنه بالعربيه كان قرآناً ، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة ، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً [٨] . والأمر من الله هو النهي وهو الخبر ، وإنَّما يسمعه السامع ، فإذا خلق الله له الفهم بأنَّه أمركان أمراً ، وإذا أفهمه النهي كان الكلام نهياً ، فعلى هذا لايكون آمراً ولآناهياً في الأزل[٩] .

---

(١) انظر : صـ (٦٨٢) .

(٢) انظر : صـ (٤٦٤ و ٤٦٥) .

(٣) انظر : صـ (٤٧٦) .

(٤) انظر : صـ (٥٣٠) .

(٥) انظر : صـ (٤٤٦ و ٥٢٤) .

(٦) انظر : صـ (٥٦٥) .

(٧) انظر : (٤٨١) .

(٨) انظر صـ : (٥٢٤ و ٤٨١) .

(٩) صـ (٤٦٦) .

ـ أنَّ جميع ماأنزل الله على أنبيائه من الكتب إنَّما هو عبارة عن كلامه القديم[١] وأنَّ المراد بالإنزال هو إفهام عباده المكلفين معاني كتابه وفرائضه التي افترضها عليهم[٢] .

٨/ يذهب ابن الملقن إلى أنَّ الاسم هو المسمى [٣] ، وهو بهذا يوافق قول جمهور الأشاعرة .

٩/ يذهب المؤلف إلى جواز رؤية المؤمنين لله في الآخرة [٤] ، وأنَّ هذه الرؤية تكون بالأبصار وأنَّ منزلة الرؤية في تعلقها بالمرئي منزلة العلم في تعلقه بالمعلوم[٥] . وينكر ابن الملقن التلذذ برؤية الله تعالى[٦] ، ويذهب المؤلف إلى أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه في المعراج رؤيةً بصرية [٧] .

١٠/ أثبت ابن الملقن صفة الإستواء لله ، إلاَّ أنَّه قصر معنى الإستواء على العلو[٨] .

١١/ أوّل ابن الملقن لفظ « الصورة » فنقل كثيراً من التأويلات لهذه الصفة خصوصاً عن ابن فورك[٩] .

١٢/ أوّل ابن الملقن صفة « النزول » بنزول أمره أو إقباله على أهل الأرض

---

(١) انظر : صـ (٤٨١) .

(٢) صـ (٥٣٦) .

(٣) انظر : صـ (٢٧٤) .

(٤) انظر : صـ (٣٩٣) و (٤٠٠) .

(٥) انظر : صـ (٣٩٥) .

(٦) انظر صـ : (٢١٢).

(٧) انظر صـ : (٢٠٩ – ٢١٢) .

(٨) انظر : صـ (٣٥٦) .

(٩) انظر : صـ (٤٠٧-٤٠٨) .

بالرحمة والعطف [١] .

١٣/ وفيما يتعلق بأفعال العباد نجد أنَّ المؤلف يذهب إلى «الكسب الأشعري» [٢] وأنَّ الله خالق أفعال العباد ، وليس للعبد قدرة على الخير والشر[٣] .

١٤/ يذهب المؤلف تبعاً للأشاعرة إلى أنَّ الإستطاعة تقارن الفعل ولاتكون قبله[٤] .

١٥ / ينكر المؤلف كون الله في جهة العلو ، لظنه أنَّ إثبات ذلك يوجب كون الله جسماً ، لذا نجد أنَّه قد أوَّل نصوص العروج والصعود ونحوها من النصوص الدالة على علو الله [٥] . مع أنَّه قد فسر الإستواء بالعلو !! .

١٦/ يذهب ابن الملقن إلى أنَّ لله أن يعذب من يشاء ولولم يكلفه، ولايعد ذلك ظلماً [٦] .

١٧ / يذهب ابن الملقن تبعاً للأشاعرة إلى نفي العلة عن أفعال الله [٧] .

١٨ / يثبت المؤلف " الميزان " وأنَّ له لساناً وكفتين توزن به أعمال العباد[٨] إلاَّ أننا نجده في موضع آخر يؤول معناه إلى القسمة بالعدل بين الخلق[٩] .

---

(١) انظر : صـ (٥٥٥) .

(٢) انظر صـ : (٦٣٠ و ٦٣٣ و ٦٣٤) .

(٣) انظر صـ : (٥٣٦ و ٥٣٧) .

(٤) انظر : صـ (٧٣٦) .

(٥) انظر : صـ (٣٧٩ و ٣٨١) .

(٦) انظر : صـ (٤٥٠) .

(٧) انظر صـ (١٧٨) .

(٨) انظر صـ (٧٤٧-٧٤٨) .

(٩) انظر صـ (٣٣٥) .

١٩ / يخالف ابن الملقن جمهور الأشاعرة وماستقر عليه مذهبهم في تعريف الإيمان حيث يذهب إلى أنَّ الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح (١) .

٢٠ / يذهب المؤلف إلى عصمة الأنبياء في الرسالة ، ويحكي الإجماع على ذلك ، ويمنع وقوع الكبائر منهم ، ويجوِّز وقوع الصغائر عليهم (٢) .

٢١ / يثبت المؤلف شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته (٣) .

٢٢ / يلاحظ على المؤلف القصور في العناية بجانب توحيد الألوهيَّة ، فإنَّه لما عرَّف التوحيد لم يضمن التعريف مايعود على توحيد الألوهيَّة (٤) . كما أنَّه قد وقع في مخالفة واضحة لهذا النوع من التوحيد ، وهو توسله بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم (٥) .

هذه أبرز ملامح عقيدة ابن الملقن ـ رحمه الله ـ ويظهر من خلالها ميله الواضح إلى المذهب الأشعري في مراحله الأولى ، مع مخالفته إيَّاهم في بعض المسائل كما مر معنا في هذا المبحث ، نسأل الله العصمة والتوفيق للصواب ، والهداية إلى سبيل الرشاد .

---

(١) انظر صـ (٧٣٣) .

(٢) انظر صـ (٣٢٤ و ٣٢٦) .

(٣) انظر صـ (٣٢١) .

(٤) انظر صـ (١٧٨) .

(٥) انظر صـ (٧٦٠) .

١٠ - وفاته

وبعد هذه الحياة الحافلة ، وهذا العطاء العلمي ، وبعد هذا العمر المبارك ، الذى بلغ ثمانين عاماً ، أفاد فيه واجتهد ؛ فطلب العلم وحصَّله ، ثمَّ نشره وبلَّغه ، فصنَّف ودرَّس وحقَّق . بعد ذلك توفي ابن الملقن - رحمه الله تعالي - ليلة الجمعة سادس عشر ربيع الأول سنة أربع وثمانمائة للهجرة ودفن بحوش « سعيد السعداء » وتأسف الناس لفقده.[١]

رحم الله ابن الملقن ، وجزاه عما قدم خير الجزاء ، وعفا عنا وعنه ماحصل من الخطأ والنسيان .

---

[١] انظر : الضوء اللامع (١٠٥/٦).

الفصل الأول

دراسة كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : موضوعاته

المبحث الثاني : منهج الإمام البخاري في تقرير العقيدة من خلال كتاب التوحيد من صحيحه .

المبحث الأول
موضوعات كتاب التوحيد

قسَّم الإمام البخاري – رحمه الله – كتاب التوحيد من صحيحه إلى ثمانية وخمسين باباً ، ضمَّنها (١٩٢) حديث ، إضافة لما أودعه من الأيات البيِّنات من كتاب الله تعالى ، وبعضاً من الآثار السلفية المؤيِّدة لما أراد تقريره من الاعتقاد السلفي ، الخالص من شوائب الابتداع ، والمدحضة لما شاع في عصره وقبل عصره من العقائد الباطلة والمذاهب الفاسدة ، التي انبرى لها أهلها يقررون ويقعِّدون ماأملته عليهم أهواؤهم ، وما أوصلتهم إليه قواعدُهم العقلية ، وتسلسلاتهم المنطقية التى حكَّموها في نصوص الكتاب والسنة ، فردُّوا وصرفوا وأوَّلوا وفوضوا .

وماكان لعَلَم كالإمام البخاري أن يذر الظلام يمتد ، و أمواج الباطل تتلاتطم ، لتخفي وراءها نور الحق وعقيدة التوحيد ، دون أن يسل سيف الجهاد ، إنكاراً للمنكر وإحقاقاً للحق ، لما حباه الله تعالى من غيرة على دين الله ، وقوة علمية ، تذكيها عقلية ذكية وقَّادة استنارت بنور الوحيين[١] واستنت بهدي السنتين[٢]

وقد عاصر الإمام البخاري – رحمه الله – خمس فرق تشكل رؤوس البدع وهي : الخوارج ، والرافضة ، والمرجئة ، والجهمية ، والقدرية .

فالخوارج ذكر ما يتعلق بهم في كتاب الفتن من صحيحه ، والرافضة ذكر مايتعلق بهم في كتاب الأحكام ، و المرجئة ذكر مايتعلق بهم فى كتاب الإيمان ، وأمَّا القدرية – وهم نفاة القدر – فذكر مايتعلق بهم فى كتاب القدر ، وخصص طرفاً من هذا الكتاب للرد عليهم ، بقيت الجهمية الذين قصد الرد عليهم بهذا الكتاب « كتاب التوحيد » .

---

(١) يُقْصَدُ بهما الكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى ﴾ [النجم ، الآية ٣]

(٢) سنة النبى ﷺ ، وسنة الخلفاء الراشدين ، كما جاء بذلك الحديث .

وقد ذكر الإمام البخاري – رحمه الله – في كتاب التوحيد ، جُل مسائل العقيدة ، إلاّ أنّه أولى جانب توحيد الأسماء والصفات عناية أكثر .

والمتأمّل في كتابه يجد أنّه ذكر تسع مسائل رئيسه تولى تقرير مذهب السلف فيها ، والرد على المخالفين لهم من الجهمية ، والمعتزلة والقدرية ، وغيرهم .

وأبرزهذه المسائل[1] مايلي :

المسألة الأولى : مكانة التوحيد ، ومنزلتة .

وأفرد لهذه المسألة باباً واحداً ، أسماه : باب ماجاء في دعاء النبى ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى .

قصد به – فيما يظهر – بيان أنّ النبي ﷺ قد أوضح لأمته التوحيد بأنواعه غاية الإيضاح والبيان ، فلم يترك الأمر مشتبهاً ولا ملتبساً ؛ لأنّ التوحيد هو مقصود الرسالة ، بل الرسالات ، وقد قام النبي ﷺ بواجب البلاغ خير قيام ، فلا عذر لمن استقى عقيدته من الفلاسفة أو المتكلمين فانحرف عن الصراط المستقيم الذى بينه ﷺ لأمته .

ثمّ ذكر فى الباب أربعة أحاديث :

– أفاد الأول منها : أنّ التوحيد هو أول مايدعى إليه الناس ، لوصية النبى ﷺ معاذاً بذلك ، وبهذا يعلم أنّ التوحيد هو أول واجب على المكلفين .

– وأمّا الثانى فأفاد أنّ التوحيد هو حق الله على عباده ، وأنّ الله تكفل لمن جاء به أن لا يعذبه .

– وأفاد الثالث والرابع فضيلة سورة الإخلاص وأنّها تعدل ثلث القرآن لخلوصها لتوحيد الله تبارك وتعالى ووصفه بما هو أهله .

وفي هذا كله دليل على شرف علم التوحيد ، والعلم يشرف بشرف المعلوم .

---

(١) ينبغي أن يعلم أنّ هذا الكلام اجتهاد شخصي للوصول إلى مراد البخاري لايجزم بصوابه .

المسألة الثانية :- الأسماء الحسنى

وأفرد هذه المسألة أبواباً عدة هي : -

١ - باب قوله تبارك وتعالى : ﴿ قل ادعوا ا لله أو ادعو الرحمن أيًّامًّاتدعو فله الأسماء الحسنى ﴾.

٢ - باب قول ا لله تعالى : ﴿ السلام المؤمن المهيمن ﴾.

٣ - باب قول ا لله تعالى : ﴿ ملك الناس ﴾.

٤ - باب قول ا لله تعالى : ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾.

٥ - باب قول ا لله تعالى : ﴿ وكان ا لله سميعاً بصيراً ﴾.

٦ - باب قول ا لله تعالى : ﴿قل هو القادر ﴾.

٧ - باب « إنَّ لله مائة اسم إلاَّ واحداً » .

٨ - باب السؤال بأسماء ا لله والاستعاذة بها .

٩ - باب مايذكر في الذات والنعوت وأسامي ا لله - عزوجل - .

١٠ - باب قول ا لله تعالى : ﴿ هو ا لله الخالق البارىء المصور ﴾.

أراد المؤلف - رحمه ا لله - فيما يظهر -بيان عقيدة السلف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة الهامة ، التى كثر فيها الغلط من بعض طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة وغيرهم ، وفرَّع لذلك عدَّة مسائل منها :

الأولى : تعدد الأسماء لله - تعالى - وأنَّ ذلك كمال في حقه - تبارك وتعالى - ، فلله أكثر من تسعة وتسعين اسماً ، منها : الرحمن ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، الملك ، العزيز ، الحكيم ، السميع ، البصير ، القادر ، الخالق ، الباري ، المصور ، وغيرها كثير ، وفي هذا رد على من ذهب إلى أنَّ تعدد الأسماء يلزم منه تعدد

المسمَّى . وهو ماذهب إليه الجهمية الذين أنكروا أسماء الله ـ تعالى الله عن قولهم ـ .[١]

الثانية : اختصاص الله بالأسماء الحسنى ، وأنَّ أسماءه كاملة المعاني لا يلحقها نقص أو عيب ، وأنَّ تسمية المخلوق واتصافه ببعض ما يسمَّى به الرب ويوصف به لا يلزم منه نقص أو عيب في أسمائه وصفاته – تعالى – لأنَّها حسنى كاملة تناسب عظمته وجلاله ، فلا يتوهم أنَّ في ذلك تشبيهاً كما يزعمه بعض المبتدعة الذين ظنوا أنَّ مجرد المشاركة في الاسم يلزم منها التشبية ، فنفوا أسماء الله أو صفاته من أجل ذلك .

وأمَّا المخلوق فأسماؤه وصفاته ليست كاملة الحسن فهي تناسب ضعفه وعجزه .

« ولهذا سمَّى لله نفسه بأسماء وسمَّى صفاته بأسماء ، فكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره ، وسمَّى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص ، ولم يلزم من اتفاق الاسمين تماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص ، ولا تماثل المسمَّى عند الإضافة والتخصيص ، فضلاً عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص »[٢]

فقد سمَّى الله نفسه حياً فقال : ﴿ الله لا إله إلاَّ هو الحي القيوم ﴾[٣] وسمَّى بعض عباده حياً ، فقال : ﴿ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾[٤] وليس هذا الحي مثل هذا الحي ، لأنَّ قوله ﴿ الحي ﴾ اسم لله مختص به ، وقوله ﴿ يخرج

---

(١) انظر : الفتح (١٣/٣٩٠).

(٢) التدمرية (ص٢١) بتصرف يسير .

(٣) البقرة ، الآية (٢٥٥).

(٤) الروم ، الآية (١٩).

الحي من الميت ﴾ اسم للحي المخلوق مختص به ، وإنّما يتفقان إذا أطلقا وجُرِّدا عن التخصيص . وسمّى نفس ﴿ سميعاً بصيراً﴾[١] وسمّى بعض خلقه سميعاً بصيراً فقال : ﴿ إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾[٢] وليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير .

وسمّى نفسه بالمَلِك ، فقال ﴿ الملك القدوس ﴾[٣] وسمّى بعض عباده بالمِلك فقال : ﴿وقال الملك ائتوني به ﴾ [٤] وليس الملك كالملك .

وسمّى نفسه بالمؤمن فقال : ﴿ المؤمن المهيمن ﴾[٥] وسمّى بعض عباده بالمؤمن فقال : ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون﴾[٦] وليس المؤمن كالمؤمن .

وسمّى نفسه بالعزيز ، فقال : ﴿ العزيز الجبار المتكبر﴾[٧] وسمّى بعض عباده بالعزيز فقال : ﴿ قالت امراة العزيز ﴾[٨] وليس العزيز كالعزيز. ونظائر هذا متعدده.

وكذلك سمّى الله صفاته بأسماء ، وسمّى صفات عباده بنظير ذلك ، فقد وصف نفسه بالمشيئة ، ووصف عبده بالمشيئة ، فقال : ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون إلاَّ أن يشاء الله رب العالمين ﴾[٩] . ووصف نفسه بالإرادة ، ووصف عبده بالإرادة فقال : ﴿ تريدون عرض الدنيا والله يريد الأخرة ﴾[١٠]

---

(١) النساء ، الآية (٥٨).

(٢) الإنسان ، الآية (٢).

(٣) الحشر ، الآية (٢٣).

(٤) يوسف ، الآية (٥٠).

(٥) الحشر ، الآية (٢٣).

(٦) السجدة ، الآية (١٠).

(٧) الحشر ، الآية (٢٣).

(٨) يوسف ، الآية (٥١).

(٩) التكوير ، الآية (٢٨و٢٩).

(١٠) الأنفال ، الآية (٦٧).

ووصف نفسه بالمحبة ، ووصف عبده بالمحبة ، فقال : ﴿ فسوف يأتي ا لله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾[١]

ووصف نفسه بالرضا ، ووصف عبده بالرضا فقال : ﴿ رضى ا لله عنهم ورضوا عنه ﴾[٢]

ومعلوم أنَّ مشيئة ا لله ليست مثل مشيئة العبد ، ولا إرادته مثل إرادته ، ولا محبته مثل محبته ، ولا رضاه مثل رضاه [٣]

فالإمام البخاري أراد تقرير هاتين القضيتين ، فأشار بقوله : باب ﴿ قل ادعو ا لله أو ادعو الرحمن أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ وما ساقه من الأحاديث تحت هذه الترجمه ، إلى تعدد أسماء ا لله تعالى وأنَّ المخلوق يرحم ويسمي رحيماً ، وا لله تعالى يرحم ويسمَّى رحيماً ، وليس في هذا تشبيه لأنَّ الصفة تختلف باختلاف ما أضيفت إليه .

ثمَّ ساق الأبواب التالية لتقرير هذا الأمر وهى :

أ - باب قول ا لله تعالى : ﴿ السلام المؤمن ﴾ .

ب - باب قول ا لله تعالى : ﴿ ملك الناس ﴾ .

ج - باب قول ا لله تعالى : ﴿ العزيز الحكيم ﴾ .

د - باب قول ا لله تعالى : ﴿ هو الخالق البارئ المصور ﴾ .

فالخالق - تبارك وتعالى - يسمَّى : السلام ، المؤمن ، الملك ، العزيز ، الحكيم ، المصور .

---

(١) المائدة ، الآية (٥٤).

(٢) المائدة ، الآية (١١٩).

(٣) انظر : التدمرية (٢١-٣٠).

وكذا المخلوق يسمَّى بهذه الأسماء ، وليس في إثبات ذلك ما يقتضى المشابهه والمماثلة ليصح أن يكون مسوِّغاً للمؤولة والنفاة في نفيهم أو تأويلهم أسماء ا لله وصفاته ، بحجة أنَّ ذلك يؤدي إلى التجسيم ، وا لله منزه عن الجسم . تعالى ا لله عن معتقدهم وضلالهم .

الثالثة : فضل إحصاء الأسماء الحسنى

وقد بوب الإمام البخاري لهذه المسأله بقوله : باب « لله مائة اسم إلاَّ واحداً من أحصاها دخل الجنة » . ثمَّ فسر المقصود بالإحصاء فقال: « أحصيناه : حفظناه »

ويفهم من صنيعه أنَّه يرى أنَّ إحصاءها هو حفظ ألفاظها ، وفي هذا نظر لأنَّ من عادة البخاري التى سار عليها في كتابه هذا ، أنَّه إذا جاء لفظ في الحديث ، وفي القرآن لفظ يوافقه في اللفظ والإشتقاق ، أن يذكره وإن كان لا يوافقه في المعنى ، فهو في قوله : « أحصيناه : حفظناه » يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وكل شئ أحصيناه في إمام مبين ﴾[1]

وإحصاء أسماء ا لله على مراتب :

الأولى : إحصاء ألفاظها ، وعددها .

الثانية : فهم معانيها ومدلولها .

الثالثة : دعاؤه – تعالى – بها ، كما قال تعالى : ﴿ و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾[2] فمن أتى بهذه المراتب : فقد أحصى أسماء ا لله الموعود عليه دخول الجنة .

الرابعة : العمل بمقتضتاها ، بما يليق بالمخلوق .

---

(١) انظر : شرح كتاب التوحيد ، للغنيمان (٢١٨/١).

(٢) بدائع الفوائد (١٦٤/١).

الرابعة : دعاء ا لله بأسمائه الحسنى .

الإيمان بأسماء ا لله الحسنى يتضمن ، دعاءه – تعالى – بها ، قال ا لله تعالى : ﴿ و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون ﴾[1]

وهو داخل في معنى الإحصاء الموعود عليه دخول الجنة ، كما تقدم قريباً ، وقد بوب الإمام البخاري لهذه المسألة بقوله : باب السؤال بأسماء ا لله تعالى ، والاستعاذة بها .

ذكر تحت هذه الترجمة عدة أحاديث ، توضح كيفية التعبد لله – تعالى – بدعائه بأسمائه الحسنى ، والاستعاذة بها من كل مكروه .

ودعاء ا لله بأسمائه الحسنى مرتبتان ، كما أشار إلى ذلك ابن القيم – رحمه ا لله تعالى –[2] :

الأولى : دعاء ثناء وعباده ، وقد أمرنا ا لله – تبارك وتعالى – أن نمجده ونثني عليه فقال : ﴿ يأيها الذين أمنوا اذكروا ا لله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾[3]

الثانية : دعاء طلب ومسأله ، وقد أمرنا ا لله – تبارك وتعالى – بدعائه والطلب منه ، ووعدنا بالإجابة : ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ﴾[4]

وينبغي للداعي أن يطلب بكل اسم مايليق به ، فيقول : يارحيم ارحمني ، يارزاق ارزقني ، ياتوّاب تب عليّ ، ونحو ذلك .

---

(١) الأعراف ، الآية (١٨٠) .

(٢) انظر : بدائع الفوائد (١/١٦٤) .

(٣) الأحزاب ، الآية (٤١-٤٢) .

(٤) غافر : الآية (٦٠) .

المسألة الثالثة :- الصفات العلى

أطال الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - الحديث حول صفات الله تعالى ، وقرر أصول أهل السنة والجماعة في هذه المسألة العظيمة ، لكثرة ماوقع فيها من انحراف، وزلت فيها من أقدام، حيث ابتليت الأمة الأسلامية بطوائف ضلت الطريق ؛ بسلوكها منهجاً مخالفاً لما جاء به الرسل وماسار عليه أتباعهم فضلُّوا وأضلُّوا كثيراً من عباد الله.

ومن أبرز الأصول والأسس السلفية التي قرَّرها - رحمه الله - في كتاب التوحيد .هو إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه ، أو أثبته له رسوله ﷺ فيما صح من سنته ، لأنَّ باب الأسماء والصفات مبناه على التوقيف ، إذ لا أحد أعلم بالله من نفسه ، ولا أحد من خلقه أعلم به من رسوله ﷺ .

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة لله ثلاثة أوجه :

أ - التصريح بالصفة ، كالعزة والقوة والرحمة ، والوجه واليدين ونحو ذلك.

ب - تضمن الاسم للصفة ، كالغفور متضمن للمغفرة ، والسميع متضمن للسمع ، والبصير متضمن للبصر .

ج - التصريح بفعل أو وصف دال عليها ؛ كالإستواء على العرش ، والنزول إلى السماء الدنيا ، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة ونحو ذلك .[١]

والإمام البخاري - رحمه الله - سلك هذه الأوجه الثلاثة في الاستدلال على اثبات الصفات ، لله تعالى ، يتبين هذا بالنظر في تراجمه للأبواب وما ساقه تحت كل ترجمة من أحاديث توضح مراده وتبين مقصوده ،

فقد استدلَّ البخاري بالوجه الأول وهو ذكر النصوص المصرحة بالصفة لإثبات بعض الصفات منها :

- صفة الملك ، حيث قال : باب قول الله تعالى : ﴿ ملك الناس ﴾[٢]

---

(١) انظر : القواعد المثلى ، لابن عثيمين (ص٢٨-٢٩).

(٢) الناس ، الآية (٢).

- صفة العلم ، حيث قال : باب قول الله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾[1]

- صفة الوجه ، حيث قال : باب قول الله تعالى : ﴿ كل شيء هالك إلاَّ وجهه ﴾ .

- صفة العينين ، حيث قال : ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ : تغذى ، وقوله - جل ذكره - ﴿ تجرى بأعيننا ﴾. والأمثلة على هذا كثيرة .

وكذا استدل الإمام البخاري - رحمه الله - بالوجه الثاني ، وهو تضمن الاسم للصفة فأثبت عدداً من الصفات لتتضمن نصوص الأسماء لها ، من ذلك :

- صفة الرحمة ، حيث قال : باب قول الله ﴿ قل ادعو الله أو ادعوا الرحمن ... ﴾ ثمَّ ذكر حديث جرير بن عبدالله « لايرحم الله من لا يرحم الناس »

- صفة الرزق ، حيث قال : باب قول الله تعالى : ﴿ إنَّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ ثمَّ ذكر حديث أبي موسى الأشعري وفيه : « ثمَّ يعافيهم ويرزقهم ».

- صفة العزة ، حيث قال : باب قول الله تعالى : ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ ﴿ سبحان ربك رب العزة ﴾ ... ثمَّ ذكر حديث أنس وفيه : « تقول جهنم قط قط ، بعزتك » وأحاديث أخرى مشابهة . إلى غير ذلك من الصفات .

وكذا استدل البخاري بالوجه الثالث وهو التصريح بفعل أو وصف دال على الصفة ، على إثبات عدد من الصفات من ذلك :

- صفة العلو ، حيث استدل بالنصوص المصرحة بعروج الأشياء وصعودها إليه على علوه سبحانه وتعالى إذ هما فعلان دالاَّن على علوه ، حيث قال : باب قول الله تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ .

وبهذا يتبين أنَّ الإمام البخاري - رحمه الله - قد أثبت صفات كثيرة لله ، اعتماداً على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

---

[1] الجن ، الآية (٢٦).

والصفات التى أثبتها في هذا الكتاب هي : صفة الملك ، صفة العلم ، مقلب القلوب ، الذات ، النفس ، الوجه ، العينان ، اليدان ، الشخص ، الغيرة ، الرحمة ، الرزق ، العزة ، السمع ، القدرة ، الخلق ، الإستواء على العرش ، العلو ، الكلام ، الرؤية .

المسألة الرابعة :- العلو والاستواء على العرش

وقد أفرد الإمام البخاري - رحمه الله - لهذه المسالة بابين :

الأول : باب قوله تعالى : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ ﴿ وهو رب العرش العظيم ﴾ ، ثمَّ نقل تفسير أبي العالية للاستواء بأنَّه : الإرتفاع ، وتفسير مجاهد لاستوى أي : علا على العرش .

ثمَّ ساق بسنده عشرة أحاديث تدور حول العرش وأنَّه مخلوق مربوب ، وأنَّه كان على الماء قبل خلق السموات والأرض ، وأنَّه ذو قوائم ، وأنَّ الله مستو عليه ومن معاني الاستواء : الارتفاع والعلو ، كما جاء ذلك عن كبار المفسرين .

الثانى : باب قوله ﴿تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ وقوله - جل ذكره - ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ .

ثمَّ ساق عدة أحاديث تفيد عروج الملائكة إلى الله ، وصعود الكلم الطيب إليه ، ورفع العمل الصالح إليه ، وهذه الأفعال الثلاثة تدل على علو الله على خلقه لأنَّ العروج والصعود والارتفاع إنَّما يكون من جهة السفل إلى جهة العلو .

و يدل على علو الله - أيضاً - العقل والفطرة ولذا ساق البخاري قصة أبي ذر مع أخيه وقوله له : « اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنَّه يأتيه الخبر من السماء » .

المسألة الخامسة :- الرؤية

من الموضوعات التى ضمَّنها الإمام البخاري - رحمه الله - كتاب التوحيد مسألة رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة .

فقد ترجم لهذه المسألة بقوله : باب قول الله - تعالى - : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ثمَّ ذكر ثلاثة عشر حديثاً لتقرير مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة منها ثمانية أحاديث مصرحة برؤية المؤمنين ربهم عياناً يوم القيامة ، ومنها أربعة أحاديث في إثبات لقاء المؤمنين لربهم يوم القيامة ، واللقاء مفيد للرؤية إذا انتفت الموانع ، وذكر حديثا واحداً في إثبات نظر الله ورؤيته لعباده ، حيث ذكر حديث « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ... » فإذا نفى الله نظره إلى هؤلاء الثلاثة دل على ثبوته لغيرهم ، والله أعلم .

وبالتمعن في الأدلة التى أوردها البخاري في هذا الباب نلحظ مايلي :

أ - إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة .

ب - أنَّ الرؤية تكون عيانا « رؤية بصرية » .

ج - أنَّ رؤية المؤمنين ربهم تشبه رؤيتهم للقمر ليلة البدر ، وللشمس ليس دونها سحاب ، والتشبية إنَّما هو للرؤية بالرؤية وليس تشبيهاً للمرئ بالمرئي تعالى الله عن ذلك .

المسألة السادسة :- التكوين

مسألة التكوين من المسائل المشتهرة بين المتكلمين ، وأصلها : أنَّهم اختلفوا هل صفة الفعل قديمة أو حادثة .[1]

قال الإمام البخاري : « واختلف الناس في الفاعل والمفعول والفعل !!

فقالت القدرية : الأفاعيل كلها من البشر ليست من الله .

وقالت الجبرية الأفاعيل كلها من الله .

---

[1] انظر : الفتح (١٣/٤٤٨).

وقالت الجهمية : الفعل والمفعول واحد ، لذلك قالوا : لـ « كن » مخلوق .

وقال أهل العلم : التخليق فعل الله ، وأفاعيلنا مخلوقة لقوله تعالى : ﴿ وأسِرّوا قولكم أو اجهروا به أنّه عليمٌ بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق ﴾[١] يعني : السر والجهر من القول ، ففعل الله صفة الله ، والمفعول غيره من الخلق.[٢]

ويقول أيضاً : « وأما الفعل من المفعول ، فالفعل إنّما هو إحداث الشيئ ، والمفعول هو الحديث ، لقوله : ﴿ خلق السموات والأرض ﴾[٣]

فالسموات والأرض مفعوله ، وكل شيئ سوى الله بقضائه فهو مفعول ، فتخليق السموات فعله ؛ لأنّه لا يمكن أن تقوم سماء بنفسها من غير فعل الفاعل ، وإنّما تنسب السماء إليه لحال فعله ، ففعله من ربوبيته حيث يقول:« كن » فيكون ، و « كن » من صفته وهو الموصوف به كذلك ، قال : رب السموات ورب الأشياء ، وقال النبي ﷺ « رب كل شيء ومليكه »[٤]

والإمام البخاري – رحمه الله – أفرد لهذه المسألة باباً ترجم له بقوله : باب ماجاء في تخليق السموات والأرض وغيرهما من الخلائق ، وهو فعل الرب – تبارك وتعالى – وأمره ، فالرب بصفاته وفعله وأمره هو الخالق المكوِّن غير مخلوق ، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكوَّن .

وسياق المصنف يقتضي التفرقة بين الفعل وما ينشأ عن الفعل ، فالأول من صفة الفاعل ، وهو غير مخلوق ، فصفاته غير مخلوقة ، وأما مفعوله وهو ماينشأ عن فعله فهو مخلوق[٥] ، وإلى هذه التفرقة أشار بقوله : « وهو – يعني التخليق – فعل

---

(١) الملك ، الآية (١٣-١٤).

(٢) خلق أفعال العباد (ص١٨٨).

(٣) الأنعام ، الآية (١).

(٤) انظر : الفتح (١٣/٤٤٨).

(٥) المرجع السابق (١٣/٤٤٨).

الرب وأمره فالرب بصفاته وفعله وأمره ، وهو الخالق المكوِّن غير مخلوق ، وماكان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول ومخلوق ومكوَّن »

وفي هذا ردٌّ على من لم يفرق بين الفعل والمفعول . فوقع في اضطراب وحيرة ناشئة عن البعد عن مذهب السلف . وبا لله التوفيق .

المسألة السابعة : الكلام

صفة الكلام من الصفات التي ضل فيها كثير من الناس عن الصواب ، وهي من هذه الناحية تشبه صفة الاستواء ، بل تفرق الناس فيها أكثر من تفرقهم في صفة الاستواء ، إذ تفرق الناس فيها إلى تسع فرق كلها تائهة عن الجادة إلاَّ واحدة ، وهي التي تمسكت بما كان عليه سلف هذه الأمة وأمسكت عن الخوض ، تأدباً مع نصوص الكتاب والسنة ، وإيماناً منها بتلك النصوص المتضافرة والأدلة المتنوعة . فأثبتت لله كلاماً حقيقياً ، صفة من صفاته ليس بمخلوق ، يسمعه المخاطب ، على مايليق بجلال ا لله ، إذ الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال ، وضده من أوصاف النقص ، ولا يختلف العقلاء في ذلك ، وكلنا نعلم أنَّ معبود قوم موسى الذي اتخذوه من حليهم مما عيب عليه عدم الكلام ، بل يُستدل بذلك على أنَّه ليس بإله ، يقول تعالى : ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خُوار ، ألم يروا أنَّه لا يكلمهم ، ولا يهديهم سبيلاً ﴾[1]

والإمام البخاري – رحمه ا لله – أولى هذه المسألة عناية كبيرة ، حيث أفرد لها مايزيد على عشرة أبواب ، نوَّع فيها التراجم ، وأكثر من سياق الأيات والأحاديث المقررة لمذهب السلف بتفريعاته العديدة حول هذه الصفة .

---

[1] الأعراف ، الآية (١٤٨). وانظر: الصفات الإلهية ، لمحمد أمان الجامي (ص٢٦٢-٢٦٣).

حيث ذكر أولاً : باب قوله تعالى:﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾[١] قصد منه إثبات أنَّ كلمة ا لله – تعالى – سبقت وجود الرسل والمرسل إليهم ، فهي قبل الخلق الذى هو المخلوق ، وهي غيره ، لأنَّها صفة ا لله تعالى ، وأما نصر الرسل وإسعادهم فهو جزاء عملهم وطاعتهم ، فهو من إثابته لهم وفضله عليهم ، فهو مخلوق بكلمته تعالى .

ثمَّ أتبعه بـ « باب قول ا لله تعالى :﴿ إنَّما قولنا لشيئ إذا أردناه ﴾[٢]

قصد منه الرد على من زعم أنَّ أمر ا لله مخلوق ، حيث بيَّن أنَّ الأمر هو قوله للشيء « كن » حقيقة ، وأنَّ الأمر غير الخلق ، فا لله خلق الخلق كله بقوله :« كن » فلو كان « كن » مخلوقاً لكان قد خلق الخلق بمخلوق ، وليس الأمر كذلك .

ثمَّ ثلث بقوله : باب قول ا لله – عزوجل – :﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي ... ﴾[٣] قصد منه أيضاً إثبات أنَّ كلام ا لله غير مخلوق ، بل هو من صفاته ، إذ المخلوق لابد أنْ يكون له نهاية ونفاد ، فإنَّه مسبوق بالعدم فلابد أن يلحقه العدم . أما كلام ا لله تعالى فلا نهاية له ولا نفاد .

ثمَّ ذكر المشيئة والإرادة ، إشارة منه إلى أنَّ كلامه – تعالى – بمشيئته وإرادته ، وأنَّه إذا شاء أن يتكلم تكلم .

ثمَّ ذكر باب قول ا لله – عزوجل – : ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلاَّ لمن أذن له ... ﴾[٤] وفيه بيان حال الملائكة عند سماعهم صوت ا لله تعالى بالكلام ، وأنَّهم يصعقون ، فإذا أفاقوا قال بعضهم لبعض : ﴿ ماذا قال ربكم ﴾ ، وفيه إثبات الصوت لله تعالى ، وأنَّ كلامه بصوت ، وهذا من أبلغ الأدلة على إثبات الكلام لله حقيقة .

---

(١) الصافات ، الآية (١٧١).

(٢) النحل ، الآية (٤٠).

(٣) الكهف ، الآية (١٠٩).

(٤) سبأ ، الآية (٢٣).

ثمَّ ذكر باب : كلام الرب مع جبريل ، ونداء الله الملائكة . قصد منه إثبات كلام الله مع الملائكة ، و هو صريح في أنَّه - تعالى - يتكلم وينادي متى شاء لمن شاء .

والنداء لا يكون إلاَّ بصوت مرتفع ، وهذا من أبلغ الأدلة على إثبات صفة الكلام لله تعالى .

ثمَّ ذكر باب قوله تعالى : ﴿ أنزله بعلمه والملائكة يشهدون﴾[1]

أراد منه بيان أنَّ القرآن الذى هو كلام الله منزل غير مخلوق ، أنزله بواسطة جبريل عليه السلام .

ثمَّ ذكر باب قوله تعالى : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ . أراد بذلك إبطال قول من يزعم أنَّ كلام الله مخلوق ، لأنَّ الخلق لايبدل بخلاف الكلام فإنَّه يمكن تبديله ، أو أنَّه أراد أنَّ كلام الله لا يختص بالكتب المنزلة ، فليس نوعه واحداً ، بل يكلم من يشاء من خلقه متى شاء ، منه مايكون كلاماً ، ومنه ما يكون قولاً ، ومنه ما يكون نداءً ، وكل ذلك من كلام الله الحقيقي . أو لعله أراد بذلك أن يبيِّن أن القرآن هو كلام الله حقيقةً ، وإرادة التبديل هي في القرآن لافي الكلام الذي هو صفة الله تعالى ـ المعنى القائم بذات الرب تعالى ـ

ثمَّ ذكر باب كلام الرب - عزوجل - يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم .

قصد بذلك أنَّ كلامه تعالى لاانقطاع له ولا نهاية بل متعلق بمشيئته متى شاء تكلم ، فكما أنَّه تكلم في الأزل وبعده كلما أراد ، فهو يتكلم في الحال وفي المستقبل حسب إرادته .

ثمَّ ذكر باب قوله تعالى : ﴿ وكلَّم الله موسى تكليماً ﴾[2] ليبين أنَّ كلامه حقيقة ، وأنَّه يكون خاصاً وعاماً . ولهذا أعقبه بقوله : " باب كلام الرب مع أهل

---

(1) النساء ، الآية (١٦٦).

(2) النساء ، الآية (١٦٤).

الجنة " وفي هذا رد على من يقول أنَّ الكلام معنى قائم بنفسه تعالى ، وهوالكلام النفسي .[١]

المسألة الثامنة :- خلق أفعال العباد

وقع الخلاف بين الفرق في هذه المسألة على أقوال هي :

القول الأول : أنَّ العباد مجبورون على أعمالهم ، لاقدرة لهم ولا إرادة ولا اختيار ، والله وحده هو خالق أفعال العباد ، وأعمالهم إنَّما تنسب إليهم مجازاً ، وهذا هو قول الجبرية ، وأهم فرقهم : الجهمية .

القول الثانى : أنَّ أفعال العباد ليست مخلوقة لله ، وإنَّما العباد هم الخالقون لها ، وهذا مذهب المعتزلة ومن وافقهم ، فهم ينفون مرتبتي الإرادة والخلق عن الله ويثبتونها للإنسان .

القول الثالث : قول الأشاعرة والماتريدية وأتباعهم : وهؤلاء كلهم يقولون : إنَّ الله – سبحانه وتعالى – خالق أفعال العباد ، وبهذا الأصل خالفوا المعتزلة القائلين بأنَّ الله لا يخلق أفعال العباد بل هم الخالقون لها ، بيد أنَّهم في جانب تعلق أفعال العباد بهم ، وهل هم الفاعلون لها جاءوا بنظرية الكسب ، وهى في مآلها جبرية خالصة لأنَّها تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير.[٢]

القول الرابع : أنَّ الله خالق أفعال العباد ، والعباد فاعلون حقيقة ، والعبد هو المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والمصلي والصائم ، وللعباد قدرة على أعمالهم ، ولهم إرادة ، والله خالقهم ، وخالق قدرتهم وإرادتهم.[٣] وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة وسلف الأمة وأئمتها المتبوعين .

---

(١) انظر : شرح كتاب التوحيد ، للغنيمان (٢/٢٩٦).

(٢) انظر : القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ، للمحمود (ص٢٠٣–٢٠٦).

(٣) انظر : العقيدة الواسطية ، لابن تيمية بشرح محمد خليل الهراس (ص ٢٢٧)

والإمام البخاري – رحمه ا لله تعالى – أولى هذه المسألة عناية كبيرة ، فأفرد لها كتاباً أسماه « خلق أفعال العباد » وكذا بوّب لهذه المسألة بعدة أبواب في كتاب التوحيد من صحيحه ، قرر فيها مذهب السلف الصالح وأكثر من الاستشهاد بالأدلة الواضحة المتنوعة .

فقال : باب ذكر ا لله بالأمر ، وذكر العباد بالدعاء والتضرع والرسالة والإبلاغ ... .

قصد من هذه الترجمة بيان الفرق بين فعل ا لله وفعل العبد .

ثمَّ أعقبه بباب ترجم له بقوله : باب قول ا لله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً ﴾[1] ... إلى أن قال : وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم ، لقوله تعالى: ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾[2]

أراد بهذه الترجمة إثبات نسبة أفعال العباد كلها لله ، خيرها وشرها فهي مخلوقة له ، ولا ينسب شئ من الخلق لغير ا لله فيكون ذلك الغير شريكاً لله ونداً ومساوياً له – تعالى – في نسبة الخلق إليه .

ثمَّ ذكر بعد هذا عدة أبواب قصد بها : بيان أنَّ أعمال العباد منوطة بهم يفعلونها باختيارهم ، وأنَّها مخلوقة مثلهم ، وذلك مثل أصواتهم وتحريك ألسنتهم وشفاههم ، وحفظهم ودعائهم وتبليغهم وصلاتهم ، وكون الإنسان خلق هلوعاً جزوعاً منوعاً ، فهذه أوصاف الإنسان ، وا لله خلقه كذلك ، وكذا روايتهم ، وبيانهم عن معاني كلام ا لله ، وأصواتهم حسنها وقبحها ، ومهارتهم بالقرآن وغيره ، وكتابتهم ، وأدواتهم التي يكتبون بها ، وغير ذلك ، كلها عمل لهم ، وهم وأعمالهم مخلوقون .

---

(١) البقرة ، الآية (٢٢).

(٢) الفرقان ، الآية (٢).

المسألة التاسعة :- الفرق بين التلاوة والمتلو ، واللفظ والملفوظ

عاصر الإمام البخاري - رحمه الله - مسألةً كثر فيها الجدل وصار لها صدى واسع في صفوف العلماء من محدثين وغيرهم . وهي مسألة (اللفظ بالقرآن) ويراد بها : هل اللفظ هو الملفوظ أو غيره ، وكذلك هل القراءة هي المقروء أو غيره ، وكذلك التلاوة هل هي المتلو أو غيره .

وحصل للإمام البخاري بسبب قوله في هذه المسألة محنة عظيمة كان حامل رايتها الإمام محمد بن يحيي الذهلي - وكان من ثقات المحدثين وحفاظهم .[١]

قال الحافظ أبو حامد الأعمشي : « رأيت محمد بن إسماعيل البخاري في جنازة أبي عثمان سعيد بن مروان ، ومحمد بن يحيي يسأله عن الأسامي والكنى وعلل الحديث ويمر فيه محمد بن إسماعيل مثل السهم كأنَّه يقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فما أتى على هذا شهر حتى قال محمد بن يحيي : ألا من يختلف إلى مجلسه لا يختلف إلينا ، فإنَّهم كتبوا إلينا من بغداد : إنَّه تكلم في اللفظ ونهيناه فلم ينته ، فلا تقربوه ، ومن يقربه فلا يقربنا ، فأقام محمد بن اسماعيل ها هنا مدة وخرج إلى بخارى » [٢]

وكان مبدأ ظهور هذه المسألة والقول بها في عهد الإمام أحمد ، وأول من عرف أنَّه قالها الحسين الكرابيسي.[٣]

قال الإمام إسماعيل بن الفضل الأصبهاني : « وأول من قال باللفظ ، وقال : (ألفاظنا بالقرآن مخلوقة) حسين الكرابيسي ، فبدَّعه أحمد بن حنبل ، ووافقه على

---

(١) انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ، للذهبي (٢٧٣/١٢) التقريب (٥١٢) .

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٣١/٢). وانظر : تفصيل المحنة في هدى الساري (٥١٤-٥١٦) .

(٣) أبو علي ، الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي ، البغدادي ، صاحب الشافعي ، وكان عالماً بالفقه والحديث ، مات سنة (٢٤٥) انظر : التهذيب (٣٦٢/٢).

تبديعه علماء الأمصار ... »[١] .

وقد كرِه الإمام أحمد وطائفة من علماء السنة الكلام في هذه المسألة لأنَّها مما ترك السلف الكلام فيها ، وكذا لأنَّ إطلاق القول فيها يوهم لبساً .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : « اللفظ في الأصل : مصدر (لفظ ، يلفظ ، لفظاً) وكذلك التلاوة ، والقراءة ، لكن شاع استعمال ذلك في نفس الكلام الملفوظ المقروء المتلو ، وهو المراد باللفظ في إطلاقهم ، فإذا قيل : (لفظي ، أو : اللفظ بالقرآن مخلوق) أشعر أنَّ هذا القرآن الذي يقرؤه ويلفظ به مخلوق ، وإذا قيل : (لفظي غير مخلوق) أشعر أنَّ شيئاً مما يضاف إليه غير مخلوق وصوته وحركته مخلوقان ، لكن كلام الله الذي يقرؤه غير مخلوق ، والتلاوة قد يراد بها نفس كلام الله الذي يُتلى – وقد يراد بها نفس حركة العبد ، وقد يراد بها مجموعهما .

فإذا أريد بها الكلام نفسه الذى يتلى فالتلاوة هي المتلو ، وإذا أريد بها حركة العبد فالتلاوة ليست هي المتلو ، وإذا أريد بها المجموع فهي متناولة للفعل والكلام ، فلا يطلق عليها أنَّها المتلو ولا أنَّها غيره »[٢]

بيد أنَّ الإمام البخاري لما سُئِل عن اللفظ بالقرآن قال : « أفعالنا مخلوقة ، وألفاظنا من أفعالنا »[٣] ففهم بعض من حضر مجلسه أنَّه يقول : « لفظي بالقرآن مخلوق » فشنَّع عليه من شنَّع ، وحمَّل كلامه مالايريد ، وقوَّله مالم يقل ، والمنصف يرد المجمل إلى المبين ، والمحتمل إلى الصريح[٣]

والإمام البخاري – رحمه الله – قد أبان اعتقاده ، ومقصوده بمثل هذا اللفظ وأنَّه لم يرد باللفظ القرآن ، وإنَّما أراد فعل العبد فهو يقول : « حركاتهم وأصواتهم

---

(١) الحجة في بيان المحجة ، للأصبهاني (١/٣٤٠) .

(٢) مجموع الفتاوي (١٢/٣٠٦-٣٠٧).

(٣) هدي الساري (ص٥١٥).

(٣) انظر : المآخذ على الإمام البخاري في هذه المسألة والجواب عنها ، كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية ص (٢٤٢-٢٤٧).

، واكتسابهم ، وكتابتهم مخلوقة ، فأما القرآن المتلو ، المبين ، المثبت في المصحف ، المسطور ، المكتوب ، الموعى في القلوب ، فهو كلام الله ، ليس بخلق . قال تعالى : ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ (1) (2)

وقد أكثر الإمام البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه من الإستدلال على التفريق بين التلاوة والمتلو ، واللفظ والملفوظ ، وأنَّ التلاوة فعل القاري ، والمراد : فعل التالي وكسبه الذي يكون بآلاته وجوارحه ، ومنه صوته وحركة شفتيه ، وأمَّا المتلو فهو كلام الباري المؤلف من الحروف المنطوقة المسموعة المفهومة .

فقد بوَّب - رحمه الله - لهذا الغرض بأبواب عدة منها :

- باب قوله تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك ﴾[3]
- باب قوله تعالى : ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به ﴾[4]
- باب قوله تعالى : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾[5]
- باب وسمَّى النبي ﷺ الصلاة عملاً
- باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه - عزوجل -
- باب مايجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية .
- باب قوله تعالى : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾[6]
- باب قوله تعالى : ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾[7]
- باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم

---

(1) العنكبوت ، الآية (49).

(2) خلق أفعال العباد (ص42).

(3) القيامة ، الآية (16).

(4) الملك ، الآية (13).

(5) آل عمران ، الآية (93).

(6) القمر ، الآية (17).

(7) البروج ، الأيتان (21-22).

المبحث الثاني
منهج الإمام البخاري في تقرير العقيدة من خلال كتاب التوحيد من صحيحه

المنهج والمنهاج في أصل الوضع اللغوي يعنى : الطريق الواضح البيِّن السَّهل ، ومن ذلك قول ا لله تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾[1] أى : طريقاً واضحاً بيِّناً . ولكن هذه الكلمة صارت عند المتأخرين تطلق إطلاقاً محدثاً ، ويراد بها : الخطة المرسومة ، كمنهج الدراسة ومنهج التعليم ، وقد يلاحظ فيها معنى : الأساليب والخطوات .[2]

ومنهج الإمام البخاري رحمه ا لله في هذا الكتاب هو منهج المتقدمين من علماء السلف ، وهو الاقتصار على النص قرآناً كان أو سنة وما يتعلق بتفسيرهما من كلام المفسرين ، أو اللغويين ، وما يؤيد ذلك من كلام السلف الصالح صحابة كانوا أو تابعين .

والمتأمل لصنيعه يلحظ تصديره لكل باب بآية من كتاب ا لله أو أكثر ثمَّ يذكر في إثرها شيئا من الأحاديث النبوية الموضحة لمراده .

يقول الحافظ ابن حجر : « الذى يظهر من تصرف البخاري في كتاب التوحيد أنَّه يسوق الأحاديث التي وردت في الصفات المقدسة فيدخل كل حديث منها في باب ، ويؤيده بآية من القرآن للإشارة إلى خروجها عن أخبار الآحاد على طريق التنزل في ترك الاحتجاج بها في الاعتقاديات ، وأنَّ من أنكرها خالف الكتاب والسنة جميعاً »[3]

---

(١) المائدة ، الآية (٤٨).

(٢) انظر : لسان العرب (٣٨٣/٢) مفردات ألفاظ القرآن (ص٨٢٥) المعجم الوسيط (٩٥٧/٢)

(٣) فتح الباري (٣٧٢/١٣).

ومن خلال النظر فيما كتبه الإمام البخاري فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد ، - خصوصاً كتاب التوحيد من صحيحه وكتاب « خلق أفعال العباد » - يتبيَّن منهجه في تقرير وفهم العقيدة ومن أبرز أصول ذلك مايلي :

١ - الاعتماد على الكتاب والسنة في تلقي العقيدة والاستدلال على مسائلها

وهذه المصادر هي أصول ديننا وشريعتنا ، التي تعبدنا الله بها .

فالقرآن الكريم ، كلام الله سبحانه وتعالى ووحيه ، وكتابه الذي أنزله تبياناً لكل شيئ وهدى ورحمة ، قال تعالى : ﴿ يأأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لمافي الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾[١]

والسنة هي الوحي الثاني ، وهي المبيِّنة لما أجمل في كتاب الله ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحي يوحى ﴾[٢] ويقول ﷺ :« ألا إنِّي أوتيت القرآن ومثله معه»[٣]

وتحكيم الكتاب والسنة الصحيحة في كل قضية من قضايا العقيدة والإعتصام بهما ، وحصر التلقي في أحكام الدين - أصوله وفروعه - فيهما ، ورد الخلاف إليهما عند التنازع ، وعدم معارضتهما بشئ من التأويل أو القياس أو الرأي أو العقل [٤]. هو مقتضي المنهج الذي عليه سلف الأمة وأئمتها ، قال تعالى : ﴿ يأيها الذين أمنو أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾[٥]

ويقول النبي ﷺ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه »[٦]

---

(١) يونس ، الآية (٥٧)

(٢) النجم ، الآية (٣)

(٣) رواه أحمد (١٩٧٢٢) وأبو داود (٤٦٠٤).

(٤) انظر : منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة (ص٦٤).

(٥) النساء ، الآية (٥٩).

(٦) رواه الإمام مالك في الموطأ (٨٩٩/٢).

والكتاب والسنة إنما تفهمان على وفق فهم نقلتهما إلينا ، وهم الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان ، الذين حملوا لنا هذين الأصلين وبلغوهما لنا ، وهم المخاطبون بهما قبلنا ، وهم الذين شهد لهم الرسول ﷺ بالخيرية المطلقة كما في حديث ابن مسعود في الصحيحين .[١]

والإمام البخاري – رحمه الله – في تقريره مسائل الإعتقاد سار على هذا المنهج ، فكتاب التوحيد من صحيحه ماهو إلاّ آيات كريمات ، وأحاديث من كلام سيد البريات ﷺ يتخللهما نزر يسير من كلام السلف الصالح ، صحابة وتابعين ، وتابعي تابعين ، خصوصاً أئمة التفسير منهم .

ويلحظ المتأمّل في كتاب التوحيد ، أنّ الإمام البخاري – رحمه الله – يحتج بأحاديث الآحاد على مسائل الاعتقاد ، وهذا هو ماعليه علماء السلف ، وأئمة الهدى ، الذين يأخذون بما صح عن النبي ﷺ ، آحاداً كان أم متواتراً ، لا يفرقون بين ما يتعلق بالعقائد أو الأحكام في الإحتجاج بأحاديث الآحاد في كل منهما ، خلافاً لبعض المبتدعة ، الذين يذهبون إلى عدم حجية أحاديث الآحاد في مسائل الاعتقاد لشبه مردودة .

وخلاصة الأمر أنّ الإمام البخاري – رحمه الله – يحصر تلقيه مسائل الإعتقاد على كتاب الله وما صح من سنة النبي ﷺ ، بفهم السلف الصالح ، لايقدم على ذلك عقلاً ولا هوى ولا ذوقاً ، مع التسليم التام لنصوص الوحيين ومدلولاتها ، والتأدب معهما ، وتعظيمهما ، حتى إنّه ليكتفي بإيرادهما تقرير المسألة التي يريد ، دون ذكر شيئ معهما ، إلاّ ما ندر من كلام السلف ، وشيء من استنباطه – رحمه الله – مما يجعله عنواناً لباب أو تعقيباً على نص أورده .

٢ – جمعه بين الكتاب والسنة ، بحيث يفسر أحدهما الآخر ، لأنّه لا يمكن أن يكون هناك تعارض بين مدلولات النصوص من الكتاب والسنة ، فكل منهما وحي من الله جل وعلا . وكل منهما حق ، والحق لايناقض بعضه بعضاً

---

(١) رواه البخاري/كتاب الشهادات / باب لايشهد على شهادة جور إذا أشهد ، ح (٢٦٥٢) ومسلم / كتاب فضائل الصحابة / باب فضائل الصحابة ، (٥٣٣) .

ولذا نجد الإمام البخاري - رحمه ا لله - يورد آية ثمَّ يذكر بعدها شيئاً من الأحاديث التي تفسرها وتوضحها وتؤيدها ،كما فعل في باب قول ا لله تعالى : ﴿ إنَّ ا لله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ وباب قوله تعالى : ﴿ كلُّ شيء هالك إلاَّ وجهه ﴾ وباب قول ا لله تعالى : ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ وغير ذلك كثير .

وأيضاً نجد أنَّ الإمام البخاري - رحمه ا لله - يفسر بعض الأيات بالأثار المروية عن الصحابة رضوان ا لله عليهم ، فلمَّا بوب بقوله ا لله تعالى : ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلاَّ لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ... ﴾ الآية . ذكر عقبه أثر ابن مسعود : « إذا تكلم ا لله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً ... الخ ».

٣ - إعتماده على كلام المفسرين في توضيح معاني النصوص النى يوردها.

ومن المفسرين الذين يكثر من النقل منهم - من غير الصحابة - : (مجاهد ، وعكرمه ، وقتادة ، ومعمر ، ومسروق ، والزهري ، وأبو رزين ، وسفيان بن عيينة) ، وهو تارة يذكر أقوالهم في نفس الآية المراد بيان معناها ، وتارة أخرى يذكر أقوالهم في تفسير آيات مشابهة للآية ، أو تشتمل على كلمة متكررة في الآيتين ، وتارة أخرى يذكر أقوال المفسرين في آيات أخرى من نفس السورة التى منها الآية المراد بيان معناها ـ ولو لم يكن هناك توافق في المعنى والدلالة على جهة الإستطراد .

٤ - تقريره مذهب السلف في الإعتقاد دون غيره ـ ومن الأسس السلفية التى سار عليها :

أ - إثبات ماأثبته ا لله ورسوله من الأسماء والصفات .

ب - إجراء الصفات وإمرارها على ظاهرها .

ج - تنزيه الباري - جل وعلا - عن التشبيه والتمثيل وكل صفات النقص

د - الوقف في أسماء ا لله وصفاته ، فلا يوصف ا لله إلاَّ بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ .

هـ - قلة الكلام ووجازته ، واعتماده على نقل النصوص من الكتاب والسنة ، وأقوال السلف الصالح . وجعلها هى المعبرة عن معتقده وقوله . واعتصامه بألفاظ الكتاب والسنة في باب أسماء ا لله وصفاته ، دون الألفاظ المحدثة المبتدعة .

هذه أهم الجوانب البارزة في منهج الإمام البخاري – رحمه الله – يتبين من خلالها أنّه علم من أعلام العقيدة السلفية ، المستقاة من أدلة الكتاب والسنة النبوية . وبالله التوفيق .

الفصل الثاني

دراسة

كتاب التوحيد من التوضيح لشرح الجامع الصحيح ، لابن الملقن

وفيه سبعة مباحث هي :

المبحث الأول : اسم الشرح ونسبته إلى ابن الملقن .

المبحث الثاني : منهج ابن الملقن في شرح كتاب التوحيد .

المبحث الثالث : مصادره في شرح كتاب التوحيد .

المبحث الرابع : منهجه في تقرير العقيدة .

المبحث الخامس : المقارنة بين الشارح وصاحب المتن في تقرير العقيدة .

المبحث السادس : المقارنة بين هذا الشرح وبعض الشروح المهمة للكتاب نفسه .

المبحث السابع : المؤاخذات على الشارح فى كتاب التوحيد.

المبحث الأول :
اسم الشرح ونسبته إلى ابن الملقن

أولاً : اسم الشرح :

اختُلِفَ في تسمية هذا الكتاب على قولين :

أحدهما :« شواهد التوضيح بشرح الجامع الصحيح ».

وقد جاءت هذه التسمية على غلاف نسخة المكتبات الواقفية بحلب ، وصورتها فى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . وذكره بهذا الاسم حاجي خليفة في كشف الظنون[١] وإسماعيل باشا في « هدية العارفين »[٢] والمباركفوري في « سيرة الإمام البخاري »[٣]

الثاني : «التوضيح لشرح الجامع الصحيح » .

وهذه التسمية هي الراجحة لأمور منها :-

أولاً : نص ابن الملقن على هذه التسمية في مقدمة الكتاب حيث قال : « وسميته : التوضيح لشرح الجامع الصحيح »[٤]

ثانياً : أنَّ هذا الاسم جاء على غلاف عدة نسخ من مخطوطات الكتاب ، منها : نسخة مركز الملك فيصل بالرياض ، ونسخة الخزانة العامة بالرباط ، ونسخة دار الكتب المصرية .

ثالثاً : ذكره العيني كثيراً بقوله :« قال صاحب التوضيح » أو« في التوضيح »[٥]

---

(١) (٥٤٧/١).

(٢) (٥٩١/١).

(٣) (ص١٩٢).

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح "المقدمة وكتاب الوحي" تحقيق زبن العتيبي (١٥٦/١).

(٥) انظرة : عمدة القاري (١٣/١٠). و(١٤/١٣)و(٩٥/٢٥) وغيرها كثير .

رابعاً : ذكر بهذا الاسم خير الدين الزركلي وصوَّر غلاف نسخة دار الكتب المصرية.[١]

خامساً : أنَّ هذا الاسم أقرب إلى موضوع الكتاب فالمؤلف شرح وأوضح الكتاب كاملاً ، ولم يقتصر على الشواهد ، كما فعل العلامة ابن مالك – رحمه الله – في كتابه « شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح »

سادساً : أنَّ النسخة التى جاء على غلافها « شواهد التوضيح » هي نسخة كثيرة الأخطاء والسقط ، كما ذكر ذلك الباحث زبن العتيبي [٢] فلا يلتفت إليها، خاصة وأنها خالفت النسخ المعتمدة للكتاب . والله أعلم .

ثانياً : توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه

تكاثرت الأدلة القاطعة للشك في أنَّ كتاب « التوضيح لشرح الجامع الصحيح » من تأليف الإمام العلامة سراج الدين أبي حفص عمر بن على الأنصاري، المعروف بـ « ابن الملقن » ومن هذه الأدلة :

١ – عدُّ الإمام ابن الملقن هذا الكتاب من مؤلفاته ، كما في العقد المذهب[٣]، له .

٢ – أنَّ كثيراً ممن ترجم لابن الملقن ذكر أنه شرح البخاري في نحو عشرين مجلداً.[٤]

٣ – ماجاء في نهاية الكتاب من قول ابن الملقن : « وكتبه مؤلفه عمر بن على بن أحمد ابن محمد الأنصاري الشافعي ».

---

(١) انظر : الأعلام (٥/٥٧٥).

(٢) انظر : التوضيح – المقدمة وكتاب الوحي – بتحقيق زبن العتيبي (١٤٦/١).

(٣) العقد المذهب في طبقات حملة المذهب (١٣٧/أ).

(٤) انظر : تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان (١٦٩/٣)،و الأعلام للزركلي (٥٧/٥).

٤ – قول سبط ابن العجمي – ناسخ الكتاب – بعد فراغه من نسخة : « وكنت قديماً كتبت النصف الأول من هذا المؤلِّف ، وقرأته على شيخنا العلاَّمة الحافظ سراج الدين أبي حفص عمر المؤلف بالقاهرة ... ».

٥ – إحالاته إلى مصنفاته المشهورة مثل« الإعلام بفوائد عمدة الأحكام » [١] و « شرح الأربعين النووية »[٢] .

٦ – نقولات العلماء – كالعيني وابن حجر – من كتاب التوضيح ، وتعقبهم لبعض ماجاء فيه دليل على ثبوته عندهم .

---

(١) انظر : التوضيح ، تحقيق ، زبن العتيبي (١/١٩٤).

(٢) انظر : التوضيح ، تحقيق سعد الشهراني (١/١٤).

المبحث الثاني
منهج ابن الملقن في شرح كتاب التوحيد

اختط الإمام ابن الملقن منهجاً لهذا الكتاب ذكره في ديباجته ، وأنه يحصر المقصود في عشرة أقسام ، سار عليها في أول الكتاب ، إلا أنَّ هذا المنهج قد اختل في آخر الكتاب فلم يعد يلتزم به ، ولهذا سببان :

الأول : طول الفترة التي أمضاها في تأليفه لهذا الكتاب حيث مكث إحدى وعشرين سنة ، ابتداؤها آخر سنة ثلاث وستين وسبعمائه ، وختامها يوم الأحد ثالث وعشرين المحرم من سنة خمس وثمانين وسبعمائة.[1]

الثاني : ماهو معلوم من صنيع الإمام البخاري من تكراره للحديث ، فغالب الأحاديث المتأخرة ، إنما هي تكرار لأحاديث تقدمت ،و تقدم بيان مايتعلق بها من الأمور التي التزم المؤلف بها ، فلم يعد ثمة حاجة لتكرار ذلك .

إذا تبين هذا فسأقتصر بعون الله على ذكر منهجه الذي سلكه في القسم الذي أقوم بتحقيقه وهو « كتاب التوحيد » .

ابتدأ – رحمه الله – هذا الكتاب بالآية الكريمة : ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ﴾[2] ثمَّ قال « كتاب التوحيد والرد على الجهمية » ، ثمَّ قال : « غالب أحاديثه سلفت »، ثمَّ شرع في الأبواب على النحو التالي :

– يذكر تبويب الإمام البخاري – بنصه – وقد التزم بنص تراجم البخاري ، فلم يتصرف فيها بشيء .

– ثمَّ يذكر الأحاديث التي أوردها الإمام البخاري محذوفة الأسانيد في الغالب عدا الصحابي ، وقلَّما يذكر الحديث بتمام إسناده ، ويكتفي أحياناً بطرف الحديث عن بقيته ، بل قد يُعنوِن للحديث ولا يذكر من متنه شيئاً ، كقوله :

---

(١) انظر : (٧٩٧) من هذا الكتاب .

(٢) الكهف ، الآية (١٠) .

« ذكر فيه : حديث أنس ﷺ في الشفاعة بطوله »[١] . وقوله « ثمَّ ساق قصته [خبيب] من حديث أبي هريرة ﷺ ، وشعره .[٢]

– إذا كان الحديث مكرراً ، ذكر المواضع التى تكرر فيها[٣] ، مشيراً إلى ألفاظ الروايات في بعض الأحيان ، ويكتفي تارة بالإشارة إلى أنَّ الحديث سلف دون ذكر الموضع.[٤]

– يترجم لبعض رواة الحديث ، تارةً عقب الحديث[٥] ، وتارة يرجئ ذلك إلى أن ينتهي من سرد أحاديث الباب ، ويغلب على تراجمه الإيجاز ، وقد يطيل في بعضها.

– إذا أورد الإمام البخاري أحاديث أو أثاراً معلقة ، ذكر من خرَّج هذه المعلقات موصولة ، فإن كان الإمام البخاري وصلها في موضع آخر من الصحيح أشار إليه ، وإذا كان وصله في كتاب آخر ذكر ذلك ، أو ذكر من خرَّجه من أصحاب الكتب الستة [٦] ، وقد يذكر غيرهم .

– إذا أشار الإمام البخاري إلى متابعات للحديث ، ذكرها موصولة .

– بعد إيراده متن الصحيح يبتدئ بالشرح معنوناً له بقوله « الشرح » أحياناً قليلة والغالب عدم ذكرها .

– يقسم الشرح إلى عدة فصول فاصلاً بينهما بكلمة فصل .

– يبين غرض الإمام البخاري من الباب ، ولم يلتزم بهذا في جميع الأبواب .

– يهتم بشرح الكلمات الغريبة ويطيل في ذلك ويكثر النقول من كتب الغريب واللغة .

---

(١) انظر : ص (٣١٦).

(٢) انظر : ص (٢٧٩).

(٣) انظر : على سبيل المثال ص (٢٦٥ و ١٧٥ و ١٩٢).

(٤) انظر : ص (٣١٦ و ١٧٣ و ٢٠٦ و ٣٠٢)

(٥) انظر : ص (٢٢٩ و ٢٤٥).

(٦) انظر : ص (٢٤٥).

- يعيد شرح ماسبق شرحه بنصه تارة ، وأخرى يوجزه ، وتارة يشير إليه ولا يعيده .

- يكثر من النقل من الكتب الأخرى ، ومن أبرزها : شرح ابن بطال وشرح ابن التين ، وأعلام الحديث للخطابي ، وشأن الدعاء له ، ومشكل الحديث وبيانه ، لابن فورك ،و الصحاح للجوهري ، والتمهيد لابن عبدالبر ، يعزو إليها تارة ، والغالب عدم العزو إليها .

- يهتم بالخلافات الفقهية ، ويكثر من النقل عن كتب المالكية « بواسطة شرح ابن بطال وابن التين » المالكيين ، ويقارن بينه وبين المذهب الشافعي الذي يتمذهب به المؤلف ، مشيراً إليه بقوله : « ولنا » أو « عندنا » .

- ذيَّل المؤلف كتابه بذكر أهم مراجعه في هذا الشرح قائلاً : « واعلم أيَّها الناظر في هذا الكتاب أنه نخبة عمرالمتقدمين والمتأخرين إلى يومنا هذا ، فإني نظرت عليه جل كتب هذا الفن من كل نوع . ولنذكر جملة منها »[1]

ثمَّ شرع في ذكر أهم مصادر الكتاب من كتب الحديث والفقة واللغة وغيرها .

---

(١) ص (٧٦١) من هذا الكتاب .

المبحث الثالث
مصادره في شرح كتاب التوحيد .

كان ابن الملقن جمّاعة للكتب جداً كما يقول ابن العماد[١] ، فاجتمع عنده من الكتب والأجزاء مالايدخل تحت حصر ، حتى قيل إنه كان أكثر كتباً من العراقي ، وقد كان العراقي كثير الكتب والأجزاء ، قال عنه الحافظ ابن حجر : لم أر عند أحد بالقاهرة أكثر من كتبه .[٢]

وجرت عادة ابن الملقن – رحمه الله – على ذكر أهم مصادره وموارده في بداية كتبه ، كما هو الحال في كتابيه « البدر المنير » و « تحفة المحتاج ».

وفي كتاب التوضيح ذكر ابن الملقن أهم مصادره في أواخر الكتاب حيث عدد مايزيد على مائتي كتاب من كتب الحديث ، وكتب الرجال ،والسير ، والمغازي ، و الخلافيّات ، والموضوعات ، و العلل ، و المراسيل ، و اللغة ، والغريب وغيرها .

وسأقتصر في هذا المبحث على المصادر التى صرح بالنقل منها في كتاب التوحيد من التوضيح ، لأنّه موضع الدراسة ، وهي كالتالي :

١ – الأدب المفرد ـ للبخاري .

٢ – الإرشاد ، لأبي المعالي الجويني .

٣ – أعلام الحديث ، للخطابي .

٤ – الأفعال ، غير منسوب .

٥ – الأم ، للشافعي .

٦ – الباقيات الصالحات ، للدمياطي .

٧ – تفسير الطبري .

---

(١) شذرات الذهب (٤٥/٧) .

(٢) الضوء اللامع (٤ /١٧٦) وانظر : مقدمة الدكتور عبدالله اللحياني لكتاب تحفة المحتاج ، لابن الملقن (١ / ٥٥) .

٨ – تفسير الفريابي .

٩ – التمهيد ، لأبي الحسن

١٠ – الجامع ،للقزاز .

١١ – جمهرة اللغة ، لابن دريد .

١٢ – الحيدة ، لعبدالعزيز الكناني .

١٣ – خلق أفعال العباد ،للبخاري .

١٤ – الدعوات ، للمستغفري .

١٥ – سنن أبي داود .

١٦ – سنن الترمذي .

١٧ – سنن النسائي .

١٨ – شرح ابن بطال (على البخاري).

١٩ – شرح ابن التين (على البخاري).

٢٠ – شرح الداوودي (على البخاري).

٢١ – الشفاء ، للقاضي عياض .

٢٢ – الصحاح ، للجوهري .

٢٣ – صحيح ابن حبان .

٢٤ – صحيح مسلم .

٢٥ – عمل اليوم والليلة ، للنسائي .

٢٦ – العين ، (منسوب للخليل) .

٢٧ – غريب الحديث ، للخطّابي .

٢٨ – غريب الحديث ، للهروي .

٢٩ – الغريبين ، للهروي .

٣٠ – المحكم ، لابن سيده .

٣١ – المدخل إلى معرفة الإكليل ، للحاكم .

٣٢ – المدونة ، للإمام مالك .

٣٣ – المسند ، للإمام أحمد .

٣٤ – مسند الحارث بن أبي أسامة .

٣٥ – مشكل الحديث وبيانه ، لابن فورك .

٣٦ – معاني القرآن ، للزجاج .

٣٧ – معاني القرآن ، للنحاس .

٣٨ – المعجم الأوسط ، للطبراني .

٣٩ – المنهاج ، للحليمي .

المبحث الرابع
منهجه في تقرير العقيدة ، ومناقشة الفرق المخالفة .

أولاً : منهجه في تقرير العقيدة .

اعتمد العلامة ابن الملقن – رحمه الله – في تقريره مسائل الاعتقاد على ثلاثة كتب ، أحدها : كتاب شرح ابن بطال على صحيح البخاري ويكاد ابن الملقن أن يكون قد ضمن كتابه هذا الكتاب بكامله – في الجزء موضع الدراسة – ثانيها : كتاب مشكل الحديث وبيانه ، لابن فورك . ثالثها : كتب الإمام الخطابي (أعلام الحديث / معالم السنن / شأن الدعاء).

وقد كان لهذا أعظم الأثر في منهجية العلامة ابن الملقن في تقريره مسائل الاعتقاد[١] ومن أبرز ملامح هذا المنهج مايلي :

١ – منهجه في الاستدلال بالقرآن الكريم :

القرآن الكريم هو الأساس الأول الذي تقوم عليه عقائد الإسلام وعباداته وأحكامه وتوجيهاته ، والمصدر الأول الذي تستقى منه هذه العقائد والعبادات والأحكام والتوجيهات ، وعليه تستند السُّنة فيما تضمنته من ذلك ، وفي ضرورة الأخذ بها من تفصيل ما أجمله القرآن ، أو ماقررته ابتداءً من أحكام ، ولهذا كانت آياته من الأدلة السمعية الأولى لأنه متواتر ، قطعي الثبوت.[٢]

---

(١) اعتبرت نقولات ابن الملقن التى ساقها على جهة التقرير دون أن يعقبها بنقد أو رد قولاً له . لأن سياقه لها وسكوته على ذلك إقرار منه بها .

(٢) انظر : منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة ، للدكتور أحمد آل عبداللطيف (ص٢٢٩).

والعلاّمة ابن الملقن – رحمه الله – قد أولى النص القرآني عناية كبيرة ، واستدل به على مسائل عدة من مسائل الاعتقاد ، ومن ذلك إثبات صفة العلم لله تعالى .

يقول رحمه الله : « وقد نص تعالى على إثبات علمه بقوله تعالى : ﴿ إنَّ الله عنده علم الساعة ﴾[١] وبقوله : ﴿ أنزله بعلمه ﴾[٢] وغيرها من الآيات [٣].

وفي سياق إبطاله قول المعتزلة : إنَّ الله غير متكلم ، يقول – رحمه الله – : « وهذا كفر قد نصَّ الله على إبطاله بقوله : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾[٤]

ويستدل على وقوع الصغائر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بآيات كثيرة ، يقول رحمه الله : « وقد ذكر الله في كتابه ذنوب الأنبياء فقال :﴿ وعصى آدم ربَّه فغوى ﴾[٥] وقال نوح لربه : ﴿ إنَّ ابني من أهلي ﴾[٦] فسأله أن ينجيه ، وقد كان تقدم إليه فقال : ﴿ ولا تخاطبنى في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾[٧] وقال إبراهيم : ﴿ والذي أطمع أن يغفرلي خطيئتي يوم الدين﴾ [٨]

ولما أورد إنكار المعتزلة للميزان قال : « وهذا مخالف لنص الكتاب والسنة » [٩] بل يدعو – رحمه الله – إلى عدم الالتفات إلى من ردَّ نصوص الكتاب والسنة ، فهو

---

(١) لقمان ، الآية (٣٤).

(٢) النساء ، الآية (١٦٦).

(٣) ص (٢٠٧) من هذا الكتاب .

(٤) الصافات ، الآية (١٧١).

(٥) طه ، الآية (١٢١).

(٦) هود ، الآية (٤٥).

(٧) هود ، الآية (٣٧).

(٨) ص (٣٢٦) من هذا الكتاب .

(٩) ص (٧٤٧) من هذا الكتاب .

لمّا ذكر قول من قال : « إنَّ علمه تعالى محدث » قال : « وقد نبَّه ا لله على خلاف هذا بقوله ... إلى أن قال : « فلا يلتفت إلى من رد نصوص الكتاب والسنة ».[١]

ولكن هل كان ابن الملقن يأخذ بدلالة الظواهر القرآنية على مضمونها من العقائد أخذاً مطلقاً ، أم يرفض الأخذ بها رفضاً مطلقاً أم إنَّ موقفه من ذلك يختلف بإختلاف علاقة هذه الظواهر بالدليل العقلي ؟!

وللإجابة على هذا السؤال لابد من معرفة موقف المؤلف من قضيتين هامتين ، الأولى : التأويل والثانية : المجاز في نصوص التنزيل . وهو ماسنأتي على بيانه بمشيئة ا لله وعونه .

عند استقراء منهج المؤلف في شرحه كتاب التوحيد من التوضيح نجد أنّه يوجب في مواضع كثيرة صرف النصوص القرآنية أو النبوية عن ظاهرها لشبهة مخالفة الظاهر للدليل العقلي .

يقول المؤلف: « وقوله: « نور »كقوله : ﴿ ا لله نور السموات والأرض ﴾ [٢] وواجب صرفه عن ظاهره ، لقيام الدليل على أنه لا يجوز أن يوصف بأنه نور »[٣]

ويقول نقلاً عن ابن بطال : « عند في ظاهر اللغة تقتضي أنها للموضع ، وا لله تعالى يتعالى عن الحلول في المواضع ، لأن ذلك من صفات الأجسام ، إذ الحال في موضع لا يكون بالحلول فيه بأولى منه بالحلول في غيره إلا لأمر يخصه حلوله فيه ، والحلول فيه : عرض من الأعراض يفني بمجيئ حلول آخر يحل به في غير ذلك المكان ، والحلول محدث ، والحوادث لا تليق به تعالى ، لدلالتها على حدث من قامت به ؛ فوجب صرف « عند » عن ظاهرها إلى مايليق به تعالى ... »[٤]

---

(١) ص (٢٠٨) من هذا الكتاب .

(٢) النور ، الآية (٣٥).

(٣) ص (٢٤٢) من هذا الكتاب .

(٤) ص (٢٩٢) من هذا الكتاب .

ويقول : « وقوله : ((فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون)) ليس الإتيان هنا على المعهود فيما بيننا ، الذي هو انتقال وحركة ، لاستحالة وصفه تعالى نفسه بما توصف به الأجسام ، فوجب حمله على أنه تعالى يفعل فعلاً يسميه إتياناً ، وصف تعالى به نفسه ... »[1]

ويقول : « ... فوجب أن يكون تأويل الرداء مصروفاً إلى أنَّ المراد به الآفة المانعة من رؤيته تعالى ، الموجودة بأبصارهم ... »[2]

هذه النصوص وغيرها كثير ، يتضح منها أنَّ المؤلف – عفا الله عنه – يذهب إلى التأويل بل يوجبه ويحتم المصير إليه ، بدعوى أنَّ هذا الظاهر يتعارض مع الدليل العقلي .

والمؤلف لا يجد غضاضة في هذا ، لأنه يذهب إلى وقوع المجاز في النصوص السمعية للأسماء والصفات .

يقول المؤلف : « ووصفه تعالى لنفسه بأنه يتقرب إلى عبده ، ووصف العبد بالتقرب إليه ، ووصفه بإتيانه هرولة ، فإن التقرب والإتيان وإن كان يحتمل الحقيقة والمجاز ، وحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات وترائي الأجسام وذلك لا يليق به تعالى ، فاستحال حملها عليه ، فتعيَّن المجاز لشهرة ذلك في كلام العرب ... »[3]

ويقول أيضاً : « وأمَّا وصفه تعالى بالصورة ففيه إيهام للمجسِّمة ، وأنه تعالى ذو صورة ولا حجة فيه ، لأن الصورة ها هنا يحتمل أن تكون بمعنى العلامة وضعها تعالى دليلاً على معرفته ، أو التفرقة بينه وبين مخلوقاته ، فسمى الدليل والعلامة صورة « مجازاً » كما تقول العرب : صورة حديثك كيت وكيت ، وصورة أمرك كذا وكذا »[4]

---

(١) ص (٤٠٥) من هذا الكتاب .

(٢) ص (٤٤١) من هذا الكتاب .

(٣) ص (٢٩٨) من هذا الكتاب .

(٤) ص (٤٠٧ – ٤٠٨) من هذا الكتاب .

فهذه النصوص المنقوله من كلام المؤلف يتضح منها منهج المؤلف في التعامل مع الأدلة السمعية ، ومخالفته في ذلك لمنهج السلف الصالح الذين يُمِرُّون نصوص الأسماء والصفات على ظاهرها ، على مايليق بجلال الله وعظمته ، وموافقته للمتكلمين في هذا المنهج الخاطئ ، مع أنه أنكر على المعتزلة حملهم قول الله عزوجل : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾[١] على المجاز .

فقال : « وزعمت المعتزلة أنَّ وصفه تعالى لنفسه بالأمر والقول في هذه الآية مجاز واتساع ، على نحو ما تقول العرب : « مال الحائط فمال » ، « وامتلأ الحوض وقال قطني »[٢] ، وقولهم فاسد لأنه عدول عن ظاهر الآية وحملها على غير حقيقتها ، وإنما وجب حمل الآية على ظاهرها ... »[٣]

فالمؤلف قد وقع في نحو ما أنكره على المعتزلة ، لأنَّ العقل لا ضابط له ولا يصح بأي حال من الأحوال أن يكون حاكماً على ماصح من الأدلة السمعيه ، والقول في بعض نصوص الأسماء والصفات كالقول في بعضها الأخر ، لافرق .

ويرجع خطأ المؤولة – ومنهم ابن الملقن – إلى دعوى تعارض العقل مع النقل مما يوجب عدم القول بظواهر النصوص وتأويل معانيها ، يرجع ذلك إلى أمرين :

الأول : اعتبارهم لما يقيمونه من الأدلة العقلية – معارضين بها المعاني الصحيحة للآيات والأحاديث – اعتبارهم إيَّاها أدلة قطعية ، بينما هي في الحقيقة ليست كذلك ، فإنه إذا وزن بالميزان الصحيح –كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –: « وجد مايعارض الكتاب والسنة من المجهولات لا من المعقولات »[٤]

---

(١) الأعراف ، الآية (٥٤).

(٢) شطر من بيت ، يأتي الكلام عليه ص (٢٣٥ و ٤٧٦ و ٤٤٨)

(٣) ص (٤٧٦) من هذا الكتاب .

(٤) التدمرية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٤٩).

الثاني : فهمهم من الآيات والأحاديث معاني باطلة يعتبرونها هي الظواهر المستفادة من تلك الأيات ، ومن ثمَّ يقيمون الدليل العقلي على استحالتها ، ثمَّ يؤلونها بمعان أخرى .

ويرى علماء السلف أنَّ هذه المعاني الباطلة في حق ا لله تعالى لايمكن أن تكون هي الظواهر المرادة من آيات الصفات ، فظواهر القرآن والسنة الصحيحة يستحيل أن تكون كفراً ، بل ظواهرها هي معانيها التي تدل عليها دلالة واضحة على مايليق بذات ا لله تعالى .

يقول شيخ الإسلام : « لفظ الظاهر فيه إجمال واشتراك ، فإن كان القائل يعتقد أنَّ ظاهرها [ظاهر الآيات والأحاديث في الصفات] التمثيل بصفات المخلوقين أو ما هو من خصائصهم فلا ريب أنَّ هذا غير مراد ، ولكنَّ السلف والأئمة لم يكونوا يسمُّون هذا ظاهرها ، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفراً وباطلاً ، وا لله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم من أن يكون الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ماهو كفر وضلال » [1] .

فغاية ماينتهي إليه المتكلمون في هذا المقام ، أنَّهم يعمدون إلى معنى فاسد فيجعلونه هو ظاهر اللفظ حتى يجعلوه محتاجاً إلى التأويل ، وهذا هو مناط خطئهم.[2] ولذا عمد ابن الملقن إلى تأويل كثير من نصوص الصفات تجنباً لتلك الظواهر التى توهمها .

---

(١) المرجع السابق ص (٤٧) .

(٢) انظر : منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة ، (ص٣١٠-٣١١).

٢ - منهجه في الاستدلال بالسنة النبوية

يُعد العلاَّمة ابن الملقن من المهتمين بالحديث النبوي والمشتغلين به رواية ودراية وله في ذلك المؤلفات الكثيرة ، وما كتابنا هذا إلاَّ ثمرة تبين مكانة الحديث النبوي عند ابن الملقن .

والسُّنة النبوية الصحيحة هي المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية منها تؤخذ الأحكام والعقائد ، فهي المبيِّنة لما أجمل في القرآن ، ودلت على مسائل كثيرة استقلالاً ، إذ هي الوحي الثاني كما قال جلَّ جلاله :﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحي يوحى ﴾[١] وقال صلى الله عليه وسلم : « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه »[٢]

والعلاَّمة ابن الملقن – رحمه الله – يستدل على كثير من مسائله بحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم سواءً كان الحديث متواتراً أم آحاداً ، فهو ينكر على المعتزلة عدم أخذهم بأحاديث الآحاد لَّما أراد إثبات مسألة من مسائل الإعتقاد وهي إثبات حوض المصطفى صلى الله عليه وسلم .

يقول –رحمه الله– : " فيه [أي في حديث أنس « فإني على الحوض »] إثبات حوضه الكريم ، خلافاً لمنكريه من المعتزلة وغيرهم ، ممن يدفع أخبار الآحاد ، وجمهور الأمة على خلافهم ، يؤمنون بالحوض على ماثبت في السنن الصحاح »[٣]

وهذا توجه من المؤلف ـ رحمه الله ـ إلى الأخذ بما صح من السُّنة في الاحتجاج على مسائل الإعتقاد ولو لم يبلغ الحديث درجة التواتر .

إلاَّ أنَّنا نجد المؤلف في موضع آخر يورد اختيار بعض العلماء فيقول : « واختار بعضهم أنَّه لايسمى إلاَّ بما سمى به نفسه أو رسوله ، من طريق متواتر لاآحاد يوجب

---

(١) النجم ، الآيتان (٣ ، ٤) .

(٢) رواه أحمد في المسند (١٣١/٤) من حديث المقدام بن معد يكرب .

(٣) صـ (٤٣٨).

عليه الظن ... »[١] دون أن يعقب عليه ، مما قد يتبادر إلى الذهن موافقته للمتكلمين في مايذهبون إليه من أنَّ أخبار الآحاد تفيد الظن دون العلم .

وأورد أيضاً قول الخطابي : « ذِكْرُ الأصابع لم يوجد في كتاب ولاسنة مقطوع بصحتها »[٢] مع أنَّ الحديث في هذه المسألة مخرج في الصحيحين إلاَّ أنَّه حديث آحاد ، فهو عند الخطابي غير مقطوع بصحته ، والمؤلف لمَّا أورد كلام الخطابي لم يتعقبه بشيء ، مما يعني موافقته له ، وإن كان النص الأول قد يدفع هذا المعنى ، والله أعلم .

هذا موقف ابن الملقن من حديث الآحاد ودلالته ، أمَّا الحديث المتواتر فهو من باب أولى.

بيد أنَّ موقف ابن الملقن من ظواهر نصوص السنة النبوية فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد هو ذاته الموقف المتقدم من نصوص القرآن الكريم ألا وهو التأويل ، وحمل النص على المجاز متى ماتعارض ـ في نظره ـ الظاهر مع الدلالة العقلية .

يقول ابن الملقن : « ووصفه تعالى لنفسه بأنَّه يتقرب إلى عبده ، ووصف العبدبالتقرب إليه ، ووصفه بإتيانه هرولة ، فإنَّ التقرب والإتيان وإن كان يحتمل الحقيقة والمجاز ، وحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات وترائي الأجسام ، وذلك لايليق به تعالى ، فاستحال حملها عليه ، فتعين المجاز لشهرة ذلك في كلام العرب ...»[٣] وقال بنحو هذا أيضاً في بيان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ رحمتي تغلب غضبي »[٤] .

يعلم من هذا أنَّ ابن الملقن يذهب إلى تأويل نصوص الشريعة متى ماظن أنَّ ذلك يتعارض مع الدلالة العقلية .

---

(١) صـ (٢٦١).

(٢) صـ (٣٣٠).

(٣) صـ (٢٩٨) .

(٤) انظر صـ (٢٩٣).

ولمّا حكى الإجماع على الإيمان بالميزان لتواتر أحاديثه نجد أنّه قد ذهب إلى تأويله عن ظاهره[١] .

ولاشك أنّ هذا الموقف من ابن الملقن نحو نصوص السنة النبوية مسلك خاطيء لايقر عليه . وقد تقدمت مناقشة المؤلف في هذا قريباً.

٣ – منهجه في الاستدلال العقلي على مسائل الاعتقاد :

خلق ا لله للإنسان عقلاً ، وجعله دليلاً إلى الإيمان به ، والتعرف عليه ، ومميزاً له بين الخير ومايوصل إليه ، والشر ومايبعد عنه .

ومع هذا التكريم منه سبحانه للإنسان بالعقل ، صار الناس فيه نحلاً أشتاتاً ، وتبعهم على ذلك أمة النبي صلى ا لله عليه وسلم فمنهم من غلا وأعطى العقل فوق قدره، فجعله حاكماً على الوحي ، ورقيباً عليه ، وهؤلاء هم جمهور المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية .

وطرف آخر على النقيض من هؤلاء حيث عطلوا العقل وخضعوا للذوق وهؤلاء هم غلاة الصوفية

فهدى ا لله أهل السنة والجماعة فأعطوا للعقل دوره ، وحجّموه بحجمه فلم يغلوا فيه ، ولم يرغبوا عنه ، فأعملوه في فهم آيات ا لله الكونية والشرعية[٢] وضبطوه بضابط الشرع ، وجعلوا نصوص القرآن وماصح من سنن النبي صلى ا لله عليه وسلم مهيمنة عليه ، مستيقنين بأنّه لاتعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول

وعند سبر منهج ابن الملقن وموقفه من هذه القضية يتضح لنا مايلي :

تأثر المؤلف ـ عفا ا لله عنه ـ بمنهج المتكلمين ؛ فهو يذهب إلى صحة دليل الأعراض وحدوث الأجسام ، ويحتج به على وجوب تأويل ظواهر النصوص الشرعية فيما

---

(١) انظر صـ (٣٣٥).

(٢) انظر : منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة (صـ ١٨١).

يتعلق بأسماء الله وصفاته إلى معانٍ لاتتعارض مع هذا الدليل العقلي الذي ارتضى صحته .

يقول : « والدليل على استحالة كونه جسماً ؛ أنَّ الجسم موضوع في اللغة للمؤلف المجتمع ، وذلك محال عليه ـ تعالى ـ لأنَّه لو كان كذلك لم ينفك عن الأعراض المتعاقبة عليه ، الدالة ـ بتعاقبها عليه ـ على حدثها ، لفناء بعضها عند مجيء أضدادها ، ومالاينفك عن المحدثات فمحدث مثلها ؛ وقد قام الدليل على قدمه ـ تعالى ـ فبطل كونه جسماً »[١]

ولَمَّا استقر للمؤلف قوله : « إنَّ الله ليس بجسم » طرد على هذه القاعدة ، منهجه في أنَّ إثبات الصفات الاختيارية لله تعالى يقتضي أن يكون الموصوف جسماً ، والجسم حادث ؛ فالنتيجة نفي قيام الصفات الاختيارية بالله تعالى ، أو تأويل معانيها إلى معان باطلة ، بحجة أنَّ إثبات ظاهر النص يلزم منه التجسيم .

ولذا نجد أنَّ المؤلف يذهب إلى تأويل كثير من الصفات ، ومن ذلك صفة الرحمة ، والغضب ، والسخط ، والإرادة ، والمحبة ، والإتيان ، والمشي ، والضحك ، والنزول ، وغيرها من الصفات الاختيارية، وكذا صفة الساق ، واليمين ، والقبض ، والإصبع ، وغيرها من الصفات الخبرية . وكل ذلك فراراً من التجسيم الذي ظنه لازماً لمن أثبت ظواهر نصوص أسماء الله وصفاته .

يقول ابن الملقن : « القَدَم لفظ مشترك يصلح استعماله في الجارحة وفيما ليس بجارحة ، فيستحيل وصفه تعالى بالقَدَم الذي هو الجارحة ، لأنَّ وصفه بذلك يوجب أن يكون جسماً والجسم مؤلف حامل للصفات وأضدادها غير متوهم خلوه منها ، وقد بان أنَّ التضادات لايصح وجودها معاً ، وإذا استحال هذا ثبت وجودها عن طريق التعاقب ، وعدم بعضها عند مجيء بعض ، وذلك دليل على حدوثها ، ومالايصح خلوه من الحوادث ؛ فواجب كونه محدثاً ، فثبت أنَّ المراد بالقدم في هذا

---

[١] صـ (١٧٦) .

الحديث :خلق من خلقه، تقدم علمه أنَّه لايملأ جهنم إلاَّ به ، قاله ابن بطال ...» [١]
ثم ذكرعقب ذلك عدة أقوال لمعنى «القدم» ليس منها القول بإثباتها صفة حقيقية لله تعالى على مايليق بجلاله ، الذي هو مقتضى ظاهر الحديث .

ويقول أيضاً في بيان معنى قول النبي صلى ا لله عليه وسلم : ((وهو وضْعٌ عنده على العرش)) نقلاً عن ابن بطال دون أن يتعقب كلامه بما يبين انكاره له : " «عند» في ظاهر اللغة تقتضي أنَّها للموضع ، وا لله تعالى يتعالى عن الحلول في المواضع ، لأنَّ ذلك من صفات الأجسام ، إذا الحال في موضع لايكون بالحلول فيه بأولى منه بالحلول في غيره ،إلاَّ لأمريخصه حلوله فيه ، والحلول فيه عرض من الأعراض يفنى بمجيء حلول آخر يحل به في غير ذلك المكان ، والحلول محدَث ، والحوادث لاتليق به تعالى ، لدلالتها على حدث من قامت به ، فوجب صرف «عند» عن ظاهرها إلى مايليق به ـ تعالى ـ وهو أنَّه أراد عليه السلام إثبات علمه بإثابة من سبق علمه أنَّه عامل بطاعته وعقاب من سبق علمه أنَّه عامل بمعصية " [٢] .

من هذه النصوص يتبين للقاريء الكريم مدى تأثير التزام المؤلف لبعض الأصول العقليَّة للمتكلمين على منهجيته في إثبات أو نفي صفات ا لله تبارك وتعالى .

إنَّ إعطاء المؤلف للعقل دوراً أكبر من حجمه ، وإعماله في أمور غيبية لامجال له فيها ، وعدم التسليم المطلق لظواهر النصوص الدالة على صفات ا لله تعالى ، وجعل موافقة الدليل العقلي _ كما يفهمه المتكلمون _ شرطاً للقول بمدلول الدليل الشرعي النصي ، أوقع المؤلف في محاذير عديدة ومخالفات شنيعة أودت به إلى التخبط والخطأ في هذا الأمر الجسيم والأصل العظيم – وما بني على باطل فهو باطل – .

وهذا المسلك الذي ارتضاه المؤلف وصحَّحه واتخذه سلاحاً ضد إثبات مدلول الأدلة السمعية هو أصل باطل قد أكثر علماء السلف من نقده وذمِّه لوجوه ، منها :

أ / أنَّه مبني على دليل طويل كثير المقدمات لايفهمها كثير من الناس .

---

(١) صـ (٢٣٤) .

(٢) صـ (٢٩٢).

ب/ أنَّه دليل مبتدع في دين الله ، لم يدع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه من بعده ، ولاأئمة السلف ، وإنَّما هو قول مبتدع حدث بعد المائة الأولى وانقراض عهد التابعين .

ج/ أنَّه يلزم عليه لوازم فاسدة ، من نفي صفات الله ، وإيجاب صرف معاني النصوص السمعية عن مدلولاتها ، وكل هذا خلاف المعقول الصحيح ، وخلاف الكتاب والسنة [١] .

يقول قوّام السنة ـ رحمه الله ـ : « ولانُعارض سنة النبي صلى الله عليه وسلم بالمعقول ، لأنَّ الدين إنَّما هو الإنقياد والتسليم ، دون الردِّ ، والرضا يوجبه العقل لأنَّ العقل مايؤدي إلى قبول السنة ، فأمّا مايؤدي إلى إبطالها فهو جهل لاعقل »[٢]

ويقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « ماعلم بصريح العقل لايتصور أن يعارضه الشرع البتَّة ، بل المنقول الصحيح لايعارضه معقول صريح قط .وقد تأمَّلت ذلك في عامة ماتنازع الناس فيه ، فوجدت ماخالف النصوص الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها ، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع .

وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار كمسائل التوحيد والصفات ، ومسائل القدر ، والنبوات ، والمعاد ، وغير ذلك ، ووجدت مايعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط ، بل السمع الذي يقال إنَّه يخالفه إما حديث موضوع ، أودلالة ضعيفة ، فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضة العقل الصريح ، فكيف إذا خالفه صريح المعقول .

ونحن نعلم أنَّ الرسل لايخبرون بمحالات العقول بل بمحارات العقول ، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه ، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته »[٣]

---

(١) انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ٩٩١) .

(٢) الحجة لقوّام السنة (ق/ ٢٦٩) ، عن كتاب موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) .

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٤٧).

٤ - منهجه في مناقشة الفرق المخالفة :

لَّما كان جلُّ كتاب التوحيد يدور حول قضايا توحيد الأسماء والصفات كان طبعياً أن يكون الشرح موافقاً للمتن من حيث الموضوعات المبحوثة .

وتوحيد الأسماء والصفات باب كثر فيه الاختلاف بين طوائف المسلمين ، بناء على اختلاف مناهجهم في بحث هذا الأمر المهم ، ويعد ذلك مصداقاً لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال : « تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة »[1]

وخلاصة أقوال الطوائف في باب الأسماء والصفات مايلي :

١/ **قول الجهمية** : الذين ينفون الأسماء والصفات جميعاً ، ويوافقهم على هذا كثير من الفلاسفة والباطنية وغيرهم الذين يصفونه بالسلوب والإضافات فقط .

٢/ **قول المعتزلة** : الذين يثبتون الأسماء وينفون الصفات ، ولكن إثبات هؤلاء للأسماء لايفيدهم شيئاً لأنَّهم يقولون إما أنَّها أعلام محضة لاتدل على صفات ، أو يقولون عليم بلا علم ، قدير بلا قدرة .

٣/ **قول الأشاعرة والكلابية** : الذين يثبتون الأسماء وبعض الصفات ، ويتأولون بعضها ـ على اختلاف فيما بينهم ـ أو يفوضون المعاني .

٤/ **قول المشبهة** : الذين يثبتون الصفات ، ولكنهم يجعلونها من جنس صفات المخلوقين ، فيشبهون الله بخلقه .

---

[1] رواه أبو داود في سننه / كتاب السنة / باب شرح السنة / ح (٤٥٩٦) وابن ماجه / باب افتراق الأمم ح (٣٩٩١) والترمذي / كتاب الإيمان / باب ماجاء في افتراق الأمة ح (٢٦٤٠) وقال : حديث حسن صحيح .

٥/ **قول من يتوقف فيها :** إما أنَّهم يقولون ـ يجوز أن يكون المراد بالصفات مايليق با لله ، أو أموراً أخرى، وإما أنَّهم لايبحثون ذلك مطلقاً بل يقتصرون على تلاوة القرآن ، وقراءة الحديث .

٦/ **قول الغلاة من القرامطة والباطنية :** الذين قالوا : إن أثبتنا الصفات شبَّهناه بالموجودات ، وإن نفيناها شبَّهناه بالمعدومات ، ولذا فالأولى سلب النقيضين عنه ، فيقال لاموجود ولامعدوم ، ولاحي ولاميت ، وبعضهم يقول : لاموجود ولاليس بموجود ، ولامعدوم ولاليس بمعدوم وهكذا .

٧/ **قول أهل السنة والجماعة :** الذين يثبتون ماأثبته ا لله لنفسه أو أثبته له رسوله صلى ا لله عليه وسلم من غير تحريف ولاتكييف ، ومن غير تمثيل ولاتعطيل ، فهم يثبتون الصفات على مايليق بجلال ا لله وعظمته .[1]

هذه هي أهم أقوال الطوائف والفرق فيما يتعلق بأسماء ا لله وصفاته ، وفي هذا المبحث سأعمل على بيان منهج المؤلف ـ رحمه ا لله ـ في ردوده ومناقشته الفرق المخالفة لما يسعى المؤلف لتقريره من مسائل الاعتقاد ـ خصوصاً مايتعلق بمباحث الأسماء والصفات .

ولّما كان المؤلف يميل إلى درجة كبيرة إلى مذهب الأشاعرة ، فقد كانت مناقشاته في غالبها وردوده منصبة على طائفتين : أولاهما: (القدرية) المعتزلة ، والثانية :المجسِّمة ـ بزعمهم ـ [2] ، ولعل هذا المبحث يعطي صورة واضحة لمنهجية المؤلف في الرد على هاتين الطائفتين وغيرهما من الطوائف

أولاً : منهج ابن الملقن في مناقشة القدرية (المعتزلة) .

القدرية هي إحدى أصول الفرق المخالفة لمعتقد أهل السنة والجماعة ، إلاَّ أنَّ هذه الفرقة قد انقرضت ، ولكن معتقداتها وتعاليمها بقيت محفوظة في فرقة المعتزلة التي أخذت تلك التعاليم وشرحتها وتوسعت فيها ، ولهذا يمكننا أن نعتبر المعتزلة ورثة

---

(١) انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٠٣٢).

(٢) من وجهة نظر المؤلف ، ويأتي قريباً مناقشة هذا المصطلح .

القدرية إذ لم يكن بينهما شيء من الخلاف ، وقد اندمجت الفرقتان حال ظهور المعتزلة ، فأصبح القدرية والمعتزلة فرقة واحدة[١] .

ولذا نجد أنَّ المؤلف ـ رحمه الله ـ يذكر تارة القدرية وتارة أخرى يذكر المعتزلة ومراده واحد ، ولذا فإنِّني سوف أعتبر الفرقتين فرقة واحدة في هذا المبحث .

أكثر المؤلف –رحمه الله– من ذكر خلاف القدرية والمعتزلة لما يقرره من مسائل الاعتقاد ولعل أبرز المسائل التي ناقشهم فيها ورد عليهم مايلي :

١/ **مسألة الوجوب العقلي** : من الأصول المتفق عليها عند المعتزلة : « العدل » ويعد هو الأصل الثاني من أصولهم الخمسة والمراد به عندهم :« أنَّ أفعال الله تعالى كلها حسنة ، وأنَّه لايفعل القبيح ، ولايخل بما هو واجب عليه »[٢]

والحسن والقبح عندهم إنَّما يدرك بالعقل ، فالعقل هو الحاكم بالحسن والقبح ، فما حكم العقل بحسنه فهو الحسن ، وماحكم العقل بقبحه فهو القبيح ، ومن ثمَّ فكل ماحكم العقل بحسنه فواجب على الله فعله وكل ماحكم العقل بقبحه فليس من فعل الله لأنَّه لايجوز أن يخل الله بما هو واجب عليه . – تعالى الله أن يوجب عليه عبده شيئاً – .

والمؤلف ـ رحمه الله ـ يخالف المعتزلة فيما ذهبوا إليه من الإيجاب العقلي .

يقول المؤلف : " وقوله « حق العباد على الله أن لايعذبهم » يريد : حقاً علم من جهة الشرع بوعده لمن أطاعه بالنجاة من عذابه ، إلاَّ أنَّه واجب عقلاً عند المعتزلة [٣] " .

ولمَّا أورد قول النبي صلى الله عليه وسلم : «كان حقاً على الله أن يدخله الجنة » قال : " فيه تعلق للمعتزلة والقدرية ، القائلين بأنَّ الله واجب عليه الوفاء لعبده

---

(١) انظر المعتزلة وأصولهم الخمسة ، تأليف عواد المعتق (صـ ٤٠).

(٢) شرح الأصول الخمسة صـ (١٣٢).

(٣) صـ (١٨٦).

الطائع بأجر عمله ، وأنّه لو أخره عنه في الآخرة كان ظالماً له ، وهذا متقرر عندهم في العقول ، قالوا: وجاءت السنة بتأكيد مافي العقول من ذلك . وقولهم فاسد .

ومذهب أهل السنة ـ والكلام مازال لابن الملقن ويعني بهم الأشاعرة ـ : أنّ لله تعالى أن يعذب الطائعين من عباده ، وينعم على الكافرين ، غير أنّ الله ـ سبحانه ـ أخبرنا في كتابه وعلى لسان رسوله أنّه لايعذب إلاّ من كفر به ومن وافى بكبيرة ممن شاء الله تعذيبه عليها ، فمعنى قوله : « كان حقاً على الله » ليس على معنى أنّ ذلك واجب عليه ، لأنّ واجباً يقتضي موجباً له ، والله تعالى ليس فوقه آمر ولاناه ، يوجب عليه مايلزمه المطالبة به ..." [1]

ويخالف ابن الملقن المعتزلة أيضاً في قولهم : إنّ الحسن يعلم بالعقل ، فيقول: " وقد قام الدليل على أنّ الحسن لايعلم بالعقل وإنّما يعلم بالسمع " [2]

وماذهب إليه المؤلف هنا يحتاج أيضاً إلى مناقشة لأنّ مذهب السلف وسط بين قول المعتزلة وبين قول الأشاعرة الذي يذهب إليه المؤلف في هذه المسألة ، وسيأتي معنا إيضاح ذلك بمشيئة الله.[3]

٢/ أسماء الله وصفاته :

يرتكز مذهب المعتزلة في أسماء الله وصفاته على إثبات الأسماء لله مجردة عن المعاني ونفي جميع الصفات عن الله تعالى ، فيقولون : عليم بلا علم ، وقدير بلا قدرة ونحو ذلك .

---

(١) صـ (٣٦٩).

(٢) صـ (٢٦١).

(٣) انظر لتفصيل هذه المسألة وبيان مذهب السلف فيها : حاشية (٥) صـ (٢٦١).

يقول ابن الملقن : « ... تضمّن هذا الباب[١] الرد على من أنكر أنّ لله تعالى صفة ذات هي قدرة وقوة ؛ لاعتقادهم بأنّه تعالى قادر بنفسه لابقدرة ، وا لله تعالى قد نص على أنّ له قدرة ، بخلاف مايعتقده القدرية ، من أنّه قوي بنفسه لابقوة »[٢] بل يذهب - رحمه ا لله - إلى أشد من هذا فيرى أنّ من أنكر كون ا لله عالماً فهو كافر ، وينقل إجماع الأمة على ذلك ، ومن ثمَّ فالقدرية يشاركونهم في هذا الحكم.

يقول المؤلف : " غرضه في هذا الباب إثبات علم ا لله تعالى ، صفة لذاته ، إذا العلم حقيقة في كون العالم عالماً ؛ إذ من المحال كون العالم عالماً ولاعلم له ، وكذلك سائر أوصافه المقتضية للصفات التي هي حقيقة في بيان الأوصاف المجراة عليه تعالى من كونه حياً ، وقادراً وماشابه ذلك ، خلافاً لما تقوله القدرية من أنّه عالم قادر حي بنفسه ، لابقدرة ولابعلم ولابحياة ، ثمَّ إذا ثبت كون علمه قديماً وجب تعلقه بكل معلوم على حقيقته ، وقد نصَّ تعالى على إثبات علمه بقوله تعالى : ﴿ إنَّ ا لله عنده علم الساعة ﴾[٣] وبقوله ﴿ أنزله بعلمه ﴾[٤] وغيرها من الآيات السالفة ، فمن دفع علم الباري - تعالى - الذي هو حقيقة في كونه عالماً ، وزعم أنه عالم بنفسه لابعلم ، فقد ردَّ نصه تعالى على إثبات العلم ، الذي هو حقيقة في كونه عالماً ، ولاخلاف في رد نصه على أنّه ذو علم وبين رد نصه على أنّه عالم ، فالنافي لعلمه كالنافي لكونه عالماً .

وأجمعت الأمة على أنّ من نفى كونه عالماً ، فهو كافر ، فيبنغي أن يكون من نفى كونه ذا علم كافراً ، ومن نفى أحد الأمرين كمن نفى الآخر ، والقول في العلم بهذا كاف من القول به في جميع الصفات "[٥] .

---

(١) مراده باب قوله تعالى : ﴿ إن ا لله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ .

(٢) صـ (٢٠٤) .

(٣) لقمان ، الآية (٣٤).

(٤) النساء ، الآية (١٦٦).

(٥) صـ (٢٠٧ - ٢٠٨)

يتبيَّن من هذا أنَّ المؤلف يقيس المعتزلة ـ الذين يذهبون إلى أنَّ الله عالم بلا علم ـ على الجهمية الذين ينكرون أن يكون الله عالماً ، والجهمية قد كفرهم العلماء على إنكار ماهو معلوم من نصوص القرآن والسنة ، فلا يرى المؤلف أنَّ هناك فرقاً بينهم وبين المعتزلة ، إذ المؤدى والنتيجة واحدة .

ومن جهة أخرى نجد أنَّ المؤلف يفند ماذهبت إليه المعتزلة والقدرية من تأويل لبعض الصفات الثابتة لله تعالى .

فمن ذلك صفة السمع ، التي فسرها المعتزلة بالعلم ، يقول ابن الملقن : " وإذا ثبت أنَّه سميع ، فواجب كونه سامعاً بسمع ، كما أنَّه لَّما ثبت كونه عالماً وجب كونه عالماً بعلم ، خلافاً لمن أنكر صفات الله من المعتزلة . وقالوا : معنى وصفه بأنَّه سامع للمسموعات بمعنى وصفه أنَّه عالم بالمعلومات ولاسمع له ولا هو سامع حقيقة ، وهذه شناعة ورد لظواهر كتاب الله تعالى ولسنن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وموجب كون المخلوق أكمل أوصافاً من الخالق ـ تعالى ـ لأنَّ السامع منا يسمع الشيء ويعلمه حقيقة وكذلك البصير منا يرى الشيء ويعلمه حقيقة .

فلو كان الباري ـ تعالى ـ سامعاً لما يسمعه ويعلمه بمعنى أنَّه عالم فقط لكنَّا أكمل وصفاً منه ـ تعالى ـ من حيث أدركنا الشيء من جهة السمع والعلم ، وإدراكه من جهة العلم فقط ، ومن أدرك الشيء من وجهين أولى بصفة الكمال من مدركه من وجه واحد . وهذا يوجب عليهم أنَّ يكون خالقهم بصفة الأصم ، الذي يعلم الشيء ولايسمعه ـ تعالى عن ذلك "[1]

وواضح في هذا النص أنَّ ابن الملقن يستخدم قياس الأولى ، بمعنى أنَّ ماثبت من صفة كمال للمخلوق فالخالق أولى بذلك ، وهو استدلال صحيح ، في الصفات التي تكون كمالاً في حق الخالق جل وعلا .

ولذا نجد أنَّ ابن الملقن يبطل قياس الغائب على الشاهد أو الخالق على المخلوق في مايتعلق بصفات الله ـ تعالى ـ ، ويرد بذلك على طائفتين :

---

(١) صـ (٦٣٧ – ٦٣٨).

الأولى : المجسِّمة القائلين بأنّنا لم نجد متصفاًبالصفات من القوة والسمع والبصر ونحوها إلاَّ جسماً وقد جاءت النصوص بإثبات الصفات لله ، فأثبتوا الصفات والجسمية لله .

الثانية : المعتزلة : القائلين بأنّنا لانشاهد من تقوم به الصفات إلاَّ الأجسام ، وا لله منزه عن الجسمية فإذاً لانثبت الصفات لله حتى لانجعله جسماً . فيرد على الطائفتين بقوله :

" وفيه رد على المجسمة ، القائسين الغائب على الشاهد ، قالوا : كما لم نجد قوياً ولا ذا قوة فيما بيننا إلاَّ جسماً كذلك الغائب حكمه حكم الشاهد .

فيقال لهم : إن كنتم على الشاهد تعولون ، وعليه تعتمدون في قياس الغائب عليه ، فكذلك لم تجدوا جسماً إلاَّ ذا أبعاض وأجزاء مؤلفة ، يصح عليه الموت ، والحياة ، والعلم ، والجهل ، والقدرة ، والعجز ، فاقضوا على أنَّ الغائب حكمه حكم هذا ، فإن قرُّوا عليه ألحدوا ، وأبطلوا الحدوث والمحدث ، وإن أبوه نقضوا مااستدلوا به ، ولاانفكاك لهم عن أحد الأمرين .

ومن هذه الجهة دخل على المعتزلة الخطأ في قياسهم صفات ا لله - تعالى - على صفات المخلوقين ، وا لله - تعالى - لايشبه المخلوقين ، لأنّه الخالق ولاخالق له ، وقد أعلمنا ا لله - تعالى - بالحكم في ذلك ، فقال : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ فكيف يشبه الخالق بالمخلوق ، ومن ليس كمثله شيء كمن له مثل من الأشياء المخلوقة ، وهذا مما لايخفى فساده وإبطاله " [1] .

هذه النصوص التي سقتها من كلام المؤلف في معرض رده على القدرية والمعتزلة كلها تدل على أنَّ المؤلف ينهج نهج متكلمي الأشاعرة في مناقشتهم خصومهم وهو الاستدلال بالأدله العقلية دون السمعية ومن ذلك الاستدلال المنطقي (إنتاج المقدمات للنتائج) والاستدلال بقياس الأولى ، وأمَّا الاستدلال بقياس الغائب

---

[1] صـ (٢٠٤ - ٢٠٥) .

على الشاهد ، فنجد اضطراباً عند المؤلف فتارة يستدل به ، كما في إثبات صفة السمع والبصر لله ، وتارة ينكر الاستدلال به كما فعل مع المعتزلة .

٣/ أفعال العباد :

يذهب القدرية والمعتزلة إلى أنَّ أفعال العباد مخلوقة لهم ، ليست خلقاً لله[١] ، يقول ابن الملقن : « أعمالنا كلها مخلوقة له ـ تعالى ـ خلافاً للقدرية الذين يزعمون أنَّها غير مخلوقة لله ـ تعالى ـ ... »[٢]

وفي باب قول الله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾[٣] يقول ابن الملقن : "غرضه في هذا الباب : إثبات الأفعال كلها لله عز وجل ـ كانت من المخلوقين خيراً أو شراً فهي لله خلق وللعباد كسب ، ولاينسب شيء إلى غير الله ، فيكون شريكاً له ونداً ومساوياً له في نسبة الفعل إليه .

ونبَّه الله ـ تعالى ـ عباده على ذلك بقوله : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ أنَّه الخالق لكم ولأفعالكم وأرزاقكم ، رداً على من زعم من القدرية ؛ أنَّه يخلق أفعاله . فمن علم أنَّ الله خلق كل شيء فقدره تقديراً ، فلا ينسب شيئاً من الخلق إلى غيره ، فلهذا ذكر هذه الآيات في نفي الأنداد ... " [٤]

يلاحظ من النصين السابقين أنَّ المؤلف يذكر مايذهب إليه في هذه المسألة ثم يشير إشارة يسيرة لمخالفة القدرية والمعتزلة لما يذهب إليه .

ثم نجد المؤلف في موطن آخر يورد اعتراضهم على الاستدلال بقول الله تعالى ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾[٥] على أنَّ أفعال العباد مخلوقة ، ثم يفند هذا الاعتراض .

---

(١) انظر المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف السلف منها (صـ ١٦٨ ـ ١٩١).

(٢) صـ (٧٣٤).

(٣) البقرة ، الآية (٢٢).

(٤) صـ (٦٣٠ – ٦٣١).

(٥) الملك ، الآية (٤) .

يقول : « فإن قال قدري ـ زاعم أنَّ أفعال العباد ليست خلقاً لله ـ: قوله تعالى ﴿ ألايعلم من خلق ﴾ غير راجع بالخلق إلى القول ، وإنَّما هو راجع إلى القائلين ...

قيل : هذا تأويل فاسد ، لأنَّ الله تعالى أخرج هذا الكلام مخرج التمدح منه تعالى ، بعلمه ماأسروه من قولهم وجهروا به . وخلقه لذلك مع خلقه خلقه دليلاً على كونه عالماً به . فلو كان غير خالق له وممتدحاً بكونه عالماً بقوله وخالقاً لهم دون قولهم ، لم يكن في إيمانه دليل على صحة كونه عالماً بقولهم كما ليس في عمل العامل ظرفاً من الظروف دليل على علمه بما أودعه فيه غيره ....»[1]

هذه بعض ملامح منهج ابن الملقن في مناقشة المعتزلة والقدرية والرد عليهم على جهة الإختصار إذ لو أردنا الاستقصاء لطال بنا المقام ؛ بيد أنّني أشير هنا إلى بعض المسائل التي ناقشهم فيها ورد عليهم سوى ماسبق وهي كما يلي :

١/ إنكارهم شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته صـ (٣٢١ – ٣٢٢) .

٢/ إنكارهم للميزان صـ (٧٤٨) .

٣/ انكارهم حوض النبي صلى الله عليه وسلم صـ (٤٣٨) .

٤/ مذهبهم في كلام الله صـ (٥٢٢ و ٤٧٥ وغيرهما) .

٥/ نفي الرؤية صـ (٣٩٣) وتأويلها (صـ ٤٠٢) .

٦/ قولهم بأنَّ المعدومات أشياء (صـ ٣٥١).

٧/ قولهم أنَّ أمر الله مخلوق (صـ٤٧٥) .

٨/ إنكارهم الإستواء (صـ ٣٥٥) .

٩/ قولهم بأنَّ الإرادة مخلوقة (صـ ٤٩١) .

١٠/ إنكاره على المعتزلة عدم أخذهم بأخبارالآحاد في إحدى مسائل الإعتقاد (صـ ٤٣٨) .

---

(١) صـ (٦٥٥).

ثانياً :منهج ابن الملقن في مناقشة المجسِّمة والمشبهة :

التجسيم والتشبيه مصطلحان متقاربان في المعنى يراد بهما تشبيه ا لله ـ جل وعلا ـ بالأجسام المخلوقة ، وأوَّل ماحصل الكلام في ذلك زمن هشام بن الحكم وأبي الهذيل العلاف من المعتزلة ، الذي نفى الجسمية عن ا لله فعارضه هشام وأثبتها لله ـ تعالى ا لله عن قولهم ـ ووافقه على ذلك قدماء الشيعة والكرامية .

إلاَّ أنَّ المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم صاروا فيما بعد يلقبون أهل السنة والجماعة بالمجسمة والمشبهة ، لإثباتهم أسماء ا لله وصفاته ، وأولئك يظنون أنَّ إثبات الصفات لله ـ تعالى ـ يقتضي تشبيه ا لله بالأجسام المخلوقة .

وهذا ولاشك تصور خاطيء وظن آثم ، إذ لو كان لقولهم وجه من الصحة لكان القرآن الكريم والسنة النبوية مليئين بالتجسيم لمجيئهما بإثبات الأسماء والصفات لله ـ تعالى .

وابن الملقن ـ مع الأسف الشديد ـ يوافق المتكلمين في هذا الأمر إلى حد كبير فكثير ماينفى عقائد ثابتة عند أهل السنة والجماعة بحجة أنَّ إثبات ذلك يؤدي إلى التشبيه والتجسيم .

يقول ابن الملقن : « وغرضه في هذا الباب [باب قول ا لله تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾] رد شبهة الجهمية المجسمة [1] في تعلقها بظاهر قوله تعالى : ﴿ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه﴾ وبقوله : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ وماتضمنته أحاديث الباب من هذا المعنى .

وقد سلف الرد عليهم ، وهو أنَّ الدلائل الواضحة قد قامت على أنَّ الباري تعالى ليس بجسم . ولامحتاجاً إلى مكان يحله ويستقر فيه لأنَّه ـ تعالى ـ قد كان ولامكان، وهو على ماكان ثم خلق المكان ، فمحال كونه غنياً عن المكان قبل خلقه

---

(١) يلاحظ هنا التجني على السلف بإطلاق هذين الوصفين المتنا قضين عليهم و لعله يُعتذر للمؤلف بإحتمال أن يكون النص قد وقع فيه تصحيف ـ والعلم عند ا لله ـ .

إياه ثم يحتاج إليه بعد خلقه له ، هذا مستحيل ...»[١] ثم أخذ يفند استدلال من سماهم - مجسمة - بالأدلة المثبتة لعلوا الله تعالى، والمقصود هنا بيان أنَّ المؤلف ـ عفا الله عنه - يسمي أهل السنة والجماعة مجسمة ، لشبهة علقت في ذهنه .

وهي أنَّ إثبات الصفات الفعلية الاختيارية يلزم منه التجسيم ، وكثيراً مانجد المؤلف يورد عقائد السلف ويصفها بأنّها عقائد المجسِّمة أو المشبِّهة .

وقد أكثر المؤلف من إبطال كون الله جسماً ، وقرر ذلك بأدلة عقلية _ على زعمه _ ، ومن ثمَّ نفى جميع الصفات الاختيارية عن الله بحجة أنّها حوادث وأعراض يؤدي إثبات قيامها بالله إلى التجسيم .

يقول ابن الملقن : « والدليل على استحالة كونه جسماً أنَّ الجسم موضوع في اللغة للمؤلف المجتمع ، وذلك محال عليه تعالى ، لأنّه لو كان كذلك لم ينفك عن الأعراض المتعاقبة عليه ، الدالة بتعاقبها عليه على حدثها ، لفناء بعضها عند مجيء أضدادها ، ومالم ينفك عن المحدثات فمحدث مثلها ،وقد قام الدليل على قدمه تعالى فبطل كونه جسماً » [٢]

ومن جانب آخر نجد أنَّ المؤلف في بيان إثباته للصفات الخبرية يلتزم الإحتراز بقوله « ليست بجارحة »[٣] أو « ومحال أن يقال هو جارحة »[٤] أو « ليست كالجوارح المعقولة بيننا »[٥] وغيرها من العبارات ، التي يفهم منها أنَّ المؤلف يرى أنَّ مثبتي الصفات يثبتونها على أنّها جوارح كالجوارح المعقولة بيننا [٦] ، ومعلوم أنَّ مثبتة الصفات لايلتزمون هذا ، بل يثبتونها على مايليق بالله .

---

(١) صـ (٣٨٠).

(٢) صـ (١٧٥ - ١٧٦).

(٣) انظر : صـ (٢٢٧أ و ٣٣١ و ٣٦٣).

(٤) انظر صـ (٣٠٤).

(٥) انظر : صـ (٣٠٦) .

(٦) بل قد صرح بذلك في مواضع عدة . انظر : صـ (٢٢٧/أ و ٣١٩) .

مع أنَّ المؤلف قد نصَّ على أنَّه لايجوز قياس الغائب على الشاهد [١] ، وأنَّه لايصح تشبيه صفات الخالق بالمخلوق[٢] إلاَّ أنَّه اتخذ ذلك ذريعة لإنكار أو تأويل كثير من الصفات والرد على من أثبتها ، وهذا ناشيء عن تصور أنَّ من أثبت الصفات الاختيارية لله فقد شبهه بخلقه .

ومن الصفات التي أوَّلها المؤلف لمخالفتها هذا القانون الذي ارتضاه وصحَّحه .

- تأويله النصوص المثبته للحجاب والرداء لله تعالى [٣] .
- نفي أن يكون الله في مكان [٤] .
- تأويل معنى نزول القرآن [٥] .

تأويل كلمة « عند » في قول الرسول صلى الله عليه وسلم (وهو وضع عنده) .[٦]

- تأويل صفتي الغضب والسخط [٧] .
- تأويل صفة المحبة [٨] . وغيرها كثير

ومن جانب آخر نجد أنَّ للمؤلف جهداً مشكوراً في الرد على المشبهة والمجسمة بالمعنى الصحيح كرده عليهم في قولهم : « إنَّه جسم لاكالأجسام[٩] »

---

(١) انظر : صـ (٢٠٤) .

(٢) انظر : صـ (١٧٦ و ٢٠٥) .

(٣) انظر : صـ (٤٤١ - ٤٤٢) .

(٤) انظر : صـ (٣٨٠ و ٤٣٦ و ٦١٦) .

(٥) انظر صـ (٥٣٦) .

(٦) انظر : صـ (٢٩٤) .

(٧) انظر : صـ (١٩٤ -١٩٥ و ٢٩٢) .

(٨) انظر : صـ (١٩٠ و ٣٤٦) .

(٩) انظر : صـ (٣٠٧) .

وقولهم : «إنَّ علمه تعالى محدث ، وأنَّه لايعلم الشيء قبل وجوده » وهو قول هشام بن الحكم [١] .

ثالثاً : منهج ابن الملقن في مناقشة بقية الطوائف والفرق :

إضافة لما تقدم من مناقشة المؤلف للمعتزلة والقدرية والمجسمة والمشبهة ، فقد أورد المؤلف أقوال بعض الطوائف على صفة الإنكار والإبطال لما ذهبوا إليه ومن ذلك :-

- أورد قول الفلاسفة بأنَّ العرش هو الصانع الخالق منكراً له بعد ماقرر حِدَث العرش وأنَّه مخلوق مربوب [٢] .

- أورد منع الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة لرؤية ا لله تعالى في الآخرة ، وذكر شبهتهم وهي أنَّ إثبات الرؤية يوجب كون المرئي محدثاً وحالاً في مكان ، وذكر دليلهم السمعي وهو أنَّهم استدلوا بقول ا لله تعالى : ﴿ لاتدركه الأبصار ﴾ [٣] ، وبقوله لموسى ﴿ لن تراني ﴾ [٤] في جواب سؤال الرؤية .

ثم أبطل ماذهبوا إليه ، فابتدأ بسبر واستقراء معاني النظر في اللغة العربية فذكر أنَّ النظر في اللغة يأتي على أربعة معان : الأول بمعنى : الانتظار ، والثاني بمعنى : التفكر والاعتبار ، والثالث بمعنى : التعطف والرحمة ، والرابع بمعنى : الرؤية للأبصار . ثم منع مجيء الآية بأحد المعاني الثلاثة الأول وأبطل تفسير الآية بأحد هذه المعاني ، فتعين المعنى الأخير وهو أنَّ النظر في الآية هو بمعنى الرؤية بالأبصار [٥] .

---

(١) انظر : صـ (٢٠٨) .

(٢) انظر : صـ (٣٥٣) .

(٣) الأنعام ، الآية (١٠٣) .

(٤) الأعراف ، الآية (١٤٣) .

(٥) انظر صـ (٣٩٣ – ٣٩٤) .

ثمَّ قال : « ومااحتج به من نفاها من أنَّه يوجب كون المرئي محدثاً فهو فاسد لقيام الدلائل الواضحة على أنَّ ا لله موجود ، وأنَّ الرؤية منزلتها في تعلقها بالمرئي منزلة العلم في تعلقه بالمعلوم ، فكما أنَّ العلم المتعلق بالموجود لايختص بموجود دون موجود ، ولايوجب تعلقه به حدثه ؛ كذلك الرؤية في تعلقها بالمرئي لاتوجب حدثه "[1] .

ثم ذكر استدلالهم بالآيتين وأبطله بقوله : " وهذا لاتعلق لهم فيه لأنَّ قوله تعالى : ﴿ لاتدركه الأبصار ﴾ ، وقوله ﴿ لن تراني ﴾ لفظ عام ، والآية خاصة تقضي على العام وتبينه ، فمعنى لاتدركه الأبصار في الدنيا لأنَّه تعالى قد أشار على أنَّ المراد بالآية : الآخرة بقوله : ﴿ يومئذ ﴾.

وكذلك يكون معنى قوله لموسى : ﴿ لن تراني ﴾ في الدنيا ، لأنَّه قد ثبت أنَّ نفي الشيء لايقتضي إحالته ، بل قد يتناول المستحيل وجوده ، والجائز وجوده ، فلا تعلق لهم بالآيتين " .[2]

ـ أورد إنكار المعتزلة والقدرية والخوارج شفاعة النبي صلى ا لله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته ، ذكر أنَّ ذلك خلاف كتاب ا لله وسنة رسوله صلى ا لله عليه وسلم ، حيث أورد المؤلف عدداً منها ثم قال : « فإن عارض حديث الشفاعة معارض بأحاديث الوعيد كقوله : « من قتل نفسه بحديدة عذب بها في نار جهنم أبداً، ومن تحسى سماً ... الحديث » ونحوه من الأخبار . فالجواب : بأنَّه لا تعارض ؛ لجواز أن يكون ا لله أنفذ وعيده بأن خلده في النار أكثر من مدة بقاء من خرج بالشفاعة ، ثم يخرج من النار بعد ذلك بمدة ، لشفاعة رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بما في قلبه من الإيمان المنافي للكفر ... »[3]

---

(١) صـ (٣٩٥) .

(٢) صـ (٣٩٦) .

(٣) صـ (٣٢٢) .

المبحث الخامس
المقارنة بين صاحب المتن و الشارح في تقرير العقيدة

سلف في هذه الدراسة تقرير منهج الإمام البخاري ـ صاحب المتن ـ في تقرير مسائل العقيدة ، وكذا تقدم تقرير منهج العلامة ابن الملقن ـ صاحب الشرح ـ في المسائل ذاتها ، وهذا المبحث معقود للمقارنة بين المنهجين ، الذي به يحصل معرفة مدى التزام الشارح منهج صاحب المتن من عدمه ، وهل كان ابن الملقن مقرراً لمقاصد البخاري أم كان منكراً لها مقرراً لغيرها .

وتبدو أهمية ذلك إذا ماعلمنا أنَّ معرفة مراد الإمام البخاري بما أورده من تراجم وأبواب وماضمنها من آيات قرآنية وأحاديث نبوية يحتاج إلى إعمال ذهن لاستنباط مايريد تقريره لأنَّه لم يصرح بذلك إلاَّ نادراً ، ولذا اهتم شراح صحيح البخاري بدراسة تراجمه فألفت في ذلك كتبٌ مفردة أوضحت فقه هذا الإمام ومراده من تراجمه ، فهل كان ابن الملقن موفقاً لبيان ذلك بياناً صائباً موافقاً لما هو معروف من اعتقاد الإمام البخاري ؟! هذا ماأريد إيضاحه في هذا المبحث ، وبا لله الإستعانة ومنه التوفيق .

لقد ارتضى ابن الملقن منهجاً يختلف كثيراً عن منهج البخاري فالبخاري التزم منهج السلف بينما التزم ـ إلى حد كبير ـ ابن الملقن منهج الأشاعرة ومعلوم مابين المنهجين من الاختلاف والتغاير .

فبينما نجد أنَّ الإمام البخاري قد اكتفى بالأدلة الشرعية ـ كتاباً وسنة ـ مادة يستقي منها عقيدته ومنهجيته ، نجد أنَّ ابن الملقن لم يكن كذلك حيث التزم قوانين عقلية ومقدمات منطقية رأى أنَّ فيها تنزيهاً للرب ، ولايعني هذا أنَّه قد أهمل النص مطلقاً ، لكنه لم يقتصر عليه ومعلوم أنَّ باب الأسماء والصفات يتوقف فيه على ماجاء في كتاب ا لله أوسنة رسوله صلى ا لله عليه وسلم لكونها أموراً غيبية لايستقل العقل بإثباتها أو نفيها .

ـ ونجد أنَّ الإمام البخاري يستدل على مسائل الاعتقاد ـ ومنها مسائل الأسماء والصفات ـ بأدلة الشرع الأصلية كلها ، القرآن ، والحديث بقسميه المتواتر والآحاد المتلقاه بالقبول ، كما هو واضح من صنيعه في صحيحه وكتبه الأخرى ، من غير تفريق بين الأحاديث المتواترة والآحاد .

بينما نجد أنَّ ابن الملقن له موقف مضطرب في هذه المسألة فهو تارة ينكر على المعتزلة عدم أخذهم بأحاديث الآحاد ، وأخرى ينقل كلاماً لبعض العلماء مفاده عدم الأخذ بهذا النوع من الآحاديث ، كالمقرله من غير إنكار.[1]

ـ ونجد أنَّ الإمام البخاري يذهب إلى إمرار النصوص السمعية على ظاهرها وإثبات مقتضاها على مايليق با لله تعالى ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل .

بينما نجد أنَّ ابن الملقن لايسلك هذا المسلك بل يوجب في أحيان كثيرة صرف مدلول النص عن ظاهره ، لظنه أنَّ في إثبات ظواهر النصوص مخالفة لمقتضى العقل الموجب لتزيه ا لله عن مشابهة المخلوقين ، مما أوقعه في التأويل أو القول بالمجاز في نصوص الأسماء والصفات ، وإيجاب ذلك .

ـ ونجد أنَّ الإمام البخاري يذهب إلى إثبات الأسماء والصفات لله جميعاً ، من غير تفريق بين الصفات الذاتيه والفعلية ، والسمعية والعقلية من حيث قيامها بذات ا لله تعالى فالصفات الفعلية الاختيارية المتعلقة بمشيئة ا لله وإرادته عند الإمام البخاري قائمة بذات ا لله شأنها شأن الصفات الذاتيه التي اتصف ا لله بها أزلاً وأبداً فهي لاتنفك عنه.

بينما نجد أنَّ ابن الملقن يذهب إلى عدم قيام الصفات الفعلية با لله تعالى ، وإنَّما هي أفعال منفصلة عن ا لله ، أمَّا الصفات الذاتية فهو يثبتها على طريقة متقدمي الأشاعرة .

ـ ونجد أنَّ الإمام البخاري يلتزم بالألفاظ الشرعية في تقرير مسائل الإعتقاد ومايوصف ا لله به وماينزه عنه .

---

(١) انظر ماتقدم صـ (١١٤ - ١١٦) .

بينما نجد ابن الملقن لايلتزم بذلك كثيراً بل كثيراً مايورد ألفاظاً محدثة كالجسم والعرض والحوادث والجارحة ، وهي ألفاظ مجملة تحتمل حقاً وباطلاً ، فيحتاج للحكم على صحة الكلام بها أو بطلانه إلى استفصال المتكلم عن مراده .

- وفيما يتعلق بصفة الكلام لله تعالى ، نجد أنَّ الإمام البخاري قد أطال النفس في تقرير مذهب السلف في هذه المسألة وهو إثبات الكلام لله ، صفة ذاتية فعلية ، وأنَّ الله تكلم بالقرآن حقيقة ، وكلم موسى حقيقة وأنَّ كلامه بحرف وصوت ، يسمع بالآذان ويلفظ بالألسنة .

بينما نجد ابن الملقن قد أطال النفس أيضاً في تقرير مذهب الأشاعرة في هذه المسألة وهو القول بالكلام النفسي الأزلي القديم الذي لايتعلق بالمشيئة والإرادة ، وأنَّه ليس بحرف ولاصوت ، والقرآن عنده إنّما هو عبارة عن كلام الله القديم .

المبحث السادس
المقارنة بين هذا الشرح
وبعض الشروح الأخرى المهمة للكتاب والسنة

للمقارنة بين كتاب وآخر ، يشتركان في موضوع واحد أهميتها وفائدتها التي لاتنكر ، فبها يعرف مدى استفادة أحدهما من الآخر وأوجه الاتفاق أو الاختلاف بينهما ، ومايتميز به كل منها عن الآخر .

وإذا كانت المقارنة بين كتب الشروح الحديثية صعبة لتباين مناهج الشراح وطرائقهم ، واختلافهم في مقاصدهم من شروحهم بحسب مافتح الله عليهم من أنواع العلوم ، فنجد أنَّ الفقيه يغلب على شرحه تقرير المسائل الفقهية ومناقشة مايحصل بين الفقهاء من اختلافات ، وإذا كان الشارح محدثاً غلب على شرحه الصنعة الحديثية من الاهتمام بالأسانيد وأحوالها وبالرواة وجرحهم أو تعديلهم والحكم على الأحاديث من حيث الصحة أو الضعف أو نحو ذلك ، وإذا كان الشارح ميَّالاً للغة العربية غلب عليه ذلك فنجده يهتم ببيان معاني المفردات الغريبة وإيضاح الأوجه البلاغية والنكت النحوية إلى غير ذلك .

وصحيح البخاري من الكتب التي تفنن العلماء في شرحه فأَوْلَوه عناية كبرى فمنهم من اشتغل بروايته كالفِرَبْرِي والمستملي والكُشْمَيهني ،

ومنهم من عمل عليه المستخرجات كمستخرج الإسماعيلي والغطريفي ،

ومنهم من ترجم لرجاله مثل أبي الوليد الباجي في كتابه : « التعديل والتجريح » والكلاباذي في كتابه « الهداية والارشاد »

ومنهم من ترجم لأبوابه مثل ابن رشيد في كتابه : « ترجمان التراجم في إبداء وجه مناسبات التراجم » وابن المنير في كتابه : « المتواري على تراجم البخاري » .

ومنهم من وصل تعاليقه من الأحاديث والآثار وأشهرهم الحافظ ابن حجر في كتابه : « تغليق التعليق » .

ومنهم من شرح غريبه كالجياني في كتابه : « شرح غريب الجامع الصحيح »

ومنهم من اختصره كالزبيدي في كتابه : « التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح »

ومنهم من شرحه كالخطابي والداودي وابن التين وابن بطال والعيني وابن حجر وغيرهم [١] .

ونظراً لكثرة شروح هذا الكتاب رأيت أن أقتصر في هذا المبحث على كتابين أحدهما : « شرح ابن بطال » وهو متقدم على التوضيح واخترته لتقدمه ولكونه مازال مخطوطاً ، والثاني : كتاب « فتح الباري لابن حجر » وهو متأخر عن التوضيح واخترته لشهرته وظهوره .

أولاً : المقارنة بين شرح ابن بطال والتوضيح :

يعد شرح أبي الحسن على بن خلف المشهور بـ « ابن بطال » المتوفي سنة (٤٤٩ هـ)من أوائل شروح صحيح البخاري ، فالذين جاءوا من بعده من الشراح استفادوا منه ونقلوا عنه فأصبح لهذا الكتاب شهرته مع أنَّه لم يزل مخطوطاً.

ومن جملة الذين استفادوا من هذا الشرح العلامة ابن الملقن ، الذي أكثر من النقل عنه بشكل كبير بل يكاد أن يكون ضمن كتابه جميع شرح ابن بطال ، مصرحاً بذلك أحياناً ، وغالباً ماينقل منه دون عزو إليه فينقل منه الصفحات الطويلة المتابعة بل ربما اقتصر عليه في بعض الأحيان كما فعل في : "باب قول الله تعالى : ﴿ قل أي شيء أكبر شهادة ... ﴾ [٢] " وفي " باب : وسمَّى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عملاً " .[٣]

---

(١) انظر : مقدمة الأخ عبدالرحمن العوفي في تحقيقه لكتاب التوضيح صـ (أ ـ ج) .

(٢) انظر : صـ (٣٤٧-٣٥١) وقارن بشرح ابن بطال (٤/ ٣٤٨ / ب ـ ٣٤٩ / أ) .

(٣) انظر : صـ (٦٧٢-٦٧٤) وقارن بشرح ابن بطال (٤ / ٣٧٣ / أ) .

وبالمقارنة بين الكتابين في القسم موضع الدراسة يتضح مايلي :

١/ يعد شرح ابن بطال شرحاً مختصراً مقارنة بشرح ابن الملقن ، حيث يعد شرح ابن بطال جزءاً من شرح ابن الملقن الذي ضمنه كتابه بزيادات كثيرة .

١/ يهتم ابن الملقن بالصنعة الحديثية ـ إلى حد ما ـــ فيُخَرِّج أحاديث أبواب البخاري ويصل تعاليقه ويخرجها ، ويترجم في كثير من الأحيان لرجال الإسناد بينما لايعير ابن بطال هذه القضية أي اهتمام .

٢/ يتوسع ابن الملقن في شرح غريب الحديث ويكثر من النقل عن مصادر مختلفة من كتب الغريب واللغة ، بينما يقل اهتمام ابن بطال بهذا الجانب ، وإذا فعل اكتفى بمصدر أو مصدرين وقلّ مايجاوز ذلك .

٣/ التزم ابن الملقن بتبويب البخاري من غير تقديم أو تأخير ، بينما نجد أنَّ ابن بطال لم يلتزم بذلك ، بل قدم بعض الأبواب وأخر بعضها كما فعل في باب : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ ، وباب قول الله تعالى : ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي ﴾ وغيرها ،

والجدول التالي يوضح طرفاً من ترتيب أبواب البخاري مقارناً بترتيب ابن الملقن وابن بطال ، وبه يتضح التزام ابن الملقن بترتيب البخاري وتصرف ابن بطال في ذلك .

ترتيب البخاري	ترتيب ابن الملقن	ترتيب ابن بطال
باب قول الله تعالى : ﴿ إنَّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾	باب قول الله تعالى : ﴿ إنَّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ﴾	باب قول الله تعالى : ﴿ إنَّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ﴾
باب ماجاء في خلق السموات والأرض وغيرهما من الخلائق ﴾	باب ماجاء في خلق السموات والأرض وغيرهما من الخلائق ﴾	باب ماجاء في خلق السموات والأرض وغيرهما من الخلائق ﴾
باب ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾	باب ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾	باب قوله تعالى : ﴿ إنَّما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾
باب قوله الله تعالى : ﴿ إنَّما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾	باب قوله الله تعالى : ﴿ إنَّما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾	باب : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر ﴾

باب قول الله تعالى: ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي ﴾	باب قول الله تعالى: ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي ﴾	باب قول الله تعالى : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾
باب في المشيئة والإرادة	باب في المشيئة والإرادة	باب قول الله تعالى : ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي ﴾

٤/ لم يتصرف ابن الملقن في أبواب البخاري فلم يدمج بين الأبواب ولم يزد على تبويب البخاري ، بينما نجد ابن بطال قد دمج بعض الأبواب في بعض .

مثال ذلك دمجه لباب : " وسمَّى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عملاً "، في الباب الذي قبله وهو " باب قوله تعالى : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾[1] " .

ونجد ابن بطال أيضاً قد قسَّم أحد أبواب البخاري إلى بابين وهو باب في المشيئة والإرادة ، حيث أفرد عدداً من الأحاديث التي أوردها البخاري تحت هذه الترجمة وبوّب لها بقوله باب ﴿ يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر ﴾[2] .

٥/ لايتوسع ابن بطال في عرض خلاف العلماء فيما يعرض له من مسائل بل يقتصر في الغالب على المشهور من مذهب الإمام مالك ومايرى أنّه القول الراجح .

بينما نجد ابن الملقن يورد اختلاف العلماء والفرق والطوائف ، مرجحاً مايرى أنّه الصواب ، مفنداً لبقية الأقوال .

٦/ لابن الملقن في إيراد أحاديث البخاري ثلاث حالات ، تارة يذكر الإسناد بتمامه وتارة يذكر طرفاً منه ، وتارة يقتصر على الصحابي ، بينما التزم ابن بطال ذكر الصحابي الذي جاء الحديث من طريقه فحسب .

٧/ يفصل ابن الملقن بين المتن والشرح غالباً بكلمه : الشرح ، ثم يقسم الشرح إلى فصول ، بينما لايفعل ذلك ابن بطال .

---

(١) انظر : شرح ابن بطال (٤ / ٣٧٢ / ب) .

(٢) انظر شرح ابن بطال (٤/ ٣٥٨ / أ ـ ب) .

٨/ يتفق الكتابان في كثرة النقول من الشروح الأخرى ، فبينما اعتمد ابن الملقن على شرح ابن بطال وابن التين ، نجد أنَّ ابن بطال قد اعتمد بشكل كبير على شرح المهلب فكثيراً مايصدر كلامه بقوله : قال المهلب .

٩/ في المسائل الفقهية ينتصر ابن بطال للمذهب المالكي ، بينما نجد أنَّ ابن الملقن ينتصر للمذهب الشافعي .

١٠/ يكاد الكتابان أنَّ يتفقا على السير على مذهب متقدمي الأشاعرة فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد خصوصاً باب الأسماء والصفات .

١١/ يتفق الكتابان في إيراد أحاديث البخاري مختصرة في بعض الأحيان ،وربما اكتفيا بالإشارة إلى الحديث .

١٢/ يتفق الكتابان بعدم الاهتمام بتبويب البخاري فيشرحان الأحاديث دون النظر في مناسبتهما للباب ، فلا تلمس أحياناً أية علاقة بين الترجمة والشرح .

هذه هي أهم نقاط الإتفاق والإختلاف بين الكتابين ، وبا لله التوفيق

ثانياً : المقارنة بين « التوضيح » و « فتح الباري » لابن حجر :

يأتي كتاب « فتح الباري » الذي ألفه الحافظ ابن حجر ت (٨٥٢) في مقدمة شروح صحيح البخاري ، بل هو أشهرها على الإطلاق مع أنَّه من الشروح المتأخرة ـ لما اشتمل عليه من الفوائد العظيمة ، والنكات البليغة والتحقيقات العلمية .

والحافظ ابن حجر قد استفاد كثيراً في كتابه هذا من كتاب التوضيح لابن الملقن ، مصرحاً بذلك أحياناً ، ومهملاً العزو إليه أحياناً أخرى ، وكثيراً مايذكره بقوله : « شيخنا ابن الملقن »[١] وربما ذكره بقوله : « قال صاحب التوضيح » .

وعند المقارنة بين الكتابين يتضح مايلي :

١/ يورد ابن الملقن الباب وماتضمنه من أحاديث كما هو عند البخاري ، إلاَّ أنَّه قد يحذف الإسناد ، وربما اقتصر على طرف الحديث إذا كان طويلاً .

---

(١) انظر على سبيل المثال : الفتح (١١/ ١٣٢) و (١٣/ ٥٣٣).

أمَّا الحافظ ابن حجر فيذكر الباب دون أحاديثه ، وقد ذكر ابن حجر في «هدي الساري» عزمه على سوق الباب والحديث أولاً[1] إلاَّ أنَّه اعتذر عن ذلك في مقدمة الفتح بقوله : «وكنت عزمت على أنَّ أسوق حديث الباب بلفظه قبل شرحه، ثم رأيت ذلك مما يطول به الكتاب جداً ، فسلكت الآن طريقاً وسطى أرجو نفعها ، كافلة بما اطلعت عليه من ذلك ، إذ لايكلف الله نفساً إلاَّ وسعها ...»[2]

وقد قام الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي - رحمه الله - ففعل في نشره فتح الباري ـ ماعزم عليه الحافظ وتركه مخافة الطول ، فساق الأحاديث كاملة بسند البخاري بعد الترجمة وقبل الشرح [3] .

٢/ ساير الحافظ ابن حجر صنيع الإمام البخاري فيما يتعلق بالأحاديث المكررة، فيشرح في كل موضع مايتعلق بمقصد البخاري ، ثمَّ يحيل فيما تبقى إلى المكان الذي شرحه أو سيشرحه فيه .

بينما نجد ابن الملقن يشرح الحديث في أول موطن يرد فيه ، دون التفات لمقصد البخاري ، ثمَّ يحيل عليه ، وقد يعيد شرح الحديث أو بعضه مرة أخرى .

٣/ يبين الحافظ ابن حجر اختلاف روايات الصحيح مع ضبطه إياها[4] ، بينما لايتطرق ابن الملقن إلى ذلك إلاَّ نادراً .

٤/ يتوسع ابن الملقن في الترجمة لرجال الإسناد وخصوصاً الصحابة ، بينما يقتصر ابن حجر على مايكون سبباً في تعديل الراوي أو جرحه أو تميزه .

---

(١) انظر : هدي الساري (صـ ٦) .

(٢) الفتح (١ / ٩) .

(٣) إلاَّ أنه يلاحظ على هذا العمل عدم تطابق الرواية الملحقة بالرواية التي اعتمدها ابن حجر في شرحه ، مما يسبب لبساً لمن قارن بينهما .خصوصاً أن مقدمة الناشر خلت من الإشارة إلى الرواية التي اعتمدها .

(٤) انظر : الفتح (١٣/ ٤٨٧ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٥١١) .

٥/ يتوسع ابن الملقن في بيان الغريب ويكثر من النقول عن كتب الغريب واللغة في بيان معنى اللفظة الواحدة ، خلافاً للحافظ ابن حجر .

٦/ الحافظ ابن حجر أقرب إلى الصواب في بيان مراد البخاري من تراجمه ، (في الجزء موضع الدراسة) من ابن الملقن الذي كثيراً مايكون استنباطه لمراد البخاري خلاف ماهو معلوم من عقيدته ، ولما هو ظاهر من الترجمة ، ولذا فقد تعقبه ابن حجر في عدة مواضع في هذه المسألة .

٧/ يتميز الفتح بالصنعة الحديثية الواضحة وكثرة الاستشهاد وبالأحاديث وجمع طرقها وبيان نكتها ، خلاف التوضيح الذي أهمل فيه هذا الجانب إلى حد كبير، حتى إنَّه ليخيل إليك عند قراءته أنَّ الكتاب ليس كتاباً حديثياً ، على الأقل في (كتاب التوحيد) موضع الدراسة .

٨ / يهتم الحافظ ابن حجر بتعقب أوهام من سبقه من الشراح [١] ، خلافاً لابن الملقن الذي قلّ مايتطرق لذلك .

٩/ ذكر ابن حجر في آخر كتاب التوحيد مااشتمل عليه من الأحاديث المرفوعة ، وعدد المعلقات ، وماتكرر منها ، ومالم يتكرر ، ومالنفرد به عن مسلم وماوافقه فيه مسلم ، بينما لم يتطرق ابن الملقن لذلك .

١٠ / ذكر ابن الملقن في آخر كتابه جملة كبيرة من مصادره ، بينما لم يفعل ذلك ابن حجر .

١١ / وأخيراً فقد مكث ابن الملقن في شرحه هذا إحدى وعشرين سنة (٧٦٣ - ٧٨٥) أمَّا ابن حجر فقد مكث فيه خمساً وعشرين سنة (٨١٧ - ٨٤٢)

جزى الله الإمامين على هذا العمل العظيم خير مايجزي به عباده الصالحين ، ونفع الله بكتابيهما المسلمين .

---

[١] انظر الفتح (١٣ / ٥١٤ ، ٥١٩ ، ٥٠٦) .

المبحث السابع
المؤاخذات على ابن الملقن في شرحه كتاب التوحيد

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ . إنَّ أي كتاب سوى كتاب الله تبارك وتعالى لابد أن يلحقه خلل أو نقص أو سهو أو خطأ .

وكلما كان المؤلف مكثراً من التأليف كان ذلك أدعى لوقوع الخطأ والنقص في كتبه .

وإذا كان الكتاب كبيراً وطويلاً كان ذلك مظنة حصول مايستدرك عليه.

وكتاب التوضيح كما هو معلوم من الكتب الكبيرة التي أطال ابن الملقن فيه النفس وأودعه من الفوائد والفرائد الشيء الكثير ، يضاف إلى هذا أنَّ مؤلفه أحد العلماء الذين اشتهروا بكثرة التصانيف ، كما تقدم معنا قريباً .

ولايعني تسجيل الملاحظات على كتاب من الكتب الحط من قدره أو التقليل من شأنه بل إنَّ ذلك يعد تسديداً للكتاب وتتميماً للانتفاع به .

ولذا رأيت أن أسجل في هذا المبحث بعض الملاحظات التي ظهرت لي من خلال دراستي للقسم الذي قمت بتحقيقه وهو « كتاب التوحيد » سائلاً الله تعالى أن يلهمني التوفيق والصواب وأن يجنبني الإساءة والخطأ .

ومن أبرز هذه الملاحظات :

١/ ميل المؤلف الواضح إلى المذهب الأشعري في مسائل الإعتقاد ، وتقدم إيضاح ذلك في مبحث « عقيدة المؤلف »

٢ / التجني على صاحب المتن ـ البخاري ـ وصرف مراده من كلامه وغرضه من تراجمه إلى مايخالف المعلوم من عقيدته ، فبعد أن كان المتن يشع بنور الاعتقاد السلفي الخالص ، المهتدي بهدي النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه وأئمة الدين ،

أطفأ هذا النور ماأقحمه ابن الملقن على هذا الكتاب من عقائد كلامية هي أبعد مايكون عن عقيدة الإمام البخاري .

ومن ذلك أنَّ ابن الملقن قد التمس مراد البخاري بتراجمه في سبعة وثلاثين باباً من مجموع الأبواب البالغة ثمانية وخمسين باباً ، وأهمل واحداً وعشرين باباً لم يتطرق إلى غرض البخاري من ترجمته فيها ، وقد أصاب الحق في ستة عشرباباً ، وأخطأ في واحد وعشرين باباً ، فيما ظهر لي بالمقارنة مع كلام العلماء الآخرين ، والعلم عند الله .

والجدول التالي يبين تفصيل هذا الأمر :

أرقام الأبواب التي وافق فيها ابن الملقن مراد البخاري	أرقام الأبواب التي خالف فيها ابن الملقن مراد البخاري	أرقام الأبواب التي أهمل ابن الملقن مراد البخاري في أي منها
٤	٢	١
٩	٥	٣
١٦	١٢	٦
١٧	١٣	٧
١٩	٢٠	٨
٢١	٢٣	١٠
٢٢	٢٦	١١
٢٤	٢٧	١٤
٢٩	٢٨	١٥
٣٧	٣٠	١٨
٤٠	٣١	٢٥
٤٣	٣٢	٣٤
٤٦	٣٣	٣٨

٤٩	٣٥	٣٩
٥٢	٣٦	٤٥
٥٦	٤١	٤٨
	٤٢	٥١
	٤٤	٥٣
	٤٧	٥٤
	٥٠	٥٥
	٥٧	٥٨

ومن هذه المقارنة نخلص إلى أنَّ عدم إصابة ابن الملقن لمراد البخاري كان هو الغالب على شرحه ، ومنشأ هذا اختلاف المنهجين بينهما .

٣ / عدم الدقة في نسبة الأقوال إلى أصحابها ، ومن ذلك نسبة القول بأنَّ الله جسم إلى الجهمية [١] ، وكذلك تسميته الجهمية بأنَّهم جسمية ، حيث يقول : « رد شبهة الجهمية المجسمة .... » ومعلوم أنَّ الجهمية ينكرون صفات الله جميعاً فراراً من التجسيم[٢] . ولذا قال ابن حجر : « وخلطه المجسمة بالجهمية من أعجب مايسمع » . ومن ذلك أيضاً نسبته تأويل الضحك بالرحمة للإمام البخاري[٣] ، مع أنَّه لم يقل بذلك ، وإنَّما أوقعه في الخطأ تقليده للخطابي والبيهقي .

٤ / عدم الدقة في النقل عن كتب الآخرين ، ومن ذلك نقله كلام الحليمي في بيان معنى « المهيمن » على أنَّه معنى « المؤمن »[٤] .

---

(١) انظر صـ (١٧٤) .

(٢) انظر : صـ (١٧٤) .

(٣) انظر : صـ (٤٢١) .

(٤) انظر : صـ (٢١٨) .

٥ / حكايته الإجماع والاتفاق على مسائل لم يثبت فيها ذلك ، ومن ذلك حكايته الإجماع على أنَّ الله لايوصف بأنَّه شخص [١] ، وكذا حكايته الاتفاق على أنَّ كلام الله ـ تعالى ـ كلام لنفسه[٢] ومعلوم أنَّ الصواب في المسألتين خلاف ماحكى الاجماع عليه ، بل هو من الخطأ ، وقد عصم الله هذه الأمه أن تجمع على خطأ .

٦ / الخطأ في العزو ومن ذلك عزوه قول عائشة رضي الله عنها : « إذا أعجبك حسن عمل امريء فقل : ﴿ اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ ولايستخفنَّك أحد ، إلى ابن المبارك في كتاب البر والصلة [٣] ، وليس في الكتاب ذكر لهذا الأثر ، كما نبَّه على ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣ / ٥١٤) ومنشأهذا الخطأ تقليده لمغلطاي « أحد شراح البخاري » .

٧ / قوله في « إسماعيل بن جعفر » : شيخ البخاري ، وليس هوَّ من شيوخه،وإنَّما هو عن شيخ شيخه كما هو مبين في موضعه[٤] .

٨/ النقل المطول من شرح ابن بطال ، يشير أحياناً إلى ذلك ، والغالب عدم الإشارة ، حتى كاد أن يضمن كتابه جميع شرح ابن بطال ـ فيما يتعلق بكتاب التوحيد ـ بل اقتصر عليه في بعض الأبواب ، وقد وضعت جميع مانقله المؤلف عن ابن بطال بين علامتين وأشرت إلى ذلك في الحاشية فبلغ شيئاً كثيراً .

وهذا وإن كان منهجاً سلكه بعض المتقدمين إلاَّ أنَّ الأمانة العلمية تقتضي عزو الأقوال إلى أهلها ، وهو من بركة العلم كما نص عليه علماء السلف .

٩ / الإطلاق في مقولاته عن أهل العلم دون بيان مصدر ذلك الكلام ، فقد يقول : قال فلان ، وفلان هذا له أكثر من كتاب فلا يعلم في أي كتبه هذا القول ،

---

(١) انظر صـ (٣٤١) .

(٢) انظر : صـ (٤٦٥) .

(٣) انظر : صـ (٦٦٥) .

(٤) انظر : صـ (١٧٣) .

كما هو الحال مع الخطابي ، وابن فورك وغيرهم ، وكقوله : « قال الواسطي » [1] مثلاً ومعلوم كثرة من ينسبون إلى واسط من العلماء فلا يعلم المقصود به ، يضاف إلى هذا أنَّه ربما نقل كلاماً له ارتباط بما قبله دون إشارة إلى ذلك فيوقع في شيء من اللبس كقوله مثلاً : « وقال بعض متأخريهم » [2] ولم يتقدم من كلامه مايمكن عود الضمير عليه ، وسبب ذلك نقله العبارة دون الأخذ في الاعتبار بما قبلها .

١٠ / ومما يؤخذ على ابن الملقن أيضاً توسله بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : « ونصلي على هذا النبي المعظم ، وصفوة العالم الأعلم ، فبحرمته عندك جازنا على كتابنا هذا شفاعته ... » [3] ويعلم أنَّ هذا الأسلوب لايجوز ، كما هو مُبَيَّنٌ في موضعه .

هذه بعض مايرد على ابن الملقن رحمه الله وكتابه النافع ، والكمال لله ، والعصمة لمن عصمه الله .

---

(١) انظر : صـ (١٧٧) .

(٢) انظر : صـ (١٨١) .

(٣) انظر : صـ (٧٦٠) .

الفصل الثالث

التعريف بالنسخ الخطية ووصفها

الفصل الثالث

التعريف بالنسخ الخطية ووصفها .

لكتاب التوضيح نسخٌ متعددة إلاَّ أنّي لم أقف لهذا الجزء إلاَّ على نسختين بعد البحث والتحري وسؤال أهل الخبرة والدراية بهذا الشأن ، ولعل سبب ذلك أنَّ هذا الجزء هو آخر كتاب التوضيح ممايجعله عرضة قبل غيره للفقدان أو التعرض للعوامل المتلفة له .

ولَمّا كان ابن الملقن في هذا الكتاب قد أكثر جداً من النقل النصي عن شرح ابن بطال فقداعتمدت إحدى نسخه المخطوطة نسخة مساعدة ، وقارنتها بنسخ كتاب التوضيح مما أعانني على تقويم ماكان من نقص أو تصحيف في نسخ التوضيح ، إضافةً إلى الرجوع إلى الكتب المطبوعة من شروح البخاري كعمدة القاريء للعيني ، والفتح لابن حجر وغيرهما .

والنسخ الخطية التي اعتمدت عليها في تحقيق هذا الجزء هي :

١/ نسخة المكتبة العثمانية بحلب .

وتوجد لها صورة في المكتبة المركزية - قسم المخطوطات ـ بجامعة أم القرى ، وتقع في أربعة مجلدات كبار تبدأبرقم (٢٧٦٣) إلى (٢٧٧١) .

ومايتعلق بكتاب التوحيد يقع في المجلد الرابع من صفحة (٨٢١) إلى (٨٩٣) . فيكون عدد لوحاتها (٧٢) لوحة في كل لوحة صفحة واحدة ، وعدد الأسطر في كل صفحة (٣٥) سطراً تقريباً .

وخطها نسخ دقيق غير منقوط ، وهي دقيقة الضبط عليها بعض التعليقات والحواشي ، وكتبت بخط ابراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي ، ((ت ٨٤١)) ـ تلميذ المؤلف ـ .

يقول ـ رحمه الله ـ " فرغ من تعليقه في مدة آخرها عجز ذي القعدة الحرام من سنة إحدى وعشرين وثمان مائة بالشرفية بحلب : إبراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي الحلبي ، عفا الله عنهم ، بمنّه وكرمه .

وكنت قديماً كتبت النصف الأول ، من هذا المؤلف وقرأته على شيخنا العلامة ، الحافظ ، سراج الدين أبي حفص عمر ، المؤلف بالقاهرة ، ثمَّ كتبت هذا النصف الثاني من نسختين سقيمتين :

أحدهما : من الجهاد إلى باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثمَّ من المغازي إلى أثناء الفرائض .

ومن نسخة ثانية من باب : صفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المغازي ، ومن أثناء الفرائض إلى آخر الكتاب ، و لله الحمد ـ " .

وقد رمزت لها بـ « أ » واعتمدتها أصلاً للأسباب التالية :

ـ لتقدم نسخها حيث أنَّ ناسخها فرغ منها سنة (٨٢١) أي بعد وفاة المؤلف بسبعة عشر عاماً فقط ، بل ذكر ناسخها أنَّه كتب النصف الأول منها في حياة المؤلف وقرأها عليه كما تقدم قريباً .

ـ كون ناسخها أحد تلاميذ ابن الملقن ، وهو من العلماء المعروفين .

ـ لما اشتملت عليه من تصويبات وتهميشات قيّمة وتعليقات مفيدة .

٢/ نسخة دار الكتب المصرية

صورتها في مركز البحث العلمي برقم « ٥٦٢ » حديث وعدد أوراقها « ٣٣١ » لوحة ، ومايتعلق بكتاب التوحيد يبدأ من لوحة رقم « ٢٧٧ » إلى « ٣٣١ » فيكون عدد لوحاتها « ٥٤ » لوحة في كل لوحة صفحتان ، وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة « ٣١ » سطراً .

وقد فرغ من كتابة هذه النسخة عام « ٨٣٢ » أي بعد وفاة المؤلف بتسعة عشر عاماً فقط .

وهي مكتوبة بخط نسخ معتاد واضح ومقروء ، خطها محمد بن محمد بن ابراهيم بن المغربي الدهان ، ورمزت للنسخة بـ « ب » .

منهج التحقيق

١/ قمت بنسخ الكتاب حسب القواعد الإملائية الحديثة متخذاً نسخة « أ » أصلاً .

٢/ قابلت ذلك بنسخة « ب » وأثبتُّ الفروق في الهامش .

٣/ ثمَّ قابلت ذلك بنسخة من شرح ابن بطال وأثبتُّ ماكان مهماً في الهامش.

٤/ إذا كان في نسخة « ب » زيادة تفيد معنى جديداً أو يقتضيها السياق أثبتها في الأصل وجعلتها بين معقوفتين [ ] ولم أشر إلى ذلك في الهامش .

٥/ إذا اقتضى السياق زيادة من شرح ابن بطال أو من المصادر التي ينقل منها المؤلف أو من المحقق أثبته في الأصل وجعلته بين معقوفتين [ ] وأشرت إلى ذلك في الهامش

٦/ إذا ترجح لديَّ أن مافي نسخة « ب » أقرب للصواب أثبته في الأصل بين معقوفتين وأشرت إلى مافي نسخة « أ » في الهامش .

٧/ استعنت بالمصادر التي يغلب على ظني رجوع المؤلف إليها في تقويم النص وتوثيقه وضبطه .

٨/ عزوت الآيات القرآنيه إلى سورها وبينت أرقامها .

٩/ خرجت الأحاديث النبوية وكان عملي فيها على النحو التالي :

أ / أحاديث المتن ــ صحيح البخاري ــ لم أخرجها لثبوت صحتها واشتهار طرقها بيد أنّي أشرت إلى أرقام أطرافها في صحيح البخاري ومواضع تكرارهاجاعلاً ذلك بين معقوفتين عقب الحديث ، أمَّا معلقات البخاري فقد ذكرت من وصلها وموطن ذلك .

ب/ إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إلى مصدره وربما توسعت في تخريجه دون الحكم عليه .

ج/ إذا لم يكن الحديث في الصحيحين أو أحدهما خرَّجته من بقية المصادر متبعاً ذلك بأقوال العلماء في الحكم عليه .

١٠/ خرَّجت الآثار المروية عن الصحابة والتابعين ولم ألتزم الحكم عليها بالصحة والضعف .

١١/ عزوت أقوال العلماء العقدية والحديثية والفقهية واللغوية إلى مصادرها حسب الإمكان .

١٢/ ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم من غير المشاهير ، مضمناً ذلك بشيء من أقوالهم أو مواقفهم العقدية ، وفي هذا فائدة لاتخفى ، ولم أترجم لرجال البخاري إلاَّ لسبب .

١٣/ ينقل الشارح كلام غيره ولاينبه عليه فأضع هذه النقول بين قوسين في النقل النصي وأعزوه إلى مصدره حسب الإمكان أما إذا لم يكن النقل نصياً فإنّي أشير إلى ذلك بقول : انظر .

١٤/ لكون المؤلف ينقل كثيراً من شرح ابن بطال دون إشارة إلى ذلك في الغالب فقد تتبعت ماأخذه من كتابه وجعلته بين قوسين 《 》 ليعلم القاريء مدى استفادة ابن الملقن من ابن بطال - رحم الله الجميع -

١٥/ علّقت على مايحتاج إلى تعليق وخصوصاً في المسائل العقدية ، حيث اضطررت إلى مناقشة المؤلف في كثير من المسائل لمخالفته مذهب السلف في ذلك .

١٦/ شرحت الألفاظ الغريبة وبيَّنت المصطلحات التي ورد ذكرها .

١٧/ عرفت بالأماكن والبلدان والفرق الوارد ذكرها في الكتاب .

١٨/ نظَّمت مادة النص بحسب المتعارف عليه ، واصطلحت في الأقواس على مايلي :

- الآيات القرآنية الكريمة ، جعلتها بين ﴿ ﴾
- الأحاديث النبوية الشريفة ، جعلتها بين (( ))
- الآثار والنقل النصي ، جعلتها بين " "
- مانقله المؤلف من شرح ابن بطال ، جعلتها بين 《 》

- ماكان من غيرالنسخة الأصل " أ " جعلته بين [ ]
- رمزت للنسخة الأصل بـ " أ "
- رمزت للنسخة المساعدة بـ " ب "

١٩/ عملت الفهارس اللازمة .

صورة من الصفحة الأولى من نسخة المكتبة العثمانية بحلب "أ، حل"

٦٩٣

من اراد [illegible] ومن كتب المراسيل ما اودعه ابو داود وابن ابي حاتم وابن بدر الموصلي وغيرهم ومن كتب
الموضوعات ما اودعه ابن طاهر والجوزقاني وابن الجوزي والصغاني وابن بدر الموصلي [illegible] ومن كتب
العلل [illegible] وابن عبد البر وابن رجب [illegible] والعقيلي [illegible]
[illegible] ومن كتب الاطراف اطراف [illegible] وابن عساكر وابن طاهر [illegible]
[illegible] ومن كتب الامالي امالي ابن السمعاني وامالي ابن منده وامالي ابن عساكر ومن كتب الناسخ
والمنسوخ ما اودعه [illegible] ومن كتب المبهمات ما اودعه الخطيب [illegible] وابن بشكوال وابن طاهر [illegible] وما اودعه النووي
[illegible] ومن كتب اللغات والغريب [illegible]
[illegible] والزمخشري في الفائق والهروي في غريبه وابن الاثير في نهايته وجامعه
[illegible] والصحاح والقاموس والمهذب [illegible]
[illegible] ومن كتب شروح [illegible]
[illegible]
ومن كتب الانساب [illegible] والسمعاني وابن الاثير [illegible]
وعلوم الحديث للحاكم وابن الصلاح [illegible]
[illegible]
[illegible] ولسان الاسلام في هذا العالم [illegible]
[illegible]
[illegible] من [illegible] يوم الاحد [illegible]
ولننبه مؤلفه عمر بن [illegible] البخاري [illegible] والله اكرم والمنة ⊙
فرغ من تعليقه [illegible] سنة احدى وعشرين [illegible]
كتبه ابراهيم بن محمد [illegible]
المؤلف [illegible] العلامة [illegible]
[illegible]
ومن [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ⊙

صورة من الصفحة الأخيرة من نسخة المكتبة العثمانية بحلب "الأصل"

رسوله أن يشاور أصحابه فقالت طائفة في مكايد الحروب وعند لقاء العدو وتطييبا لنفوسهم
وتألفا لهم على دينهم وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم وإن كان الله أغناه عن رأيهم
بوحيه روي عن قتادة والربيع وابن إسحق وقال آخرون فيما لم يأته فيه وحي ليبين لهم صواب الرأي
روي عن الحسن البصري والضحاك قالا ما أمر الله نبيه بالمشاورة لحاجة إلى رأيهم وإنما أراد أن
يعلمهم ما في المشورة من الفضل قال الحسن رحمه الله وما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمورهم
وقال آخرون إنما أمر بها مع غناه عنهم لتأديبه تعالى له وسياسته إياه ليستن به من بعده
ويقتدوا به فيما نزل بهم من النوازل قال الثوري وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاستشارة في غير موضع استشار أبا بكر وعمر في أساري بدر وأصحابه يوم الحديبية وأما قوله
تعالى فإذا عزمت فتوكل على الله قال قتادة أمر الله نبيه إذا عزم على أمر أن يمضي فيه
ويتوكل على الله قال المهلب وامتثل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر ربه تعالى
فقال لا ينبغي لنبي لبس لأمته إلى آخره أي ليس ينبغي له إذا عزم أن ينصرف لأنه نقض للتوكل الذي
شرطه الله مع العزيمة فلبسه لأمته دال على العزيمة وفي أخذه عليه السلام بما يراه الله
من الرأي بعد المشورة حجة لمن قال من الفقهاء أن الأنبياء يجوز لهم الاجتهاد فيما لا وحي
عندهم فيه وقد سلف بيانه قريبا وفيه من الفقه أيضا أن للمستشير والحاكم أن يعزم من الحكم
على غير ما قال به مشاوره إذا كان من أهل الرسوخ في العلم وأن يأخذ بما يراه كما فعل
عليه السلام في مسألة عائشة فإنه شاور عليا وأسامة وقد سلف فلم يأخذ بقول أحدهما
وتركها عند أهلها حتى نزل القرآن فأخذ به وكذلك فعل الصديق فإنه شاور أصحابه في مقاتلة
مانعي الزكاة وأخذ بخلاف ما أشاروا به عليه من الترك لما كان عنده متضحا من قوله عليه
السلام إلا بحقها وفهمه هذه الثلاثة مع ما يعضدها من قوله عليه السلام من بدل دينه
فاقتلوه وقول البخاري إذا وضح الكتاب والسنة يعني إن وجد فيها نص لم يتعدوه والأقال
الشافعي وإنما يؤمر الحاكم بالمشورة لأن المشير ينبهه بما يغفل عنه ويدله من الأخبار على
ما يجهله فأما أن يقلد مشيرا فلم يجعل الله هذا لأحد بعد رسوله صلى الله عليه وسلم قال أبو الحسن
القابسي قوله فجلد الرامين لها لم يأت فيه بإسناد وذكره غيره مسندا قلت قد أسلفته مسندا
وقوله فسمع منهما يعني سمع قول علي وأسامة على اختلافهما فيه وقوله ولم يلتفت إلى
تنازعهم يعني عليا وأسامة وأراد تنازعهما وأظن الألف سقطت من الكتاب آخر كتاب
الاعتصام ولله الحمد بسم الله الرحمن الرحيم وبالله المستعان كتاب التوحيد
والرد على الجهمية غالب أحاديثه سلفت باب ما جاء في دعائه عليه
السلام أمته إلى توحيد الله تعالى ذكر فيه حديث معاذ إنك تأتي على قوم من أهل
الكتاب فلتكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله الحديث بطوله وقد سلف في الزكاة وحديث
معاذ أتدري ما حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا الحديث وحديث أبي سعيد
الخدري أن رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح جاء إلى رسول الله

صورة من الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية " ب "

وهذا آخر كلامنا من هذا الشرح المبارك بحمد الله ومنه وكرمه

اللهم إنا ننزهك من النقائص ونبرأ إليك من كل ما نسب إليك مما لا يليق بك ونستغفرك من
كل ما لا نعلم ونتوب إليك مما نعلم ونصلي على هذا النبي المعظم وصفوة العالم الأعلم بحر مدد
عندك جاز لنا على كتابنا هذا شفاعته والرضا منك ومنه عنا ولك الحمد على تسهيل طريق هذا
المصنف المبارك وتهذيبه وتنقيحه على هذا الأسلوب. الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا
لنهتدي لولا أن هدانا الله ونسألك أن تنفع به وأن تعم ببركته والدي وولدي وكل من [illegible]
وكل واقف عليه إنك أهل التقوى وأهل المغفرة. واعلم أيها الناظر في هذا الكتاب
أنه جمع عمل المتقدمين والمتأخرين إلى يومنا هذا فإني نظرت عليه جل كتب هذا الفن من كل نوع
ولنذكر جملة منها [illegible] في الكتب الستة [illegible] والموطأ لمالك
من طرقه وموطأ عبد الله بن وهب ومسند الشافعي والأم والبويطي والسنن من طريق الطحاوي
عن المزني وغيره ومسند الإمام أحمد ومسند أبي داود الطيالسي وعبد بن حميد وابن
أبي شيبة والحميدي والبزار وإسحاق بن راهويه وابن يعلى والحارث بن أبي أسامة وأحمد
ابن منيع [illegible] والمنتقى لابن الجارود وصحيح أبي بكر الإسماعيلي وتاريخ البخاري الأكبر
والأوسط والأصغر وتاريخ ابن أبي خيثمة والجرح والتعديل لابن أبي حاتم والكامل لابن عدي
والضعفاء للبخاري والنسائي والعقيلي وابن شاهين وابن حبان وابن الجارود وابن الجوزي
وتاريخ نيسابور للحاكم وبغداد للخطيب وذيله وذيل ذيله وتاريخ دمشق لابن عساكر
ومستدرك الحاكم على الصحيحين وصحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان وصحيح ابن عوانة
والمعاجم الثلاثة للطبراني الكبير والأوسط والصغير وسنن البيهقي والمعرفة له والشعب
أيضا وسنن اللالكائي وسنن أبي علي بن السكن وأحكام عبد الحق الثلاثة الكبرى والصغرى
والوسطى وكلام ابن القطان على الكبرى وأحكام الضياء المقدسي وابن بزيزة وأحكام المحب
الطبري وابن الطلاع وغير ذلك وثقات ابن شاهين وابن حبان والمختلف فيهم لابن
شاهين وآخرهم الكمال لعبد الغني وتهذيب الكمال للحافظ المزي وتذهيب تهذيبه بزيادات
واستدراكات ومختصره للذهبي وميزانه والمغني في الضعفاء له والذب عن الثقات ومن
تكلم فيه وهو موثق ومن كتب الكنى النسائي والدولابي وأبو أحمد الحاكم ورجال
الصحيحين للكلاباذي وابن طاهر وغيرهما والمدخل إلى الصحيحين للحاكم والأسماء المفردة
للحافظ أبي بكر البرديجي ورجال الكتب الستة لابن عطية وكشف النقاب عن الأسماء
والألقاب لابن الجوزي والأنساب لابن طاهر وإيضاح الشك للحافظ أبي بكر البغدادي
وموضح أوهام الجمع والتفريق له وتلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه
عن بوادر التصحيف والوهم أيضا وأسماء من روى عن مالك له وكتاب الفصل للوصل المدرج
في النقل له ومن كتب العلل ما أودعه أحمد وابن المديني وابن أبي حاتم والدارقطني وابن القطان
في وهمه وابن الجوزي في علله. قال ابن مهدي الحافظ لأن أعرف علة حديث أحب إلي من

صورة من الصفحة قبل الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية "ب"

[illegible]

كتاب التوحيد والرد على الجهمية

ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله عز وجل

[illegible]

صورة من الصفحة الأولى من شرح ابن بطال

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المهلب فأخبر الله تعالى أنه يضع الموازين لوزن أعمال العباد بها فيريهم
أعمالهم ممثلة في الميزان لأعين العاملين ليكونوا على أنفسهم شاهدين قطعا لحججهم وإبلاغا في
إنصافهم من أعمالهم الحسنة وتبكيتا لمن قال [illegible] كثيرا مما يعملون وتقصيا عليهم لأعمالهم
المخالفة لما شرع لهم [illegible] على عدله في جميعهم وأنه لا يظلم مثقال حبة من خردل حتى يعترف
كل منهم بنسبه من عمله ويميز ما عمله [illegible] من فعله ويسأله عنه اعترافا [illegible] كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا [illegible] وقيل إن الميزان [illegible] تسبيح لله تعالى وتقديسه من
أفضل النوافل وأعظم الذخائر عنده عز وجل ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم حبيبتان إلى
الرحمن [illegible] وقال القسط مصدر المقسط فأما أراد المصدر المحذوف
الزوائد كالقدر مصدر [illegible] قال الشاعر [illegible]
وإن يهلك فذلك كان قدري يعني تقديري [illegible] إلى الأصل ومثله [illegible]
وأما [illegible] المصادر لترد الكلام إلى أصله ويدل عليه ومصدر المقسط الجاري
على فعله الإقساط [illegible] تم الكتاب بحمد الله وعونه وصلواته على
خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم وكان الفراغ من نسخه في اليوم المبارك في اليوم الثامن
من شهر شعبان الكريم سنة [illegible] على يد كاتبه العبد الفقير إلى رحمة الله علي [illegible] عبد الله
الإمام [illegible] غفر الله له ولوالديه ولمالكه ولمستمعيه وللناظرين فيه ولمن دعا
له بخاتمة الخير عند منتهى الأجل له ولجميع المسلمين والمسلمات وصلى الله على سيدنا محمد [illegible]
وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
أما [illegible] الله [illegible] مع النبي
وأسكنه [illegible] ذو العرش العلي

صورة من الصفحة الأخيرة من شرح ابن بطال

القسم الثاني

نص الكتاب المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً﴾*

كتاب التوحيد [١] والرد على الجهمية [٢]

غالب أحاديثه سلفت

١ - بـــــاب

ماجاء في دعائه عليه السلام أمته إلى توحيد الله تعالى

ذكــر فيه :

[٧٣٧٢]حديث بعث معاذ رضي الله عنه « إنَّك تأتي على قـوم من أهـل الكتـاب فليكن أول ماتدعوهم إلى أن يوحدو الله...» الحديث بطوله،وقد سلف في الزكاة [٣] .

[الحديث أطرافه في :١٣٩٥،١٤٥٨،١٤٦٩،٢٤٤٨،٤٣٤٧،٧٣٧١]

---

* في « ب » : وبالله المستعان ، بدلاً من هذه الآية ، والآية من سورة الكهف، آية (١٠)

---

[١] التوحيد لغة : مصدر وحَّد يوحد توحيداً

واصطلاحاً : إفراد الله بالعبادة ، مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً .

انظر : معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس (٦/ ٩٠) ،لوامع الأنوار ، للسفاريني (١/ ٥٦ - ٥٧).

[٢] الجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان ، الذي ظهرت بدعته بترمذ ، وقتله سلم بن أحوز بمرو ، في آخر ملك بني أمية ، وهم فرقة أوغلت في الضلال ، وزاغت عن الصراط المستقيم ؛ بعقائد وبدع فاسدة ، من أهمها :

١/ نفي صفات الله ـ جلا وعلا ـ ، من علم وقدرة وحياة ، وغيرها.

٢/ القول بأنَّ الإيمان : هو مجرد المعرفة بالله ، والكفر هو : الجهل به فقط .

٣/ القول بفناء الجنة والنار .

٤/ القول بخلق القرآن . ونفي رؤية الله في الآخرة .

٥/ القول بحدوث علم الله ـ جلا وعلا ـ وكلامه .

٦/ القول بأنَّ العبد مجبور على فعله ، لاقدرة له ، ولاإرادة .

(انظر : الفـرق بين الفـرق ، للبغـدادي ص ٢١١ ، ٢١٢ . والملـل والنحـل للشهرستاني (١/٩٧-٩٩) وتاريخ الجهمية والمعتزلة للقاسمي :ص١٠ ومابعدها).

[٣] انظر : صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة (٣ / ٣٠٧) ح (١٣٩٥)

[٧٣٧٣] وحديث معاذ رضي الله عنه «أتدري ماحق الله على العباد ؟ أن يعبدوه ولايشركوا به ...» الحديث. [أطرافه في : ٢٨٥٦، ٥٩٦٧ ، ٦٢٦٧ ، ٦٥٠٠]

[٧٣٧٤] وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أنَّ رجلاً سمع رجلاً يقرأ [1] : ﴿ قل هوالله أحد ﴾ يرددها ، فلمَّا أصبح جاء إلى رسول الله // صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له - وكأنَّ الرجل يتقالها - فقال عليه السلام : « والذي نفسي بيده ، إنَّها لتعدل ثلث القرآن »

ب/٢٧٦ أ

زاد اسماعيل بن جعفر - يعني : شيخ البخاري[2] - ، عن مالك ، عن عبدالرحمن ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، - أي كما أسلفه في الأول - وزاد قال : « أخبرني أخي[3] قتادة بن النعمان** عن النبي صلى الله عليه وسلم ».

[طرفاه في : ٥٠١٣ ، ٦٦٤٣]

[٧٣٧٥] وحديث عائشة رضي الله عنها : « أنَّه (عليه السلام بعث رجلاً)*** على سرية... » الحديث سلف[4] .

* في « ب » : فكأنَّ .

** في « ب » : قتادة أخي .

*** مابين القوسين ساقط من : « ب » .

(1) القاريء هو : قتادة بن النعمان ، والذي سمعه : أبو سعيد الخدري راوي الحديث ؛ لأنَّه أخوه لأمه ، وكانا متجاورين ، وبذلك جزم ابن عبدالبر ، فكأنَّه أبهم نفسه وأخاه . يدل لذلك أثران : أخرج أحمد عن أبي سعيد قال : « بات قتادة بن النعمان يقرأ من الليل كله قل هو الله أحد لايزيد عليها » وأخرج الدار قطني هذا الحديث بلفظ : أنَّ لي جاراً يقوم بالليل فما يقرأ إلا بقل هو الله أحد ». انظر : الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر (١٤٥/٩) وفتح الباري ، لابن حجر (٦٧٦/٨)

(2) هكذا جاء في النسختين ، واسماعيل بن جعفر ليس شيخاً للبخاري ، وإنَّما هو شيخ شيخه : أبي معمر الهذلي . وانظر الفتح (٦٧٦/٨ و ١٣ / ٣٦٨)

(3) قتادة هو أخو أبي سعيد لأمه ، أمهما أنيسة بنت عمرو بن قيس بن مالك من بني النجار . انظر: الفتح (٨/ ٦٧٦) وتهذيب التهذيب ، لابن حجر (٨/ ٣٥٨) .

(4) انظر : صحيح البخاري مع الفتح (٢ / ٢٩٨) ح (٧٧٤) .

ووجه ذكره [(١)] (هذه الأحاديث هنا : ماشتملت عليه من التوحيد ، وكذا ذكره)* ﴿ قل هو الله أحد ﴾[(٢)] ((لأنَّها : سورة تشتمل على توحيد الله ، وصفاته الواجبه له ، وعلى نفي مايستحيل عليه من أنَّه لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

وتضمنت ترجمة الباب : أنَّ الله واحد ، وأنَّه ليس بجسم[(٣)] ؛ لأنَّ الجسم ليس بشيء واحد ، وإنَّما هي أشياء كثيرة مؤلفة .

---

* مابين القوسين ساقط من : ((ب)) .

---

(١) أي الإمام البخاري رحمه الله .

(٢) سورة الإخلاص ، الآية (١) .

(٣) إطلاق لفظ ((جسم)) على الله تعالى نفياً أو إثباتاً من الألفاظ المبتدعة ، لأنَّه ليس في الكتاب والسنة ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها .

ولم يتكلم الناس في الجسم إلا بعد ظهور الجهمية ـ نفاة الصفات ـ ، وقد قيل : إنَّ أول ماتُكلم في الجسم ـ نفياً وإثباتاً ـ من زمن هشام بن الحكم ، وأبي الهذيل العلاف ، فالعلاف وقدماء المعتزلة : نفوا الجسم ، فعارضهم هشام ، وأثبت الجسم ، فصارت طائفة تقول : بأنَّ الله جسم ـ وهم قدماء الشيعة والكرامية ـ وأخرى تصفه بأنَّه ليس بجسم ، وهم المعتزلة والجهمية وتبعهم الأشاعرة. وتوسطت طائفة ثالثة ـ وهم أهل السنة والجماعة ـ فامتنعوا من اطلاق القول بهذا وهذا ، لكونه بدعة في الشرع ، أو لكونه في العقل يتناول حقاً وباطلاً ، فمنهم من يكف عن التكلم في ذلك ، ومنهم من يستفصل المتكلم ، فإن أراد معنى صحيحاً قبله ـ وعبر عنه بعبارة شرعية ـ وإن ذكر معنى باطلاً رده ، وذلك لأنَّ لفظ الجسم من الألفاظ المحتملة ، التي تطلق على أكثر من معنى .

يقول شيخ الإسلام ـ ابن تيمية ـ : وإذا قالوا : إنَّه ليس بجسم أوهموا الناس أنَّه ليس من جنس المخلوقات ، ولامثل أبدان الخلق ، وهذا المعنى صحيح ، ولكن مقصودهم بذلك ، أنه لايرى ، ولايتكلم بنفسه ، ولايقوم به صفة ، وأمثال ذلك . (انظر: درء تعارض العقل و النقل ١١/٢ ، ومنهاج السنة ، كلاهما لابن تيمية : ١٣٥/٢ ، ١٩٢، ١٩٨، ومجموع فتاوى ابن تيمية : ١٠٥/١٣ ، والدين الخالص، لصديق حسن خان : ١٠٢/١-١٠٦)

في نفس الترجمة الرد على الجهمية في قولها : إنَّه تعالى جسم ـ تعالى الله عن قولهم ـ [١] .

والدليل على استحالة كونه جسماً : أنَّ الجسم موضوع في اللغة للمؤلف المجتمع [٢] ، وذلك * محال عليه ـ تعالى ـ لأنَّه لو كان كذلك لم ينفك عن الأعراض [٣] المتعاقبة عليها ، الدالة ـ بتعاقبها عليه ـ على : حدثها [٤] ؛ لفناء بعضها عندمجيء أضدادها ، ومالم ينفك عن المحدثات ؛ فمحدث مثلها .

---

* في « ب » ذلك .

---

[١] كذا في أ و ب ، وابن بطال ؛ والمعروف عن الجهمية أنَّهم ينفون الصفات فراراً من التجسيم ؛ بزعمهم . فلعله أراد : الجسمية ، أو المجسمة ، فتصحفت ، قال الحافظ ابن حجربعد نقله لكلام ابن بطال هذا : كذا وجدت فيه ، ولعله أراد أن يقول : المشبهة . انظر : الفتح (٣٥٧/١٣) .

[٢] انظر تفصيل المراد بالجسم عند من يثبته ومن ينفيه : كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري (٣٠١ ـ ٣٠٦) ، ومنهاج السنة ، لابن تيمية (١٣٤/٢ ، ١٩٨) . وانظر معناه في اللغة : لسان العرب، لابن منظور : (١٢/ ٩٩) .

[٣] جمع عرض وهو : الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع ، أي : محل يقوم به ، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به ، انظر : التعريفات ، للجرجاني (١٩٢).

[٤] الحدث : كون الشيء مسبوقاً بالعدم ، ويسمى : حدوثاً زمانياً ، وقد يعبر عن الحدوث بالحاجة إلى الغير، ويسمى : حدوثاً ذاتياً . انظر : التعريفات للجرجاني ، (١١٠) ، والمعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية ، (٧٠) .

وقد قام الدليل على قِدَمه [١] - تعالى - فبطل كونه جسماً ›› [٢] .

فصل

ينبغي أن يعتقد: أنَّ الله ـ تعالى ـ في عظمته ، لايشبه[٣] شيئاً من مخلوقاته ، ولايشبه به ، وأنَّ ماجاء مما أطلقه الشرع على الخلق والمخلوقات ، فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي ؛ إذصفات القديم بخلاف صفات المخلوق . فكما أنَّ ذاته لاتشبه الذوات ، فكذلك صفته لاتشبه صفات المخلوقين ؛ إذ صفاتهم لاتنفك عن الأعراض، والأعراض هو* ـ تعالى ـ منزه عنها.

* في ‹‹ ب ›› وهو .

(١) انظر حكم اطلاق القِدَم على الله سبحانه وتعالى : شرح الطحاوية ، لابن أبي العز (١/٧٧)

(٢) ما بين القوسين منقول من شرح ابن بطال لصحيح البخاري (٤/٣٣٧/أ) .

والمتكلمون يحرصون جداً على إثبات أنَّ الله ليس بجسم ، ويستدلون لذلك بأدلة عقلية ، سعياً لتقرير هذا الأمر ، ولعل مرادهم من ذلك أن يكون هذا الدليل سنداً لهم في نفي صفات الله الثابتة بالقرآن أو بالسنة ، بحجة أنَّ اثبات ذلك يقتضي التجسيم ، ولاشك أنَّ هذا المسلك خاطيء لايحصل به تنزيه ، ومع ذلك فهو دليل متناقض لايستقيم لهم ، فإنّه مامن أحد ينفى شيئاً من الصفات أو الأسماء ، فراراً من التجسيم إلا ويقال له فيما أثبته نظير ماقاله فيما نفاه ، سواء كانوا جهمية يثبتون وجود الله وينفون أسماءه وصفاته أم معتزلة يثبتون الأسماء وينفون الصفات ، أم أشاعرة يثبتون بعضاً من الصفات وينفون البقية ، انظر لذلك : مجموع الفتاوى (٣/٧٩-٨١)و (٦/٧٤-٧٦).

(٣) التشبيه في اللغة هو : التمثيل مطلقاً ، والمقصود به : التسوية بين الخالق والمخلوق فيما يختص بأحدهما، فله طرفان :

الأول : تسوية الخالق بالمخلوق فيما هو من خصائص المخلوق .

الثاني : تسوية المخلوق بالخالق فيما هو من خصائص الخالق . ومصطلح التشبيه غير وارد في القرآن والسنة ، فالأولى التعبير بالتمثيل لأنّه الوارد ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ . انظر : الفرق بين الفرق (٢٢٥) مجموع الفتاوي (٣/١٦٦) الكليات ص(٢٧٠) القواعد الكلية ص(٤١).

قال بعضهم : " التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات " [١] .

وقال الواسطي : " ليس كذاته ذات ، ولاكاسمه* اسم ، ولاكفعله فعل ، ولاكصفته صفة، إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ . وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة[٢] ؛ كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة . من اطمأنَّ إلى موجود انتهى إليه فكره ، فهو مشبه . ومن اطمأنَّ إلى النفي المحض ، فهو معطل . وان اعترف** بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته ، فهو موحد " [٣] .

وقال ذو النون[٤] : " حقيقة التوحيد : أن تعلم أنَّ قدرة الله ـ تعالى ـ في الأشياء ، بلا علاج . وصنعه لها بلا مزاج[٦]

---

* في « ب » : ولالاسمه .

** في « ب » : قطع .

---

[١] ذكر هذا القول صاحب شرح جوهرة التوحيد ، ولم يعزه لأحد ، وعزا القشيري , والباقلاني كلاماً بمعناه إلى أبي الحسن البوشنجي . انظر : الرسالة القشيرية ص(٤) ، الإنصاف ص (٤٨) ، شرح جوهرة التوحيد ، للبيجوري ص(١٠)

[٢] هذه العبارة ليست على اطلاقها ، فالله سبحانه وتعالى له صفات فعلية قائمة به ، قديمة النوع حادثة الآحاد ، كصفة الكلام مثلاً ، وصفة الفرح والغضب ونحوهما . وهي الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله وإرادته ، وهي التي يسميها المتكلمون بالصفات المحدثة .

[٣] انظر : الدليل القويم للعبدري (ص ٥٥ – ٥٦) بواسطة هامش كتاب الإنصاف (٤١–٤٢).

[٤] ذو النون ، هو المصري : ثوبان ، وقيل فيض بن أحمد ، وقيل فيض بن ابراهيم النوبي ، الإخميمي ، روى عن مالك والليث وغيرهم ، وكان واعظاً مشهوراً.

قال الذهبي : ماروى الحديث ، ولاكان يتقنه ، كان أبوه نوبياً ، اتهم بالزندقة . وله كلام لايقر عليه ، كان مولده في أواخر أيام المنصور ، وتوفي سنة ٢٤٥ .انظر حلية الأولياء (٣٣١/٩) والسير (٥٣٢/١١).

[٦] المزاج هو : عبارة عن كيفية حادثة من تفاعل بين كيفيات العناصر بعضها عن بعض ، باجتماعها وتماسها . انظر ، المبين ، للآمدي (ص٩٣) والتعريفات ، للجرجاني (ص٢٧٠) . وانظر عن معنى المزاج وأقسامه ، المواقف في علم الكلام ، للإيجي ص (٢٢٤ -٢٢٨)

وعلة *[1] .كل شيء صنعه، ولاعلة لصنعه[2] ، وماتصور في وهمك فالله بخلافه[3][4].

فصل

قوله عليه السلام لمعاذ : « فليكن أول ماتدعوهم إليه أن يوحدوا الله » يريد : وينزعون عن مقالتهم : عزير ابن الله، والمسيح ابن الله[5] ، ويقرون أنَّ الله واحد لاشريك له . وذلك كله راجع إلى التوحيد .

---

*في « ب » : وعلمه.

---

[1] العلة في اللغة : معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل . وهي عند المتكلمين : مايتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً مؤثراً فيه . انظر : التعريفات ص (٢٠١) التوقيف على مهمات التعاريف ، للمناوي ص (٢٤٥).

[2] قول المؤلف : ولاعلة لصنعه ، تبع فيه الأشاعرة القائلين بأنَّ الله خلق المخلوقات ، وأمر المأمورات ، لالعلة ولالداع ولالباعث ، بل فعل ذلك لمحض المشيئة ، وصرف الإرادة . وقولهم هذا مجانب للصواب ، بل الأدلة على خلافه ، فإنَّ كل ماخلقه الله تعالى فله فيه حكمة ، والحكمة تتضمن شيئين : أحدهما : حكمة تعود إليه تعالى ، يحبها ويرضاها . والثاني : حكمة تعود إلى عباده ، هي نعمة عليهم ، يفرحون بها ، ويلتذون بها ، وهذا يكون في المأمورات وفي المخلوقات . فالله لايفعل شيئاً عبثاً ، بل أفعاله صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل ، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل . انظر : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن القيم (٢/١٢٧ ـ٢٥٥) والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى ، للدكتور محمد ربيع المدخلي ، وموقف ابن تيمية من الإشاعرة (٣/١٣١٠ ـ ١٣١٥) .

[3] انظر : الرسالة القشيرية ص (٤ ،١٤٨) وفيها : أنْ تعلم أنَّ قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج ، وصنعه للأشياء بلا علاج ... . وانظر : سير أعلام النبلاء ، للذهبي (١١ ٥٣٣) .

[4] هذا التعريف لحقيقة التوحيد تعريف ذوقي وليس شرعياً فإنَّ حقيقة التوحيد إفراد الله بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً .

[5] لأنَّ أهل الكتاب ـ الذين أرسل إليهم معاذ ـ يعتقدون هذا. قال تعالى ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم . يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون ﴾ التوبة ،الآية (٣٠) .

فصل

وفيه الدعوة قبل القتال[1] ، واختلف فيمن بلغته الدعوة هل يدعى أم لا ؟ ففي المدونة [2] روايتان عن مالك[3] .

---

[1] وهي واجبة لمن لم تبلغه الدعوة ، لحديث بريدة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية : أوصاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين ، ثم قال : ... وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال .. الحديث) رواه مسلم ١٢/٥٥ ، ٥٦ (١٧١٣) وإلى هذا ذهب الأئمة الأربعة وغيرهم .

انظر : المدونة ، للإمام مالك (٢/٢) ، والأم للشافعي (٤/٣٣٩) ، والمغني ،لابن قدامة (١٣ / ٢٩) ،وشرح مسلم للنووي (١٢/٥٤)

[2] قال الإمام الذهبي واصفاً لها : "وأصل المدونة أسئلة ، سألها أسد بن الفرات لابن القاسم ، فلما ارتحل سحنون بها عرضها على ابن القاسم ، فأصلح فيها كثيراً ، وأسقط ، ثم رتبها سحنون ، وبوبها ، واحتج لكثير من مسائلها بالآثار من مروياته ، مع أنَّ فيها أشياء لاينهض دليلها ، بل رأي محض ، وحكوا أنَّ سحنون في أواخر الأمر علّم عليها ، وهم باسقاطها وتهذيب المدونة ، فأدركته المنية ، رحمه الله " . سير أعلام النبلاء (١٢ / ٦٨)

[3] الذي وقفت عليه في المدونة ــ عن مالك ــ : وجوب الدعوة قبل القتال ، إلالمن قارب الدروب . وذكر ابن عبدالبر عنه هذا القول ، وقولاً آخر وهو : أنَّ الدعوة أصوب ، إلا أنَّ يعجلوا المسلمين .

والصحيح أنَّ دعوة من بلغتهم الدعوة ، إنَّما هي على الإستحباب ، لاالوجوب جمعاً بين أمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً حين أعطاه الراية يوم خيبر وبعثه إلى قتالهم ، أن يدعوهم « الحديث رواه البخاري برقم ٢٩٤٢ » وهم ممن بلغتهم الدعوة ، وبين حديث إغارة النبي صلى الله عليه وسلم على بني عبد المصطلق وهم غارُّون « الحديث في صحيح البخاري برقم ٢٥٤١ وفي صحيح مسلم برقم ١٧٣٠ » وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل ابي الحقيق غاراً « والحديث في البخاري برقم ٤٠٣٩ و ٤٠٤٠ » . وغيرها من الأحاديث .

وإلى هذا القول ذهب الأئمة : أبو حنيفة ، والشافعي ، والحسن البصري ، وسفيان الثوري ، وأبو يوسف ومحمد بن الحسن ، وابن عبدالبر ، وابن قدامة ، والنووي ، وابن القيم ، وغيرهم .
انظر : المدونة (٢/٢)والأم (٤/٣٣٩) والتمهيد، لابن عبدالبر (٢/٢١٥ ـ٢٢٣)، والمغني (١٣/٣٠)وشرح مسلم للنووي (١٢/٥٤)، وأحكام أهل الذمة، لابن القيم (١/٥).

أ / ٨٢٢

وأما من لم تبلغهم* ، فلا يقاتلوا حتى يدعوا[١] //، فإن شك في أمرهم ، فالدعوة أقطع للشك .

[وقال أبو حنيفة : " ان بلغتهم فحسن أن يدعوا قبل القتال "**][٢]

وقال الشافعي : " لاأعلم أحداً من المشركين لم تبلغه الدعوة إلا أن يكون خلف الذين يقاتلون قوم من المشركين خلف الترك والخوز[٣] ***لم تبلغه الدعوة فلايقاتلوا حتى يدعوا[٤] " .

فصل

وقوله : ((فإذا عرفوا ذلك ، فأخبرهم أنَّ الله فرض عليهم خمس صلوات)) .

قال الداوودي [٥] : " يريد لا تفاجئهم في ذلك " .

---

* في ((ب)) : تبلغه .

** مابين المعكوفين ساقط من ((أ)) . ولعل موقع العبارة الصحيح بعد قوله : روايتان عن مالك ، المتقدم .

*** في ((ب)) : والخرز ، وكذا هو في الأم .

---

[١] انظر تفصيل الحكم في الصفحة السابقة .

[٢] انظر : التمهيد ، لابن عبدالبر (٢/٢١٦) وبدائع الصنائع ، في ترتيب الشرائع ،للكاساني (١٠٠/٧)

[٣] الخوز ـ بضم أوله ، وتسكين ثانيه وآخره زاي ـ : بلاد خوزستان ، وأهل تلك البلاد يقال لهم : الخوز . والذي في الأم : الخرز ، وهو اسم جبل ، والمثبت هو الموافق للسياق . انظر الأنساب للسمعاني (٤١٦/٢) ، ومعجم البلدان ، لياقوت الحموي (٢ / ٤٠٤) ، وفتح الباري (٦ / ٧٠٣) . وقد ورد فيهم حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرعات من الأعاجم ...)) صحيح البخاري / كتاب المناقب / باب علامات النبوة (٦ / ٦٩٩ فتح) .

[٤] انظر الأم (٣٣٩/٤ ، ٣٤٠)

[٥] هو عبدالرحمن بن محمد بن المظفر بن الداودي ، البوشنجي ـ بضم الباء الموحدة وفتح الشين المعجمة واسكان النون ـ . تفقه على أبي بكر القفال وأبي حامد الإسفراييني وغيرهم كان فقيهاً إماماًصالحاً زاهداً ورعاً أديباً . ولد سنة(٣٧٤ هـ) وتوفي سنة ((٤٦٧)) . وقد ترجم له المؤلف في مقدمة هذا الكتاب.انظر :الأنساب،للسمعاني ((٢/ ٤٤٨)) السير ((١١٧/٨))طبقات السبكي ((١٧٧/٥)) التوضيح ، لابن الملقن ،القسم الأول . تحقيق زبن العتيبي ((١ /٢٠٢)) .

وظاهر الحديث ، أنَّ [ذلك] يفعل بهم عقب معرفتهم .

قال ابن العطار [١] في دقائقه : " فإذا أجاب بالإسلام ، وأقر برسالة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، ووقف على الشرائع ، والأحكام //، وحدود الوضوء ، ب/٢٧٦/ب والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج مع الاستطاعة إلى بيت الله الحرام ، فإن لم يلتزم ذلك لم يقبل إسلامه ، ولايكون بذلك مرتداً . بخلاف من صلى ، ثم ارتد ، فإنّه إن صلى صلاة واحدة ، وارتد ، فإنّه يستتاب حينئذ ، فإن تاب وإلا قتل " .

وقال بعض متأخريهم[٢] : « إذا أقر بالإلهية ، والوحدانية ، وأنكر الصلاة أو الصوم أو الحج ، كان على حكم المرتد ، ولا تقبل منه جزية إن بذلها ليبقى على ماكان عليه [قبل ذلك*] [٣]

فصل**

وقوله : « زكاة تؤخذ من أغنيائهم ، فترد على فقرائهم » فيه دليلان :

أحدهما: أنَّ من له نصاب فهو غني لايجوز له أخذ الزكاة،وهو قول مالك في رواية المغيرة[٤]

* مابين المعكوفين ساقط من « أ » .

** في « ب » : وقوله .

[١] علي بن إبراهيم بن داود ، أبو الحسن ، علاء الدين ابن العطار ، الدمشقي الشافعي ، ويلقب بـ « مُخْتَصِر النووي » ، فقيه متكلم محدث ، كان مولده سنة ٦٥٤ وتوفي عام ٧٢٤ . انظر : برنامج الوادي آشي (٨٦ – ٨٨) ، الأعلام (٤ / ٢٥١) معجم المؤلفين (٢ / ٣٨٧) .

[٢] لم يتبيَّن لي المقصود ، ولعل المؤلف نقل كلاماً مرتبطاً بما قبله ممّا سبَّب هذا الغموض .

[٣] انظر : الأم ، للشافعي (٦ / ٢٢٢) والمغني ، لابن قدامة (١٢ / ٢٨٨ – ٢٩٢) .

[٤] هو المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث المخزومي ، أبو هاشم ، ويقال أبو هشام ، المدني ، سمع أباه ومالكاً وغيرهما ، قال ابن عبدالبر : كان مدار الفتوى في آخر زمان مالك وبعده على المغيرة بن عبدالرحمن ، ومحمد بن ابراهيم بن دينار . كان لمالك مجلس يقعد فيه وإلى جانبه المغيرة ، لايجلس فيه سواه وإن غاب المغيرة ، له كتب فقه قليلة ، كان مولده سنة (١٢٤) ، وتوفي سنة (١٨٦) . انظر : الديباج المذهب ، لابن فرحون (٣٤٣/٢) وتهذيب التهذيب ، لابن حجر (٢٦٤/١٠) .

وبه قال أبو حنيفة[١] .

ولمالك عند محمد[٢] ((يأخذ من له أربعون*ديناراً[٣] [٤]))

* في ((ب)) : أربعين

[١] قال الباجي : وروى المغيرة عن مالك أنّه قال : إذا كان يفضل له من ثمن داره : عشرون ديناراً ، لم يعط من الزكاة وهذا يدل على مراعاة النصاب ، وبه قال أبو حنيفة .المنتقى شرح موطأ الامام مالك ، للباجي (٢/١٥٢).

[٢] هو محمد بن ابراهيم بن زياد المؤاز ، أبو عبدالله . كان راسخاً في الفقه والفتيا ، انتهت اليه رياسة المذهب المالكي في عصره ، صنف كتابه المشهور (الموازيه) قيل : إنّه من أجل ماألفه المالكيون . توفي بدمشق ، سنة ٢٦٩ ، وقيل : ٢٨١هـ . انظر الديباج المذهب (٢/١٦٦) والأعلام (٥ / ٢٩٤).

[٣] انظر المنتقى للباجي (٢/١٥٢) وقال بعد ذكره هذه الرواية : وهذا يقتضي أنّ المراعى في ذلك قدر حاجته في نفسه وعياله ، دون النصاب .

[٤] حاصل الخلاف في حد الغني الذي لايجوز له أخذ الزكاة مايلي :

أ / أنّ الغني هو من ملك نصاباً ، واستدل أصحاب هذا القول بحديث بعث معاذ إلى اليمن ، حيث وصف من تؤخذ منه الزكاة بالغني ، وقد قال : ((لاتحل الصدقة لغني)) .
وهذا قول أبي حنيفة وأصحابه ، وهو رواية عن مالك .

ب/ أنّ الغني هو من كان له أربعون درهماً ، واستدلوا بظاهر حديث أبي سعيد ـ عند النسائي ـ وفيه : ((ومن سأل وله أوقية فقد ألحف)) ، وحديث : ((من سأل وله أربعون درهماً فهو الملحف)) رواه النسائي برقم ((٢٥٩٤))وإلى هذا ذهب الحسن البصري ،وأبي عبيد بن سلام ، وهو الظاهر من تصرف البخاري ، وروى الواقدي هذا القول عن مالك .

ج / أنّ الغني هو: من ملك خمسين درهماً ، لحديث : ((من سأل وله مايغنيه ....، فقيل يارسول الله ، ومالغنى ؟ ، قال : خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب)). رواه الترمذي برقم ((٦٥٠)) والنسائي برقم ((٢٥٩٥)) وأبو داود برقم ((١٦٢٦))وإلى هذا ذهب أحمد في الرواية المشهورة وابن راهويه ، وابن المبارك والنووي.

د / أنّ الغنى ماتحصل به الكفاية ، فإن لم يكن محتاجاً ، حرمت عليه الصدقة ، وإن لم يملك شيئاً

⇐⇐⇐

وثانيهما : أنَّ الزكاة لاتنقل*، وإنّما تصرف في فقراء الموضع الذي تؤخذ منه ، فإن خالف، فالأصح عدم** الإجزاء عندنا[١] ، وإن كان دون مسافة القصر[٢].

وقال سحنون [٣] [به]***[٤] إذا كان بقريته فقراء[٥] .

وقال ابن اللبَّاد[٦] : " يجزئه " وهذا استحسان [٧] ،

* في ب : لاتقبل ٠

** ساقطة من : ب ٠

*** ساقطة من : أ ٠

⇐⇐⇐

وإن كان محتاجاً حلّت له الصدقة ، وإن ملك نصاباً ، وذلك لأنَّ الحاجة هي الفقر ، والغنى ضدها ، فمن كان محتاجاً ، فهو فقير داخل في عموم النص . وهذا قول مالك في المشهور عنه ، والشافعي ، ورواية عن أحمد ، وهو اختيار أبي الخطاب .

انظر: المدونة (٢٩٥/١) ، معالم السنن للخطابي (٤٨/٢) ، التمهيد (٩٦/٤ ـ ١٠٥) ، المنتقى ، للباجي (١٥٢/٢) ، المغني لابن قدامة (١١٨/٤-١٢٢) ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، لابن رشد (٣٢٣/١ ، ٣٢٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، للمباركفوري (٢٥٤/٣) .

[١] أي عند الشافعية

[٢] انظر: المجموع شرح المهذب ، للنووي (٢٢١/٦)

[٣] سحنون بفتح السين وضمها ـ ، هو : عبدالسلام بن حبيب بن حسان بن هلال التنوخي ، أبو سعيد المالكي ، الملقب بسحنون . فقيه المغرب وصاحب المدونة ، لم يتوسع في الحديث كما توسع في الفروع . قال ابن القاسم : ماقدم إلينا من إفريقية مثل سحنون . توفي سنة (٢٤٠هـ) عن(٨٠) سنة . انظر الديباج المذهب (٣٠/٢) وسير أعلام النبلاء ، للذهبي (٦٣/١٢) .

[٤] أي : بعدم إجزاء الزكاة إذا نقلت خارج بلد المزكي .

[٥] انظر البيان والتحصيل ، لابن رشد (٥٠٨/٢) وقال ابن رشد معقباً على ذلك : يريد أنّها لاتجزئه في الاختيار والإستحسان ، لأنّه يجب عليه إعادتها فرضاً .

[٦] ابن اللباد هو: محمدبن محمد بن وشاح اللخمي ، أبو بكر بن اللباد .فقيه مالكي ، عالم بالتفسير واللغة ، من أهل القيروان ، صنف كتاب :(اثبات الحجة في بيان العصمة) وكتاب (الطهارة) و (مناقب مالك) وغيرها. لم يكن له رحلة ولاحج ، امتحن وسجن ، واصيب بالفالج في آخر عمره ، توفي سنة (٣٣٣هـ) انظر الديباج المذهب (١٩٦/٢) والسير (٣٦٠/١٥) والأعلام للزركلي (١٩/٧).

[٧] انظر المنتقى للباجي (١٥٠/٢) ومعنى قوله : "وهذا استحسان "أي صرف الزكاة في بلد المزكي، دليله الاستحسان

وقد أشار نحوه ابن القصار[١] [٢] ،واختلف عندهم ؛ هل يستأجر عليها منها أو من ماله ؟ [٣] .

فصل

قال الداوودي : " فيه تأخيرالبيان ، بأنّ الفروض لم تلزم من لم يسمعها حتى يسمع* ، وأنّه لاقضاء عليه فيما يُقضي" .

فصل

وقوله : « وتوق كرائم أموال الناس »، أي : اجتنب خيار مواشيهم أن تأخذها في الزكاة .

وكرائم : جمع كريمة ، وهي الشاة الغزيرة اللبن[٤] .

واختُلِف إذا كانت جياداً كلها ، أو رديَّة كلها ، أو سخالاً[٣] ؟ على أربعة أقوال للمالكية :

ففي المدونة :« يأتي زكاتها من غيرها [٥] ».

* في « ب » : يسمعها .

---

[١] شيخ المالكية ، القاضي أبو الحسن ، علي بن عمر بن أحمد ، البغدادي ، ابن القصار ، كان أصولياً ، نظاراً ، ولي قضاء بغداد ، قال أبو ذر (الحافظ) : هو أفقه من لقيت من المالكين ، وكان ثقة قليل الحديث . قال الشيرازي : له كتاب في مسائل الخلاف كبير، لاأعرف لهم كتاباً في الخلاف أحسن منه ، مات سنة (٣٩٧) .انظر الديباج المذهب (٢/ ١٠٠) والسير (١٠٨/١٧) .

[٢] انظر تفصيل هذه المسألة في : المدونة (١/ ٢٨٦) والمنتقى للباجي (٢/ ١٤٩، ١٥٠) والمغني لابن قدامة (٤/ ١٣١) وتفسير القرطبي (١٧٥/٨) وفتح الباري (٣/ ٤١٩) .

[٣] انظر : المنتقى للباجي (١٥٠/٢) .

[٤] انظر : فتح الباري (٣٧٨/٣)

[٣] جمع سخلة وهي : الصغيرة من ولد الضأن حين يولد ذكراً أو أنثى . مشارق الأنوار ، للقاضي عياض (٢/ ٢١٠)

[٥] انظر : المدونة (٣١٢/١ – ٣١٣) .

وقال محمد بن عبدالحكم[١] : " لولا خلاف[قول أصحاب*] مالك كان بيّناً أن يأخذ واحدة من أوساطها " [٢] .

وقال مطرف [٣] في (ثمانية أبي زيد)[٤] : " إذا كانت جيدة ، أوسخالاً ، لايأخذ منها ، وان كانت عجافاً ، أوذوات عوار ، أوتيوساًأخذ منها " [٥] .

وقال ابن الماجشون[٦] : " يؤخذ من الجيِّد ، والرديء إلاَّأن تكون سخالاً " [٧] .

* في ((أ)) : أصحاب قول .

[١] هو محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، أبو عبدالله المصري. كان فقيه مصر في عصره على مذهب مالك ، وصحب الشافعي ، ورسخ في مذهبه ، وربما تخير قوله عند ظهور الحجة له.

قال ابن خزيمة : مارأيت في فقهاء الإسلام أعرف بأقاويل الصحابة والتابعين من محمد بن عبدالحكم ، له تصانيف كثيرة ، منها : ((أحكام القرآن)) ((والرد على الشافعي)) و ((الرد على فقهاء العراق)) و ((الرد على بشر المريسي)) .ذُكرأنّه ضرب في المحنة بالقرآن ،كان مولده سنة (١٨٢) وتوفي سنة (٢٦٨)هـ . انظر: الديباج المذهب (١٦٣/٢) ، السير (٤٩٧/١٢) ، تهذيب التهذيب (٢٦٠/٩).

[٢] انظر البيان والتحصيل ، لابن رشد (٤٦٦/٢ - ٤٦٧)

[٣] لعله : مطرف بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن محمد ، شاعر من أهل قرطبة . كان بصيراً بالنحو واللغة ، له رحلة سمع فيها سحنون . وجده من موالي عبد الرحمن الداخل ، توفي سنة ((٢٨٢)) . انظر : الأعلام (٢٥٠/٧) .

[٤] هكذا رسمها ولم يتضح لي المراد بها ، ويغلب على الظن أنّها اسم كتاب .

[٥] انظر : الإستذكار ، لابن عبدالبر (١٨٤/٩) .

[٦] هوالعلامة ، الفقيه ، مفتي المدينة ، ابو مروان ، عبدالملك بن الامام عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة بن الماجشون ، المالكي . تلميذ الامام مالك ، أثنى عليه سحنون ، وفضّله ، وقال : هممت أن أ رحل إليه ، وأعرض عليه هذه الكتب فما أجاز منها أجزت ، ومارَدَّ رددت ، وأثنى عليه ابن حبيب كثيراً، وكان يرفعه في الفهم علىأكثر أصحاب مالك. توفي سنة (٢١٢) وقيل : (٢١٣) .

انظر : الديباج المذهب (٦/٢) ، والسير (١٠/ ٣٥٩) .

[٧] انظر الاستذكار (١٨٤/٩) .

فصل

وقوله : ((حق العباد على الله أن لايعذبهم)) .يريد :حقاً علم من جهة الشرع[١] بوعده لمن أطاعه بالنجاة من عذابه ، إلا أنّه واجب عقلاً عند المعتزله.[٢]

وقيل: إنّه خرج على الجهة المقابلة * للفظ الأول ، لأنّه قال في أوله : ((ماحق الله على العباد)) ، ولاشك أنّ لله تعالى على عباده** حقوقاً ، فأتبع اللفظ الثاني الأول ، مثل :﴿ ومكروا ومكر الله ﴾[٣] ﴿ فيسخرون منهم سخر الله منهم ﴾[٤] ، ﴿ فمن اعتدى عليكم [فاعتدوا عليه]***﴾ الآية[٥] .

---

*في ((ب)): جهة المقالة .

** في ((ب)) : عبده .

*** ساقطة من ((أ)) .

---

[١] حق العباد على ا لله هو حق أوجبه الله على نفسه لم يوجبه عليه أحد ، فهو متحقق لامحالة ، لأنّه قد وعدهم ذلك جزاءً لهم على توحيده ﴿ وعد الله لايخلف الله وعده ﴾ [الروم : ٦] .

[٢] انظر :شرح الأصول الخمسة،للقاضي عبدالجبار (ص١٣٣) .

والمعتزلة هم:أتباع واصل بن عطاء الغزال , وعمرو بن عبيد ، سمو بذلك لاعتزالهم جلسة الحسن البصري ، لمّا اختلفوا معه في حكم مرتكب الكبيرة ، في أوائل المائة الثانية ، وكانوا يجلسون معتزلين ؛ فيقول قتادة وغيره : اولئك المعتزلة . وقيل : إنّ واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة ، وتابعه عمرو بن عبيد ، تلميذ الحسن البصري ،فلمّا كان زمن هارون الرشيد ،صنف لهم ـ أبو الهذيل ـ كتابين ،وبيّن مذهبهم ، وبناه على الأصول الخمسة المشهورة عندهم وهي: (١)العدل:ويعنون به نفي القدر (٢) التوحيد : ويعنون به : نفي الصفات عن الله(٣) انفاذ الوعيد (٤)المنزلة بين المنزلتين (٥)الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.واعتمادهم في إثبات العقائدعلىالعقل المجرد،لذلك خالفوا الكتاب والسنة في كثير منها. انظر مقالات الاسلاميين ،للأشعري (١٥٥) والتنبيه والرد،للملطي (٤٩) والفرق بين الفرق،للبغدادي(١١٤)،والملل والنحل،للشهرستاني(٥٦/١).

[٣] آل عمران ، الآية (٥٤) .

[٤] التوبة ، الآية (٧٩).

[٥] البقرة ، الآية (١٩٤). وانظر : المعلم بفوائد مسلم ، للمازري (١٩٥/١) وكتاب الإيمان من إكمال المعلم ، للقاضي عياض (١/ ٢٣٩) ، ولم يذكرا الآية الأخيرة .

فصـــل

ومعنى ((يتقالُّها)): يستقلّها من قلَّ الشيء يقـلّ قلّـة [١] ، ولـو كـان مـن القـول ، لكـان يتقولها .

وقوله : ((تعدل ثلث القرآن)) ، أي :في الأجرلا* أنَّ شيئاً من القرآن أفضل مـن شيء على أحد القولين[٢] ،لأنَّه كله صفة لله تعالى[٣] .

وقيل : المعنى في ذلك : " أنَّ الله ـ تعالى ـ يتفضل بتضعيف الثواب لقارئها ويكـون منتهى التضعيف الى مقدار ثلث مايستحق من الأجر على قراءة القرآن* مـن غـير تضعيـف أجر[٤] ".

* في ((ب)) : إلاّ.

* في ((أ)) : ثلث القـرآن ،والتصويـب مـن ((ب)) ومـن كتـاب المعلـم بفوائـد مسـلم (٣٠٨/١) وشـرح النـووي لصحيح مسلم (٦/ ١٣٧).

[١] انظر الصحاح للجوهري (٥/ ١٨٠٤)

[٢] للعلماءفي تفاضل القرآن بعضه علـى بعـض قـولان مشـهوران :أحدهمـا:إنَّ القـرآن لايتفـاضل في نفسه،لأنَّه كله كلام الله ،وكلام الله صفة له ، قال أصحاب هذا القول : وصفة الله لاتتفاضل ،وأيضـاً فإنَّ تفضيل بعضه يقتضي نقص المفضول وليس في كلام الله نقـص ،وهـذا قـول الأشـعري والبـاقلاني وغيرهم . الثاني : إنَّ بعض القرآن أفضل من بعض ،وهذا قول اسحاق ابـن راهويـه والأكـثرين مـن السلف و الخلف ، واحتجوا بأحاديث صحيحة، منها : قوله صلى الله عليه وسلم في الفاتحة : ((إنَّه لم ينزل في التوراة ،ولافي الإنجيل ولا في الزبور مثلها)) ووصفه صلى الله عليه وسلم آية الكرسـي بأنَّهـا أعظم آية في القرآن .وأيضاً فإنَّ القرآن كلام الله ،وكما أنَّه يشـرف بـالمتكلم بـه ــ وهـذا مشـترك في القرآن كله ـ فكذلك يشرف بالمتكلم فيه والمخبر عنه ،ومعلوم أنَّ ما أخبر الله به عن نفســه أعظـم ممـا أخبر به عن خلقه ، والله أعلم.

انظر تفصيل هذه المسألة في شرح مسلم للنووي (١٣٥/٦) وجواب أهل الإيمان أنَّ قـل هـو الله أحد تعدل ثلث القرآن ،لابن تيميه وهي في مجموع الفتاوى (١٧/ ٥-٢١٢) .

[٣] هذا هو مستند القائلين بعدم التفاضل ، وهو قول مرجوح لادليل عليـه ، بـل الأدلـة علـى تفـاضل الصفات بعضهاعلى بعض،بل إنَّ الصفة الواحدة قدتتفاضل. انظر المرجع السابق (١٧/ ٢١١، ٢١٢)

[٤] المعلـم بفوائـد مسـلم ، للمـارزي (١/ ٣٠٨) وانظـر : شــرح النــووي لصحيــح مســلم (٦/ ١٣٧) وقـد ضعـف شـيخ الإسـلام ابـن تيميــة هــذا القــول . انظـر مجمــوع الفتــاوى (٧/ ٢١٠) وقال الحافظ ابن حجر : " وهي دعوى بغير دليل " . الفتح (٨/ ٦٧٨).

وقيل: " المعنى في ذلك ، أنَّ القرآن على ثلاثة أنحاء : قصص، وأحكام ، وأوصاف لله تعالى ، وقل هو الله أحد تشتمل على ذكر الصفات ، وكانت* ثلثاً بهذا الاعتبار " [١] .

وقيل : " معنى ثلث القرآن لشخص بعينه قصده الشارع[٢] "، وهو بعيد[٣] .

وقيل :" فضلت بذلك؛لأنَّه ليس فيها شيء من العمل،إنَّما هي توحيدمحض ".

وقوله عليه السلام :((سلوه)). يحتمل: أن يكون سؤالهم إياه ؛ لأنَّه عليه السلام هو الذي أمره .

وقوله : ((لأنَّها صفة الرحمن)) أي : لأنَّ فيها أسماءه، وصفاته، وأسماؤه مشتقة من صفاته [٤] .

---

* في ((ب)) : فكأنَّه ثلاثاً . وفي المعلم : فكانت ثلثاً.

---

[١] انظر المعلم بفوائد مسلم ، للمازري (١/٣٠٨) حيث عقَّب على هذا القول بقوله : وربما أسعد هذا التأويل ظاهر الحديث الذي ذكر فيه ((أنَّ الله تعالى جزأ القرآن)) ، وانظر : مجموع الفتاوى (٢٠٧/١٧) (١٧/ ١٢٩) حيث عزا هذا القول الى ابي سريج والمهلب الأصيلي وانتصر له .

[٢] المعلم بفوائد مسلم (١/ ٣٠٨).

[٣] قال المازري : " وفي بعض روايات هذا الحديث : ((أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حشد الناس وقال : سأقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ: قل هو الله أحد)) ، وهذا الرواية تقدح في تأويل من جعل ذلك لشخص بعينه " ، أ.هـ. المرجع السابق . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : " وأما قول من قال : إنَّ هذا في شخص بعينه ، ففي غاية الفساد لفظاً ومعنى " . جواب أهل الايمان أنَّ قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، ضمن مجموع الفتاوى (١٢٦/١٧) ٠

[٤] ذكر الحافظ ابن حجر هذا القول عن ابن التين : انظر الفتح (١٣/ ٣٦٩)

وقد اشتملت هذه السورة العظيمة على أمرين : أحدهما : اثبات صفات الكمال لله فهو الاله الأحد الصمد . الثاني : نفي صفات النقص عن الله إذ نفت السورة أن يكون لله ولد ، أوأن يكون له والد ، أوأن يكون له شبيه ومثيل ، فهو الخالق وغيره مخلوق .

وقوله :« أخبروه أنَّ الله يحبه » ، أي : يريد ثوابه ، لأنَّه تعالى لايوصف بالمحبة الموصوفة فيها * ؛ لأنَّه يتقدس[عن] أن يميل ، أو يمال إليه ، وليس بذي // حس[1] ، أو** طبع [2] فيتصف بالشوق الذي تقتضيه الحسية ، والطبعية . ب/٢٧٧/أ

فمعنى محبته للخلق : إرادته ثوابهم.[3]

وقيل: " المحبة راجعه إلى نفس الإثابة ،والتنعيم ،[لا للإراده ***] " [4]

---

* كذا في « أ » و« ب » وفي المعلم : فينا ولعله أقرب للصواب.

** في « ب» : ولا طبع .

*** في « أ » و « ب » : لا لإراده ،والتصحيح من المعلم .وانظر المعلم بفوائد مسلم (٣٠٨/١) .

---

[1] الحس من الإحساس وهو : إدراك الشيء باحدى الحواس ، فإن كان الإحساس للحس الظاهر فهو المشاهدات ، وإن كان للحس الباطن فهو الوجدانيات. انظر التعريفات ، للجرجاني صـ (٢٧) ، الكليات ، للكفوي (٥٤).

[2] الطبع هو: ما يقع علىالإنسان بغير إراده ،وقيل:الجبله التى خلق الإنسان عليها.انظر:كتاب المبين فى شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، للآمدي(ص: ٨٣) والتعريفات ، للجرجاني (ص: ١٨٢).

[3] انظر المعلم بفوائد مسلم (٣٠٨/١).

[4] يذهب المؤلف هنا تبعا للإشاعره إلى أنَّ المحبة من الله لعباده هي : إرادته ثوابهم وتنعيمهم،أو هي :نفس الثواب والتنعيم،وهذا القول تأويل ظاهر البطلان،والنصوص فيه لا تقبل هذا التأويل لكثرتها ،وتواطئها على أنَّ الحب فيها هو ما يفهمه المخاطب ،الذي لم تفسد فطرته بالعقائد المنحرفه عن الحق ،فالذي دل عليه الكتاب والسنة ،وأجمع عليه سلف الأمه وأئمتها :أنَّ الله يُحِبُّ و يُحَبُّ لذاته ،محبة تليق بجلال الله لا تماثل محبة المخلوقين .ويدل على فساد هذا التأويل ما يلي :

١/أنَّ الإراده التي يرجعون إليها المحبة والرحمة ونحوهما ، يلزمهم فيها نظير ما فروا منه .فإنَّهم لما نفو المحبة قالوا :لأنَّها ميل إلى المحبوب،والله منزه عن ذلك ،فيقال لهم والإرادة هي : ميل المريد إلى من يوافقه في إرادته، فإن قالوا : هذه ارادة المخلوق ـ قلنا : وتلك محبة المخلوق ، فان قالوا : إنَّ لله ارادة تليق به وللمخلوق ارادة تليق به ، قلنا كذلك لله محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به .

⇐⇐⇐

ومعنى محبة المخلوقين له : إرادتهم أن ينفعهم[١] [٢] .

⇐⇐⇐

٢/ أنَّ الإثابة والانعام التي يفسرون المحبة بها ، هما من أثر المحبة وموجبها ، وهما درجة نازلة عن المحبة التي هي فوق ذلك وأعظم ، كيف وهي التي يتسابق اليها الأنبياء والملائكة وعباد الله الصالحون .

٣/ أنَّ تفسير المحبة بالإثابة والإنعام يلزم منه أن تكون صفته تعالى مخلوقة ، لأنَّ الثواب والتنعيم مخلوقان .

٤/ أنَّ المحبة لاتستلزم نقصاً ، بل هي صفة كمال ، بل هي أصل الإرادة ، فكل إرادة فلابد أنْ تستلزم محبة ، فإنَّ الشيء إنّما يراد لأنّه محبوب ، أو لأنّه وسيلة إلى المحبوب ، ولو قدر عدم المحبة لامتنعت الارادة ، فإنَّ المحبة لازمة للإرادة ، فإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم .

انظر : منهاج السنة النبوية (٥/٤٠٠) ومجموع الفتاوى ـ كلاهما لابن تيمية ـ (٣/ ١٧ــ ١٨)مختصر الصواعق (١/ ١٨ــ ٢٣) شرح كتاب التوحيد للغنيمان (١/ ٦٥).

[١] عزا الحافظ ابن حجر هذا القول لابن التين . انظر الفتح (١٣/ ٣٧٠) . انظر : المعلم (١-٣٠٨)

[٢] عجيب انكار محبة العباد ربهم ،إذ هي من الضروريات الثابته بالشرع والعقل والفطرة ، والمحسوس ، وأنَّ إنكارها يؤول الى إنكار أصل من أصول الإسلام ، لأنَّ دين الإسلام مبني على شهادة أنَّ لاإله إلاالله ، ومعنى الإله الذي تأ لهه القلوب وتحبه ، وتعظمه وتجله ، فمن أنكر ميل القلوب إليه بالحب والتأله ، فقد أنكر حقيقة الإسلام . أوليس من الشرك أن يجعل للمخلوق نصيباً مع الله في هذا الحب كما قال تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ (الآية ١٦٥ من سورة البقرة) . ثم هل يوجد أحد من الخلق لايريد أن ينفعه الله ، حتى إبليس ومن دونه ، فهل يقال : إنّهم يحبون الله المحبة الشرعية .

انظر : شرح كتاب التوحيد للغنيمان (١/ ٦٦ ـ٦٧) .

خاتمة

أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بدعاء العباد الى دينه ، وتوحيده ، ففعل مالزمه* من ذلك ، وبلّغ** ماأمر بتبليغه ، وأنزل عليه ﴿ فتول عنهم فما أنت بملوم ﴾ (١)

* في ((ب)) : مالم به .

** في ((ب)) : ولو .

(١) سورة الذاريات ، الآية (٥٤)

٢ - بــاب

قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً مّا تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾[١]

ذكر فيه :

[٧٣٧٦] حديث زيد بن وهب وأبي ظبيان عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((لايرحم الله من لايرحم الناس)) . [طرفه في : ٦٠١٣]

وأبو ظبيان اسمه : حصين بن جندب بن عمرو [المدحجي *] الحسنى أخرجا له .[٢]

* في ((أ)) : المدجي . والتصويب من ((ب)) ومصادر ترجمته .

هذا الباب قصد به البخاري رحمه الله ـ فيما يظهر ـ بيان اختصاص الله تبارك وتعالى بالأسماء الحسنى ، وأنَّ أسماءه كاملة المعاني ، لايلحقها نقص ولاعيب ، وأنَّ اتصاف المخلوق ببعض مايتصف به الرب تعالى من المعاني لايلزم منه نقص أو عيب في أسمائه وصفاته ـ تعالى ـ لأنّها حسنى كاملة تناسب عظمته وكبرياءه ، فلا يتوهم أنَّ في ذلك تشبيهاً كما يزعمه بعضهم ، يؤيد أنَّ هذا مراد البخاري ماذكره من حديثي الباب فإذا كان المخلوق يرحم ويسمى رحيماً ، والله تعالى يرحم ويسمى رحيماً فليس مايخص الله مماثلاً أو مقارباً لما يخص المخلوق . فلا يجوز نفي أو تأويل رحمة الله وغيرها من صفاته من أجل توهم أنَّ مجرد المشاركة في المعنى يلزم منها التشبيه ، وأمَّا ماذكره الشارح هنا من أنَّ غرض البخاري في هذا الباب اثبات الرحمة ... ففيه نظرلأنَّ صفة الرحمة لله تكررت في أبواب كثيرة ، بل أفرد لها البخاري باباً هو" باب ماجاء في قول الله تعالى : ﴿ إنَّ رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ " .

وانظر : شرح كتاب التوحيد للغنيمان (١ / ٧٤ ـ ٧٥).

(١) سورة الإسراء ، الآية (١١٠) .

(٢) انظر ترجمته في : تهذيب الكمال ، للمزي (١/٢٩٧) والسير (٤ /٣٦٢) ، وتهذيب التهذيب (٢/٣٧٩) وتقريب التهذيب ، رقم (١٣٦٦) .

[٧٣٧٧] وحديث أسامه بن زيد رضي الله عنهما ،السالف في الجنائز [(١)] ، وفي آخره : ((وإنَّما يرحم الله من عباده الرحماء)) .

[أطرافه في : ١٢٨٤ ، ٥٦٥٥ ، ٦٦٠٢ ، ٦٦٥٥ ، ٧٤٤٨]

((وغرضه في هذا الباب إثبات الرحمة ، وهي صفة من صفات ذاته ، لا من صفات أفعاله [(٢)] والرحمن [وصف]وصف به نفسه تعالى وهو متضمن لمعنى الرحمة كتضمن وصفه لنفسه بأنَّه عالم ، وقادر ، وحي ، وسميع ، وبصير ، ومتكلم ، ومريد : للعلم ، والقدره ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والإرادة . التي جميعها صفات ذاته،لاصفات أفعاله [(٣)] ؛ لقيام الدليل على أنَّه تعالى لم يزل ،

---

(١) انظر :صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الجنائز ، باب:قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته)) . (١٨٠/٣) ح (١٢٨٤).

(٢) صفة الرحمة من الصفات التي اختلف أهل العلم فيها هل هي من صفات الذات . أو من صفات الأفعال ،ولعل المترجح أ نها من الصفات الذاتية الفعلية ، لأنَّه سبحانه يرحم من يشاء ، ويعذب من يشاء فلا يرحمه ﴿ ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم ﴾ فحيث تتعلق بها مشيئة الله وقدرته فهي من صفات الأ فعال ، ويمكن عدها من صفات الذات باعتبار أنَّ الله لم يزل متصفاً بالرحمة ، فالرحمة العامة ملازمة لذاته تعالى ، وإن كان أفرادها تتجدد . وانظر : شرح أسماء الله الحسنى ،للرازي ص: (١٦٦) جامع الرسائل (٦٠/٢) وكتاب : الصفات الإلاهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزية ، للجامي ص: (٢٨٥) .

(٣) صفات الذات هي التي لا تنفك عنها الذات بل هي ملازمة لها أزلاً وأبداً ولا تتعلق بها مشيئة الله وقدرته ، كالحياة ، والعلم ونحوها ، أماصفات الأفعال فهي الصفات المتعلقة بمشيئته وقدرته ، كالنزول والإستواء ، وتسمى : الصفات الإختيارية ، وهذا القسم عند أهل السنة والجماعة قائم بذات الله تعالى وإن كانت تتعلق بها مشيئة الله وقدرته ، بمعنى أنَّ نوعها قديم وأفرادها حادثة ، أمَّا الأشاعرة فإنَّهم ينفون قيامها بذات الله ، فهي عندهم أفعال منفصله عنه ــ تعالى ـ بحجة أنَّ ما يكون بمشيئته فهو حادث، والرب تعالىلا تقوم به الحوادث ،وقد ناقشهم شيخ الإسلام ابن تيمية وأبطل حججهم في رسالة مستقلة ،انظرها في جامع الرسائل ، لابن تيمية : (٢/٦ـ٧٠) ، وانظر : الأسماء والصفات للبيهقي (٢٧٦/٢)، وشرح أسماء الله الحسنى ص (٤٨) ، والمفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات ، للمغراوي (١١٨/١ـ١١٩).

ولا يزال حياً ، عالماً ، قادرا ً، سميعاً ، بصيراً ، متكلماً ، مريداً ، ومن صفات ذاته [أيضاً] : الغضب ، والسخط .(١)

والمراد برحمته تعالى : إرادته لنفع من سبق في علمه أن* ينفعه ، ويثيبه على أعماله ؛ فسماها رحمة .

والمراد بغضبه وسخطه : إرادته لإضرار // من سبق في علمه إضراره ، وعقابه على ذنوبه ، فسمَّاها غضباً وسخطاً . [أ / ٨٢٣]

ووصف نفسه بأنَّه راحم ، ورحيم ، ورحمن ، وغاضب ، وساخط بمعنى : أنَّه مريد لما تقدم ذكره(٢) .

* في ((ب)) وشرح ابن بطال : أنَّه .

(١) جعل المؤلف جميع هذه الصفات من باب الصفات الذاتيه ليس على إطلاقه ، فالسمع والبصر، والإرادة ، والكلام من الصفات الذاتية الفعلية باعتبارين : فباعتبار أصلها صفات ذاتية ،لأنَّ الله تعالى لم يزل ولا يزال متصفاً بها ، وباعتبار آحاد هذه الصفات تكون صفات فعلية لتعلقها بمشيئة الله إن شاء فعلها وإن لم يشأ لم يفعلها . فالكلام مثلاً صفة فعل وذات ، فالله يتكلم بمشيئة وقدرته ، وكلا مه قائم به ولكن الفعل هنا ليس هو الخلق ، بل كما قال الإمام أحمد : " الجعل جعلان : جعل هو خلق ، وجعل ليس بخلق " ، وهذ يستلزم قيام الفعال بذاته ، ومن قال : إنَّه مخلوق يقول : إنَّه صفة فعل ، ويجعل الفعل بائناً عنه ، والكلام بائناً عنه ، ومن قال : صفة ذات يقول :إنَّه يتكلم بلا مشيئته وقدرته .أمَّا صفتا الغضب والسخط فهي من الصفات الفعلية لتعلقها بالمشيئة

انظر : مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٨٩ـ٣٩٠)وجامع الرسائل لابن تيميه (٢/ ٦ـ٧٠) والصفات الإ لهية ص (٢٨٥)

(٢) صفة الرحمة والغضب والسخط من الصفات الثابتة لله ، القائمة بذاته ، المتعلقة بمشيئته ، وهي ثابتة له على الوجه اللائق به سبحانه ، فكما أنَّ ذاته لاتشبه الذوات فصفاته لاتشبه الصفات ، وأما تأويل هذه الصفات وغيرها من الصفات الفعلية بأنَّها تعود إلى الارادة القديمة ،كما هو مذهب الأشاعرة ،فهو تأويل باطل ، فإنَّ الرحمن الرحيم هو الذي يرحم العباد بمشيئته وقدرته ، فإذا لم يكن له رحمة إلا نفس الإراده القديمة ،لم يكن موصوفاً بأنَّه يرحم من يشاء

⇐⇐⇐

وإنّما لم تعرف بعض العرب [(١)] من أسماء الله تعالى أنَّ أسماءه كلها واجب استعمالها ،ودعاؤه بها سواء .لكون كل اسم منها راجعاً إلى ذات واحدة وهو الباري تعالى ، وإن دل كل واحد منها على صفة من صفاته تعالى يختص الاسم بالدلالة عليها .

وأما الرحمة التي جعلها الله في قلوب عباده يتراحمون بها ، فهي من صفات أفعاله [(٢)] . ألاتراه أنّه قد وصفها بأنَّ الله تعالى خلقها في قلوب عباده ، وجَعْلُهُ لها في القلوب خَلْقٌ منه تعالى لها [فيها]*، وهذه الرحمة رقة على المرحوم ، والله يتعالى أن يوصف بذلك ›› .[(٣)]

---

* في ((أ)) : فيه . والتصويب من ((ب)) ، وشرح ابن بطال .

⇐⇐⇐

ويعذب من يشاء ، والله عز وجل يقول : ﴿ ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم ﴾ . وثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال :((لَمَّا قضى الله الخلق كتب في كتاب ، فهو موضوع عنده فوق العرش : إنَّ رحمتي تغلب غضبي – وفي رواية – سبقت غضبي)) [خ ٧٤٠٤ ، ٧٤٢٢ م ٢٧٥١]فمن قال ما ثمَّ رحمة إلا إرادة النفع ، وما ثمَّ غضب إلا إرادة الضر والعقاب ، يلزمه أن تكون الإرادة سابقه لنفسها وهذا ممتنع ، وأيضاًقد فرق الله بين غضبه وعقابه بقوله ،﴿ فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباًعظيما ﴾ [النساء ، الآية ٩٣] .

انظر : الإنصاف للباقلاني ص (٣٨) وجامع الرسائل ، لابن تيمية (٢/ ٥٩ -٦١) .

(١) لعله يشير إلى قوله تعالى : ﴿وإذا قيل لهم اسجدو ا للرحمن قالو ا وما الرحمن﴾ [الفرقان ، الآية ٦٠] وقوله ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ...﴾ [الإسراء ، الآية ١١٠] .

(٢) على منهج الأشاعره ،حيث يُعَرِّفون صفات الفعل بأنّها ما يفعله الله تعالى منفصلاً عنه ، وإلافرحمة المخلوق تنسب إليه، ولاتعد من صفات الله وإن كانت خلقاً له سبحانه وتعالى ، وهي التي يصح أن توصف بأنّها رقة على المرحوم . فهي رحمة لائقة بالمخلوق ، وأما رحمة الله فشيء آخر ، لاتشبه بحال رحمة المخلوق إلا من حيث الاسم ، ولايلزم من اتحاد الاسم اتحاد الكيفية والحقيقة .

(٣) ما بين العلامتين نقله المؤلف من شرح ابن بطال (٤/ ٣٣٧/ أ و ب) ، وتقدم الرد على المصنف قريباً .

فصل

روى أنّه لمّا نزلت ﴿ قل ادعوا الله أو ادعو ا الرحمن ﴾ [١] قالوا : أندعوا اثنين ، فأعلم الله سبحانه أن لايدعى غيره فقال :﴿ أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ [٢] .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾[٣] : " هل تعلم أحداً اسمه الرحمن سواه "[٤] .

وأصل الله :لاه ـ عند سيبويه[٥] ـ ثم أدخلت عليه الألف واللام ، فجرى مجرى الإسم العلم ، كالعباس إلا أنّه يخالف الأعلام من حيث كان صفة [٦] ، وهومشتق من الألوهية [٧] ، (والرحمن والرحيم مشتق من الرحمة ، وقيل هما اسمان

---

(١) الإسراء ،الآية (١١٠).

(٢) انظر تفسير الطبري (٨/ ١٦٥) وأسباب النزول للواحدي صـ (٣٠٣) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠ / ٢٢٢)

(٣) مريم ،آية (٦٥).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٧) ح (٣٤٢٠) وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الشعب (١/ ١٤٤) ح (١٢٣) وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١ /٨٧)

(٥) هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، الفارسي ، ثم البصري ، أبو بشر ، ويقال أبو الحسن ، إمام النحو ، وأول من بسطه ، أخذ النحو عن خليل ، ولازمه ، واللغة عن الأخفش وغيره ، صنف كتابه المسمى ((كتاب سيبويه))في النحو ، لم يصنع قبله ولابعده مثله ، مات سنة (١٨٠) وقيل : (١٨٨) ، وعمره : (٣٢) سنة ، وقيل نحو الأربعين. انظر ترجمته في إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، لليماني صـ (٢٤٢)، والسير(٣٥١/٨) الأعلام، للزركلي: (٨١/٥).

(٦) الصحاح للجوهري (٦ / ٢٢٤٨) ولسيبويه قول آخر وهو : إنّ الأصل إله ، ثم جيء بالألف واللام عوضاً عن الهمزة . والأول هو المشهور عنه ، وهو الذي عليه أصحابه .

انظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٥٢/١) وتفسير القرطبي (١/ ٧٢) .

(٧) انظر تفسير القرطبي (١/ ٧٣) ، وانظر رد ابن القيم على من قال : إنّ اسم الله غير مشتق ، بدائع الفوائد لابن القيم (٢٢/١).

على حالهما من غير اشتقاق ،

وقيل : " يرجعان إلى الإرادة ، فرحمته ارادته التنعيم من خلقه *" .

وقيل : " هما راجعان إلى ترك عقاب من يستحق العقاب ")[١] .

وقيل : أصله "إلاه " على " فعال " بمعنى مفعول ؛ لأنّه مألوه أي معبود ، مثل : إمام بمعنى مؤتم، يقال : [أَلَهَ**] - بالفتح - إلاهة ، أي عَبَدَ*** عبادة فلمّا أُدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفاً لكثرته في الكلام ، ولو كانت عوضاً منها لما // [اجتمعتا****] [مع*****] المعوض منه في قولهم : الإلاه ، فقطعت الهمزة في النداء تفخيماً لهذا الاسم . [ب/٢٧٧ب]

قال أبو علي[٢] : " الالف واللام عوض من الهمزة بدليل استجازتهم لقطع الهمزة الموصولة الداخلة على لام التعريف في القسم[والنداء] وذلك قولهم : أبالله لتفعلنَّ، ويالله اغفرلي " [٣] .

---

* في ((ب)) : رحمته ، وفي الفتح : فرحمته إرادته تنعيم من يرحمه .

** في ((أ)) : ألاه ، والتصويب من ((ب)) ، والصحاح .

*** في ((ب)) : عبده .

**** في ((أ)) : اجتمعا ، والتصويب من ((ب)) ، والصحاح

***** في ((أ)) و ((ب)) : في . والتصويب من الصحاح

---

(١) مابين القوسين عزاه الحافظ ابن حجر إلى ابن التين ، انظر : الفتح (١٣/ ٣٧١) وانظر هامش (٢) صـ(١٩٤) من هذه الرسالة ففيه رد على هذا التأويل .

(٢) إمام النحو ، أبو علي ، الحسن بن أحمد الفارسي ، الفسوي ، قرأالنحو على السراج ، وأخذ عنه كتاب سيبويه ، صحب عضد الدولة فعظمه وأحسن إليه ،أخذ عنه النحو : ابن جني ، وأبو الحسن الربعي، وجماعة ، له مصنفات جليلة ، منها كتاب التذكرة ، وكتاب الحجة ، والإيضاح والتكملة وغيرها، عاش تسعاً وثمانين سنة ، وكان فيه اعتزال ، ومات ببغداد سنة ٣٧٧ هـ . انظر : ترجمته في إشارة التعيين (ص ١٣) ، والسير (١٦/٣٧٩) .

(٣) انظر الصحاح للجوهري (٦ / ٢٢٢٣) .

وقال الأشعري[١] : " إله : أنَّه قادرعلى اختراع الأجسام والأعراض[٢] " .

فعلى هذا يكون صفة الذات ، وكذلك[على] قول من قال :" هو الذي ولهت العقول في معرفته[٣] " .

وقيل :" هو من يقدر على كشف الضر ، والبلوى ".

وأنكر بعضهم قول من قال : إلاه بمعنى معبود ، معللاً بأنَّ الأصنام معبودة وليست بآلهة [٤] .

فصل

إرساله عليه السلام إلى ابنته أولاً في حديث أسامة ((إنَّ لله ما أخذ)) ولم يمض أول مرة؛ لأنَّه كان شفيقاً رقيقاً فترى مابه [من] الرِّقة فيشتد

---

(١) إمام المتكلمين ، أبو الحسن علي بن أسماعيل بن أبي بشر الأشعري ، ولد سنة ٢٦٠ وقيل غيرذلك ، كان في أول أمره معتزلياً أقام على ذلك أربعين سنة ، ثمَّ أعلن توبته ورجوعه ، على خلاف بين المؤرخين في رجوعه هل كان لمذهب السلف أو ابن كلاب أو كانا طورين ، ثمَّ اختلفوا أي الطورين كان آخراً . له مؤلفات كثيرة منها ((الإبانة)) و ((اللمع)) و ((مقالات الإسلاميين)) وغيرها كثير . توفي سنة ٣٢٤ . انظر : تاريخ بغداد (١٢/٣٤٦) والسير (١٥/٨٥) وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/٣٣٧-٤٠٩) .

(٢) انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٣) وأصول الدين ، للبغدادي صـ (١٢٣) وشرح أسماء الله الحسنى ، للرازي صـ (١٢٤)

(٣) انظر المرجع السابق صـ (١٢٣) ، وتفسير الفخر الرازي (١/ ١٦٦).

(٤) ذكر الرازي هذا الإعتراض وغيره ، ثم أجاب عليها بقوله : هذه الإشكالات إنَّما تلزم لقولنا الإله هوالمعبود،أما إذا قلنا الإلاه هوالموصوف بصفات لأجلها يستحق أن يكون معبوداً للخلق،زالت الإشكالات انظر :شرح أسماء الله الحسنى صـ (١٢٥) وهذا القول ـ المعترض ـ عليه هو الراجح وهو تفسير ابن عباس ومجاهد ، وهذا هو اختيار ابن جرير الطبري ، وأبي الهيثم ، وثعلب ، وابن القيم . انظر تفسير الطبري ،(١/ ٨٢ ، ٨٣) لسان العرب ،لابن منظور (١٣/ ٤٦٧ ، ٤٦٨) ، وفتح المجيد صـ (٩، ١٠) .

حزنها [١] وكان عزمها عليه ، لأنَّ تخلفه عنها أشد من مصيبتها بابنها ، وأنَّ في مجيئه عزاء من ذلك .

ومعنى : « ونفسه تقعقع » أي : تضطرب وتتحرك[٢]

وقال الداودي : " يعني صارت في صدره ، وكانت منه كالفواق "[٣] .

والشّن : ـ بالفتح ـ القربة الخلق ، [والشنَّة] * أيضاً وكأنَّها صغيرة[٤] .

فصل

وقول سعد رضي الله عنه : « ماهذا يارسول الله » فيه : استعمال الإشارة ، وهي لغة العرب ، وعاتبه ابن عوف رضي الله عنه [أيضاً] في البكاء مع نهيه [عنه] **، فأجاب بأنَّها رحمة [٥] .

---

* في « أ » و « ب » : الشنّ ، والتصويب من الصحاح .

** في « أ » : عليه ، والتصويب من « ب » .

---

(١) وقيل غير ذلك ، انظر الفتح (٣/ ١٨٧).

(٢) مشارق الأنوار (٢/ ١٩١) وفيه : تضطرب وتتحرك بصوت .

(٣) الفواق : مايأخذ الانسان عند النزع ، وكذلك الريح التي تشخص من صدره ، انظر ، الصحاح للجوهري (٤/ ١٥٤٦) .

(٤) الصحاح للجوهري (٥ / ٢١٤٦).

(٥) إشارة إلى حديث أنس ـ عند البخاري ـ قال : « دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي السيف القين ـ وكان ظئراً لإبراهيم عليه السلام ـ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبّله وشمه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك ـ وابراهيم يجود بنفسه ـ فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان ، فقال عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه : وأنت يارسول الله ؟ فقال يابن عوف إنّها رحمة ... الحديث » صحيح البخاري مع الفتح (٣/ ٢٠٦) ح (١٣٠٣) وقال الخطابي : " وبكاء النبي صلى الله عليه وسلم واستعباره بالدموع يدل على أنَّ النهي عن البكاء إنَّما وقع عن رفع الصوت به والصياح على الميت والتأبين بالقول المنكر " أعلام الحديث ، له (١/ ٦٨١).

٣ - بـــاب

قول الله تعالى :

﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾[١]

ذكر فيه :

[٧٣٧٨] حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : « ماأحد أصبر على أذى سمعه من الله ، يدَّعون له الولد ثم يعافيهم ، ويرزقهم » . [طرفه في : ٦٠٩٩]

وفي إسناده أبو حمزة ـ بالحاء والزاي ـ ، وهو محمد بن ميمون السكري المروزي[٢] .

وهذا الباب[٣] يتضمن من صفاته تعالى : صفة فعل ، وصفة ذات ، فصفة الفعل ماتضمنه اسمه الذي أجراه تعالى عليه ، وهو قوله تعالى ﴿ الرزاق ﴾ والصفة : الرزق ، والرزق فعل من أفعاله ؛ لقيام الدليل على استحالة كونه تعالى فيما لم يزل رزاقاً *، إذ رازق تقتضي مرزوقاً ، والباري تعالى قد كان [ولا **] مرزوق ، فمحال كونه تعالى فاعلاً للرزق فيما لم يزل ، فثبت أنَّ مالم يكن ثم كان ، محدث مخلوق فرزقه إذاً صفة من صفات *** أفعاله .

وأما وصفه تعالى بأنَّه الرزاق ، فلم يزل تعالى واصفاً لنفسه بأنه الرزاق ،

---

* في « ب » وشرح ابن بطال : رازقاً . ولعله الأقرب .

** في « أ » : بلا . والتصويب من « ب » وشرح ابن بطال .

*** في « ب » : صفة .

---

[١] الذاريات ، الآية (٥٨) .

[٢] انظر ترجمته في : تهذيب التهذيب (٩/ ٤٨٦) وتقريب التهذيب ، رقم (٦٣٤٨) .

[٣] جميع شرح هذا الباب مأخوذ من شرح ابن بطال (٤/ ٣٣٧ / ب ـ ٣٣٨ / أ).

ومعنى ذلك : أنَّه سيرزق إذا خلق المرزوقين[١] .

وأما صفة الذات فالقوة [والقوة*] والقدرة : اسمان مترادفان على معنى واحد[٢] ، والباري تعالى لم يزل قادراً** قوياً ذا قدرة وقوة ، وإذا كان معنى القوة [معنى القدرة ***] [فالقدرة****] لم تزل موجودة قائمة به موجبة له حكم

---

* زيادة يقتضيها السياق ، وهي مثبتة في شرح ابن بطال .

** في « ب » : رازقاً .

*** ساقطة من « أ » ، وهي مثبتة في شرح ابن بطال .

**** في « أ » : والقوة.

---

(١) الرزق صفة فعلية لله تعالى قائمة بذاته ، خلافاً لما يذهب إليه الأشاعرة ـ والمؤلف تبع لهم في هذا ـ من أنَّ الرزق فعل من أفعال الله منفصل عنه حادث ، وأهل السنة على أنَّه لاتلازم بين الصفة ومتعلقها في الوجود والحقيقة ؛ لأنَّ الله موصوف بالصفات أزلاً وأبداً ، سواء وجدت المتعلقات أو لم توجد ، فلا يتوقف وصفه بالصفة على وجود المتعلق أو عدمه ، إذهو بصفاته موجود قبل خلق المخلوقات ، ولم يستجد له صفة بحدوثها ، فالرزق صفة ذاتية باعتبار النوع فعلية باعتبار الآحاد .

انظر شرح السنة للبغوي (١/ ١٧٩ ــ ١٨٠) مجموع الفتاوي (٦/ ٢٧٠) (١٢ / ٤٣٥ - ٤٣٦) (١٦/ ٣٦٤). القواعد الكلية صـ (١١٩)

وانظر هامش (٣) صـ (١٩٣) من هذا الكتاب .

(٢) يقول الخطابي : " القوي قد يكون بمعنى القادر ، ومن قوي على شيء فقد قدر عليه ، ويكون معناه : التام القوة الذي لايستولي عليه العجز في حال من الأحوال " . فبين الصفتين فرق دقيق ، لأنَّه ليس في صفات الله ترادف بمعنى الاتفاق في معنى واحد من جميع الوجوه .

شأن الدعاء ص(٧٧) وانظر تفسير أسماء الله الحسنى ، للزجاج ص (٥٤).

القادرين ، والمتين معناه : الثابت الصحيح الوجود*[١] .

فصل

ومعنى قوله عليه السلام : ((ماأحد أصبر على أذى سمعه من ا لله ...))

ترك المعاجلة بالنقمة والعقو[بة] [لأنَّ**] الصبر منه تعالى معناه كمعناه منا،كما أنَّ رحمته تعالى لمن يرحمه ، ليس معناها معنى الرحمة منا لأنَّ الرحمة منا : رقة ، وميل طبع إلى [نفع***] المرحوم ، وا لله يتعالى عن وصفه بالرقة ، وميل الطبع ، لأنَّه ليس بذي طبع ، وإنَّما ذلك من صفات المحدثين .

وقوله :((على أذى سمعه)) معناه : أذى لرسله وأنبيائه والصالحين من عباده[٢] ،

---

* في ((ب)) : الموجود .

** في ((أ)) و ((ب)) : لأنَّ ، والتصويب من شرح ابن بطال .

*** في ((أ)) : نفس .

---

(١) قال الخطابي : المتين: الشديد القوي الذي لاتنقطع قوته ، ولا تلحقه في أفعاله مشقة ، ولا يمسه لغوب . شأن الدعاء صـ (٧٧) ولعل مراد المؤلف هنا المعنى اللغوي .

(٢) يرد على هذا التأويل قوله تعالى ﴿ ان الذين يؤذون ا لله ورسوله .. الآية ﴾ وتلاها أيضاً قوله : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين .. الآية ﴾ حيث فرق ا لله بين أذاه وأذى رسوله وأذى المؤمنين مما يمنع تفسير أذى ا لله بأذى رسله وعباده الصالحين . وليس ثمة حاجة إلى صرف اللفظ عن ظاهره ، إذ ليس أذى ا لله سبحانه من جنس الأذى الحاصل للمخلوقين ، ولايلزم من الأذية الضرر فالإنسان يتأذى بسماع القبيح أو مشاهدته ، ولكنه لايتضرر بذلك ، ولهذا أثبت ا لله الأذية له في القرآن وفي الحديث القدسي ، ونفى عن نفسه الضرر فقال ﴿ انهم لن يضروا ا لله شيئاً ﴾ وفي الحديث القدسي ((ياعبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني)) رواه مسلم في البر والصلة ، باب تحريم الظلم ح (٢٥٧٧)

انظر : صحيح مسلم (١٦/ ١٩٩) والصواعق المرسلة (٤ / ١٤٥٠) ، القول المفيد على كتاب التوحيد ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢ / ٣٥٢).

لاستحالة تعلق أذى المخلوقين به تعالى ، لأن الأذى من صفات النقص التي لاتليق بالله تعالى إذ الذي يلحقه [العجز*] والتقصير على الانتصار ويصبر جبراً هو الذي يلحقه الأذى على الحقيقة ، والله تعالى لايصبر جبراً وإنَّما يصبر تفضلاً ، فالكناية في الأذى راجعة إلى الله ، والمراد بها أنبياؤه ورسله لأنَّهم جاءوا بالتوحيد لله ونفي الصاحبة والولد عنه ، فتكذيب الكفار لهم في إضافة الولد لله تعالى أذى لهم ، ورد // [لمّا**] جاءوا به ، فلذلك جاز أن يضاف الأذى في ذلك إلى الله تعالى إنكاراً لمقالتهم ، وتعظيماً لها ، إذفي تكذيبهم للرسل في ذلك إلحاد في صفته تعالى ، ونحوه قوله تعالى : ﴿ إنَّ الذين يؤذون الله ورسوله ﴾[1] // تأويله*** : إنَّ الذين يؤذون أولياء الله، وأولياء رسوله[2] ، ثمَّ حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه في الإعراب ، والمحذوف مراد نحو قوله تعالى ﴿ واسأل القرية ﴾[3] يعني أهلها[4] .

ب/٢٧٨أ

أ / ٨٢٤

---

*في « أ » و « ب » : بالعجز ، والتصويب من شرح ابن بطال .

** في « أ » : ما ، والتصويب من « ب » وشرح ابن بطال .

*** في « ب » : وتأويله .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٥٧) .

(٢) هذا التفسير للآية غير صحيح لأنَّ الأذية في الآية مضافة إلى الله وإلى رسوله ، وأما أذية المؤمنين ـ أولياء الله ورسوله ـ فقد ذكرت في الآية التالية مما يقتضي المغايرة ، ثم إنَّه قد جاء في الحديث المروي في الصحيحين مرفوعاً « يقول الله عزوجل ـ يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنَّا الدهر أقلب ليله ونهاره » فهل يفهم من الحديث أنَّ الأذية بسب الدهر تكون لغير الله ـ يقول ابن كثير في تفسير اللآية : يقول تعالى متهدداً، ومتوعداً من آذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره ، وإصراره على ذلك ، وإيذاء رسوله بعيب أونقص » تفسير ابن كثير (٣/ ٥١٧) .

(٣) سورة يوسف ، الآية (١٢) .

(٤) انظر تفسير القرطبي (١٤ / ١٥٢ ـ ١٥٣) ، وابن كثير (٣ / ٥١٧) .

فصل

تضمن هذا الباب الرد على من أنكر أنَّ لله تعالى صفة ذات هي قدرة وقوة ، لاعتقادهم بأنّه * تعالى قادر بنفسه لابقدرة والله تعالى قد نص على أنَّ له قدرة ، بخلاف مايعتقده القدرية [١] ، من أنّه قوي بنفسه لابقوة [٢] .

وفيه رد على المجسمة [٣] ، القائسين الغائب على الشاهد قالوا : كما لم نجد قوياً ،

* في « ب » : أنّه .

[١] القدرية من الألفاظ التي تطلق على المعتزلة ، وكانت بدعة القدر قد ظهرت في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم ، على يد معبد الجهني ، ثم تبنت المعتزلة بعد ذلك هذه البدعة والقدرية فرقتان :

الأولى هي التي تزعم أنَّ الله ـ عزوجل ـ لايعلم الأشياء قبل وجودها ـ ولم يقدرها قبل وقوعها ، وإنما يعلمها حال وقوعها ، فبدعتهم مركبة من قضيتين :

أ / إنكار علم الله بالأمور قبل وقوعها .

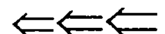
ب/ القول بأنَّ الإنسان هو الذي يوجد فعل نفسه من غير إرادة الله أو علمه وهذه الطائفة قد اندثرت والحمد لله .

الثانية : وهم الذين أقروا بعلم الله وأنكروا خلقه لأفعال العباد وزعموا أنَّ العباد هم الخالقون لأفعالهم ، وهذا هو الذي عليه المعتزلة إلى وقتنا الحاضر .

انظر تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة صـ (٩٢) ، التنبية والرد للملطي (١٧٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٣٤) الملل النحل للشهرستاني (١/ ٥٦) ، الإيمان لابن تيمية (٣٦٤ - ٣٧٠) .

[٢] وانظر : شرح الأصول الخمسة (صـ ١٥١ - ١٥٦)

[٣] المجسمة لقب يطلق على كل من أثبت لله جسما ، وهم المشبهه كهشام بن الحكم وغيره ، إلا أنَّ المتكلمين يطلقون هذا اللقب على أهل السنة والجماعة لاثباتهم صفات الله تعالى وظن هؤلاء أنَّ ذلك يقتضي التجسيم ، وهذا مما يموهون به على الناس وإلا فإثبات صفات الله لايعد تجسيما إلا عند من شبه ذلك بصفات المخلوقين ـ وأهل السنة أبعد مايكون عن هذا ـ ولو كان هذا



ولا ذا قوة فيما بيننا إلا جسماً ، كذلك الغائب حكمه حكم الشاهد ،

فيقال لهم : إن كنتم على الشاهد تعولون ، وعليه تعتمدون في قياس الغائب عليه ، فكذلك لم تجدوا جسماً إلا ذا أبعاض وأجزاء مؤلفة ، يصح عليه الموت ، والحياة ، والعلم ، والجهل ، والقدرة ، والعجز ، فاقضوا على أنَّ الغائب حكمه حكم هذا ، فإنَّ قروا* عليه ألحدوا ، وأبطلوا الحدوث والمحدث ، وإن أبوه نقضوا ما استدلوا به ، ولا انفكاك لهم عن أحد الأمرين ، ومن هذه الجهة ، دخل على المعتزلة الخطأ في قياسهم صفات الله تعالى على صفات المخلوقين ، والله تعالى لا يشبه المخلوقين لأنَّه الخالق ولا خالق له ، وقد أعلمنا الله تعالى بالحكم في ذلك فقال : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [1] فكيف يشبه الخالق بالمخلوق ، ومن ليس كمثله شيء ، كمن له مثل من الأشياء المخلوقة ، وهذا مما لا يخفى فساده وإبطاله[2]

---

* في ((ب)) : مروا .

⇐⇐⇐

تجسيماً لكان القرآن الكريم والسنة المطهرة مليئين بالتجسيم لمجيئهما باثبات ذلك ، كما هو ظاهر لمن تتبع ذلك ، والكلام يحمل على الظاهر مالم يرد صارف لذلك ، ورحم الله الإمام ابن القيم عندما قال :

فإن كان تجسيماً ثبوت استوائه — على عرشه إني إذاً لمجسم

وإن كان تشبيهاً ثبوت صفاته — فمن ذلك التشبيه لا أتكتم .

انظر: مختصر الصواعق : ص(١١٠) . وانظر هامش (٣) ص(٢٢٧/أ) من هذا الكتاب

[1] سورة الشورى ، الآية (١١) .

[2] العبارة الأخيرة عبارة متينه جيدة في الرد على المعتزلة ، النافين لصفات الله بحجة تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين ، وهو رد يلزم الأشاعرة فيما نفوه من صفات الله وهي جميع الصفات عدا السبع المعروفة ، إذ القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر ، ولا يستقيم لهم فرق صحيح بين ما أثبتوه من الصفات وما نفوه منها .

٤ – بـــاب

قوله تعالى :﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ﴾[١]

﴿ إنَّ الله عنده علم الساعة ﴾[٢] و﴿ أنزله بعلمه ﴾[٣] ﴿ وماتحمل من أنثى ولا تضع إلاّبعلمه ﴾[٤]﴿ إليه يرد علم الساعة ﴾[٥] قال يحيى [٦] : " الظاهر على كل شيء علماً،والباطن على كل شيء علماً "[٧].

ذكر فيه :

[٧٣٧٩] حديث ابن عمر رضي الله عنهما : ((مفاتيح الغيب خمس ... الحديث)) [اطرافه في : ١٠٣٩ ، ٤٦٢٧ ، ٤٦٩٧ ، ٤٧٧٨]

وقد سلف وذكره هنا بلفظ : وقال خالد بن مخلد : حدثنا سليمان بن بلال ، حدثنا عبدالله بن دينار ، عن ابن عمر رضي الله عنهما به .

---

(١) الجن الآية (٢٦)

(٢) لقمان الآية (٣٤)

(٣) النساء الآية (١٦٦)

(٤) فاطر الآية (١١) ، وفصلت الآية (٤٧)

(٥) فصلت الآية (٤٧)

(٦) هو ابن زياد بن عبدالله ، الديلمي ، أبو زكريا الفراء ، النحوي المشهور ، صاحب معاني القرآن ، أخذ عن الكسائي ، وهو من جلة أصحابه ، وكان من أبرع الكوفيين ، ورد عن ثعلب أنه قال: ((لولا الفراء لما كانت عربية ، ولسقطت ، لأنه خلّصها)) . مات بطريق مكة سنة (٢٠٧)

انظر ترجمته في : إشارة التعيين (٣٧٩) ، السير (١٠ / ١١٨)والبلغة صـ (٢٣٨) .

(٧) معاني القرآن ، للفراء (٣ / ١٣٢) .

[٧٣٨٠] وحديث عائشة رضي الله عنها قالت : (([من حدثك أنَّ محمداً رأى ربه فقد كذب وهو يقول : ﴿ لاتدركه الأبصار ﴾[1]] من حدثك أنه* يعلم الغيب فقد كذب ، وهو يقول : ((لايعلم الغيب إلا الله)) ..

[أطرافه في : ٣٢٣٤ ، ٣٢٣٥ ، ٤٦١٢ ، ٤٨٥٥ ، ٧٥٣١]

⟨⟨ غرضه في هذا الباب إثبات علم الله تعالى ، صفة [لذاته**] إذ العلم حقيقة في كون العالم عالماً ، إذمن المحال كون العالم عالماً ، ولاعلم له ، وكذلك سائر أوصافه المقتضية للصفات التي هي حقيقة في بيان الأوصاف المجراه عليه تعالى من كونه حياً ، [و] قادراً ، وماشابه ذلك ، خلافاً لما تقوله القدرية : من أنه عالم قادر حي بنفسه ، لابقدرة ولابعلم ولابحياة*** [2]

ثم إذا ثبت [كون****] علمه قديماً وجب تعلقه بكل معلوم على حقيقته ، وقد نص تعالى على إثبات علمه بقوله تعالى : ﴿ إنَّ الله عنده علم الساعة ﴾[3] وبقوله ﴿ أنزله بعلمه ﴾[4] [وغيرهما]***** من الآيات السالفة [5] ، فمن دفع****** علم الباري تعالى الذي هو حقيقة في كونه عالماً وزعم أنه عالم بنفسه لابعلم ؛ فقد ردَّ نصه

---

* في ((ب)) : أنَّ محمداً .

** في ((أ)) له أبداً ، والمثبت من ((ب)) وشرح ابن بطال .

*** في ((ب)) : بحياته .

**** في ((أ)) و ((ب)) : كونه ، والمثبت من شرح ابن بطال .

***** في ((أ)) : وغيرها . والمثبت من ((ب))

****** في ((أ)) رفع . والمثبت من ((ب)) وشرح ابن بطال .

---

(١) الأنعام ، الآية (١٠٣) .

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار (١٥١ ــ ١٦٧) . ومقالات الإسلاميين ، للأشعري صـ (١٦٤ ، ١٦٥).

(٣) لقمان الآية (٣٤).

(٤) النساء الآية (١٦٦) .

(٥) انظر : الصفحة السابقة .

تعالى على إثبات العلم ، الذي هو حقيقة في كونه عالماً ولاخلاف في رد نصّه على أنه ذو علم وبين رد نصّه على أنه عالم ، فالنّافي لعلمه كالنّافي لكونه عالماً[١] .

وأجمعت الأمَّة على أنَّ من نفى كونه عالماً ، فهو كافر[٢] فينبغي أنَ يكون من نفى كونه ذا علم كافراً ، ومن نفى أحد الأمرين كمن نفى الآخر ، والقول في العلم // بهذا ، كاف من القول به في جميع صفاته . ب/٢٧٨ب

وتضمَّن هذا الباب : الرد على هشام بن الحكم [٣] ، ومن قال بقوله :من أنَّ علمه تعالى مُحْدَث ، وأنَّه لايعلم الشيء قبل وجوده[٤] ، وقد نبَّه ا لله تعالى على خلاف هذا بقوله: ﴿ إنَّ ا لله عنده علم الساعة﴾[٥] وجميع الآيات الواردة بذلك ، وأخبر الشارع بمثل ذلك في حديث ابن عمر ، وعائشة رضي ا لله عنهم ، فلايلتفت إلى من رد نصوص الكتاب والسنة ››[٦] .

---

(١) انظر : رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب صـ (١٢٢) والإبانه عن أصول الديانه كلاهما لأبي الحسن الأشعري صـ (١٤٢ ، ١٤٣) .

(٢) قال القاضي عياض : " فأمَّا من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية ، أوجحدها مستبصراً في ذلك كقوله : ليس بعالم ، ولاقادر ، ولامريد ولامتكلّم ، وشِبْه ذلك من صفات الكمال الواجبة فقد نصَّ أئمتنا على الإجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها ، أو أعراه عنها . الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض (٢/ ٢٤٢)

(٣) هشام بن الحكم ، أبو محمد الشيباني ، من كبار الرافضة ومشاهيرهم ، وكان مجسماً ، زعم أنَّ ربه طول سبعة أشبار بشبر نفسه ، وزعم أنَّ علم الله محدث ، وكان يبالغ في القول بالجبر ، قال ابن النديم : هو من أصحاب جعفر الصادق ، هذب المذهب ، وفتق الكلام في الإمامة ، له مصنفات كثيرة . مات بعد نكبة البرامكة .

انظر : الفهرست ،لابن النديم صـ (٢٢٣) والسير(١٠/ ٥٤٣) ولسان الميزان ، لابن حجر (٦/ ١٩٤) .

(٤) انظر مقالات الإسلاميين للأشعري صـ (٣٧).

(٥) لقمان الآية (٣٤).

(٦) مابين العلامتين نقله المؤلف من شرح ابن بطال (٤/ ٣٣٨ / ب)

فصل

وقول عائشة رضي الله عنها السالف ، واحتجاجها بالآية ، سلف جوابه[١] ،

وقال الداودي : إنما أنكرت ماقيل عن ابن عباس ، أنه رآه بقلبه[٢] ، وأمَّا معنى الآية [٣] : لاتحيط به الأبصار[٤] . قال تعالى : ﴿ فلمَّا تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنّا لمدركون ﴾ [٥] .

فأخبر أنَّهما تراءيا . وقوله : ﴿ إنّا لمدركون ﴾ يعنون* محاطاً بنا[٦] .

---

* في ((ب)) : يعني .

---

(١) انظر الجواب صـ (٢١١)، حاشية (٣).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الإيمان ، باب معنى قول الله ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ (٣/ ١٠) ح(٢٨٤ ، ٢٨٥). وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للالكائي (٣/ ٥١٨).

(٣) التي استدلت بها عائشة على نفي الرؤية وهي قوله تعالى ﴿ لاتدركه الأبصار ﴾ .

(٤) انظر : زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي (٣/ ٧٦) وتفسير القرطبي (٧/ ٣٧)

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله قوله ﴿ لاتدركه الأبصار ﴾ انما نفى الإدراك الذي هو الإحاطة ، كما قاله أكثر العلماء ، ولم ينف مجرد الرؤية ، لأن المعدوم لايرى ، وليس في كونه لايرى مدح ، إذلو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحاً ، وإنما المدح في كونه لايحاط به وإن رئي ، كما أنه لايحاط به وإن علم ، فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته مايكون مدحاً وصفة كمال . وكان ذلك دليلاً على إثبات الرؤية لاعلى نفيها ، لكنه دليل على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة ، وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمَّة وأئمتها .أ.هـ . التدمرية ، لابن تيمية صـ (٥٩) وانظر شرح العقيدة الطحاوية،لابن أبي العز (١/ ٢١٥).

(٥) الشعراء ، الآية (٦١) .

(٦) معنى هذا الدليل : أنَّ الآية الكريمه أثبتت ترائي الجمعان ونفت الإدراك بمعنى الإحاطة فبموجبه يفرق بين الإدراك والإبصار ، وقد ذكر نحواً من هذا القرطبي في المفهم شرح صحيح

⇐⇐⇐

وا لله تعالى يرى في المعاد ، ومماينكر إذا رؤي في المعاد أن يراه* من شاء ا لله أن يراه[١] ، والنفي لايكون إلا بتوقيف**[٢] ، [وإنّما معها حجة هي خلاف ماتبين لنا [٣]]

وذُكِر عن ابن عباس :((أنّه عليه السلام رأى ا لله تعالى بعيني

---

* في ((ب)) : يريه .

** في ((ب)) : بتوقيفه .

*** في ((أ)) : مأمّا منعها حجة خلاف ماتبين لنا .

⇐⇐⇐

مسلم (١/ ٤٢٣) وابن أبي العز في شرحه للطحاوية (١/ ٢١٥)

وقال ابن حجر معقباً على هذا الاستدلال : " وهذا استدلال عجيب لأن متعلق الإدراك في آية الأنعام البصر ، فلما نُفي كان ظاهره نفي الرؤية ، بخلاف الإدراك الذي في قصة موسى ، ولولا وجود الإخبار بثبوت الرؤية ماساغ العدول عن الظاهر ".الفتح (٨/ ٤٧٣ ، ٤٧٤)

وتَعَقُب الحافظ هنا متوجِّه إن كان قصده أنّ ظاهر آية الأنعام يدل على نفي الرؤية مع الإحاطة أمّا مع عدم الإحاطة فلا يدل ظاهر الآية على ذلك .

(١) انظر: المفهم للقرطبي (١/ ٤١٩) وإذا كانت رؤية ا لله في الدنيا جائزة عقلاً فهي ممتنعة سمعاً لغير النبي صلى ا لله عليه وسلم ـ ففيها خلاف ـ لما جاء في صحيح مسلم أنّ النبي صلى ا لله عليه وسلم قال : تعلمّوا أنه لن يرى أحد منكم ربه عزوجل حتى يموت)) .صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ / ٧٦) رقم(٢٩٣١)

(٢) وكذلك الإثبات لابد له من توقيف ، وقد ورد مايفيد نفي الرؤية البصرية من النبي صلى ا لله عليه وسلم حين سأله أبو ذر هل رأيت ربك ؟ قال : نور أني أراه)) رواه مسلم في صحيحه (١٥/٣، ١٦)ح (١٧٨).

(٣) حجة عائشة رضي ا لله عنها هي مافهمته من قوله تعالى ﴿ لاتدركه الأبصار ﴾ وقوله ﴿ وماكان لبشر أن يكلمه ا لله إلا وحياً أو من وراء حجاب ﴾ ، انظر : صحيح البخاري مع الفتح (٨/ ٤٧٢) ح (٤٨٥٥) ومسلم بشرح النووي (١١/٣) ح (٢٨٧)

بصره)) [١] خلاف* ماذكر عنه الداودي أنه رآه بقلبه ، ولعله سبق قلم ، وإنما هو بعينه[٢] وهو الذي أنكرته عائشة رضي ا لله عنها [٣] ،

---

* في ((ب)) : خلافاً لما .

---

(١) ذكر الهيثمي نحو هذا الأثر وعزاه إلى الطبراني في الأوسط قال: وعن ابن عباس أنه كان يقول " إنَّ محمداً صلى ا لله عليه وسلم رأى ربه مرتين ، مرة ببصره ، ومرة بفؤاده)) ثمَّ قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح خلا جهور بن منصور الكوفي ، وجهور بن منصور ذكره ابن حبان في الثقات.وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : "ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح أنّه رآه بعينه ".انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،للهيثمي (١/٧٩) ومجموع الفتاوي (٦/٥٠٩) .

(٢) بل الذي ثبت عنه : اطلاق الرؤية تارة وتقييدها بالقلبية أخرى ، فيجب حمل مطلقهاعلى مقيدها ، ويؤيد هذا ماأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قال: لم يره رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بعينه ، وإنما رآه بقلبه . انظر : فتح الباري (٨/ ٤٧٤) .

(٣) يذهب المؤلف ـ رحمه ا لله ـ هنا إلى أنَّ النبي صلى ا لله عليه وسلم رأى ربه رؤية بصرية ، وهذا القول وإن قال به بعض العلماء إلا أنه رأي مرجوح ، فليس في الأدلة مايقتضي أنّه رآه بعيني رأسه ، ولاثبت ذلك عن أحد من الصحابة ، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل ، كما في صحيح مسلم ــ حديث رقم (١٧٨) ــ عن أبي ذر قال : سألت رسول ا لله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال: ((نور أنّى أراه)) وكذا قوله تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ﴾ ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى يقول ابن تيمية :(وكل حديث فيه رؤيته لربه ليلة المعراج عياناً ، فإنها كلها أحاديث مكذوبة، موضوعة باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، وعلى هذا يحمل إنكار عائشة للرؤية على البصرية، واثبات ابن عباس على القلبية وبهذا تجتمع الأدلة ، وا لله أعلم .

انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣ / ٥١٢) وصحيح مسلم بشرح النووي(١٥/٣) ومجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٩ ٥١١) ودرء تعارض العقل والنقل (٧/ ٩٣) ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٢٥٢ ــ ٢٥٤) ورؤية ا لله وتحقيق الكلام فيها للدكتور أحمد بن ناصر الحمد (١٣٨ ـ ١٧٠) .

وقال أبو الحسن الأشعري : " هي فضيلة خص بها بين سائر الأنبياء ، ولابأس أن تكون الملائكة يرونه بأبصار* قلوبهم ، وذلك غير ممتنع " . واختلف جوابه وجواب غيره من مشيخة أهل السنة : هل رؤيته تعالى في القيامة جزاء أم تفضل ؟!.

ونفس [رؤيته**] تعالىوسبحانه ليست لذة ، لأن ذاته ليست ذاتاً يلتذ بها ، وإنّما تصحب رؤيته اللذة[١] ،

وقيل : معنى ﴿ لاتدركه الأبصار ﴾ : لاتدركه جسماً ، ولاجوهراً ولاعرضاً ، ولالشيء من المدركات[٢] .

وقيل : لاتدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون[٣] .

** في ((ب)) : بأبصارهم قلوبهم .

* في ((أ)) : لذته .

---

(١) هذا قول الأشاعرة ، وهو لازم لهم لإنكارهم محبة العباد لله لأن محبة الرؤية والتلذذ بها تابعة لمحبة المرئي ، قالوا : لأنه لامناسبة بين المحدث والقديم ، وكذلك من المتقرر عندهم أنه لانعيم ولالذة إلا بالمخلوق من المأكول والمشروب والمنكوح . أمّا أهل السنة والجماعة فهم مقرون بتنعم المؤمنين وتلذذهم برؤية ربهم ، كما في الدعاء المأثور : ((.... وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ...)) رواه النسائي ـ حديث رقم (١٣٠٤) . وفي صحيح مسلم (١٨١) عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((... فينظرون إليه سبحانه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه)) .

يقول ابن تيمية : " فبيّن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم مع كمال تنعمهم بما أعطاهم الله في الجنة، لم يعطهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ، وإنما يكون أحب إليهم ، لأن تنعمهم وتلذذهم به أعظم من التنعم والتلذذ بغيره ، فإن اللذة تتبع الشعور بالمحبوب ، فكلما كان الشيء أحب إلى الإنسان كان حصوله ألذ له ، وتنعمه به أعظم " .

انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ٢٢) وسنن النسائي (٣/ ٦٢) ومجموع الفتاوي (٨ / ٣٥٦ , ١/ ٢٦) والاستقامة ،لابن تيمية (٢/ ٩٧ - ١٠٠) .

(٢) انظر قريباً من هذا القول : الإنصاف للباقلاني صـ (٢٥٢) .

(٣) انظر شرح المقاصد ، للتفتازاني (٤/ ٢٠٥) ونسب هذا القول لأبي الحسن الأشعري .

وقيل : لاتدركه في الدنيا[١] .

فصـــل

قولها : ((من حدثك أنَّ محمداً يعلم الغيب فقد كذب)).

قال الداودي : " ماأظنُّه محفوظاً[٢] ، وإنما المحفوظ :((من حدثك أنَّ محمداً كتم شيئاً مما أنزل عليه ، فقد كذب[٣])).

[قال] : وإنَّما قالت ذلك ، لأنَّ الرافضة[٤] كانت تقول : إنَّه عليه السلام ، خص علياً بعلم لم يعلمه غيره ، وأمَّا علم الغيب فما أحد يَدَّعي

---

(١) وهو قول ابن عباس في رواية أبي صالح عنه . انظر تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة صـ(٢٥٤) وتفسير الطبري (٥/ ٢٩٦) وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٧٦) وتفسير القرطبي (٤ / ٣٧).

(٢) الحديث المحفوظ هو : مارواه الأوثق مخالفاً لرواية الثقة ، وهو في مقابلة الشاذ . انظر : تيسير مصطلح الحديث صـ (١١٩) .

(٣) الحديث بهذا اللفظ رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك ﴾ (٨/ ١٢٤) ح (٤٦١٢) .

(٤) الرافضة هم الشيعة الذين يطعنون في إمامة الشيخين سُمو بذلك لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر ، وقيل : لرفضهم زيد بن علي لَمَّا طلبوا منه التبرئ من أبي بكر وعمر فأبى ،وقال : وزيري جدي ، فرفضوه ، فقال لهم : رفضتموني فسموا بهذا الإسم ، وهم مجمعون على أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه ، ويرون أنَّ الامامةلاتكون إلا بنص وتوقيف ، وأبطلوا الاجتهاد في الأحكام ، وغير ذلك من العقائد الفاسدة ، وهم فرق كثيرة أشهرها : الكيسانية ، الزيدية ، الإمامية ، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال ، وبعضهم إلى التشبيه .

انظر : مقالات الإسلاميين صـ (١٦ ـ ٨٥) الملل والنحل (١/ ١٦٩ ـ ٢٢٧) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (٥٩ ـ ٧٩) .

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه كان يعلم منه إلا ما علمه الله تعالى "*[١] .

---

[١] انظر: فتح الباري : (١٣/ ٣٦٧) وعمدة القاري شرح صحيح البخاري،للعيني (٢٥ / ٨٧).

وقال الحافظ ابن حجر معقباً على هذا القول : " وماادعاه من النفي متعقب ، فإن بعض من لم يرسخ في الإيمان كان يظن ذلك حتى كان يرى أنَّ صحة النبوة تستلزم إطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على جميع المغيبات ". الفتح (١٣/ ٣٧٦) .

٥ - بـــاب

قول الله تعالى : ﴿ السلام المؤمن ﴾[١]

أ / ٨٢٥

// ذكر فيه :

[٧٣٨١] حديث شقيق بن سلمة ، قـال : قـال عبدالله ﷺ: ((كنّا نصلي خلف النبي ﷺ ، فنقول : السلام على الله ، فقال النبي ﷺ ؛ إنّ الله هو السلام ، ولكن قولوا: التحيات لله ... الحديث))

[أطرافه في : ٨٣١ ، ٨٣٥ ، ١٢٠٢ ، ٦٢٣٠ ، ٦٢٦٥ ، ٦٣٢٨]

الشرح

⟨⟨ السـلام هـو : السـالم مـن العيـوب ، والنقـائص ، والآفـات الدالـة علـى حدث [من وجدت به متضمن*] [لمعنى**] السلامة من ذلك كله ⟩⟩ [٢]

---

* في ((ب)) : بربه ضمن ، والمثبت من شرح ابن بطال .

** في ((أ)) : بمعنى .

مراد البخاري بهذه الترجمة ــ فيما يظهر ــ تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوق ، وأنّ اشتراكه تعالى مع المخلوق في الاسم أو في معنى من المعاني لايكون فيه تشبيه ، نحو اليد ، والرجل ، والاستواء وغير ذلك مما أثبته الله في لنفسه ، وأثبته له رسوله ، لأنه تعالى السلام ، أي السالم من كل عيب ونقص يلحق بالمخلوق ، وأما ذكره ((المؤمن)) مع ((السلام)) فلبيان أنّ ماتسمى الله به ، وأطلق على غيره من خلقه ، فإنه لايكون بينه وبين من أطلق عليه مشابهة ، فالله تعالى سمى نفسه المؤمن،ومن اتصف بالإيمان من عباده يسمى مؤمناً،وهكذا كل مايطلق على غيره تعالى مما سمى به نفسه أو اتصف به ، نحو العزيز والكريم والسميع،فلله تعالى مايليق به من المعاني الكاملة السالمة من النقائص والعيوب وللمخلوق ماينا سبه ويليق بضعفه،فهو محل كل عيب ونقص ـ والله أعلم ـ

انظر : شرح كتاب التوحيد ، للغنيمان (١/ ١٢٣ ـ ١٢٦) .

[١] الحشر الآيه (٢٣).

[٢] شرح ابن بطال (٤ / ٣٣٩/أ) . وأولى من هذا المعنى قول ابن كثير : السلام : أي من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله . تفسير ابن كثير (٣٤٣/٤) .

والمؤمن : المصدِّق أي : صدق نفسه وأنبياءه ٠

وقيل : يُؤَمِّن [من] الخوف ، ومنه : ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ ٠ [١]

((وغرضه في هذا الباب إثبات أسماء من أسمائه تعالى [٢] فالسَّلام اسم من أسمائه تعالى ٠

وقوله : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ [٣] [مختلف في تأويله ، فقيل : معناه والله يدعو إلى دارالسَّلامة] يعني : الجنة ، لأنَّه لا آفة فيها ولاكدر ، فالسلام على هذا والسلامة بمعنى ، كاللذاذ واللذاذة ، والرضاع والرضاعة ٠ [٤]

وقيل :" السَّلام : اسم لله تعالى ".

قال قتادة [٥] : " الله السلام ، وداره الجنة " [٦]

---

(١) قريش ، الآيه (٤) ٠ وانظر : تفسير القرطبي (٣١/١٨) .

(٢) قال الحافظ : " وفي ما ذكره نظر ، فإنَّ وظيفة الشارح بيان وجه تخصيص هذه الأسماء بالذكردون غيرها ، وإفرادها بالترجمه ، ويمكن أنه أراد بهذا القدر جميع الآيات الثلاث في آخر سورة الحشر، فإنَّها ختمت بقوله تعالى : ﴿ له الأسماء الحسنى ﴾ وقد قال في سورة الأعراف ﴿ و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ وكأنه –رحمه ا لله– بعد إثبات القدره ، والقوه ، والعلم ، أشار إلى أنَّ الصفات السمعيه ليست محصورةً في عدد معين ، بدليل الآية المذكوره ، أو أراد الإشارة إلى ذكر الأسماء المشتركه بين ا لله وخلقه ، كالسلام والمؤمن ، فناسب أن يذكرهما في ترجمة واحدة "٠ انظر فتح الباري (٣٧٨/١٣) ٠

(٣) يونس ، آية (٢٥)٠

(٤) انظر تفسير القرطبي (٢٠٩/٨) ولسان العرب (٢٨٩/١٢)

(٥) قتادة بن دعامة ، أبو الخطاب السدوسي ، البصري ، حافظ العصر ، قدوة المفسرين والمحدثين ، قال عنه الذهبي : هو حجه بالإجماع إذا بيّن السماع ، فإنه مدلس معروف بذلك ، وكان يرى القدر ، نسأل الله العفو ٠ ومع هذا فما توقف أحد في صدقه ، وعدالته ، وحفظه ٠ قال قتادة :مافي القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً ٠ توفي سنة ١١٨٠

انظر : سير أعلام النبلاء (٢٦٩/٥) ، تهذيب التهذيب (٣٥١/٨)٠

(٦) انظر تفسير الطبري (٥٤٨/٦) ، وتفسير القرطبي (٢٠٩/٨) ٠

وقال الخطابي [١] : " السَّلام هو الذي سلم الخلق من ظلمه " ٠[٢]

فأمَّا « المؤمن » فعلى وجهين :

أحدهما : أن يكون صفة ذات ، وهو أن يكون متضمناً لكلام ا لله تعالى ، الذي هو تصديقه لنفسه في أخباره* ، ولرسله في صحة دعواهم الرسالة عليه ، وتصديقه هو قوله، وقوله هو صفة من صفات ذاته [٣] ، لم يزل موجوداً به ، حقيقة في كونه قائلاً ، متكلماً مؤمناً ، مصدقاً .

الثاني : أن يكون متضمناً صفة فعل هي : أمانة رسله وأولياءه المؤمنين به من عقابه ، وأليم عذابه ، من قولك : " أمَّنْتُ فلاناً من كذا وآمنته منه " ، كأكرمت وكرّمت ،وأنزلت ونزلت ، ومنه قوله تعالى ﴿ وآمنهم من خوف﴾ [٤] ›› [٥] وقد سلف. وقال // الحليمي [٦] ب/٢٧٩/أ

---

* في « ب » : اختباره

---

[١] حمد بن محمد بن ابراهيم بن خطاب البستي ، أبو سليمان الخطابي ، ولد سنة بضع عشره وثلاث ماته ، أخذ الفقه على مذهب الشافعي عن أبي بكر القفال الشاشي ، وأبي علي بن أبي هريرة ٠ له فهم مليح ، وعلم غزير ، ومعرفة باللغة والمعاني والفقه ، له تصانيف حسان منها : أعلام الحديث ، ومعالم السنن ، وغريب الحديث ، والعزلة ، والغنية ، وشرح الأسماء الحسنى ٠ توفي سنة (٣٨٨)٠ انظر : السير (٢٣/١٧)،طبقات الشافعية،للسبكي(٢٨٢/٣)البدايةوالنهايةلابن كثير (٢٣٦/١١)٠

[٢] شأن الدعاء ، للخطابي ص (٤١)، والأولى تجنب هذا التعبير ، لأنه يوهم أنَّ لله ظلماً سلم منه خلقه ، ولأولى التعبير بـ : الذي لايظلم .

[٣] جعل القول من صفات الذات ، غير صحيح على إطلاقه ، بل القول – الذي هو الكلام – صفة ذاتيه باعتبار أصل الصفة ، وفعلية باعتبار تجدد آحادها وصدورها عن الله تعالى ٠

[٤] قريش ، الآية (٤)

[٥] مابين العلامتين نقله الشارح مع تصرف يسير من شرح ابن بطال (٣٩٩/٤ / أ) .

[٦] هو : الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم ، البخاري الشافعي ، أبو عبدالله الحليمي ، قال عنه الذهبي " رئيس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر " أحد الأذكياء الموصوفين ، ومن أصحاب الوجوه في المذهب حدث عنه الحاكم وأبو زكريا عبدالرحيم بن أحمد البخاري وجماعة ، له تصانيف منها في شعب الايمان ولد سنة (٣٣٨) وتوفي سنة (٤٠٣)٠ انظر : السير (٢٣٢/١٧) ، طبقات السبكي (٣٣٣/٤) ، البداية والنهاية (٣٤٩/١١)٠

في منهاجه [١] : " معناه لا ينقص المطيعين يوم الحساب من [طاعتهم]* شيئاً ، ويثيبهم عليه ، لأن الثواب لا يعجزه ولا هو مستكره عليه فيضطر إلى كتمان [بعض] الأعمال أو جحدها وليس ببخيل فيحمله استكثار الثواب إذا كثرت الأعمال ، على كتمان بعضها ، ولا يلحقه نقص لما يثيب فيحبس بعضه ، لأنه ليس منتفعاً بملكه ، حتى إذا نفع غيره به زال انتفاعه عنه بنفسه ، ولا ينقص المطيع من حسناته شيئاً ، لا يزيد به** العصاة على مااجترحوه من السيئات شيئاً ، فيزيدهم عقاباً على مااستحقوه ، لأن واحداً من الكذب والظلم ليس جائزاً عليه ، وقد سمى عقوبة أهل النار جزاءً ، فمالم يقابل منها ذنباً لم يكن جزاء ، ولم يكن وفاقاً ، يدل*** ذلك على أنه لا يفعله " [٢] .

فصل

⟨⟨والمهيمن في الآية [٣]،راجع إلى معنى الحفظ والرعاية،وذلك صفة فعل له تعالى⟩⟩[٤]

---

* في ((أ)) و ((ب)) : طاعته ، والتصويب من المنهاج .

** به ، ساقطة من ((ب)) والمنهاج ، ولعله الصواب .

*** في ((ب)) : يدل على ذلك . وفي المنهاج : فدل ذلك .

---

[١] أي : المنهاج في شعب الإيمان ، طبع في ثلاث مجلدات بتحقيق حلمي محمد فودة ، قال صاحب كشف الظنون : هو كتاب جليل في نحو ثلاث مجلدات فيه أحكام كثيرة ، ومسائل فقهية وغيرها مما يتعلق بأصول الإيمان ، وآيات الساعة ، وأحوال القيامة .

انظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفه (٢/١٠٤٧) .

[٢] انظر (١/٢٠٢ ، ٢٠٣) وكلامه هذا ذكره الحليمي في بيان معنى المهيمن ، وليس لبيان معنى المؤمن كما يوهمه سياق المؤلف .

[٣] المهيمن تتمة الآية التي عنون بها البخاري لهذا الباب،وهي غير موجودة في جميع نسخ الصحيح وإنّما زادهاابن بطال، ومن ثمَّ شرحها وتبعه المؤلف في ذلك.وانظر الفتح (١٣/ ٣٧٨).

[٤] شرح ابن بطال (٤ / ٣٣٩ / أ) وذهب الخطابي إلى أنَّ معناه : "الشهيد أي الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل " ((شأن الدعاء)) ص(٤٦) . وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ،وقتادة ، والسدي ،ومقاتل ؛ وعلى هذا التفسير تكون الهيمنة من صفات الذات . وانظر الإعتقاد للبيهقي صـ (٣٣) وتفسير البغوي (٨/ ٨٧) .

وقد روينا من طريق البيهقي[١] إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ مهيمناً عليه ﴾[٢] قال : "مؤتمناً عليه "[٣]

وفي رواية علي بن أبي طلحة[٤] [عنه] "المهيمن : الأمين ، القرآن أمين على كل كتاب قبله "[٥] .

---

(١) هو الإمام ، الحافظ ، العلامة ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، شيخ خراسان ، صاحب التصانيف التي منها : السنن الكبرى ، والصغرى ، وشعب الإيمان ، روي عن الإمام الجويني أنه قال : مامن شافعي إلا وللشافعي عليه منّة ، إلا أحمد البيهقي ، فإن له على الشافعي منّة، لتصانيفه في نصرة مذهبه ، مات ـ رحمه الله ـ سنة (٤٥٨) .

انظر : السير (١٨ / ١٦٣) الوافي بالوفيات ، للصفدي (٦/ ٣٥٤) .

(٢) المائدة ، آية (٤٨) .

(٣) الأسماء والصفات ، للبيهقي (١/ ١٦٧)رقم (١٠٨) وحكم محقق الكتاب على سنده بالضعف لأن فيه التميمي وهو مجهول . والأثر أخرجه ابن جرير في التفسير (٤/ ٦٠٦ ، ٦٠٧) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥١٢) إلى الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٤) علي بن أبي طلحة ، واسمه سالم بن المخارق الهاشمي ، يكنى أبا الحسن . روى عن ابن عباس ولم يسمع منه ، بينهما مجاهد . قال الميموني عن أحمد : له أشياء منكرات . وعن أبي داود : هو ان شاء الله مستقيم الحديث . وقال النسائي ليس به بأس ، قال دحيم لم يسمع التفسير من ابن عباس. قال ابن حجر : أرسل عن ابن عباس ولم يلقه ،صدوق قد يخطيء . مات سنة (١٤٣).

انظر : تهذيب التهذيب (٧ / ٣٣٩) وتقريب التهذيب رقم (٤٧٥٤) .

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٦٧) رقم (١٠٩) وحكم محقق الكتاب على إسناده بالضعف لأن فيه انقطاع . بين علي بن أبي طلحة وابن عباس .والأثرأخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٦٠٧) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥١٢) إلى ابن أبي حاتم .

وقال مجاهد[١] : " الشاهد على ماقبله* من الكتب "[٢] وقيل : " الرقيب على كل **شيء والحافظ له "[٣] .

وقال بعض أهل اللغة : " الهيمنة : القيام على الشيء ، والرعاية له ، وأنشد :

ألا إنَّ خير النَّاس بعد نبيه مهيمنة التأليف***في العُرف والنّكر[٤]

يريد : القائم على الناس بعده بالرعاية [هم] .****[٥]

وفي المحكم[٦] : " المهيمن بكسر الميم وفتحها " .[٧]

---

* في ((ب)) : على قبله .

** في ((ب)) : على الشيء .

*** هكذا في : ((أ)) و ((ب)) . وفي شأن الدعاء ، وتهذيب اللغة ، ولسان العرب ، وفتح الباري : التأليه.

**** في ((أ)) : له .

---

(١) هو مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، التابعي الجليل ، مفسر أهل مكة، أخذ التفسير عن ابن عباس ، قرأه عليه ثلاث مرات ، يقف عند كل آية يسأله، فيم نزلت وكيف كانت ؟ نزل الكوفه ومات وهو ساجد سنة (١٠٢) .انظر : السير (٤٤٩/٤) ، الأعلام، للزركلي (٥/ ٢٧٨).

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١٦٨/١) رقم (١١٠) وعزاه السيوطي إلى آدم بن أبي إياس ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ . الدر المنثور (٥١٣/٢).

(٣) شأن الدعاء ص (٤٦) والقول منسوب للخليل ، انظر : تفسيرالبغوي (٦٥/٣) وزاد المسير (٢٢٠/٢) وانظرالاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي (٣٣).

(٤) البيت في تهذيب اللغة (٣٣٤/٦) شأن الدعاء (٤٦) غريب الحديث ،للخطابي (٢٠١/٢) دون نسبة لقائله .

(٥) شأن الدعاء ص (٤٥-٤٦) وانظر تهذيب اللغة ،للأزهري (٣٣٤/٦) .

(٦) هو : المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده ، قال عنه صاحب كشف الظنون (١٦١٦/٢): " هو كتاب كبير مشتمل على أنواع اللغة ... ومن غرائب ماتضمنه تميز أسماء الجموع من الجموع ، والتنبيه على الجمع المركب والفرق بين التخفيف البدلي ، والتخفيف القياسي ، وما انفرد به الفرق بين القلب والبدل ، وفيه التنبيه على شاذ النسب والجمع والتصغير والمصادر والأفعال وغير ذلك " والكتاب مطبوع بتحقيق عبدالستار أحمد فراج في ست مجلدات ولم يكمل

(٧) المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده (٢٤٠/٤).

قال القزاز [١] : وقالوا في قول العباس في رسول ا لله ﷺ:

حتى احتوى بيتك المهيمن من خِنْدِفَ ، علياء تحتها النطق[٢]

إنّما أراد : حتى احتويت أنت ، ثم أقام البيت ، أي : يأمين ، وهو كان اسمه [٣]

قال عياض [٤] : " قد سمى ا لله نبينا أميناً فقال : ﴿ مطاع ثمّ أمين ﴾[٥] وسمّاه العباس مهيمنا " .[٦]

---

[١] القزّاز هو : محمد بن جعفر التميمي ، القيرواني ، اللغوي ، صاحب كتاب الجامع في اللغه ، وهو من نفائس الكتب ، وله كتاب في تفسير غريب البخاري ، كان إماماً في اللغة والنحو والأدب، توفي سنة (٤١٢) . انظر ترجمته في اشارةالتعيين ص (٣١) والسير (٣٢٦/١٧) ، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، للفيروزأبادي ص (١٩٢) .

[٢] بيت من قصيده قالها العباس في مدح النبيﷺ ، انظر القصيدة وقصتها في المستدرك للحاكم (٣٩٦/٣،٣٩٧) وعقب عليها الحاكم بقوله : هذا حديث تفرد به رواته الأعراب عن أبائهم وأمثالهم من الرواة لايضعون ، قال الذهبي في السير (١٠٣/٢) : قلت: ولكنّهم لا يُعرفون .وانظر : الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (١٣٣/١) وانظر معنى البيت في النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير (٧٤/٥ و٢٧٥) .

[٣] انظر : لسان العرب (١٣ / ٤٣٦).

[٤] هو : القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى اليحصبي ، أبو الفضل السبتي المالكي، ولد سنة (٤٧٦) ، استبحر في العلوم ، وجمع وألّف ، وسارت بتصانيفه الركبان ، واشتهر اسمه في الأفاق . من تصانيفه : الشفاء في شرف المصطفى ، وترتيب المدارك ، وكتاب العقيدة ، ومشارق الأنوار ، وغيرها . مات سنة (٥٤٤) .

انظر : السير (٢١٢/٢٠) الديباج المذهب (٤٦/٢) .

[٥] التكوير ، الآية (٢١) .

[٦] انظر :الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (١٨٦/١) .

فصل

⟨⟨معنى منعه عليه السلام من [قول*] السلام : قد بيَّنه بقوله " إن ا لله هو السلام " ، ويستحيل أن يقال : السلام على ا لله لاستحالة القول ا لله على ا لله ،
وعلى قول من جعل السلام بمعنى السلامة يستحيل أيضاً أن يدعى له تعالى بالسلامة .

فصل

وقوله : (([قولوا] التحيات لله)) إلى آخره ، هو صرف منه عليه السلام لهم عمَّا يستحيل الكلام به إلى مايحسن [ويجمل**] ، لما في ذلك من الإقرار لله تعالى بملك كل شيء ، وشرعه : ماشرعه لعباده مما أوجبه عليهم من الصلوات المفروضه ، وندبه اليهم*** من النوافل ، والتقرب إليه**** بالدعاء ، والكلم***** الطيب ، الذي وصف تعالى أنه يصعد إليه بقوله : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ ⟩⟩ [1]

فصل

التحيات : جمع تحية وهي : العبادة [2] أو الملك .

* في ((أ)) : قوله .

** في ((أ)) : وجمل . والتصويب من ((ب)) وشرح ابن بطال .

*** هكذا في ((أ)) و ((ب)) ، ولعل صواب العبارة : وندبهم إليه .

**** في ((ب)) : إليهم

***** في ((ب)) : الكلام

(1) فاطر ، الآية (١٠) . ومابين العلامتين من شرح ابن بطّال (٤ / ٣٣٩ / أ)

(2) هكذا جاءت في ((أ)) و ((ب)) ، ولعلها سبق قلم ، حيث لم تذكر كتب اللغه أنَّ من معاني التحيه العبادة ، بل ذكرت هذه المصادر أنَّ التحيات تأتي على أربعة معان هي : الملك ، البقاء ، العظمة، الحياة . انظر تهذيب اللغة (٥/٢٩٠)الصحاح (٦/٢٣٢٥) غريب الحديث لأبي عبيد (١/١٦) النهاية (١/١٨٣) لسان العرب (١٤ / ٢١٦) عمدة القاريء (٦/١١١).

وهو قول زهير[1] :

من كل ما نال الفتى قد نلته غير التحية [2] [3]

وهي البقاء : والسلام[4] *

يعني[5] : الملك .

والزاكيات : صالح الأعمال ، والطيبات : طيب القول .

وقال ابن عباس : الأعمال الزكية .

وقوله : « والصلوات لله » أي : لاينبغي أن يراد بها غيره .

---

* جاء في « ب » بعد كلمة السلام كلام لا يستقيم مع السياق حيث جاء فيها : فيه إليه يصعد الكلم الطيب ومنه قول زهير ثم أعاد البيت . وفي « أ » جاءت العبارة بدون تكرار البيت إلا أنه وضع قبلها " لا " وبعدها "إلى" ممّا يشير إلى أنها زائده . والزيادة ليست في شرح ابن بطال.

---

[1] هو زهير بن جناب بن هبل الكلبي ، من بني كنانة بن بكر ، خطيب قضاعة ، وسيدها وشاعرها وبطلها ووافدها إلى الملوك ، في الجاهلية ، كان يدعى الكاهن لصحة رأيه وعاش طويلاً

انظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (ص ٢٤٥) والأعلام (٥١/٣) .

[2] بيت من أبيات قالها لما حضرته الوفاة حيث قال:

أبني ، إن أهلك فإ نّي قد بنيت لكم بنيّه

وتركتكم أولاد سا دات ، زنادكم وريّه

ولكل مانال الفتى قد نلته إلا التحيه

وانظر : لسان العرب (٢١٦/١٤) غريب الحديث لابن قتيبه (١٦/١) .

[3] انظر : الصحاح (٢٣٢٥/٦) .

[4] انظر تهذيب اللغة ، للأزهري (٢٩٠/٥) وانظر فتح الباري (٣٦٤/٢) .

[5] أي الشاعر في قوله : غيرالتحيه ، يريد : غيرالملك .

فصل

تشهد ابن مسعود ﷺ هذا ، قد أسلفنا أنه أخذ به أحمد وأبو حنيفة ، وأخذ الشافعي بتشهد ابن عباس ، ومالك بتشهد عمر ﷺ[1]

---

[1] انظر : معالم السنن (١/١٩٧) ، والتمهيد (١٦/١٨٦) ، شرح السنة للبغوي (٣/١٨٣،١٨٤) المغني (٢/٢٢٠-٢٢٢).

٦- بــاب*

قول الله تعالى : ﴿ ملك الناس ﴾[1]

فيه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ[2]

ثمَّ ساق :

[٧٣٨٢] حديث يونس عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض !! » .

وقال شعيب والزبيدي وابن مسافر وإسحاق بن يحيى عن الزهري،عن أبي سلمة .

[أطرافه في : ٤٨١٢ ، ٦٥١٩ ، ٧٤١٣] .

الشـــرح

((قوله تعالى : ﴿ ملك الناس ﴾[3] هو داخل فى معنى ما أمرهم به الشارع من

* في « ب » : فصل.

مراد المصنف بهذا الباب ـ فيما يظهر ـ كالباب الذي قبله وهو أنَّ كون الاسم أو الصفة تطلق على الخالق ، وتطلق على المخلوق لايلزم من ذلك المشابهة ، فاسم الله « الملك » يطلق على الله جل وعلا ويطلق على المخلوق، وليس في ذلك تشبيه ، وانظر ماتقدم ص(٢١٥)

(١) الناس ، الآية (٢)

(٢) أي يدخل في هذا الباب حديث ابن عمر ، ومراده الحديث رقم (٧٤١٢) الآتي في باب قوله تعالى :﴿ لما خلقت بيدي ﴾ ونصُّه : عن ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنَّه قال : « إن الله يقبض يوم القيامه الأرض وتكون السماوات بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك » رواه سعيد عن مالك. انظر : (ص٣١٦) من هذا الكتاب .

(٣) الناس ، الآية (٢) .

قولهم التحيات لله ، يريد : الملك لله [١] ، وكأنَّه إنما أمرهم // الله بالاعتراف بذلك [أ / ٨٢٦]
بقوله : قل يا محمد أعوذ برب الناس ملك الناس •

ووصفه تعالى بأنَّه ملك الناس على وجهين :

أن يكون راجعاً إلى صفة ذاته ، وهو القدرة ، لأنَّ الملك بمعنى القدرة •

أو إلى صفة فعل ، وذلك بمعنى القهر والصرف لهم عمَّا يريدونه //إلى مأراده. [٢] [ب/٢٧٩/ب]

فتكون أفعال العباد ملكاً لله تعالى لإقداره لهم عليها)) [٣]

وقال ابن التين [٤] : ملك ومالك يضاف إليه الشئ نحو : الملك وليس معناه هنا قادراً ؛

---

[١] انظر صفحة (٢٢٢-٢٢٣) من هذا الكتاب •

[٢] الملك صفة لله تعالى ، مشتقة من اسمه : الملك الوارد فى ثلاثة مواطن من كتاب الله ((سورة طه، الآية : ١١٤ ، الحشر : ٢٣ ، الناس :٢)) وتعددت عبارات العلماء فى بيان معناه على مايلى : فقد حكى الزجاج عن أصحاب المعانى قولهم : "الملك : النافذ الأمر فى ملكه "• وقال الخطابي :" هو التام الملك الجامع لأصناف المملوكات " . وقال ابن جرير : " الملك الذى لا ملك فوقه ، ولا شئ إلاَّ دونه "• وقال ابن كثير : " المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة " • وماذكروه يدل على ثبوت الملكية المطلقة لله وحده لا شريك له وأنَّ له كمال التصرف والقدرة ، وبهذا يتبيَّن أنَّ الملك صفة ذاتية لله تعالى • وعلى هذا القول تجتمع جميع النصوص الواردة فى الكتاب والسنة حول هذه الصفة • انظر تفسير أسماء الله الحسنى ، للزجاج ص (٣٠) ، شأن الدعاء (٣٩،٤٠)تفسير الطبرى (٥١/١٢) تفسير ابن كثير (٣٤٣/٤) ، النهج الأسمى (٨٦/١)

[٣] مابين القوسين منقول من شرح ابن بطال (٣٣٩/٤ / ب) بتصرف يسير .

[٤] ابن التين هو عبدالواحد بن عمر بن عبدالواحد بن ثابت ، الصفاقسي ،أبو عمرو وأبو محمد، الإمام العلامة ، الهمام المحدث ، الراوية ، المفسر ، المتفنن ، المتبحر • له شرح على صحيح البخارى سماه : "المخبر الفصيح فى شرح البخاري الصحيح " • له اعتناء زائد في الفقه ممزوجاً بكثير من كلام المدونه وشروحها ، توفي سنة (٦١١) بصفاقس •

انظر: شجرة النور الزكيه ص (١٦٨) ، وتراجم المؤلفين التونسيين (٢٧٦/١) •

لأنَّ المغصوب ماله مالك غير قادر عليه [1].

فصل

⟨⟨وفيه إثبات اليمين لله تعالى ، صفة من صفات ذاته ، ليست بجارحه [2] ، خلافاً لما يعتقده المجسمه*[3] في ذلك ، لاستحالة وصفه تعالى بالجوارح والأبعاض ، واستحالة كونه جسماً ، وقد تقدم حل شبههم في ذلك ⟩⟩ [4].

* في « ب » : الجسمية .

(1) قال الزجاج : " وقال أصحاب المعاني : الملك ،النافذ الأمر في ملكه ، إذ ليس كل مالك ينفذ أمره ، وتصرفه فيما يملكه ، فالملك، أعم من المالك والله تعالى مالك المالكين كلهم " . تفسير أسماء الله الحسنى ، للزجاج ص (٣٠) .

(2) قوله : ليست بجارحة ، هو من كلام أهل البدع ، الذين توهموا أنَّ ظاهر الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة يتضمن التشبيه بصفات الخلق ، أما أهل السنة والجماعة فعندهم أنَّ للخالق صفاته اللائقة به ، وللمخلوق صفاته اللائقة به ولا تشابه بينهما إلا من حيث الأسماء .

(3) يطلق بعض المتكلمين – ومن قلدهم – على من أثبت صفات الله – جلا وعلا – الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة على ظاهرها اللائق به سبحانه ، يطلقون عليهم مجسمة لتنفير الناس عنهم وهذا من الجور والبهتان ، يقول ابن تيمية : نفات الصفات، يسمون كل من أثبتها مجسماً ، بطريق اللزوم ، إذ كانوا يقولون : إن الصفات لا تقوم إلا بالجسم ، وذلك أنَّهم اصطلحوا فى معنى الجسم على غير المعنى المعروف فى اللغة فإن الجسم في اللغة هو البدن ، وهم يسمون كل مايشار إليه جسماً ، فيلزم على قولهم أنَّ كل ماجاء به الكتاب والسنة ، وما فطر الله عليه عباده ، وما عليه سلف الأمه ، وأئمتها تجسيماً ، فهم يطلقون لفظ المجسمة والمشبهة ، على أتباع السلف " . انظر بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٦٢٦/١) وانظر : شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى ، للغنيمان (١٤٠/١) وانظر :هامش (٣) ص(٢٠٤) من هذا الكتاب .

(4) انظر ص (١٧٤-١٧٥) من هذا الكتاب .

فاليمين : القدرة ، كما قاله المبرد [١] [٢] وأنشد مقالة الشماخ [٣] :

إذا مارايةٌ رفعت لمجـــد تلقاها عرابةُ باليمين[٤]

وأنكر هذا [٥] بعضهم ، وقال : هو خلاف القرآن* ظاهر ، والقرآن على ظاهره ما احتمل الظاهر [٦]

* في هامش ((أ)) : لعله كذا ، أو ... ظاهر القرآن .

---

[١] هو محمد بن يزيد بن عبدالأكبر ، الثمالي ، وقيل المازني ، الملقب بالمبرد ٠ شيخ أهل النحو ، وحافظ علم العربية ، له تصانيف كثيرة منها : الكامل ، الذى قيل فيه : " من لم يقرأ الكامل فليس بكامل " ، ومنها " معانى القرآن " و "إعراب القرآن " ، و "معاني صفات الله تعالى " ، مات رحمه الله سنة(٢٨٥)٠ انظر : السير (٥٧٦/١٣) البلغة صـ(٢١٦) ، طبقات المفسرين ، للدوادي (٢٦٩/٢)٠

[٢] انظر : الكامل للمبرد (٧٦/١)٠

[٣] هو الشماخ بن ضرار بن حرملة ، المازني ، الذبياني ، الغطفاني ٠ شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وهو من طبقة لبيد والنابغة ٠ أسلم وحسن اسلامه وشهد القادسية ، وقيل إنه توفي في غزوة موقان ٠

انظر طبقات فحول الشعراء (١٣٢/١) ، الإصابة (٨٢/٥) ، الأعلام (١٧٥/٣)٠

[٤] هذا البيت من قصيدة قالها الشاعر فى مدح عرابة بن أوس ﷺ انظر ديوان الشماخ ((ص٣٣٦)) .

[٥] أي : تأويل اليمين بالقدرة . وسيأتي بمشيئة الله الرد على هذا التأويل صـ (٣١٧-٣٢٠)

[٦] هذا كلام جيّد ، لو التزم به المؤلف لكان خيراً كثيراً ، فظاهر القرآن لا يمكن أن يفهم منه التشبيه متى ماأُثبت المعنى وفوضت الكيفيه كما هو مذهب السلف الصالح يقول ابن تيمية – رحمه الله – فيمن فهم من ظاهر الصفات التشبيه أنّه وقع فى أربعة محاذير :

أحدها :كونه مثّل مافهمه من النصوص بصفات المخلوقين،وظنَّ أنَّ مدلول النصوص هو التمثيل .

الثاني : أنّه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطّله ؛ بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله ٠

⇐⇐⇐

فصـــل

ومعنى ((يقبض)): تُجمع وتَصِيرُ كلهّا شيئاً واحداً .

وقيل : [معنى] يقبضها : يملكها كما تقول هذا في قبضتي[١] [٢]

⇐⇐⇐

الثالث : أنّه ينفي تلك الصفات عن الله بغير علم فيكون معطلاً لما يستحقه الرب تعالى .

الرابع : أنّه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الموات والجمادات ، أو صفات المعدومات فيكون قد عطل صفات الكمال التي يستحقها الرب ، ومثّله بالمنقوصات والمعدومات، وعطّل النصوص عما دلت عليه من الصفات ، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات ، فيجمع في الله وفي كلامه بين التعطيل والتمثيل ، فيكون ملحداً في أسمائه وآياته .

انظر : التدمرية صـ (٨٠-٨١).

[١] انظر : الصحاح (٣/١١٠٠) .

[٢] تأويله للقبض مردود في معتقد أهل السنة والجماعة ، بل نثبت هذه الصفة لله تعالى على الوجه اللائق به ، مثلها مثل أي صفة أطلقها الله على نفسه فهى على الوجه اللائق به سبحانه إذ هو كما قال عن نفسه ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ والذي ليس كمثله شيء في ذاته ليس كمثله شيء في صفاته .

٧ - باب

قول الله تعالى : ﴿وهو العزيز الحكيم﴾[1]

﴿سبحان ربك رب العزة﴾[2] ﴿ولله العزة ولرسوله﴾[3]

ومن حلف بعزة الله وصفاته * . وقال أنس ﷺ قال النبي ﷺ : « تقول جهنم : قط قط بعزتك » . وقال أبو هريرة ﷺ عن النبى ﷺ : « يبقى رجل بين الجنة والنار - آخر أهل النار دخولاً الجنة - فيقول: يارب اصرف وجهى عن النارلا وعزتك لا أسألك غيرها» . [قال أبو سعيد : إنَّ رسول الله ﷺ قال : « قال الله عز وجل ، لك ذلك وعشرة أمثاله »]** وقال أيوب عليه السلام : " وعزتك لا غنى لي عن بركتك " .

---

* في « ب » : زيادة وسلطانه ، وذكر ابن حجر أنَّ في رواية المستملي وسلطانه بدلاً من وصفاته ، وقال : والأول أولى . انظر الفتح (٣٨١/١٣).

** مابين المعقوفتين ساقط من « أ » و « ب » وشرح ابن بطال ، إلاَّ أنَّه جاء في هامش نسخة « أ » العبارة التاليه : سقط من الناسخ فيما يظهر لا من المؤلف ... ثم ذكر قول أبي سعيد .

مراد المؤلف بهذا الباب ـ فيما يظهر ـ : إثبات الصفات لله تعالى ، وأنَّ أسماءه الحسنى متضمنة لصفاته، فاسم العزيز متضمن لصفة العزة ، والحكيم لصفة الحكمة ، خلافاً لمن يقول : عزيز بلا عزة وحكيم بلا حكمة كما هو مذهب المعتزلة . والله أعلم .

(١) ابراهيم، الآية (٤) وآيات أخر .

(٢) الصافات ، الآية(١٨٠)

(٣) المنافقون ، الآية (٨)

ثمَّ ساق :

[٧٣٨٣] حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنّه عليه السلام كان يقول : ((أعوذ بعزتك، الـذي لا إله إلاَّ أنت ، الذي لا يموت والجن والأنس يموتون " .

وشيخه [1] فيه أبو معمر ، (واسمه عبدا لله بن عمرو بن أبـي الحجـاج ميسـرة المنقري مولاهم ، أبو معمر *) المقعد مات سنة أربع وعشرين ومائتين[2] .

[٧٣٨٤] وحديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : " يلقى في النـار – وفي لفـظٍ – لايزال يلقى فيها ، وهي تقول هل مـن مزيـد ؟ حتـى يضـع فيهـا رب العـالمين قدمـه ، فينزوي بعضها الى بعض ، ثم تقول : قد قد !! ، بعزتك وكرمـك . ولا تـزال الجنـة تفضل حتى ينشيء ا لله لها خلقاً ، فيسكنهم فضل الجنة " [طرفاه في ٤٨٤٨، ٦٦٦١]

وشيخ البخاري في هذا : ابن أبي الأسود ، وهو : أبو بكر عبـدا لله بـن محمـد بن حميد – أبي الأسود – بن** الأسود ،البصرى ، الحافظ ، قاضي همدان – وجـده حميد ابن أخت ابن مهدي – مات ببغداد سنة ثلاث وعشرين ومائتين [3] .

إذا عرفت ذلك فالكلام في وجوه :

أحدها : ((العزيز متضمن للعزة ، ويجوز أن تكون صفة ذات بمعنى القدرة

* مابين القوسين ساقط من : ((ب)) .

** في ((أ)) : ابن أبي الأسود ، وهو خطأ .

---

[1] أي البخاري .

[2] انظر ترجمتـه في : الكاشــف ، للذهـبي (٢/١٠١) ، وتهذيـب التهذيـب (٥/٣٣٥) . وتقريب التهذيب رقم (٣٤٩٨).

[3] انظر ترجمته في : تهذيب الكمال ، للمـزي (٢/٧٣٤) والسـير (١٠/٦٤٨) وتهذيب التهذيب (٦/٦) . وتقريب التهذيب رقم (٣٥٧٨).

والعظمة[١] ،وأن يكون صفة فعل بمعنى : القهر لمخلوقاته والغلبة لهم ، ولهذا صح إضافته تعالى اسمه إليها فقال : ﴿ سبحان ربك رب العزة ﴾[٢] ، والمربوب مخلوق لا محالة ›› [٣]

وقال ابن سحنون[٤] :"العزة في هذه الأية هي : التي جعل في العبادوهي مخلوقة " [٥] .

وقال الحليمي :" معناه الذي لا يوصل إليه ولا يمكن إدخال مكروه عليه ، فإنّ العزيز في لسان العرب ، من العزة وهي الصلابة* . فإذا قيل ا لله عزيز فإنّما أراد به

* في « ب » : للصلابة .

(١) تفسير العزة بالقدرة هو من التأويل الذى لا تسنده اللغة وليس في النصوص مايدل عليه وإنّما دعاهم – المتكلمون – الى هذا التأويل ظنهم أنّ إثبات صفات لله – عدا الصفات السبع – يؤدي الى التشبيه ، ولا شك أنّ هذه الشبهة منتفيه ، فكما أنّ لله ذاتاً لا تشبه الذوات فكذلك له صفات لا تشبه الصفات ، ويقال لمن يذهب إلى هذا المسلك فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبته ، فإنّ القول فى بعض الصفات كالقول في بعض . انظر : التدمرية ص (٣١-٣٢).

(٢) الصافات ، الآية (١٨٠).

(٣) انظر شرح ابن بطال (٣٣٩/٤/ ب) . وانظر : فتح الباري (٣٨١/١٣).

(٤) هو محمد بن عبدالسلامً سحنون بن سعيد التنوخي ، أبو عبدالله القيرواني ، فقيه المغرب وشيخ المالكيه ، تفقه بأبيه ، وكان محدثاً بصيراً بالآثار ، واسع العلم ، كبير القدر ، وكان يناظر أباه . له مصنف كبير في فنون من العلم ، وله كتاب السير ، وكتاب التاريخ وغيرها . ناظر شيخاً معتزلياً فقال : ياشيخ ، المخلوق يذل لخالقه ؟ فسكت ، فقال : إن قلت بالذلة على القرآن ، فقد خالفت قوله تعالى: ﴿وإنّه لكتاب عزيز ﴾. مات سنه (٢٦٥) (انظر : الديباج المذهب (٣٠/٢) والسير (٦٠/١٣).

(٥) انظر : تفسير القرطبي (٩٢/١٦).

الإعتراف بالقِدَم الذى لا يتهيأ معه تغيره عمَّا لم يزل عليه ، من القدرة والقوة ، وذلك عائد إلى تنزيهه عما يجوز [على*] المصنوعين،لاعتراضهم**بالحدوث في أنفسهم للحوادث "[١]

وقال الخطَّابي : " العزيز : المنيع الذي لا يغلب ، والعز : قد يكون بمعنى الغلبة ، يقال منه : عزَّ يعُزُّ – بضم العين –، وقد يكون بمعنى : الشِّدة والقوة : فيقال منه : عزَّ يعَزُّ – بفتح العين – ، وقد يكون بمعنى نفاسة القدر . يقال منه عزَّ يعِزُّ– بكسرالعين فيها– ؛ فيتأول معنى العزيز على هذا ، فإنَّه*** لا يعازه شئ وإنَّه لا مثل له " [٢] .

ثانيها : ((الحكيم : متضمن [لمعنى] الحكمة وهو على وجهين أيضاً : صفة ذات تكون بمعنى العلم [٣] ، والعلم من صفات ذاته .

---

*في ((أ)) : عن . والتصويب من : ((ب)) والمنهاج .
** في ((ب)) : بأعراضهم .
*** في ((ب)) : أو أنَّه .

---

[١] المنهاج (١/١٩٥ ، ١٩٦)

[٢] انظر شأن الدعاء ص (٤٧–٤٨).

[٣] الحكمة صفة ذاتية لله تعالى نثبتها على ما يليق بالله تعالى ، على ظاهر النص ، وتأويل معناها بالعلم هو من التأويل الذى لا يسنده نص ولا عقل ولا لغة ، والأشاعرة يذهبون إلى تأويل جميع الصفات الثابتة لله – عدا الصفات السبع – ظناً منهم أنَّ اثباتها على ما يظهر من معناها يفضى إلى تشبيه الخالق بالمخلوق . وهذه شبهة داحضة إذ يقال لهم : ايتونا بفارق صحيح بين ما أثبتموه من الصفات وماأولتموه فإذا كان التجسيم والتشبيه لازما للصفات التي نفيتموها فهو لازم أيضاً لما أثبتموه ، وبالعكس ، أي إذا لم يكن التجسيم لازماً لما أثبتموه فلا يلزم أيضاً فيما نفيتموه . فإمَّا أن تعطلوا الجميع ، وهو ممتنع ، وإمَّا أن تمثلوه بالمخلوقات ، وهو ممتنع ، وإمَّا أن تثبتوا الجميع على وجه يختص به لا يماثله فيه غيره ، وحينئذ فلا فرق بين صفة وصفة ، فالتفريق بينهما باثبات أحدهما ونفي الآخر فراراً من التشبيه والتجسيم ، قول باطل، يتضمن التفريق بين المتماثلين ، أوالتناقض في المقالتين. انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/١١٨٦ – ١١٩٥).

والثاني : أن يكون بمعنى الإحكام للفعل والإتقان له وذلك من صفات الفعل ، وإحكام الله لمخلوقاته فعل من أفعاله ، وليس إحكامه لها شيئاً [يزيد على ذواتها]* بل إحكامه لها جعلها نفساً [و] ذواتاً على ما ذهب إليه أهل السنة [١] : أنّ خلق الشيء وإحكامه هو نفس الشيء ، وإلاَّ أدى القول بأنّ الإحكام والخلق غير المحكم // المخلوق ، إلى التسلسل إلى مالانهاية له . والخروج إلى مالانهاية له إلى الوجود مستحيل[٢] .

ب/٢٨٠/أ

فبان الفرق بين الحالف بعزة الله التي هي : صفة ذاته ، وبين من حلف بعزته التي هي صفة فعله ، أنّه حانث في حلفه بصفة الذات دون صفة الفعل [٣] ، بل هو منهي عن الحلف بصفة الفعل ، كقول القائل وحق السماء وحق زيد ؛ لقوله عليه السلام ((من كان حالفاً فليحلف بالله)) [٤] .

---

* في ((أ)) و ((ب)) : زائداً على قط ، وهو كلام لا معنى له ، والتصويب من شرح ابن بطال.

---

[١] أي الأشاعرة ، على عادتهم من التسمي بأهل السنة .

[٢] هذا مذهب الأشاعرة ، حيث ينكرون أن يكون لله صفة ذاتية من أفعاله ، فيقولون إنَّ الخلق والإحكام هو نفس المخلوق المحكم ، أمَّا عند أهل السنة والجماعة – السلف – فالخلق والإحكام صفات قائمة بذاته ، والمحكم المخلوق هي المخلوقات المنفصلة عنه ، يقول ابن تيمية : ومذهب الجمهور أنَّ الخلق غير المخلوق ، فالخلق فعل الله القائم به ، والمخلوق هو المخلوقات المنفصلة عنه انظر : مجموع الفتاوى : (١٤٩/٦)و (١٢٦/٨) و (٤٣٥/١٢ – ٤٣٦).

[٣] قال ابن حجر : إذا اطلق الحالف انصرف إلى صفة الذات ، وانعقدت اليمين إلاَّ إن قصد خلاف ذلك بدليل أحاديث الباب . الفتح (٣٨١/١٣) وهذا التفريق مبني على أنَّ صفات الأفعال عندهم – الأشاعرة – ليست قائمة بذات الله تعالى ، وقد تقدم إبطال ذلك .

[٤] جزء من حديث عبدالله بن عمر ، عند البخاري ، كتاب الأيمان والنذور ، باب لا تحلفوا بأبائكم ، (٥٣٨/١١) رقم (٦٦٤٦) ومسلم ، كتاب الأيمان ، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (١٥٢/١١) رقم (١٦٤٦). ومالك في الموطأ ، كتاب الأيمان والنذور ، باب جامع الأيمان (٣٨٢/٢) رقم (١٤)

وقد تضمن كتاب الله العزة ، التي هي بمعنى القوة ، وهو قوله :﴿ فعززنا بثالث﴾[١] أي قوينا ، والعزة التي هي الغلبة والقهر ، وهو قوله : ﴿وعزني في الخطاب﴾[٢] أي قهرني وغلبني .

ثالثها : القَدَم لفظ مشترك يصلح استعماله فى الجارحة وفيما ليس بجارحة ، فيستحيل وصفه تعالى بالقدم الذى هو الجارحه[٣] ، لأنّ وصفه بذلك يوجب أن يكون جسماً ، والجسم مؤلف حامل للصفات وأضدادها[٤] غير متوهم خلوه منها ، وقد بان أنّ التضادات لا يصح وجودها معاً ؛ وإذا استحال هذا ثبت وجودها على طريق التعاقب وعدم بعضها عند مجئ بعض، وذلك دليل على حدوثها، ومالا// يصح [أ / ٨٢٧]

---

[١] يس ، الآية (١٤) .

[٢] ص ، الآية (٢٣) .

[٣] بل الواجب إثبات ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ اثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ، يقول الحافظ ابن حجر : طريق السلف فى هذا وغيره مشهورة وهى أن تمر كما جاءت ، ولا يتعرض لتأويله ، بل نعتقد استحالة مايوهم النقص على الله . فتح الباري (٤٦١/٨) فكما أنَّ لله ذاتاً لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه الصفات ، ولا نسميها جوارح بل هي صفات الله على الوجه اللائق به ، وهي معلومة المعنى ، مجهولة الكيف . فالواجب اثبات هذه الصفة لورود النص بذلك . من ذلك حديث الباب ، ومارواه ابن أبي شيبة والحاكم في المستدرك عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض﴾ [البقرة:٢٥٥] أنّه قال : الكرسي موضع القدمين ، والعرش لايقدر قدره إلاّ الله تعالى . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز (٣٦٩/١) .

[٤] الضدان : صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد ، يستحيل اجتماعهما ، كالسواد والبياض . التعريفات ص (١٧٩) .

خلوه من الحوادث . فواجب كونه محدثاً فثبت أنَّ المراد بالقدم في هذا الحديث:خلق من خلقه تقدم علمه أنّه لا يملأ جهنّم إلاّ به[١] قاله ابن بطال[٢] .

ثم قال : " وقال النضر بن شميل[٣] : القدم ها هنا هم : الكفار الذى سبق في علم ا لله أنّهم من أهل النار ، وأنّه يملأ النار بهم ، حتى ينزوي بعضها إلى بعض من الملء، لتضايق أهلها فتقول : قط ، قط أي امتلأت ٠ ومنه قوله تعالى ﴿وبشرالذين أمنوا أنّ لهم قدم صدق ﴾[٤] [أي سابقة صدق] " [٥] .

---

[١] نحى المؤلف ـ عفا ا لله عنه ـ في هذه الصفة منحى التأويل المذموم ، وأكثر من ذكر التأويلات الصارفة للفظ عن ظاهره دون دليل صحيح . والواجب إثبات هذه الصفة على مايليق بجلال ا لله وكماله ، وسيأتي قريباً الرد التفصيلي على هذه التأويلات ص (٢٣٧ - ٢٣٨) وانظر كلام الحافظ ابن حجر المتقدم آنفاً .

[٢] شرح ابن بطال لصحيح البخاري (٣٤٠/٤/ أ) وابن بطال هو العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري ، القرطبي ، ويعرف بابن اللجّام وهو شارح صحيح البخاري ، كان من كبارالمالكية ، من أهل العلم والمعرفة ، عنى بالحديث العناية التامَّة توفي سنة ٤٤٩ انظر الديباج المذهب (١٠٥/٢) وسير أعلام النبلاء (٤٧/١٨)٠

[٣] هو النضر بن شميل بن فرشة المازني ، أبو الحسن النحوي ، البصري ٠ كان إماماً في العربية ، والحديث ، وهو أول من أظهر السّنة بمرو وجميع خراسان ، أنكر نسبه كتاب العين للخليل ، وقال : في كتاب الخليل كذا وكذا مسألة كفر ٠ وثقه ابن معين وابن المديني والنسائي وغيرهم ، قال أبو حاتم ثقة صاحب سنه توفي سنة ٢٠٤هـ٠ انظر : السير (٣٢٨/٩) تهذيب التهذيب (٤٣٧/١٠) البلغة (ص ٢٣٣)٠

[٤] يونس ، آية (٢) ٠ وانظر طرفاً من كلام النضر في الأسماء والصفات ، للبيهقي (١٩٣/٢)٠

[٥] انظر زاد المسير (٥/٤) وانظر نقض هذا التأويل في كتاب : رد الامام الدارمي عثمان بن سعيد علي المريسي العنيد ، ضمن عقائد السلف ص (٤٢٥-٤٢٦)٠

وقال ابن الأعرابي[١] : " القدم هنا هو : المتقدم فى الشرف والفضل " [٢] .
وقد قد، وقط قط بمعنى : حسبي أي : كفاني ، [ويقال*]: قدني وقطني بمعنى [ذلك] ›› .[٣]

وقال ابن التين : ((تقول ... وعزتك)) ، فيه : جواز اليمين بصفة ا لله تعالى ، وهو مشهور مذهب مالك [٤] ،

قال : ورُوِّينا قط قط – بكسر الطاء غير منون – [٥]

قط إذا كانت بمعنى حسب ، وهو الإكتفاء : فهي ساكنة تقول : رأيته مرة واحدة فقط . وقال الراجز :

امتلأ الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني[٦]

---

* في ((أ)) و ((ب)) : وقال ، والمثبت من شرح ابن بطال .

---

[١] هو محمد بن زياد ، أبو عبدا لله ، امام في النحو واللغة والنسب والتاريخ ، كثير السماع والرواية ، ولد بالكوفة سنه ١٥٠ ، قال الذهبي : له مصنفات كثيرة أدبية ، وتاريخ القبائل ، وكان صاحب سنة واتباع . مات بسامرّا سنة (٢٣٠) . انظر ترجمته في : اشارة التعيين ص (٣١١) ، والسير (٦٨٧/١٠) البلغة ص (١٩٦) .

[٢] انظر : مشكل الحديث وبيانه ، لابن فورك ص (١٢٦) وتفسير القرطبى (١٩٦/٨). والصواب : اثبات صفة القدم لله عزوجل على الوجه اللائق به سبحانه .

[٣] مابين القوسين نقله الشارح من شرح ابن بطال (٣٤٠/٤/أ) مع تصرف يسير .

[٤] وهو الصواب ، لثبوت ذلك عن النبي ﷺ وأصحابه ، وقد ذكر النووى الإجماع على جواز الحلف با لله تعالى وصفاته كلها ، وقال ابن حجر : اتفق الفقهاء على أنَّ اليمين تنعقد با لله وذاته وصفاته العلية . انظر تفصيل هذه المسأله والخلاف فيها : التمهيد (٣٧١/١٤، ٣٧٢) المغني (٤٥٣/١٣-٤٥٤) شرح النووي لصحيح مسلم (١٥١/١١-١٥٢) مجموع الفتاوى (٢٧٣/٣٥) فتح الباري (٥٤٠/١١).

[٥] انظر اختلاف روايات الحديث وتوجيهها في فتح الباري (٤٦١/٨).

[٦] انظر : الصحاح (١١٥٣/٣) ولسان العرب (٣٨٢/٧).

وقيل : هو بكسر الطاء منون [١] .

وقال الدار قطني [٢] : " قوله قط قط يحتمل أنْ* تستجير النار [ممن]** دخلها.

وقول النار : " هل من مزيد ". قيل: إنّها تدعو بالمزيد غيظاً .

وقيل معناه : وهل فيّ مزيد أي : قد امتلأت [٣] . ثم حكى[٤] في القدم أقوالاً :

أحدها : عن الحسن***[٥] يجعل الله فيها الذين قوتهم**** من شرار خلقه فهم الذين قدم الله للنار [كما أنّ] ***** المسلمين قدم للجنه، فمعنى القدم على هذا : المتقدم ، أي سبق في علم الله أنّهم من أهل النار وهذا قد سلف عن النضر[٦] .

ثانيها : أنّهم قوم يخلقون يوم القيامة يسميهم الله قدما ؟! .

---

* أن ساقطة من ((ب)) .

** في ((أ)) : بمن .

*** في ((ب)) : الحسين

**** هكذا في ((أ)) و ((ب)) ، ولعل الصواب : قدمهم .

***** في ((أ)) و ((ب)) : كأنّ ، ولايستقيم بها المعنى ، وما بين المعقوفتين زيادة من المحقق .

---

(١) انظر اختلاف روايات الحديث وتوجيهها في فتح البارى (٤٦١/٨).

(٢) هو الإمام الحافظ المجوّد المقريء ، المحدث ، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي أبو الحسن .ولد سنة (٣٠٦) قال عنه الخطيب البغدادى : انتهى إليه علم الأثر ، والمعرفة بعلل الحديث ، وأسماء الرجال، وأحوال الرواة مع الصدق والأمانة ... وصحة الإعتقاد وسلامة المذهب . صح عنه أنّه قال : ماشيء أبغض إليّ من علم الكلام . وهو صاحب السنن ، والعلل ، توفي سنة(٣٨٥) . انظر : تاريخ بغداد (٣٤/١٢) السير (٤٤٩/١٦) طبقات السبكي (٤٦٢/٣).

(٣) انظر : تفسير الطبري (٤٢٥/١١-٤٢٦) وتفسير القرطبي (١٤/١٧) ورجح ابن جرير الطبري القول الأول ، وهو الذى تؤيده الأحاديث الواردة حول هذه الآية .

(٤) أي : ابن التين.

(٥) هو الحسن البصري ، انظر أعلام الحديث ، للخطابي (١٩٠٨/٣) وقد ذهب الخطابي إلى القول نفسه .

(٦) انظر : ص (٢٣٤) من هذا الكتاب .

ثالثها : المعنى قدم بعض خلقه فأضيف اليه ، كما يقال : ضرب الأميُر اللصَّ ، فيضاف الضرب إليه على معنى أمره وحكمه.[١]

وقال الداودي : " قيل : معناه وعد الصدق الذى وعد لعباده ، أن ينجي منهم المتقين ، قال تعالى : ﴿ أنّ لهم قدم صدق عند ربهم ﴾[٢] .

[وقال : بعض*] المفسرين : قدم صدق : محمدﷺ[٣] . قال : فإن كان كذلك فهي الشفاعة التي تكون منه فيأمر ا لله الملائكة أن يخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ، وهذا من المقام المحمود الذى وعده ، [فيخرج من]** النار من كان في قلبه مثقال حبة . وهذا خلاف نص الحديث ، لأنّ فيه أنّ رب العالمين يضع قدمه فيها بعد أن قالت : هل من مزيد . وكيف ينقص منها وهي تطلب الزائد ، وإنّما تنزوي بما جعل فيها ، ليس بما يخرج منها[٤]

*في ((أ)) : قال وبعض المفسرين ، والتصويب من ((ب))

** مابين المعقوفتين زيادة لابد منها من فتح الباري (٤٦١/٨) وهي ساقطة من النسختين.

[١] انظر هذه الأقوال مع شيء من التفصيل في كتاب مشكل الحديث وبيانه ص (١٢٦-١٢٧).

[٢] يونس ، الآية (٢).

[٣] انظر : تفسير الطبرى (٥٢٨/٦)، تفسير القرطبى (١٩٤/٨).

[٤] انظر فتح الباري (٤٦١/٨) والحاصل أنّ كل هذه الأقوال إنّما هي تأويلات باطلة ، فكيف تجعل صفات الله ـ جلا وعلا ـ نوعاً من المخلوقات – أياً كانت – وإبطال هذه التأويلات من وجوه:

١- أنّ النبيﷺ قال :" حتى يضع " ولم يقل حتى يلقى فيها ، كما في قوله : " لايزال يلقى في النار".

٢- أنّ قوله :"قدمه" لا يفهم منه هذا الذى قالوه ، لا حقيقة ، ولا مجازاً ، كما تدل عليه الإضافة بل الضمير يعود على الله تعالى فمن قال بغير ذلك فقد أعظم الفرية على الله تعالى .

⇐⇐⇐

وفي هذا الخبر : دلالة على من تأول في الخبر الآخر ، " حتى يضع الجبار فيها قدمه " لأنّ الجبار إبليس وشيعته //، لأنه أول من تكبر ، وكذلك [يرد على]*من قال : يرادبه غير الله من المتجبرين [1]

ب/٢٨٠ب

فصل

قوله :" فينزوى بعضها إلى بعض " أي تنضم وتختلف .

وقوله " قد قد " بمعنى : حسب ، وهو مثل** [معنى] *** قط ، وهو ساكن الدال .

---

* في « أ » : رد .

** فى « ب » : بمثل

*** فى « أ » : بمعنى

⇐⇐⇐

٣ – أنّ أولئك المؤخرين ، إن كانوا من الأصاغر المعذبين ، فلا وجه لا نزوائها واكتفائها بهم ، فإنّ ذلك إنّما يكون بأمر عظيم ، وإن كانوا من الأكابر المجرمين فهم في الدرك الأسفل من النار ، وفي أول المعذبين ، لا في أواخرهم .

٤ – أنّ قوله :" فينزوي بعضها الى بعض " دليل على أنّها تنضم على من فيها فتضيق بهم من دون أن يلقى فيها شيء.

٥ – أنّ قوله :" لا يزال يلقي فيها وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع فيها قدمه " جعل وضع القدم الغاية التي إليها ينتهى الإلقاء ، ويكون عند ذلك الانزواء ، فيقتضى أن تكون الغاية أعظم مما قبلها ، وليس في قول هؤلاء المعطلة معنى للفظ : قدمه ، إلاّ وقد اشترك فيه الأول والآخر ، والأول أحق به من الأخر .

انظر : مختصر الفتاوى المصرية ص (٦٤٧) نقلا عن شرح كتاب التوحيد ، للغنيمان (١٥٥/١).

[1] ذكر هذين القولين ابن فورك في مشكل الحديث ص (١٢٨) وانظر الفتح (٤٦١/٨).

قال الراجز[١] : قدني من نصر الخُبيبين قدي[٢]* .

قال ابن التين : ورويناه : قِد قِد – بكسر القاف – ، وفي رواية أبي ذر بفتحها .

فصل

قوله : ((ولا تزال الجنة تفضل)) أي : يبقى فيها فضله .

ورويناه بضم الضاد ، يقال : فضَل يفضُل ، مثل دَخَلَ يَدْخُلُ .

ولغة ثانية : فَضِلَ يفضَل ، مثل : حذِرَ يَحْذَرُ .

وثالثة : فضِل يفضُل ، وهو شاذ لا نظير له .

قال سيبويه : " هذا عند أصحابنا إنَّما يجيء على لغتين ، يقال : وكذلك نَعِمَ يَنْعُمُ ، ومنه : كدت وتكاد[٣] .

قال القزّاز قال : كراع[٤] : لم يجيء في اللغة فعل يفعُل سوى فضل يفضُل وحصرَ يحصُر .

وقال : غيره : هو فيهما فعَل [يريد]** بالفتح – يفعُل – بالضم – .

---

* قدي : ساقطه من ((ب)) .

** في ((أ)) : ريد .

---

(١) هو حميد الأرقط .

(٢) بعده : ليس الإمام بالشحيح الملحد . وأراد بالخبيبين : عبدا الله بن الزبير وأخاه مصعباً .
انظر الصحاح (٢/٥٢٣) ولسان العرب (٣/٣٤٧) .

(٣) انظر: الصحاح (٥/١٧٩١) وفيه تكود بدلاً من تكاد ، وكذا هو في اللسان ، إلاّ أنّ ابن بري تعقب قول الجوهري بقوله : والمعروف : كدت تكاد انظر اللسان (١١/٥٢٥) .

(٤) هو علي بن الحسن الهنائي ، أبو الحسن ، المعروف بكراع النمل ، لقب بذلك لقصره ، كان أحد الأئمة في اللغه والنحو ، أخذ عن البصريين والكوفيين معاً ، وصنف مصنفات على وزن واحد في التسمية : المجرد ، والمنظم ، والمنجد ، والمنضد ، والمنتخب، توفي بعد تسع وثلاثمائة.
انظر : إشارة التعيين ص (٢١٥) والبلغة ص (١٥١) .

وقوله : ((فيسكنهم فضل الجنة)) .

قال ابن بطال[1] : اختلفت الرواية فيه : أفضل الجنة ، أو فضل الجنة ، فمن روى " فضل الجنة " يعني : ما فضل منها وبقي ، ومن روى " أفضل" فمعناه : فاضلها ، وفاضل وفضل عائدان الى معنى واحد ، وليس بمعنى أفضل من كذا [للذي]* هو بمعنى[المفاضلة]** . قال الله تعالى ﴿وهو أهون عليه﴾[2] على أحد التأويلين[3] ، قال الشاعر :

لعمرك ماأدري وإنّي لأوجل[4] ٠ يريد : لوجل ٠

---

* في ((أ)) : الذي ، والمثبت من ((ب)) وشرح ابن بطال ٠

** في ((أ)) : للمفاضلة ، والمثبت من ((ب)) وشرح ابن بطال .

---

[1] في شرحه لصحيح البخارى (٣٤٠/٤/أ)

[2] الروم : آية (٢٧)٠

[3] وهو أنَّ أهون عليه بمعنى : هين عليه ، كقولنا : الله اكبر ، أي كبير . وهذا قول الربيع بن خثيم ، والحسن ، وقتادة ، وهو رواية العوفي عن ابن عباس ، والتأويل الثاني : أنَّ أهون بمعنى : أيسر ٠ أي أنَّ الإعادة أيسر عليه من البداية ، وإن كان جميعه على الله هيناً ، وهذا قول مجاهد وعكرمة والضحاك ٠

انظر : تفسير الطبري (١٧٩/١٠) تفسيرالبغوي (٢٦٧/٦) وتفسير القرطبي (١٥/١٤،١٦)٠

[4] تتمة البيت : على آينا تعدو المنية أوّل ٠ والبيت لمعن بن أوس المزني ، كما في ذيل الأمالي لأبي علي القالي ، (٢١٨) ، وخزانة الأدب لعبدالقادر البغدادي ، (٢٨٩/٨) وهو من شواهد الطبري (١٨٠/١٠)والنحاس (٢٥٦/٥) والقرطبي (١٥/١٤) ٠

٨ - بـــاب

قوله تعالى﴿ وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق﴾[١]

أي : أبدعها وأنشأها [بحق] [٢]. وقال الداودي :" أي للحق " [٣]،
قال ابن التين : " والله أعلم بما أراد " .
قلت : ثمَّ ساق :

[٧٣٨٥] حديث ابن عباس ﷺ السالف في الدعاء[٤] ، كان عليه السلام يدعو من الليل : « اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض ... بطوله » .

[أطرافه في : ١١٢٠، ٦٣١٧ ، ٧٤٤٢ ، ٧٤٩٩]

⟪ وقوله « رب السموات والأرض » كقوله : خالق السموات والأرض .

و « أنت الحق » يجوز أن يكون اسماً راجعاً إلى ذاته فقط ، أي أنت الموجود الثابت حقاً ، الذي لا يصح عليك تغير ولا زوال .

ويجوز أن يكون راجعاً إلى صفة ذاته [كقوله :﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾*] أي : قال لها : كوني فكانت[٥] .

---

* في « أ » و « ب » : كأنّه الثابت ، ولا يستقيم بها المعنى ، والتصويب من شرح ابن بطال .

مراد البخاري ـ فيما يبدو ـ بهذا الباب التفريق بين قول الله تعالى الذي هو صفته وبين مفعولاته التي وجدت بقوله ، فقول الله تعالى صفة له ، وما وجد بقوله فهو مفعول مخلوق وهو غير القول انظر : شرح كتاب التوحيد للغنيمان (١/ ١٦٤) .

[١] الأنعام ، الآية (٧٣).

[٢] انظر : شرح ابن بطال (٤/٣٤٠/ب).

[٣] انظر فتح الباري (١٣/٣٨٣،٣٨٤).

[٤] كتاب الدعوات ، باب الدعاء إذا انتبه من الليل (١١/١٢٠) رقم (٦٣١٧) .

[٥] انظر : تفسير الطبري (٥/٢٣٥-٢٣٦) وانظر قريباً من هذا القول ، مجموع الفتاوى (٦/٣٨٤).

وقوله ؛ صفة من صفات ذاته[١] عند أهل الحق والسُّنة [٢] ، على ماسيأتي بيانه بعد ›› [٣] •

وقال الحليمي : " تسميته بالحق مما لا يسع* إنكاره ، ويلزم إثباته والاعتراف به ، ووجوده جلا وعلا أولى ما يجب الإعتراف به ــ يعني : [عند] ورود أمره بالإعتراف به ــ ولايسع* جحوده " •[٤]

‹‹ وقوله : « أنت نور » ، كقوله ﴿ الله نور السموات والأرض﴾[٥] وواجب صرفه عن ظاهره ، لقيام الدليل[٦] على أنَّه لا يجوز أن يوصف بأنَّه نور[٧]

---

* في « ب » : لا يسيغ .

---

[١] بل هو من الصفات الذاتية الفعليه ، وسيأتي مزيد كلام عليه •

[٢] مراد المؤلف بأهل الحق والسنة : الأشاعرة ، وسيمر معنا كثيراً استعمال المؤلف له بهذا المعنى ، بناءً على دعوى الأشاعرة بأنهم المستحقون لهذه التسمية ، فليتنبه لهذا .

[٣] مابين القوسين أخذه المؤلف من شرح ابن بطال (٤/٣٤٠/ب)•

[٤] انظر : المنهاج (١/١٨٨)

[٥] النور : الآية (٣٥)

[٦] مقصوده الدليل العقلي ــ على زعمهم ــ الذي يقدمه المتكلمون على الأدلة السمعية ، وهذا من جهلهم وضلالهم • إذ من المعلوم أنَّه لاتعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح •

[٧] بل الأدلة السمعية من الكتاب والسنة – وهي واجبة التقديم على الأدلة العقلية ــ لو صحَّت ــ جاءت بتسمية الرب نوراً ، وبأنَّ له نوراً مضافاً إليه ، وبأنَّه نور السموات والأرض ، وبأنَّ حجابه النور ، فوجب إثبات هذه الصفة على ظاهرها اللائق بالله سبحانه ، وهذا هو الذي عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف ، وهو قول أبي الحسن الأشعري ، يقول ابن القيم : فالنور الذي هو من أوصافه قائم به ، ومنه اشتق له اسم النور ، الذي هو أحد أسمائه الحسنى ، والنور يضاف إليه سبحانه على أحد وجهين : اضافة صفة الى موصوفها ، وإضافة مفعول الى فاعله ، فالأول كقوله تعالى﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾،والثاني كقوله ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ﴾ .

⇐⇐⇐

والمعنى : أنت نورهما ، بأن [خلقتهما]* دلالة لعبادك** على وجودك وربوبيتك، بما فيه من دلالة ***الحِدَث ، المفتقرة إلى مُحْدِث ، فكأنَّه نورهما بالدلالة عليه منهما ، وجعل في قلوب الخلائق نوراً يهتدون إليه .

وقال ابن عباس : " الله نورهما : أي هاديهن " (1) .

وعن بعضهم**** : " مدبرهما و[مدبر] مافيهما "(2) ، وتقديره : الله نور السموات "(3).

* في « أ » و « ب » : خلقهما ، والتصويب من شرح ابن بطال .

** في « ب » : لعباده .

*** في « ب » : دلائل .

**** كذا في « أ » و « ب » وعند ابن بطال : وعنه أيضاً .

⇐⇐⇐

انظر : مجموع الفتاوى (٣٧٩/٦) واجتماع الجيوش الإسلامية ، لابن القيم ص (٤٥-٤٩) وانظر الأدلة على إثبات هذه الصفة في كتاب : شرح كتاب التوحيد ، للغنيمان (١٦٩/١-١٧٣)

(1) انظر : تفسير الطبري (٣٢٠/٩) والبغوي (٤٥/٦) وزاد المسير (٣٨٢/٥) حيث ذكروا تفسير ابن عباس للآية بلفظ : " هادي أهل السموات والأرض " ولا يفهم من هذا التفسير نفي صفة النور عن الله تعالى لأمور :

١ – أنَّ هذا القول تفسير للآية التي ذُكِرَ النور فيها مضافاً ، ولم يُذْكر في تفسير النور المطلق .

٢ – أنَّ كونه هادي أهل السموات والأرض لا يمنع أن يكون في نفسه نوراً ، فإنَّ من عادة السلف أن يذكروا بعض صفات المفسَّر ، ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى .

انظر مجموع الفتاوى (٣٩٠/٦،٣٩١).

(2) وهو قول مجاهد ، وابن عباس في رواية ابن جريج عنه .

انظر : الطبري (٣٢٠/٩) البغوي (٤٥/٦) زاد المسير (٣٨٢/٥).

(3) لعل في العبارة سقطاً . وانظر تفنيد هذه الأقوال في مجموع الفتاوى (٣٩٢/٦ – ٣٩٣).

وقوله : « قيِّم السموات والأرض » ، يجوز أن يكون بمعنى العالم بمعلوماته ، فتكون صفة ذات ، وأن يكون بمعنى الحفظ لمخلوقاته ـ والحفظ والرزق للحي منها ـ فتكون صفة فعل*〉〉 [1] وقد سلف الحديث بأبسط من هذا .

---

* في « ب » : تكرار للعبارة السابقة .

---

[1] مابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٤٠/ب)

٩ – بـاب

﴿وكان الله سميعاً بصيراً ﴾[1] //

أ / ٨٢٨

وقال الأعمش : عن تميم عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾ " [2] .

هذا التعليق أخرجه النسائي[3] وابن ماجه [4] مسنداً إلى الأعمش به[5] .

وقال الشيخ أبو الحسن[6] : كذا وقع، ولذلك لم يأت[به] في تفسيرالمجادلة [7] .

---

[1] النساء ، الآية (١٣٤)٠

[2] المجادلة ، الآية (١)٠

[3] في سننه ، كتاب الطلاق ، باب الظهار (٦/٤٨٠) ح (٣٤٦٠)

[4] في المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية (١/٦٧)ح (١٨٨) وراوه أيضاً بلفظ " تبارك " في كتاب الطلاق ، باب الظهار (١/٦٦٦) ح (٢٠٦٣)٠

[5] والحديث رواه الإمام أحمد أيضاً في المسند (٦/٤٦) ٠ وقد صححه الحافظ ابن حجر والألباني انظر : تعليق التعليق ، لابن حجر (٥/٣٣٨) وكتاب السنة ، لابن أبي عاصم ، بتحقيق الألباني ص (٢٧٨) ح (٦٢٥)٠

[6] هو علاّمة المغرب ، أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري ، القروي ، القابسي المالكي ٠ كان عارفاً بالعلل والرجال ، والفقه والأصول والكلام ، مصنفاً يقظاً ديناً تقياً ، وهو من أصح العلماء كتباً ، مع أنّه كان ضريراً ، ضبط له بمكة صحيح البخاري ، وحرَّره وأتقنه رفيقه الإمام الأصيلي . له تآليف بديعة ، منها : المنقذ من شبهة التأويل ، وكتاب الاعتقادات ، ملخص الموطأ ٠ توفي بالقيروان سنة (٤٠٣) وقد بلغ الثمانين . انظر : الديباج المذهب (٢/١٠٠) والسير (١٧/١٥٨) ٠

[7] قال ابن حجر بعد ذكره كلام الشيخ أبي الحسن : " والتعليل ليس بمستقيم فإنّ في الصحيح عدة أحاديث معلقة لم تذكر في تفسير الآية التي تتعلق بها " ٠ الفتح (١٣/٣٨٥)٠

ب/٢٨١أ

وتميم هذا هو ابن سلمة* // الكوفي السلمي** مات سنة مائة روى له البخاري والجماعة استشهاداً[1] .

ثمَّ ساق :

[٧٣٨٦] حديث أبي موسى ﷺ ، السالف : ((اربعوا على أنفسكم فإنَّكم لاتدعون أصمَّ ولا غائباً ، تدعون سميعاً بصيراً ...)) .

[أطرافه في : ٢٩٩٢ ، ٤٢٠٥ ، ٦٣٨٤ ، ٦٤٠٩ ، ٦٦١٠]

[٧٣٨٧، ٧٣٨٨] وحديث أبي الخير – مرثد بن عبدالله اليزني – سمع عبدالله بن عمرو أنَّ أبا بكر الصديق ﷺ قال لرسول الله ﷺ : علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي ، قال : ((قل اللهم إنِّي ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ... الحديث)) وقد سلف .   [طرفاه في : ٨٣٤ ، ٦٣٢٦]

[٧٣٨٩] وحديث عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ : ((أنَّ جبريل ناداني فقال : إنَّ الله قد سمع قول قومك وماردوا عليك)) . [طرفه في : ٣٢٣١]

⟨⟨ غرضه في هذا الباب : أن يرد على من يقول : إنَّ معنى سميع بصير يعني عليم*** لاغير[2] . لأنَّ كونه كذلك يوجب مساواته تعالى للأعمى و****الأصم ، الذي يعلم أنَّ السماء خضراء ولا يراها ، وأنَّ في العالم أصواتاً ولا يسمعها ، ولا شك أنَّ من

* جاء في هامش ((أ)) : روى له خ ت [أي البخاري تعليقاً] والجماعة في الأصول .

** جاء في هامش ((أ)) : ينبغي تقدم السلمي على الكوفي .

*** في ((ب)) : عليهم

**** في ((ب)) : الأصم

---

[1] انظر ترجمته في تهذيب الكمال(١٦٨/١) وتهذيب التهذيب (٥١٢/١) والتقريب رقم (٨٠١)

[2] وهذا هو قول المعتزلة ، انظرشرح الأصول الخمسة ص(١٦٨) ، ونسب أبو الحسن الأشعري هذا القول الى النصارى والجهمية ، انظر الإبانه عن أصول الديانه للأشعرى ص (١٣٠).

سمع الصوت وعلمه ، ورأى خضرة السماء وعلمها ، أدخل في صفات الكمال ممن انفرد بإحدى هاتين الصفتين ، وإذا استحال كون أحدنا ممن [لا آفة به أكمل صفة]* من خالقه ، وجب كونه سميعا بصيراً مفيداً أمراً زائداً على مايفيد كونه عليماً .

ثمَّ نرجع إلى ماتضمنه كونه سميعاً بصيراً فنقول :

هما متضمنان لسمع وبصر ، لهماكان سميعاً وبصيراً كما تضمنه كونه عالماً علماً لأجله كان عالماً ،كما أنَّه لا خلاف بين إثباته عالماً** وبين إثباته ذا علم ، وأنَّ من نفى أحد الأمرين كمن نفى الآخر ، وهذا مذهب أهل السنة والحق ٠ ››[1]

وقال ابن التين : " قوله : ‹‹ سميعاً ›› يحتمل أن يكون أراد به يسمع الأصوات لغير حاجة ، ويريد أن يقبل بفضله ما يشاء من أعمال عباده " [2] .

قال : ‹‹ وبصير ›› : قد يكون بمعنى عالم، دليله قوله تعالى ﴿ بصيربالعباد﴾[3]

.

* في ‹‹ أ ›› : لا أثرة أكمل صنعة ، وفي ‹‹ ب ›› : ممن لا لغيره أكمل صفة ، وهو كلام لا يستقيم معناه . والتصويب من شرح ابن بطال ٠

** في ‹‹ ب ›› : سميعاً بصيراً ، بدلاً من عالماً ، وعند ابن بطال : كما أنّه لاخلاف بين إثباته سميعاً بصيراً وبين اثباته ذا سمع وبصر ، كما أنّه لاخلاف بين اثباته عالماً وبين إثباته ذا علم .

---

(1) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٤١/أ)٠

(2) كقول النبي ﷺ : " اللهم اني أعوذ بك من دعاء لا يسمع " أي : من دعاء لا يستجاب ومن هذا قول المصلي : سمع الله لمن حمده ، معناه : قبل الله حمد من حمده ، وانظر الأسماء والصفات للبيهقي (١/١٢٠ ، ١٢١) وفعل السَّمع يراد به أربعة معانٍ :

أحدهما : سمع إدراك ومتعلقه الأصوات ٠

الثاني : سمع فهم وعقل متعلقه المعاني ٠

الثالث : سمع إجابة وإعطاء ما سئل ٠

الرابع : سمع قبول وانقياد ٠

انظر : بدائع الفوائد لابن القيم (٢/٦٦)٠

(3) آل عمران ، الآية (١٥)٠

ويحتمل أن يكون بمعنى : مدرك وراءِ بإدراك يزيد على العلم[١] . ولم يزل بصيراً بمعنى راءٍ ومدرك ، لأنَّه يرى نفسه وصفات ذاته ، ولم يزل سامعاً لكلامه ونفسه وصفات ذاته [٢] .

فصل

((ومعنى قول عائشة رضى الله عنها : " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات": أدرك سمعه الأصوات ، لا أنَّه اتسع سمعه لها ، لأنَّ الموصوف بالسعة يصح وصفه بالضيق بدلا منه [٣] ، والوصفان جميعاً من صفات الأجسام ، وإذا استحال وصفه بما يؤدي الى القول بكونه تعالى جسماً ، وجب صرف قولها عن ظاهره إلى ما اقتضاه صحةالدليل[٤] ولا يغالطه سمع عن سمع ، ولوناداه الخلق جميعاً معاً ، سمع أصواتهم .

وروى عن عائشة رضي الله عنها : " كلمته المجادلة وأنا قريب* منه فلم أسمعها ، فنزل ﴿ قد سمع الله ﴾[٥] .

---

* في ((ب)) : وإنّي قريباً .

---

[١] الذي عليه السلف أنَّ ا لله سميع بسمع يليق به ، وبصير ببصر يليق به ، انظر لوامع الأنوار البهية (١/١٤٣ ، ١٤٤) .

[٢] يذهب المؤلف هنا إلى أنَّ السمع والبصر صفتان ذاتيتان لله ، لا تعلق لها بالمخلوقين ، ولا تتجدد آحادها ، وهذا مخالف لقول ا لله ﴿ واعلموا أنَّ ا لله بما تعملون بصير﴾ وقوله ﴿ وا لله يسمع تحاوركما إنَّ ا لله سميع بصير ﴾ فالآيات تفيد تجدد آحاد هذه الصفات وأنَّها متعلقة بالمخلوقين : فتكون صفتا السمع والبصر ذاتية باعتبار ، فعلية باعتبار .

[٣] هذا الكلام مردود ، إذ ليس من شروط إثبات الصفة عدم إمكان الوصف بضدها ، وإلا فهل ينكر وصف ا لله بالعلم لإمكانية وصفه بالجهل ، وهكذا في كل صفات ا لله _ عز وجل _.

[٤] الواجب في صفات ا لله تعالىإمرارها كما جاءت ، دون الخوض فيها بمثل هذه الألفاظ والعبارات المبتدعة التي لم يرد بها دليل لا نفياً ولا إثباتاً .

[٥] المجادلة ، الآية (١) ، والحديث تقدم تخريجه قريباً ((ص ٢٤٥)) .

فصل

ومعنى قوله : ((فإنَّكم لا تدعون أصم ولا غائباً)) نفي للآفة المانعة من السمع ، ونفي الجهل المانع من العلم ، وفي هذا القول منه ؛ دليل على أنَّه لم يزل سميعاً بصيراً عالماً، ولا تصح أضداد هذه الصفات عليه تعالى .

وقوله : ((قريباً)) : إخبار عن كونه عالماً بجميع المعلومات لا يعزب عنه شيء،ولم يرد بوصفه بالقرب قرب المسافة [1] ، لأنَّ الله تعالى لا يصح وصفه بالحلول

[1] هذا الإحتراز مبتدع ، اذ ليس في الكتاب والسنة مايثبته أو ينفيه ، ومعلوم أنَّ صفات الله لا تشبه صفات المخلوقين ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وأمَّا قرب الله من بعض عباده – قرباً خاصاً عارضاً – فهو صفة قائمة بذاته ، يثبتها من يثبت قيام الأفعال الإختيارية بنفسه ، ومجيئه يوم القيامة ونزوله ، واستوائه على عرشه ، وهذا مذهب أئمة السلف ، يقول ابن القيم – رحمه الله – : " فهو قريب من المحسنين بذاته ورحمته قرباً ليس له نظير ، وهو مع ذلك فوق سماواته على عرشه وهذا حق لا يناقض أحدهما الآخر " أ. هـ .

وقرب الله عند السلف على أحد معنيين : ١– القرب اللازم ، على معنى أنَّ قرب الشيء من الشيء مستلزم لقرب الآخر منه ، فكلما قرب العبد من الله ، قرب الله منه ، وإن لم يكن بالضرورة منه فعل وحركة ، وهذا القرب خاص بعابديه ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ وداعيه ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإنِّي قريب ﴾ ، وليس في الكتاب والسنة قرب ذات الله من جميع المخلوقات في كل حال ، فهذا قرب لازم عارض

٢– أنَّ المراد قرب الله بعلمه ورحمته ، وكونه يسمع الدعاء ويستجيب له ، وهذا دل عليه سياق النصوص ، ومادل عليه السياق هو ظاهر الخطاب ، مع مادلت عليه النصوص من أنَّ الله فوق العرش . قال ابن تيمية – رحمه الله – : " فيكون تفسير القرآن وتأويله بالكتاب والسنة ، وهذا لا محذور فيه " .

وانظر : تفسير البغوي (١/ ٢٠٤) . ومجموع الفتاوى (٥/ ٢٤٠) (٥/ ٤٦٦) (٥/ ٥٠٩–٥١٠) (٦/ ٢٠–٢٢) ومختصرالصواعق المرسلة للموصلي ص (٣٩٧).

في الأماكن ، لأنَّ ذلك من صفات الأجسام ، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلاَّ هو رابعهم﴾[١]

معناه : إلاَّ وهو* عالم بهم وبجميع أحوالهم مايسرونه ومايظهرونه[٢] .

ومعنى[٣] حديث أبي بكر ﷺ في الباب : هو أنَّ دعاء الله تعالى [بما علمه]**الشارع يقتضى اعتقاد[كونه]*** سميعاً لدعائه**** ومجازيا عليه ›› [٤].

فصل *

قوله : ‹‹ اربعوا على أنفسكم ›› – بالباء الموحدة –

[قال ابن التين] رويناه – بكسرها – وهو في ضبط بعض الكتب – بفتحها – وكذا هو في ضبط كتب أهل اللغه[٥] ، ومعناه : ارفقوا بأنفسكم[٦] // ب/٢٨١ب

* في ‹‹ ب ›› : هو .

** في ‹‹ أ ›› و ‹‹ ب ›› : ما علمه ، والتصويب من ابن بطال .

*** زيادة من شرح ابن بطال يتطلبها السياق.

****في ‹‹ ب ›› : لدعائي.

(١) المجادلة ، الآية (٧) .

(٢) انظر : تفسير الطبري (١٢/١٣) ، وزاد المسير (٨/٨).

(٣) أي مناسبته لترجمة البخاري ، وقال ابن المنيِّر : " الأحاديث مطابقة للترجمة إلاَّ حديث أبي بكر فليس فيه صفتا السمع والبصر ، غير أنَّه قال : أدعو به في صلاتي ، ولولا أنَّ سمع الله سبحانه يتعلق بالسر وأخفى لما أفاد الدعاء في الصلاة سراً " المتوارى على أبواب البخاري ، ناصر الدين ابن المنيّر ص (٤٢٢ ، ٤٢٣) .

(٤) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٤١/أ).

(٥) قال العلامة بدر الدين العيني : " الفتح هو الصحيح ، لأنَّه من الكلمة التي لام فعله حرف حلق ولا يجيء مضارعه إلاَّ بفتح عين الفعل " عمدة القاريء شرح صحيح البخاري ، للعيني(٢٥/٩٢).

(٦) وذكر الخطابي معنى آخر لهذه العبارة حيث ، قال : " يريد أمسكوا عن الجهر وقفوا عنه " . انظر : أعلام الحديث (٢/١٤٢٤) .

١٠- بـــاب

قول الله تعالى : ﴿ قل هو القادر ﴾[١]

ذكر فيه :

[٧٣٩٠] حديث جابر بن عبدالله السلمي ﷺ فى دعاء الاستخارة ، وقد سلف في الأدعيه قرياً[٢] . [طرفاه في : ١١٦٦ ، ٦٣٨٢]

⟨⟨ والقادر والقدرة من صفات الذات ، وقد سلف في باب قوله تعالى : ﴿ إنَّ الله هو الرزاق ﴾[٣] : أنَّ القوة والقدرة بمعنى ، وكذلك القادر والقويّ بمعنى[٤] .

وذكر الأشعري : ان القدرة والقوة [و] الاستطاعة معناها واحد ، لكن لم يشتق لله تعالى من الاستطاعة اسم ، ولا يجوز أن يوصف بأنَّه مستطيع ، لعدم التوقيف بذلك ، وإن كان قد جاء القرآن بالإستطاعة فقال : ﴿هل يستطيع ربك﴾[٥] فإنَّما هو خبر عنهم[٦] ، ولا يقتضي إثباته صفة له تعالى .

عقد المصنف هذا الباب ــ فيما يظهر ــ لإثبات صفة القدرة لله تعالى ، وأنَّ قدرته تعالى عامة لكل مقدور ، أو الرد على القدرية نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم ؛ ولهذا اقتصر على هذا القدر من الآية ، أي القادر على كل شيء ، ثم ذكر حديث الاستخارة المقتضي لكمال قدرة الله وشمولها .انظر شرح كتاب التوحيد للغنيمان (٢٠٥/١)

(١) الأنعام ، الآية (٦٥) .

(٢) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الإستخاره (١٨٧/١١) ح (٦٣٨٢) .

(٣) الذاريات ، الآية (٥٨).

(٤) انظر ص (٢٠١) من هذا الكتاب .

(٥) المائدة ، الآية (١١٢) والآية بتمامها هي ﴿إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾

(٦) أي حواريي عيسى عليه السلام .

يدل على ذلك أمران :

تأنيبه لهم عقب هذا(١) .

وقراءة من قرأ :﴿هل تستطيع ربك ﴾(٢) يعني* : هل تستطيع سؤال ربك(٣) .

وقد أخطئوا في الأمرين جميعاً(٣) ، لاقتراحهم** على أنفسهم*** وخالقهم ما لم يأذن لهم فيه ربهم عز وجل ٠ ››(٤)

وقوله في دعاء الباب : ‹‹ فاقدره لى ›› أى : اقض**** لي به ، والرواية – بضم الدال – وقد***** روى – بكسرها – ٠(٥)

---

* في ‹‹ ب ›› : بمعنى ٠

** في ‹‹ ب ›› : لاقترافهم.

*** في ‹‹ ب ›› : نفسهم ، وعند ابن بطال : نبيهم ، وهو الأليق بالسياق ٠

**** في ‹‹ ب ›› : اقض به لي .

***** قد ساقطة من ‹‹ ب ››.

---

(١) وهو قول عيسى لهم ﴿ اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾ (المائدة ، الآية ١١٢)٠

(٢) المائدة ، الآية (١١٢) ، وهذه القراءة وهي ﴿ تستطيع ﴾ بالتاء ، ﴿ وربك ﴾ ـ بالنصب ـ قرأ بها الكسائي وهى قراءة علي وعائشه وابن عباس ومجاهد . انظر : كتاب الإقناع في القراءات السبع ، لابن الباذش (٢/٦٣٦) وتفسير البغوي (٣/١١٧) وقد رجح الإمام الطبري القراءة – بالياء– في ﴿ يستطيع ﴾ ، والرفع في ﴿ ربك ﴾ وهي قراءة باقي السبعة ، وقال : " إنّها أولى القراءتين بالصواب ٠" . انظر : تفسير الطبري (٥/١٣٠)٠

(٣) انظر : تفسير القرطبي (٦/٢٣٥)٠

(٣) أي على المعنيين المترتبين على اختلاف القراءة ، سواءً كان مقصودهم الله – جل وعلا – أو عيسى – عليه السلام –٠

(٤) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٤١/ب)٠

(٥) قال ابو الحسن القابسي : أهل بلدنا يكسرون الدال ، وأهل الشرق يضمونها ٠ فتح الباري (١١/١٩٠)٠

١١ - بـــاب

أ / ٨٢٩

مقلب القلوب // وقول الله عزوجل :

﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾[١]

ذكر فيه :

[٧٣٩١] حديث عبدالله رضي الله عنه قال : « أكثر ماكان النبي ﷺ يحلف ؛ لا ومقلب القلوب » . [طرفاه في : ٦٦١٧ ، ٦٦٢٨]

هذا الحديث سلف في الأيمان[٢] ، والقدر[٣] أيضاً ، وأسلفنا هناك : « أنَّ تقليبه لقلوب عباده : صرفه لها من إيمان إلى كفر ، ومن كفر إلى إيمان ، وذلك كله مقدور لله، وفعل له بخلاف قول القدرية . »[٤] [٥]

فصل

و« مقلب القلوب » ، قد ورد هنا ، وهو : صفة فعل ، مثل مهلك الهالكين* ، وقاهر الجبابرة ، وغير ذلك من صفات الأفعال .

---

* في « ب » : الكافرين .

---

(١) الأنعام ، الآية (١١٠) .

(٢) باب : كيف كانت يمين النبي ﷺ (١١/٥٣١ فتح) ح (٦٦٢٨) .

(٣) باب : يحول بين المرء وقلبه (١١/٥٢١ فتح) ح (٦٦١٧) .

(٤) القدرية تقدم التعريف بهم ص (٢٠٤) ، وسيأتي تفصيل هذه المسألة بعون الله .

(٥) شرح ابن بطال (٤/٣٤١/ب) .

١٢- بـــاب

قول النبي ﷺ : ((إنَّ لله مائة اسم إلاّ واحداً * من أحصاها ، دخل الجنة))

قال ابن عباس رضي الله عنه : " ذو الجلال : العظمة "(١)، و " البر : اللطيف "(٢) .

ثمَّ ساق :

[٧٣٩٢] حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول ﷺ قال : ((إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلاّ واحداً* ، من أحصاها ، دخل الجنة)) [طرفاه في ٢٧٣٦ ، ٦٤١٠]

أحصيناه : حفظناه .

---

* قال القسطلاني في ارشاد الساري (١٥ / ٣٥٦) ولفظ الباب ثابت لأبي ذر ، وفي روايته عن الحموي والمستملي :((إلاّ واحدة)) بلفظ التأنيث باعتبار معنى التسمية .

هذه الترجمة هي آخرالتراجم المتعلقة بذكر الأسماء الحسنى ، ومراد البخاري بهذا الباب ـ فيما يظهر ـ إثبات أسماء الله تعالى على ماورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنَّ ذلك من التوحيد الذي بينه الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا أمته إلى الإيمان به ووجوب اعتقاده

انظر : كتاب التوحيد بشرح عبدالحق الهاشمي ، صـ (٥٣) وشرح كتاب التوحيد ، للغنيمان (١ / ٢١٢).

(١) هذا الأثر وصله الإمام الطبري فقال : حدثنا علي ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله ﴿ ذي الجلال والإكرام ﴾ يقول : ذو العظمة والكبرياء . انظر : تفسير الطبري (١١/٦٢١).

(٢) وهذا وصله الطبري أيضاً بنفس الإسناد السابق ، وعزاه ابن حجر إلى ابن أبى حاتم قال : ثنا أبي ، ثنا أبو صالح ، ثنا معاوية عن علي ، عن ابن عباس في قوله ﴿ البر ﴾ قال : اللطيف . انظر تفسيرالطبري (١١/٤٩٣) تغليق التعليق (٤/٣٢١).

الشرح*

((الإحصاء في اللغة : يطلق بمعنى الإحاطة بعلم عدد الشيء وقدره ، ومنه : ﴿ وأحصى كل شئ عدداً ﴾[١] هذا قول الخليل [٢] [٣]

وبمعنى : الإطاقة له ، كقوله تعالى : ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾[٤] أي: لن تطيقوه ، وقال عليه السلام : ((استقيموا ولن تحصوا))[٥] أي لن تطيقوا العمل بكل ما لله [عليكم]** ، والمعنى في ذلك كله متقارب ٠

---

* ساقطة من : ((ب)) .

** في ((أ)) : عليك ، والتصويب من ((ب)) ٠ وشرح ابن بطال ٠

---

(١) الجن ، الآية (٢٨)٠

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، أبو عبدالرحمن البصري ، منشيء علم العروض والقوافي ، كان رأساً في لسان العرب ، ديناً ورعاً ، قانعاً متواضعاً ، كبير الشأن ، كان يحج سنة ويغزو أخرى حتى مات ، له كتاب العين لم يكمله ٠كان مولده عام ١٠٠هـ ومات سنة (١٧٠هـ) وقيل (١٧٥هـ)

انظر : اشارة التعيين ص (١١٤) ، سير أعلام النبلاء (٤٢٩/٧) البلغة ص(٩٩) ٠

(٣) انظر : لسان العرب (١٨٤/١٤) .

(٤) المزمل ، الآية (٢٠)٠

(٥) تكملة الحديث : ((٠٠٠ وخير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلاّ مؤمن)) والحديث رواه مالك في الموطأ ، كتاب الطهارة ، باب جامع الوضوء رقم (٣٧) (٥٨/١)وأحمد في المسند عن ثوبان (٢٧٦/٥ ، ٢٧٧، ٢٨٢) والدارمي عن ثوبان ، كتاب الطهارة ، باب ماجاء في الطهور برقم (٦٦٠) (١٧٧/١) وابن ماجه عن ثوبان ، وعن عبدالله بن عمرو ، وعن أبي امامة ، كتاب الطهارة وسننها باب المحافظة على الوضوء برقم (٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩) (١٠١/١ ، ١٠٢) وغيرهم ٠ والحديث صححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ،وصححه أيضاً المنذري والألباني ، انظر الترغيب والترهيب للمنذري (١٦٢/١) وإرواء الغليل للألباني (١٣٥/٢)٠

وقد يجوز أن يكون المعنى من أحصاها عدداً ، وحفظاً ، وعلماً بما يمكن علمه من معانيها المستفادة*، منها علم الصفات [التي تفيدها ، لأنّ تحت وصفنا له بعالم ، إثبات علم له تعالى لم يزل موصوفاً به] [لا كالعلوم .

وتحت وصفنا له بقادر إثبات قدرة له لم يزل موصوفا بها]**لا كقدرة المخلوق.

وكذلك القول في الحياة وسائر صفاته ويحتمل أيضاً أن يكون المراد العمل*** بالأسماء والتعبد لمن سُمي**** بها .

فإن قلت : كيف وجه إحصائها عملاً ؟ قيل له : وجه ذلك :

أنّ ماكان من أسماء الله تعالى، كالرحيم ، والكريم، والعفو، والغفور، والشكور، والتواب ، وشبهها فإنّ الله يحب أن يرى على عبده حُلاها ، ويرضى له معناها ،والاقتداء*****به فيها ؛ فهذاالعمل بهذا النوع من الأسماء .

وما كان منها****** لا يليق بالعبد معناها******* – كالله ، والأحد ، والقدير ، والجبار ، والمتكبر ، والعظيم ، والعزيز ، والقوي وشبهها – فإنّه يجب على

---

* في ((ب)) وابن بطّال : المستفاد . وكذا هي في : ((أ)) إلا أنه صححت ووضع عليها علامة : صح .

** مابين المعقوفتين ساقط من ((أ)) و ((ب)) . والمثبت من شرح ابن بطال .

*** في ((ب)) العلم .

**** كذا في ((أ)) و ((ب)) . وعند ابن بطال : تسمَّى ، ولعله الأصوب .

***** في ((ب)) : والاقتضاء.

****** في ((ب)) : فيها .

******* في ((ب)) :وشرح ابن بطال : معانيها .

العبد الإقرار بها ، والتذلل [لها]* والإشفاق منها .

وما كان بمعنى الوعيد : كشديد العقاب ، وعزيز ذي انتقام ، وسريع الحساب ، وشبهها ، فإنّه يجب على العبد الوقوف عند أمره ، واجتناب نهيه ، [و] استشعار خشيته ـ عزوجل ـ . من أجلها خُوِّفَ وعيده وشديد عقابه .

هذا وجه احصائها عملا ؛ فهذا يدخل الجنة إن شاء الله تعالى .// ب/٢٨٢أ

وقد نُقِل عن الأصيلي[١] أنّه أشار إلى هذا المعنى ، فقال : " الإحصاء لأسمائه تعالى هو: العمل بها ، لاعدها وحفظها " .

فقال : " إنّه قد يعدها الكافر والمنافق [وذلك غير]** نافع له ".[٢]

قال ابن بطال : " ويوضحه قوله عليه السلام في صفة

---

* مابين المعقوفتين زيادة يؤيدها السياق من شرح ابن بطال .

** كذا في ((ب)) . وفي ((أ)) : وغير ذلك ، وهو خطأ .

---

(١) هو عبدالله بن ابراهيم بن محمد ، أبو محمد الأصيلي ، شيخ المالكية ، وعالم الأندلس قال عنه القاضي عياض : " كان من حفاظ مذهب مالك ، ومن العالمين بالحديث وعلله ورجاله " ، وقال الدارقطني : " لم أر مثله " . كتب بمكة عن أبي زيد الفقيه (صحيح البخاري) ، وسمع عرضته الثانيه منه ببغداد ، وسمعه أيضاً من أبي أحمد الجرجاني . له كتاب كبير سمّاه : الدلائل في اختلاف العلماء . توفى سنه (٣٩٢هـ).

انظر : سير أعلام النبلاء (٥٦٠/١٦) ، طبقات الحفاظ (١٠٢٤/٣) الديباج المذهب (٤٣٣/١)

(٢) قال ابن بطال : " وأخبرني بعض أهل العلم عن أبي محمد الأصيلي أنّه أشار .... " الخ. انظر : شرح ابن بطال لصحيح البخاري (٤ /٣٤٢/ أ).

الخوارج[١] ((يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين ٠٠٠))[٢]

فتبيَّن أنَّ من قرأ القرآن ولم يعمل به لم ترفع قراءته إلى الله ولا جاوز حنجرته فلم يكتب [له]*أجرها وخاب من ثوابها ، كما قال تعالى ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾[٣] ، (يعني : أنَّ العمل الصالح يرفع الكلم الطيب)** إلى الله[٤] .

* له ، ساقطة من ((أ)) و ((ب)) والمثبت من شرح ابن بطال .

** مابين القوسين ساقط من ((ب)) .

(١) سمي الخوارج بهذا الاسم لخروجهم على علي بن أبي طالب ﷺ ، وهم فرق شتى تجمعهم أصول أهمها : تكفير صاحب الكبيرة ، التبري من عثمان وعلي وتكفيرهم ، يرون الخروج على أئمة الجور ، إضافة إلى أراء كثيرة شذوا بها عن جماعة المسلمين ٠

انظر مقالات الإسلاميين (٨٦-١٣١) ، التنبيه والرد (٦٣-٦٩) ، الفرق بين الفرق (٧٢-١١٣) الملل والنحل (١٣١/١) ، وانظر الدراسة الموسعه عنهم في كتاب : دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)لأحمد محمد جلي (٥١-١٥٠)٠

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً ٠٠٠﴾ برقم (٣٣٤٤) (٤٣٣/٦فتح) ورواه أيضاً في مواضع أخرى (٣٦١٠ ، ٤٣٥١ ، ٤٦٦٧ ، ٥٠٥٨ ، ٦١٦٣ ، ٦٩٣١ ، ٦٩٣٣ ، ٧٤٣٢، ٧٥٦٢)٠

(٣) فاطر ، الآية (١٠)٠

(٤) وهذا القول مروي عن مجاهد وشهر بن حوشب ، وبنحوه قال ابن عباس وقتادة . انظر : تفسير الطبري (٣٩٩/١٠)٠

وكما قال ابن مسعود : " إنَّك في زمان كثير فقهاؤه وقليل قراؤه ، تحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه وسيأتي على الناس زمان ، قليل فقهاؤه ، وكثير قراؤه تحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده ".[١]

فذمَّ من حفظ الحروف وضيَّع العمل ، ولم يقف عند الحدود ، ومدح من عمل بمعاني القرآن ، وإن لم يحفظ الحروف . فدل هذا على أنَّ الحفظ والإحصاء المندوب إليه هو العمل[٢] .

ويوضح هذا أيضاً ما كتب به عمر ﷺ إلى عماله : " إنَّ أهم أموركم عندي الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه " [٣] ، ولم يرد عمر ﷺ بحفظها إلاَّ المبالغة في إتقان* العمل بها من إتمام ركوعها وسجودها وإكمال حدودها ، لا حفظ أحكامها وتضييع العمل بها .

قد ذكر البخاري هذا الحديث في الأدعية بلفظ : ((لا يحفظها أحد إلاَّ دخل الجنة))[٤] .

---

* في ((ب)) : إثبات

---

(١) رواه مالك في الموطأ ، كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب جامع الصلاة برقم (٨٨) (١٥٧/١) والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٥٠٠٠) (٢٥٨/٤).

(٢) تعقب الحافظ ابن حجر قول ابن بطال هذا ، فقال : والذي ذكره ـــ أي : ابن بطال ـــ مقام الكمال ولا يلزم من ذلك أن يرد الثواب لمن حفظها وتعبد بتلاوتها والدعاء بها ، وإن كان متلبساً بالمعاصي ، كما يقع مثل ذلك في قاريء القرآن سواء ، فإنَّ القاريء ولو كان متلبساً بمعصية غير مايتعلق بالقراءة يثاب على تلاوته عند أهل السنة . الفتح (٢٢٩/١١).

(٣) رواه مالك في الموطأ عن نافع عن عمر ، كتاب وقوت الصلاة ، باب وقوت الصلاة برقم (٦) (٣٩/١) وفيه : أمركم بدلاً من أموركم .

(٤) كتاب الدعوات ، باب لله مائة اسم غيرواحدة ، حديث رقم (٦٤١٠) (٢١٨/١١).

وهو مفسِّر لما ذكره البخاري هنا من أنَّ الإحصاء : الحفظ[1] ، وقد أسلفنا هناك أنَّها توقيفيه .

واختلف الأصوليون في تسميته بماله من تعظيم بقياس أو خبر !.

---

(1) حاصل الكلام في هذه المسأله : أنَّ العلماء مختلفون في معنى الإحصاء الوارد في الحديث لكون الإحصاء في اللغة يأتي على أكثر من معنى . وملخص كلامهم مايلي :-

أ ـ أنَّ المراد بإحصائها : حفظها وعدها حتى يستوفيها ، أي : لا يقتصرعلى بعضها ، لكن يدعو الله بها كلها ، وهذا هو تفسير البخاري ، وقال به أيضاً : الخطابي والنووي وابن الجوزي وابن عطية ، استناداً إلى رواية الحديث الأخرى ، وفيها ((حفظها)) بدلاً من ((أحصاها)).

ب ـ أنَّ الإحصاء هنا بمعنى الإطاقة ، والمعنى : طاقتها بحسن الرعاية لها وتخلق بما يمكنه من العمل بمعانيها ، فإذا قال الرزاق وثق بالرزق ،ويرجو رحمة الله إذا قال : الرحيم ، وهكذا .

ج ـ أنَّ المراد من عرف وعقل معانيها ، وآمن بها ، من قول العرب : فلان ذو حصاة أي: ذو عقل ومعرفة بالأمور . قال الخطابي : " وهذه الأقاويل الثلاثه كلها متوجهة غير بعيدة ". وقال القرطبي : " المرجو من رحمة الله تعالى أنَّ من حصل له إحصاء هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب مع صحة النية أن يدخله الله الجنة ، وهذه المراتب الثلاث للسابقين والصديقين وأصحاب اليمين".

وذكرابن القيم لإحصائها ثلاث مراتب: ١ – احصاء ألفاظها وعدها . ٢ – فهم معانيها ومدلولها ٣– دعاؤه بها ، والدعاء عنده نوعان : دعاء عبادة وثناء ، ودعاء مسألة وطلب . وبهذا يتبين أنَّ احصاءها الموعود عليه دخول الجنة يتضمن حفظها وفهمها ودعاء الله بها . والله أعلم .

انظر تفصيل هذه المسألة : أعلام الحديث (٢/٣٤٢) غريب الحديث للخطابي (١/٧٣٠) تفسير أسماء الله الحسنى ، للزجاج (٢٢–٢٥) شرح أسماء الله الحسنى ، للرازي (٨٥) الأذكار للنووي (٥١) بدائع الفوائد (١/١٤٨) فتح الباري (١١/٢٢٩) شرح كتاب التوحيد للغنيمان (١/٢١٧–٢١٨).

واختار بعضهم : أنّه لا يسمى إلاّ بما سمى به نفسه أو رسوله ، – من طريق متواتر[١] ، لاآحاد يوجب عليه الظن[٢] – ، أو من ناحية الإجماع [٣] ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾[٤] .

قال: وقد قام الدليل علىأنّ الحسن لا يعلم بالعقل ،وإنّما يعلم بالسمع[٥] [٦] .

---

(١) الحديث المتواتر : هو ماروواه عدد كثير تحيل العادة تواطأهم على الكذب . والعدد الكثير مختلف في تحديده ، ورجح ابن حجر أنّه لا معنى لتعيين العدد .
انظر : الكفاية في علم الرواية ،للخطيب البغدادي ص (٣٢) ، فتح المغيث ، للسخاوي(١٣/٤) ، نزهة النظر بشرح نخبة الفكر ، لابن حجر (ص ٧–٨) ، تيسير مصطلح الحديث ، للطحان ص (١٩) .

(٢) القول بأنّ أخبار الآحاد لا تفيداليقين وإنّما تفيد الظن فحسب هو قول جمهور المتكلمين وبالتالي فهم لا يحتجون بها في باب العقائد ، والذي عليه جمهور العلماء من السلف والخلف أنّ الأحاديث الصحيحة تفيد العلم اليقيني ، وأنّها حجة في باب العقائد ، كما هي في باب الأحكام . انظر تفصيل هذه المسألة : مختصر الصواعق المرسله (ص ٣٤٨–٥١٠) ، وأخبار الآحاد في الحديث النبوي للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين ، ورسالتي : الحديث حجة بنفسه ، وحديث الآحاد حجة في العقائد والأحكام ، للألباني ، وأصل الاعتقاد ، لعمر الأشقر .

(٣) معنى الإجماع في اللغة : الإتفاق ، يقال : أجمعت الجماعة على كذا إذا اتفقوا عليه . وفي الشرع : اتفاق علماء العصر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر من أمور الدين . انظر : روضة الناظر (صـ ١١٦) الإيضاح لقوانين الإصطلاح ، لابن الجوزي (صـ ٣٢)

(٤) الأعراف ، الآية (١٨٠)

(٥) الناس في مسألة التحسين والتقبيح على ثلاثة أقوال :

⇐⇐⇐

⇐⇐⇐

أ) طائفة تقول: أنّ القبيح مانهي عنه شرعاً ، والحسن ما أمر به شرعاً ، و لاحكم للعقل في قبح الأشياء وحسنها ، وليس ذلك عائداً إلى أمر حقيقي في الفعل ،و هذا هو قول الأشاعرة .

ب) وطائفة تقول بل الأفعال متصفة بصفات حسنة وسيئة ، وأنّ ذلك يعلم بالعقل ، ويستحق العقاب بالعقل وإن لم يرد سمع ، وهذا هو قول المعتزلة .

ج) وطائفة تقول : بل هي متصفة بصفات حسنة وسيئة ، ولكن لا يعاقب أحد إلاّ بعد بلوغ الرسالة ، كما قال تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ [الاسراء : ١٥] وهذا هو قول السلف وهو أصح الأقوال ، وعليه يدل الكتاب والسنة

انظر : درء تعارض العقل والنقل (٤٩٢/٨) ومجموع الفتاوى(٤٣٣/٨-٤٣٥) والمواقف في علم الكلام ، للإيجي (ص٣٢٣)

(٦) الذي عليه سلف الأمة أنّ أسماء الله وصفاته توقيفية فلا يثبت منها إلاّ ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ ، وكذا الحال في النفي ، فلا يجوزون إطلاق اسم عليه من طريق القياس أو العقل . يقول ابن تيمية : " القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث " ، وبمثل هذا قال الإمام أحمد . و يقول أبو القاسم القشيري : " الأسماء تؤخذ توقيفاً من الكتاب والسنة والإجماع ، وبنحو هذا قال عبدالقاهر البغدادي والصنعاني .

أمّا المعتزله والكرامية فقالوا : إذا دل العقل على أنّ المعنى ثابت في حق الله سبحانه جاز إطلاق ذلك اللفظ على الله سواء ورد التوقيف به أو لم يرد .

أمّا الأشاعرة فالمعتمد عندهم التوقيف ، وذهب أبو الحسن الأشعري والغزالي والباقلاني إلى التوقيف في الأسماء دون الصفات .

وباب الأخبار عند أهل السنة والجماعة – أوسع من باب الأسماء والصفات ، يقول ابن القيم : " مايطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي ، وما يطلق عليه في باب الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً ، كالقديم ، وشيء ، والموجود ، والقائم بنفسه ، فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض مالم يردبه السمع .

انظر : شأن الدعاء للخطابي (ص ١١١-١١٢) ، المقصد الأسنى ، للغزالي (ص ١٥٤) شرح أسماء الله الحسنى للرازي (ص٤٠) ، مجموع الفتاوى (٢٦/٥) ،

⇐⇐⇐

وقوله : ((إنّ لله تسعة وتسعين اسمـاً)) أي تسـمية لأنّ الاسـم هـو المسـمى[١] عند الأشعرية[٢] . ولو أبقيناه على ظاهره لكان لله تسعة وتسعين اسماً ، أي : فقـط ؛ وليس كذلك[٣] .كما سلف ٠

⇐⇐⇐

بدائع الفوائـد (١٤٧/١) المواقـف في علـم الكـلام (ص٣٣٣) طبقـات ابـن السـبكي (٣٥٧/٣) فتـح البـاري (٢٢٦/١١) لوامـع الأنـوار للسـفاريني (١٢٤/١) الأسمـاء والصفات ، لعمر الأشقر (ص ١٢٨-١٣١) النهج الأسمى ، حمود الحمود (٣٨/١)٠

(١) سيأتي تفصيل الكلام على هذه المسألة ـ بمشيئة الله ـ (صـ ٢٧٤-٢٧٧)٠

(٢) انظر : التمهيد ، للباقلاني (صـ ٢٢٧ ـ ٢٣٣) الأشعرية فرقة تنتسب إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، وكان على مذهب المعتزلة ثم تركه إلى مذهب عبدالله بن كلاب ثم في المرحلة الأخيرة من عمره رجع إلى القول الحق ، وإن كان قد بقيت عليه بقايا من مذهب المعتزلة ٠

والأشاعرة فرقة مشهورة منتشرة في العالم الإسلامي ومن أهم أرائها :

١- نفي أو تأويل جميع الصفات عدا سبع أثبتوها بالعقل ٠

٢ - نفي تأثير القدرة الحادثة في الفعل حيث قالوا إنّ أفعال العباد مخلوقة لله وهي كسب لهم ٠

٣ - القول بالتكليف بما لا يطاق ٠

٤ - نفي الحسن والقبح الذاتيين ٠

٥ - القول بالجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ ٠

٦ - نفي الإقتران الضروري بين السبب والمسبب إذ لا تأثير له فيه ٠

ومن أشهر علمائهم : الباقلاني ، والجويني ، والغزالي ، والشهرستاني ، والايجي ٠

انظر : الملل والنحل (١٠٦/١) بيان موقف ابن القيم من بعض الفرق د٠عوادالمعتق (ص١١٨-١١٩) وانظر نقد أرائهم وبيان مخالفة كثير منها لما عليه السلف الصالح : موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، د٠عبدالرحمن الحمود ، ورسالة منهج الأشاعرة في العقيدة د٠ سفرالحوالي ٠

(٣) الصّواب الذي عليه جمهور العلماء أنّ الحديث معناه : أنّ من أحصى التسعة والتسعين من أسمائه دخل الجنة ، وليس المراد أنّه ليس له إلاّ تسعة وتسعون اسماً ، فإنّ في الحديث

⇐⇐⇐

⇐⇐⇐

الآخر – الذي رواه أحمد (١/٣٩١) وصححه الهيثمي في المجمع – ((أسألك بكل اسم هو لك ... إلى قوله : أو استأثرت به في علم الغيب عندك ...)) وفي الصحيحين ((لا أحصي ثناء عليك)) ولو أحصى جميع أسمائه ، لأحصى صفاته فكان يحصي الثناء عليه ، لأنَّ صفاته يعبَّرُ عنها بأسمائه . انظر : شأن الدعاء ، للخطابي (ص ٢٣-٢٤) ودرء تعارض العقل والنقل (٣/٣٣٢) .

١٣ - بـــاب
السؤال بأسماء الله والاستعاذة بها

ذكر فيه أحاديث :

[٧٣٩٣] أحدها : حديث مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : ((إذا جاء أحدكم إلى فراشه ، فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات ، وليقل بإسمك ربي وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فاغفرلها ، وإن أرسلتها ، فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)) • [الحديث طرفه في : ٦٣٢٠]

تابعه يحيى وبشر بن المفضل ، عن عبيدالله عن سعيد عن أبي هريرة ﷺ عن النبيﷺ .

وزاد زهير وأبو ضمرة وإسماعيل بن زكريا ، عن عبيدالله ، عن سعيد ، عن أبيه ، عن ، أبي هريرة ﷺ عن النبيﷺ // ، تابعه محمد بن عبدالرحمن والدراوردي وأسامة بن حفص[١] • (أ / ٨٣٠)

[٧٣٩٤] عن ربعي، عن حذيفة ﷺ قال : كان النبيﷺ إذا آوى إلى فراشه قال : (([اللهمَّ] باسمك أحيا وأموت ، وإذا أصبح قال : الحمدلله الذي أحيانابعد ماأماتنا وإليه النشور)) [الحديث أطرافه في : ٦٣١٢ ، ٦٣١٤ ، ٦٣٢٤]

[٧٣٩٥] الحديث الثاني - وهو في الحقيقة ثالث [٢] - حدثنا ، سعد بن حفص ، ثنا

---

(١) قوله : تابعه محمد بن عبدالرحمن والدراوردي وأسامة بن حفص ، بعد هذا الحديث - حديث أبي هريرة - أشار الحافظ ابن حجر إلى أنّه وقع هكذا في رواية كريمة والأصيلي ، والصواب ماوقع عند أبي ذر وغيره أنّ محل ذلك عقب حديث عائشة رقم (٧٣٩٨) • انظر الفتح (١٣/٣٩٢)•

(٢) مع تنبه المؤلف إلى هذا الخطأ في الترقيم إلاّ أنّه سار عليه في بقية أحاديث الباب ، ومنشأ الخطأ من ابن بطال إذ لم يذكر حديث أبي ذر واكتفى بحديث حذيفه لاتحاد المعنى •

شيبان عن منصور عن ربعي بن حراش عن خرشة بن الحر عن أبي ذر ﷺ قال : كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل* قال : ((باسمك نموت ونحيا فإذا استيقظ قال : الحمد لله الذي أحيانا بعد ماأماتنا وإليه النشور)) . [الحديث طرفه في ٦٣٢٥]

وسعدٌ هذا طلحي مولاهم ،كوفي ، أبو محمد المعروف بالضخم ، مات سنة// ب/٢٨٢/ب خمس عشرة ومائتين، انفرد [به] ((خ)) وروى عن شيبان النحوي فقط[١] .

[٧٣٩٦] الحديث الثالث : حديث ابن عباس ﷺ : ((لو أنَّ أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله ، فقال : بسم الله ... الحديث)) سلف .

[اطرافه في : ١٤١ ، ٣٢٧١ ، ٣٢٨٣ ، ٥١٦٥ ، ٦٣٨٨]

[٧٣٩٧] الرابع حديث عدي ﷺ في التسمية على الصيد ، وفيه : ((إذا رميت بالمعراض فخزق فكل)) .

وخزَقَ المعراضُ : شقَّ اللحم وقطَّعه ، وهو - بالزاي - ورُوى - بالراء - ومعناهما واحد .

والمعراض : سهم لا ريش له**[٢] .

[٧٣٩٨] الحديث الخامس : حديث يوسف بن موسى ، ثنا أبو خالد الأحمر ، قال سمعت هشام بن عروة يحدث عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : ((قالوا

---

* الليل ؛ ساقطة من ((ب)) .

** في ((ب)) : عليه .

---

(١) انظر ترجمته : تهذيب الكمال (٤٧٠/١) ، رجال صحيح البخاري للكلاباذي (٣٠٧/١) رقم (٤٢٦) ، وتهذيب التهذيب (٤٦٨/٣) التقريب رقم (٢٢٣٤) والذي في التهذيب عن مطين : أنَّ وفاة سعد كانت سنة ٢١٠هـ ، والمثبت هنا هو الموافق لما ذكره المزي عن مطين هذا ، فلعل مافي التهذيب قد تصحَّف .

(٢) انظر : مشارق الأنوار ، للقاضي عياض (٧٣/٢).

يارسول الله إنَّ ها هنا أقواماً ، حديث عهدهم بشرك يأتون بلحمان* لاندري يذكرون اسم الله عليها أم لا ، قال اذكروا أنتم** اسم الله وكلوا)) .

تابعه محمد بن عبدالرحمن والدراوردي ، وأسامة بن حفص .

[الحديث طرفاه في : ٢٠٥٧ ، ٥٥٠٧].

[٧٣٩٩] السادس : حديث أنس ﷺ قال : ((ضحَّى النبي ﷺ بكبشين يسمي ويكبر***)) .

[٧٤٠٠] السابع : حديث جندب ﷺ : ((ومن لم يذبح فليذبح باسم الله)) .

[٧٤٠١] الثامن : حديث ابن عمر ﷺ : ((لا تحلفوا بآبائكم ومن كان حالفاً فليحلف بالله)) .

الشرح

متابعة أبي ضمرة[١] ويحيى[٢] سلفت في

* في ((ب)) : بلحم .

** أنتم . ساقطة من ((ب)) .

*** في ((ب)) : سمَّى وكبر .

(١) هو الليثي ، أنس بن عياض بن ضمرة ، المدني ، روى عن عبيدالله بن عمر ، وجماعة . وثقه ابن معين ، وقال النسائي وأبوزرعة : لابأس به ، وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الخطأ ، قال ابن حجر في التقريب : ثقة . مات سنة (٢٠٠) وله ٩٦ سنة .

انظر : تهذيب الكمال (١٢٢/١) تهذيب التهذيب (٣٧٥/١) التقريب (٥٦٤).

(٢) هو القطان ، يحيى بن سعيد ، أبو سعيد التميمي ، قال أحمد بن حنبل : مارأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد القطان وقال أبو حاتم الرازي : إذا اختلف ابن المبارك ويحيى القطان وابن عيينه في حديث أخذ بقول يحيى . يقول أبو قدامة السرخسي : " سمعت يحيى بن سعيد

⇐⇐⇐

الدعوات[١] بزيادات[٢] .

ومتابعة يحيى أخرجها النسائي[٣] عن عمرو بن علي وابن مثنى ، عن يحيى عن ، عبيد الله ، به .

ورواه أيضاً عن زياد بن يحيى ، عن معتمر بن سليمان ، عن عبيد الله ، عن سعيد[٤] .

وعن محمد بن حاتم عن سويد ، عن ابن المبارك ، عن عبيد الله ، عن سعيد ، به ، ولم يرفعه[٥] .

⇐⇐⇐

يقول : كل من أدركت من الأئمة كانوا يقولون : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ويكفرون الجهمية ، ويقدمون أبا بكروعمر في الفضيلة والخلافة ." . توفي سنة (١٩٨) .انظر الجرح والتعديل (٩/١٥٠) السير (٩/١٧٥) طبقات الحفاظ (ص ١٣١).

(١) أي عند شرح المؤلف لكتاب الدعوات .
انظر :صحيح البخاري (١١/١٣٠فتح) ح رقم (٦٣٢٠) .

(٢) متابعة أبي ضمرة وصلها مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب مايقول عند النوم و أخذ المضجع (١٧/٥٧نووي) ح (٢٧١٤) .والبخاري في الأدب المفرد ح (١٢١٧).

(٣) في كتابه : عمل اليوم والليله ، باب : مايقول من يفزع في منامه ، (ص ٤٦٤) ح (٧٩٢).

(٤) المرجع السابق (ص٤٦٥) ح (٧٩٣).

(٥) أي أنَّ ابن المبارك رواه موقوفاً على أبي هريرة .المرجع السابق (ص ٤٦٥) ح (٧٩٤).

وزيادة زهير[١] أخرجها البخاري[٢] وأبو داود عن أحمد بن يونس ، عنه .
وزيادة إسماعيل[٣] أخرجها الطبراني[٤] في

---

(١) هو زهير بن معاوية بن حديج – بضم المهملة وفتح الدال وجيم – الجعفي ، أبو خيثمة الكوفي . روى عن أبي اسحاق السَّبيعي ، وعبيد الله بن عمر العمري ، وغيرهم . وعنه ابن جريج وابن إسحاق وابن مهدي ، وجماعة . قال عنه أحمد : كان من معادن الصدق . وثقه ابن معين وأبو زرعة ، وأبو حاتم . قال ابن حجر : ثقة ثبت إلاَّ أنَّ سماعه عن أبي إسحاق بآخرة ،كان مولده سنه (١٠٠) ومات سنة (١٧٢) وقيل غير ذلك . انظر : تهذيب الكمال (٤٣٦/١) السير (١٨١/٨) تهذيب التهذيب (٣٥١/٣) التقريب رقم (٢٠٥١).

(٢) في الجامع الصحيح ، كتاب الدعوات ، باب حدثنا أحمد بن يونس ، برقم (٦٣٢٠) (١٣٠/١١فتح) ، وأبو داود ، كتاب الأدب، باب مايقول عند النوم ، ح (٥٠٤٠) (٢٦٦/١٣عون المعبود) .

(٣) هو ابن زكريا بن مرة الخلقاني – بضم المعجمة وسكون اللام بعدها قاف – أبوزياد الكوفي . روى عن عبيدالله بن عمر وغيره ، وعنه : سعيد بن منصور ، وأبو الربيع الزهراني وغيرهما . قال عنه أحمد : هو مقارب الحديث ، وقال أبوداود : ماكان به بأس ، وثقه ابن حبان ، وضعفه النسائي والعجلي . قال ابن حجر : صدوق يخطيء قليلاً . توفي سنة (١٧٣) وقيل (١٧٤) وله ٦٥ سنة . انظر : السير (٤٧٥/٨) تهذيب التهذيب (٢٩٧/١) التقريب رقم (٤٤٥).

(٤) هو الإمام الحافظ الثقه محدث الإسلام : سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي ، الشافعي الطبراني ، أبو القاسم . المولود بعكا سنة (٢٦٠) صاحب التصانيف المشهورة ، من جملتها : المعاجم الثلاثة ، وكتاب السنة ، كتاب الدعاء ، والتفسير ، ودلائل النبوة وغيرها كثير . قال عنه الذهبي : سمع من ألف شيخ أو يزيدون . عاش مائة عام وعشرة أشهر، توفي سنة (٣٦٠) .

انظر : طبقات الحنابلة (٤٩/٢) السير (١١٩/١٦).

الأوسط[١] عن محمد بن عمران ، أنا محمد بن الريان ، عنه .[٢]

ورواية ابن عجلان سلفت هناك[٣] ، وأخرجها النسائي عن قتيبة ، عن يعقوب ابن عبدالرحمن ، عن ابن عجلان ، عن سعيد ، به .[٤]

ومتابعة أسامه[٥] ـ في حديث عائشة[٦] ـ أسندها في الذبائح ، فقال : حدثنا محمد بن عبيدالله ، ثنا أسامه بن حفص به[٧] .

---

(١) أي في المعجم الأوسط، قال عنه الذهبي: " ويقع في ست مجلدات كبار على معجم شيوخه يأتي فيه عن كل شيخ بماله من الغرائب والعجائب ، فهو نظير كتاب الأفراد للدارقطني بين فيه فضيلته وسعة روايته ، وكان يقول هذا الكتاب روحي ، فإنّه تعب عليه ، وفيه كل نفيس وعزيز ومنكر " تذكرة الحفاظ (٩١٢) والكتاب طبع حديثاً ، ويوجدأجزاء من مخطوطته في مكتبة كوبريلي بتركيا . انظر تاريخ التراث العربي (٣١٨/١).

(٢) يقول ابن حجر : وأمّا متابعة إسماعيل بن زكريا ، فوصلها الحارث بن أبي أسامة ، عن يونس بن محمد ، عنه (كذا رأيته في شرح مغلطاي ، وكنت وقفت عليها في الأوسط للطبراني ، وأوردتها منه في تغليق التعليق ثم خفي على مكانها الآن)) .
الفتح (١٣٢/١١) وانظر : تغليق التعليق (١٣٩/٥).

(٣) رواية ابن عجلان وصلها أحمد في المسند (٤٢٢/٢) والترمذي ، كتاب الدعوات ، باب ماجاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه ح (٣٤٠١) (٤٧٢/٥)والطبراني في كتاب الدعاء ، باب القول عند أخذ المضاجع ح (٢٥٢) (٩٠٨/٢) . انظر : الفتح (١٣٢/١١).

(٤) عمل اليوم والليلة ، للنسائي ، باب ما يقول إذا قام عن فراشه ثم رجع إليه واضطجع ح(٨٩٠) (ص ٥٠٤).

(٥) هو ابن حفص المدني ، لم يرو له البخاري إلاّ هذا الحديث متابعاً ، روى عن هشام بن عروة وموسى بن عقبة ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وجماعة ، وعنه أبو ثابت المدني وغيره قال ابن حجر : صدوق ، ضعفه الأزدي بلا حجة .
انظر : ميزان الإعتدال (١٧٤/١) والتهذيب (٢٠٦/١) والتقريب رقم (١٣٤) .

(٦) المتقدم قريباً برقم (٧٣٩٨).

(٧) باب ذبيحة الأعراب ونحوهم ، ح (٥٥٠٧) (٥٥٠/٩ فتح).

ومتابعة الدراوردي[١] رواها محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني عنه[٢] .

فصل

((وصنفة ثوبه)) : طرفه . وقيل : حاشيته أي : جانبه . وقيل : هي الناحية التي عليها الهدب . وقيل : الطُّرَّة . والمراد هنا : طرفه قاله عياض[٣] .

وقال الجوهري[٤] : " طُرَّته ، وهو جانبه الذي لا هدب له .

ويقال : [الصِنْفُ]*: النوع ، والصَنَفُ – بالفتح – لغة "[٥] .

* في ((أ)) : لصنفه . والتصويب من ((ب)) والصحاح .

(١) هو عبدالعزيز بن محمد عبيد ، أبو محمد الجهني المدني الدراوردي ، قال معن بن عيسى : يصلح أن يكون الدراوردي أميرالمؤمنين ، وقال أبو زرعة : سيء الحفظ . وعن أحمد : كان إذا حدث من حفظه يهم ، ليس هو بشيء ، وإذا حدث من كتابه فنعم . قال الذهبي : حديثه لا ينحط عن مرتبة الحسن . وقال ابن حجر : صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطيء خرج له البخاري في المتابعات ، مات سنة (١٨٧).
انظر : تهذيب الكمال (٢/٨٤٢) السير (٨/٣٦٦) التقريب رقم (٤١١٩)

(٢) وبمثل هذا قال ابن حجر إلاّ أنّه قال في مسنده ، وقال أيضاً : " أخرجه الإسماعيلي من طريق يعقوب بن حميد عن الدراوردي به " . انظر الفتح (١٣/٣٩٢) و(٩/٥٥٠)
(تنبيه) لم يذكر المؤلف هنا من وصل متابعة محمد بن عبدالرحمن الطفاوى ، وقد وصلها البخارى فى كتاب البيوع ،باب من لم ير الوساوس ونحوها من الشبهات ، ح (٢٠٥٧) (٤/٣٤٥) وانظر : الفتح (٩/٥٥٠).

(٣) انظر : مشارق الأنوار ، للقاضي عياض (٢/٤٧).

(٤) هو إسماعيل بن حمّاد الجوهري ، أبو نصر التركي ، أخذ العربية عن أبي سعيد السيرافي ، وأبي علي الفارسي ، وهو صاحب كتاب الصحاح في اللغه ، وهو أحد من يضرب به المثل في ضبط اللغه ، مات متردياً من سطح داره سنة (٣٩٣)
انظر : السير (١٧/٨٠) المزهر في علوم اللغة (١/٩٧-٩٩).

(٥) انظر : الصحاح ، مادة صنف (٤/١٣٨٨).

وكذا قال ابن قتيبة [(١)] : " ((صَنِفَة الثوب)) حاشيته التي لا هدب فيها " .
وعليه اقتصر ابن بطَّال [(٢)] .

وقد أسلفنا في الدعاء : أنَّ سِرَّه : خشية أن يخالفه إليه شيء من الهوام .

والصنفة – بفتح الصاد وكسر النون[(٣)] –

وقال* ابن التين : رويناه بكسر الصاد (وسكون النون**)[(٤)].
وفي الصحاح الأول[(٥)] .

وقولـه : ((وضعـت جنـبي)) قـال الـداودي : يقـول*** [أنـت]

* في ((ب)) : قال .

** مابين القوسين ساقط من ((ب)) .

*** في ((ب)) : يقال .

(١) هو العلامة الكبير ، ذو الفنون ،أبو محمد عبدالله مسلم بن قتيبة الدينوري ، كان عالماً بالنحو واللغة وغريب القرآن والشعر ، وكان ثقة ديناً فاضلاً . نزل بغداد وصنف وجمع وبعد صيته . من مصنفاته : غريب القرآن ، غريب الحديث ، المعارف ، مشكل القرآن ،مشكل الحديث وغيرها كثير . توفي سنة (٢٧٠) .
انظر : اشارة التعيين ص (١٧٢) ترجمة رقم (١٠١) السير (١٣/٢٩٦).

(٢) أي على قول ابن قتيبة . انظر شرح ابن بطال (٤/٣٤٣/أ).

(٣) وبهذا ضبطه القاضي عياض ، وابن الأثير .
انظر : مشارق الأنوار (٢/٤٧) والنهاية في غريب الحديث (٣/٥٦).

(٤) انظر عمدة القاريء (٢٥/٩٥).

(٥) انظر الصحاح (٤/١٣٨٨).

خلقت فعلي[1] .

وقوله : ((بعد ما أماتنا)) سمى النَّوم موتاً لقرب* حاله من الميت والعرب تسمي الشيء بالشيء إذا قاربه ، قاله** الداودي .

[و] قوله : ((جنِّب الشيطان مارزقتنا)) يعني : الولد ، فوقعت ((ما)) هنا*** لمن يعقل ، وهي لغة غير مشهورة .[2]

* في ((ب)) : وقرب .

** في ((ب)) : قال .

*** في ((ب)) : هاهنا .

(١) لعل الداودي يقصد بهذا التفسير الرد على المعتزلة القائلين أنَّ العبد يخلق فعله ، وأهل السنة والأشاعرة يقولون بأنَّ الله خالق كل شيء ومن ذلك أفعال العباد ، ويختلفون في جانب تعلق أفعال العباد بهم ، ومدى تعلق قدرة العباد بأفعالهم ، فالأشاعرة يذهبون إلى أنَّ أفعال العباد إنَّما هي كسب لهم ، ولا تأثير لقدرة العبد في الفعل . فقولهم ليس ببعيد عن مذهب ا لجبرية . أمَّا أهل السنة والجماعة فيقولون : العباد فاعلون حقيقة ولهم قدرة حقيقية على أعمالهم ولهم إرادة ، لكنها خاضعة لمشيئة الله الكونيه فلا تخرج عنها ، ومن أدلتهم أنَّ القرآن مملوء بذكر إضافة أفعال العباد إليهم ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [السجدة : ١٧] وقوله : ﴿ اعملوا ماشئتم ﴾ [فصلت :٤٠] وغيرها كثير .

انظر : مجموع الفتاوى (١١٩/٨ - ١٢٠) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١٣٣٠/٣-١٣٤٨).

(٢) وقد جاء القرآن بذلك ، ومنه قول الله تعالى فانكحوا ماطاب لكم من النساء﴾ [النساء الآية ٣] وقوله : ﴿ والسماء وما بناها ﴾ [الشمس الآية :٥].

انظر : شرح الكافية الشافية ، لابن مالك ، (٢٧٦/١) ، لسان العرب (٤٧٣/١٥) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي (٥٥٧/١).

وقوله : ((لم يضره شيطان أبداً)) يعني الشرك ، إذ لا يكاد أحد يخلو* من الذنب ، قاله الداودي(١)

وقوله : ((اذكروا [أنتم] اسم الله وكلوا)) فيه : أنَّ ما في الشرع محمول على الإباحة حتى يظهر موجب تحريمه (٢) .

وتضحيته بكبشين حجة لمن فضل الغنم(٣) ، وعندنا وعند أبي حنيفة الإبل ، ثمَّ البقر ، ثمَّ الغنم(٤) .

فصل

((غرض البخاري من هذا** الباب : أن يثبت أنَّ الاسم هو المسمَّى(٥) في

* في ((ب)) : يحار .

** هذا . ساقطة من ((ب)) .

(١) انظر هذا القول وغيره حول هذه المسألة : فتح الباري (١٣٧/٩) .

(٢) وهذا في غير العبادات ،والناس في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب ، الأول : أنَّ الأصل في الأشياء الإباحة ، والثاني : الحظر والتحريم ، والثالث : التوقف ، والصواب الذي تؤيده الأدلة السمعية والعقلية هو الأول . انظر : روضة الناظر ، لابن قدامه (ص ٤١) مجموع الفتاوى (٥٣٤/٢١-٥٤٢) مذكرة في أصول الفقه ، للشنقيطي ص (٢٣-٢٤) ، الأطعمه وأحكام الصيد والذبائح ، صالح الفوزان ص (١٣-١٦) .

(٣) وهم المالكيه ، انظر التمهيد (٢٩/٢٢-٣١) ، بداية المجتهد (٥٠٠/١) القوانين الفقهية ، لابن جزي (ص ١٢٦) .

(٤) وكذا هو عند الحنابلة أيضاً . انظر : الأم (٣٤٩/٢) ، التمهيد (٢٩/٢٢-٣١) ، المغني (٣٦٦/١٣) حاشية ابن عابدين (٣٢٢/٦)

(٥) قال الشيخ عبدالله الغنيمان : " هذا بعيد عن مقصود البخاري ، وإنَّما مقصوده بيان كيفية دعاء الله وعبادته بأسمائه التي أمر أن يدعى بها ويعبد ، بقوله تعالى ﴿ ولله الأسماء

⇐⇐⇐

الله تعالى على ماذهب إليه أهل السنة[١] ، وموضع الدلالة منه قوله عليه السلام :
((باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه)) ، وقوله في حديث حذيفة ﷺ :
((باسمك أحيا وأموت)) ومعناه : بإقدارك إيَّاي على

⇐⇐⇐

الحسنى فادعوه بها ﴾ وبين ذلك الرسول ﷺ بفعله وأمره ، كما في الأحاديث التي ذكرت في هذا الباب وغيرها)) . شرح كتاب التوحيد ، للغنيمان (١/٢٢٠)

(١) مسألة : هل الإسم هو المسمى ، أو غيره ،هي من بدع الكلام التي حدثت بعد القرون المفضلة ، والتي اختلط فيها الحق بالباطل ، والناس في هذه المسالة على أقوال أشهرها ثلاثة :

١ – أنَّ الاسم هو المسمى ، وإليه ذهب كثير من المنتسبين إلى السنة ، كأبي القاسم الطبري ، واللآلكائي ، والبغوي ، والبيهقي ، وابن حجر ، وهو أحد قولي أبي الحسن واختاره ابن فورك ، وعليه جمهور الأشاعرة .

٢ – أنَّ الاسم غير المسمى ، وهذا قول الجهميه والمعتزلة وكثير من المرجئة والزيدية وإليه ذهب ابن حزم ، والغزالي والرازي .

٣ – أنَّ الاسم للمسمى ، وهذا القول دل عليه الكتاب والسنه ، قال تعالى: ﴿ ولله الأسماء الحسنى ﴾ وقال : ﴿ الله لا إله إلاَّ هو له الأسماء الحسنى ﴾ وحديث الباب شاهد لهذا ، وهذا مذهب كثير من أهل السنة ، فلا يطلقون بأنَّه المسمى ، ولاغيره ، بل يفصلون حتى يزول اللبس . فإذا قيل لهم : أهو المسمى أم غيره ؟ قالوا : ليس هو نفس المسمى ، ولكن يراد به المسمى . وإن أريد بأنَّه غيره أي كونه بائناً عنه فهو باطل ، لأنَّ اسماء الله من كلامه وكلامه صفة له قائمة به ، لاتكون غيره .

انظر : الدرة فيما يجب اعتقاده ، لابن حزم (ص٢٤٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعه (٢/٢٠٤) المقصد الأسمى في معاني أسماء الله الحسنى ، للغزالي (ص٢٤) شرح أسماء الله الحسنى للرازي (ص ٢١–٢٩) قاعدةفي الاسم والمسمى ، لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٦/١٨٥) بدائع الفوائد (١/١٦–٢١) شرح العقيدة الطحاوية (١/١٠٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/١١٤٢–١١٤٥) .

وضع جنبي* ... كقولك : بغيرك وضعت جنبي.

وقوله : ((باسمك أحيا وأموت)) بغيرك أحيا وأموت // وهذا كفر بالله تعالى. [ب/٢٨٣أ]

ويكون قوله : ((وبك أرفعه)) ، وقوله :((الحمدلله الذي أحيانا بعد ماأماتنا)) يراد به الله تعالى ، فيكون بعض الدعاء إلى الله [صرف الأمر فيه إليه ، ويكون بعض الدعاء]** وصرف الأمر فيه إلى غير الله تعالى ، وهذا كفر صريح لا يخفى .

ومما يدل[1] على أنَّ اسم الله تعالى هو : هو ، قوله ﴿ فسبح باسم ربك العظيم﴾[2] أي : سبح ربك العظيم[3] ، ونزهه بأسمائه الحسنى ، ولو كان اسم غيره ، لكان الله تعالى أمر نبينا بتنزيه معنى هو غير الله ، وهذا مستحيل .

ومما يدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام﴾[4] في قراءة من قرأ

---

* وقع هنا سقط ـ إمَّا من المؤلف أو من النساخ ـ أخل بالمعنى ، بل أوهم معنى آخر غير المقصود والكلام في أصله مأخوذ من شرح ابن بطال ، وهو فيه واضح المعنى ، تام العبارة .

ونص كلام ابن بطال هو : " باقدارك إياي على وضع جنبي وضعته ، وباقدارك إياي على رفعه أرفعه ، وبإحيائك أحيا ، وبإماتتك أموت .فحذف صلى الله عليه وسلم : باسمك ربي وضعت جنبي ، ثم قال : وبك أرفعه . فذكر الاسم مرة ولم يذكره أخرى ، فدل أن معنى قوله : باسمك ، معنى قوله : بك . إذ لو كان ذكره للاسم يفيد غير مايفيد ترك ذكره لتخالف المعنيان ، ولوجب أن يكون : اسمه غيره ، وذلك محال ، لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون قوله صلى الله عليه وسلم : ((باسمك وضعت جنبي)) ، كقولك : بغيرك وضعت جنبي ... " شرح ابن بطال (٤/ ٣٤٢ / ب) .

** مابين المعقوفين ساقط من :((أ)) .

---

(١) انظر تفصيل حججهم ، والرد عليها ، كتاب : شرح أسماء الله الحسنى ، للرازي ص (٢٤-٢٩) وبدائع الفوائد (١/١٨-٢١).

(٢) سورة الحاقة ، الآية (٥٢).

(٣) انظر كلام ابن تيمية في توجيه مثل هذه الآية : مجموع الفتاوى (٦/١٩٨).

(٤) سورة الرحمن ، الآية (٧٨).

﴿ ذو الجلال﴾*[١] وذو وصف [للاسم] ** لا يشك فيه ؛ فإذاً قد وصف الاسم بالجلال والإكرام .

وهذا بخلاف القدرية ، التي تزعم [كون]*** كلامه محدثاً، وإنَّه تعالى لم يزل غير ذي اسم ولا صفه حتى [خلق]**** // الخلق ، وخلق كلامه ، فسمَّاه خلقه بأسماء محدثة ، وسمى نفسه بمثلها ، وهذا بيّن الفساد بما قدمناه أنَّه تعالى لا يجوز أن يأمر نبيه بتنزيه غيره .

أ / ٨٣١

فإن قلت : فإذا قلتم إنَّ اسم الله هو هو فما معنى قوله عليه السلام : « إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً »[٢] وكيف تكون الذات الواحدة تسعة وتسعين شيئاً ؟ ، قالوا : وهذا كفر ممن قال به ، فبان من هذا الحديث أنَّ اسمه غيره .

والجواب : أنَّه لو كان اسمه [غيره] ***** لم يجز أن يأمر نبيه بتنزيه مخلوق غيره على ما قدمناه .

ونرجع إلى تأويل الحديث ، فنقول : المراد بالحديث التسمية ، لأنَّه في نفسه واحد ، والاسم يكون لمعنيين : يكون بمعنى المسمى ، ويكون بمعنى التسمية ، التي

---

* ا لجلال : ساقطة من « ب » .

** ساقطة من « أ » ، والمثبت من « ب » ، وشرح ابن بطال .

*** في « أ » و « ب » : كونه . والتصويب من شرح ابن بطال .

**** في « أ » : يخلق .

***** مابين المعقوفتين زيادة من المحقق اقتضاها السياق .

---

(١) وهي قراءة ابن عامر ، وكذا هي في مصاحف أهل الشام والقراءة المشهورة التي عليها الأكثرون بالياء .

انظر : كتاب الإقناع في القراءات السبع (٢/٧٧٩) ، زاد المسير (٧/٣٢٠) تفسير القرطبي (١٧/١٢٥) .

(٢) تقدم الحديث ص (٢٥٤) برقم (٧٣٩٢) .

هـي كلامـه [فـالذي]* بمعنـى المسـمى [يقـال فيـه] هـو المسـمى ، والـذي بمعنـى التسمية لا يقال فيه : هـو المسـمى ، ولاهـو غـيره ، وإنّمـا لم نقـل فيـه هـو المسـمى لاستحالة كون ذاته تعالى كلاماً وسادة مسده .

ولم نقل أيضا هو غيره ، لأنّ تسميته عزوجـل لنفسـه كـلام لـه ، ولا يقـال في كلامه إنّه غيره[١]

فصل

ومعنى الترجمة معنى قوله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾[٢] فـأمر بدعائه بها .

ووصفه لها بالحسنى يقتضي نفي تضمن كل اسم منها نقيـض مـا يوصـف أنّـه حسن ، ونقيض الحسن قبيح ، لا يجوز على الله تعالى .

ومعنى هذا : أنّ عالماً من اسمائه تقتضي علماً ينفي نقيضه من الجهل ، وقـادراً يقتضي قدرة تنفي نقيضها من العجز ، وحياً يقتضـي حيـاة تنفـي ضدهـا مـن المـوت ، وكذلك سائر صفاته تعالى كلها ، ففائدة كـل واحـدة منهـا خـلاف فـائدة الأخـرى ، فأمر تعالى عباده بالدعاء بأسمائه كلها لما يتضمـن كـل اسـم منهـا ويخصـه مـن الفـائدة لتجتمع للعباد الداعين له بجميعها فوائد عظيمة ، ويكون معبوداً بكل معنى .)) [٣]

---

* في النسختين : التي . والتصويب من شرح ابن بطال .

---

(١) هذا تفصيل جيد ، ولابد منه لمن رام الجمع بين النصوص حول هذه المسألة .
انظر : شرح العقيدة الطحاوية (١٠٢/١)

(٢) الأعراف ، الآية (١٨٠).

(٣) مابين القوسين مأخوذ بشئ من التصرف من شرح ابن بطال (٣٤٢/٤/ب – ٣٤٣/أ).

١٤ - بـــاب

مايذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عزوجل

وقال خبيب رضي الله عنه : « وذلك في ذات الإله » فذكر الذات باسمه .

ثمَّ ساق

[٧٤٠٢] قصته من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وشعره و [قد] سلفت(١) .

[أطرافه في : ٣٠٤٥ ، ٣٩٨٩ ، ٤٠٨٦]

الشرح

[الأسامي]* جمع أسماء ، وأسماء جمع اسم(٢) .

---

* الأسامي : ساقطة من « أ » و « ب » ، إلاَّ أنَّه جاء في هامش « أ » عبارة : لعله سقط الأسامي .وهي مثبته في الصحاح للجوهري .

غرض البخاري من هذه الترجمة ــ فيما يظهر ــ إثبات جواز إطلاق الذات والنعوت على الله تعالى كأسمائه ، ولهذا ذكر في الترجمة " النعوت والأسامي " والمراد من الذات عنده نفس الشيء وحقيقته وعينه ، ولهذا قال : " فذكر الذات باسمه تعالى " أي : أقام الذات مقام اسمه تعالى .

وهذا الباب بالنسبة إلى الأبواب الآتية المتعلقة بمسألة الصفات السمعية كالأصل والأبواب الباقية كالفروع . انظر كتاب التوحيد بشرح عبدالحق الهاشمي ص (٦٧).

(١) أي قصة مقتل خبيب رضي الله عنه وشعره ، انظر ذلك : صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب: هل يستأسر الرجل ؟ ومن لم يستأسر ، ومن ركع ركعتين عند القتل (١٩١/٦)ح (٣٠٤٥) .

(٢) انظر : الصحاح (٦/ ٣٣٨٣) عمدة القاري (٢٥/ ٩٩) .

وذُكِرَ عن الفرَّاء : " أعيذك بأسماوات*الله " (١) .

و اختلف في اشتقاقه :

فقال البصريون :من سموت لأنَّه تنويةٌ **ورفعةٌ.وتقديره:"أسمى"ذهبت منه لامه(٢).

وقال الكوفيون : من وسمتُ أي : علَّمتُ .

واحتج الأولون بأنَّ جمعه : " أسماء " ، وتصغيره : " سُمَيٌّ "، ولوكان من " السِّمة " لكان جمعه : " أوسام " [وتصغيره] *** " اسيم " والتصغير والتكسير(٣) **** يردان الأسماء إلى أصولها .

واختلف البصريون في تقدير [أصله]***** فقال بعضهم : " فِعْلٌ " مثل "جِذعٌ " وقيل : " فُعْلٌ " .

وفيه لغات " بتثليث الهمزة ، وسِمٌ ، وسُمٌ وسُمات على وزن هدات ، وسُمى على وزن هُدى " . [و] ألفه ألف وصل ، وربما قطعها الشاعر ضرورة(٤)

---

* في ((ب)) : باسماء ذات الله .

** في ((ب)) : تنزيه .

*** في ((أ)) و ((ب)) : وجمعه . وهو خطأ .ولعل الصواب ماأثبته .

**** في ((ب)) : والتكبيروهو خطأ .

***** في ((أ)) و ((ب)) : اسمه ، وهو خطأ ، والتصويب من الصحاح .

---

(١) انظر : الصحاح (٢٣٨٣/٦) ولسان العرب (٤٠٢/١٤).

(٢) أي أنَّ وزنه : أفع ، فالناقص منه اللام . وانظر المصباح المنير ص (١١٠).

(٣) المقصود بالتكسير : جمع التكسير وهو هنا : اسماء .

(٤) ومن ذلك قول الأحوص :

وما أنا بالمَخْسُوسِ في جِذْمِ مالكٍ ... ولا من تَسَمَّى ثمَّ يلتزم الإسما

انظر لماسبق : معاني القرآن الكريم ، للنحاس (٥١/١) تهذيب اللغة (١١٥/١٣) الصحاح (٢٣٨٣/٦) ، تفسير القرطبي (٧١/١) ، المصباح المنير (ص ١١٠) ، لسان العرب (٣٩٧/١٤-٤٠٣) . وانظر : مجموع الفتاوى (٢٠٧/٦).

فصـــل

وقول خبيب :

ما أبالي[١] حين أقتل مسلماً على أيِّ شق كان لله مصرعى // ب/٢٨٣/ب

فيه نقص من وزن البيت الثاني . وتحقيق وزنه : فلست أبالي... إلى آخره ، كما ذكرفي غزوة بدر[٢] ،لأنَّ وزنه فعول مفاعيل* فعول مفاعيلن ، وهو من الطويل [٣]

والشِّلو : العضو .

وممزَّع : مقطع .[٤]

فصـــل

⟪ أسماء الله تعالى أضرب : أحدها يرجع به إلى ذاته ووجوده فقط ، لا إلى معنى يزيد على ذلك كقولنا : الله**[٥] ، موجود ، وذات ، ونفس .

* هكذا في النسختين ، والصواب : مفاعيلن .

** في ((ب)) : شيء .

(١) انظر الروايات المختلفة لصدر هذا البيت . الفتح (٤٤٤/٧).

(٢) انظر : صحيح البخاري ، كتاب المغازي (٣٦٠/٧) ح (٣٩٨٩).

(٣) أي من البحر الطويل ، أحد بحور الشعر ، وهو أكثرها شيوعاً في القديم ، ويؤسس الشعر منه على النحو التالي : فعولن / مفاعيلن / فعولن / مفاعيلن .
انظر : المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية (٥٩٣/٢).

(٤) انظر : غريب الحديث ، للهروي (٢٥/١) ومشارق الأنوار (٢٥٣/٢).

(٥) من العلماء من جعل الإسم العلم (الله) قسماً قائماً بنفسه من بين أسمائه تبارك وتعالى ، لأنَّه متضمن لجميع معاني الأسماء الحسنى ، ولهذا تأتي جميعها صفات له كما في آخر سورة الحشر . انظر : الأسماء والصفات ، للأشقر (ص٨٠).

ثانيها : يرجع إلى إثبات معان قائمة به تعالى ، هي : صفات له ، كقولنا حي وقادر وعالم ومريد ؛ يرجع ذلك كله إلى : حياة وعلم وقدرة وإرادة ، لأجلها كان حياً قادراً عالماً مريداً .

ثالثها : يرجع إلى صفات من [صفة أفعاله]* كقوله : خالق ورازق ، ومحيي ومميت ، يرجع بذلك كله إلى خلق ورزق وحياة وموت ، وذلك كله فعل له تعالى .[1] .

فأمَّا إثباته ذاتاً[2] وشيئاً ونفساً[3] ، فطريقه** السمع ، وقد سمع رسول الله ﷺ قول خبيب : ((وذلك في ذات الإله)) ، فلم ينكره فصار*** طريق العلم به التوقيف من الشارع .

* كذا في ((ب)) ، وفي ((أ)) : صفته أو حاله ، وعند ابن بطال : صفات أفعاله .

** في ((ب)) : فطريق .

*** في ((ب)) : فعناد ، وهو خطأ .

(١) وهناك قسم رابع هو : مايرجع إلى التنزيه المحض ، ولابد فيه من إثبات كمال الضد ، إذ لا كمال في العدم المحض : كالقدوس والسلام . وقد أوصلها بعضهم إلى سبعة أضرب. انظر: بدائع الفوائد (١٤٤/١) ، القواعد الكليه للأسماء والصفات عند السلف ، للبريكان (ص ٤٩-٦٥).

(٢) يقول ابن تيمية : " لفظ ذات تأنيث ذو، وذلك لا يستعمل إلاَّ فيما كان مضافاً إلى غيره ، كما يقال فلان ذو علم وقدرة . وماجاء في القرآن ولغة العرب فهو من هذا القبيل ، ولكن لما صار النظار يتكلمون في هذا الباب قالوا : إنَّه يقال إنَّها ذات علم وقدرة ، ثمَّ إنَّهم قطعوا هذا اللفظ عن الإضافة وعرفوه ، فقالوا ((الذات)) ولهذا أنكره طائفة من أهل العلم كأبي الفتح ابن برهان ، وابن الدَّهان وقالوا ليست هذه لفظة عربية ، وفصل الخطاب أنَّها ليست من العربية العرباء ، بل من المولدة كلفظ الموجود " . أ . هـ . بتصرف من : مجموع الفتاوى (٩٨/٦-٩٩) و انظر : مشارق الأنوار (٢٧٣/١) وفتح الباري (٣٩٣/١٣).

(٣) سيأتي تفصيل الكلام على النفس والشيء في البابين اللاحقين – بمشيئة الله .

وذاته هي : هو .[1]

ومعنى قوله : " في ذات الإله " : في دين الإله وطاعته .

[فجميع] * هذه الأضرب الثلاثة أسماء [لله]** تعالى في الحقيقة [كـان]*** منها ما يتضمن صفة ترجع إلى ذاته أو إلى فعل من أفعاله أم لا - فكـل صفـة اسـم لله تعالى ، وليس كل اسم صفه .[2]

ومذهب أهل السنة : أنَّه محال أن يقـال في صفـات ذاتـه : أنَّ كـل واحـد [ة] منها غير الأخرى ، كما استحال القول عندهم : [بأنَّهـا]**** غـيره تعالى ، لأنَّ حـد الغيرين ماجاز وجود أحدهما مع عدم الآخر[3] ،و لَّما لم يجز على شيء من صفاته عدم

* في « أ » : بجميع ، وفي « ب » : تجمع ، والتصويب من شرح ابن بطال لأنَّ به استقامة المعنى .

** في « أ » و « ب » الله . والتصويب من شرح ابن بطال .

*** كذا في « ب » ، وابن بطال وفي « أ » : كل . والمثبت أليق بمعنى العبارة .

**** في « أ » و « ب » : بأنَّه ، وهو خطأ ، والتصويب من شرح ابن بطال .

(١) ثبت إطلاق الذات في حق الله سبحانه وتعالى ، ولكن لا على أنَّهـا صفـة لـه ، بـل بمعنى النفس أو الحقيقة . فلا يجوز دعاؤه بها ، وإن كان يجـوز الإخبـار عنـه بهـا ، لأنَّ بـاب الأخبار أوسع من بـاب الصفـات . انظـر مجمـوع الفتـاوى (١٤٢/٦) و (٣٣٤/٣) بدائع الفوائد (٨/٢) شرح كتاب التوحيد، للغنيمان (٢٣٨/١-٢٤٢) .

(٢) كلام المؤلف هنا مبنيٌ على مذهـب الأشعرية ، الذيـن لا يثبتـون إلاَّ سبع صفـات وهـي المسماة عندهم بالصفات المعنوية ، فيجعلون كل صفة منها اسماً لله تعالى ، كـالعليم مـن العلم ، وهكذا فمقصوده بقوله " كل صفة " أي من الصفات المثبتـه عندهـم ، وهـم في المقابل لا يشـتقون مـن أسمـاء الله سـبحانه وتعـالى صفـات ، فـلا يشـتقون مـن اسـم الله " الرحمن " صفة الرحمة مثلاً ، وهذا المسلك مخالف لما عليه السلف ، فإنَّ باب الصفـات عندهم أوسع من باب الأسماء ، فكل اسم ثبـت لله عزوجـل فهـو متضمـن لصفـة ، ولا عكس فلا نشتق له من صفات الإرادة والمجيء أسماء فنقول المريد والجائي .

(٣) انظـر : الشـامل في أصـول الديـن ، للجويـني ص (٢٠٢) والكليـات لأبـي البقـاء ص (٦٦٥) .

إحداها مع وجـود سـائرها ؛ استحال وصفها بالتغاير ، كما استحال وصفه بأنّه غيرها [١] ؛ لقيام الدليل على استحالة وجوده تعالى مع عدم صفاته ، التي هي حياته وعلمه وقدرته ، وسائر صفات ذاته ، وليس كذلك صفات أفعاله ، لأنّ أفعاله متغايرة ، يجوز وجود بعضها مع عدم سائرها ، كالرزق وسائر صفات أفعاله التي تتضمنها أسماء له أطلقها الله تعالى على نفسه ، كرازق ، وخالق ، ومحيي ، ومميت ، وبديع ، وما شاكل ذلك ، فهذه كلها أسماء لله* تعالى سمّى نفسه بها ،وتسميته قوله ، وقوله ليس غيره[٢] ، كسائر صفاته .

* في « ب » : أسماء الله .

(١) هذا الكلام موافق لما عليه الأشعرية ، انظر الإنصاف ، للباقلاني ص (٣٨) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ، للبيجوري(ص ٧٩-٨٠) وأما عند السلف فلابد من التفصيل ؛ لأنّ لفظ الغير فيه إجمال ؛ فإن أريد به : المباين للشيء ، المنفصل عنه ؛ فليست الصفة غير الذات ، وليست كل صفة غير الأخرى . وإن أريد بالغير ماليس عين الشيء وهو ما جاز العلم بأحدهمامع عدم العلم بالآخر ، فالصفة غيرالموصوف ، وكل صفة غيرالأخرى . والله اعلم .

انظر : درء تعارض العقل والنقل (١/٢٨١) مجموع الفتاوى (٣/٣٣٦) وشرح العقيدة الطحاوية (١/٩٨) . موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/١١٥٢-١١٥٦).

(٢) المقصود بقوله أي كلامه ، ولكن هل قوله غيره ، أو ليس بغيره ، والجواب على التفصيل السالف قريباً .

ومُتَضَمَّنُ هذه الأسماء متغاير على ماذكرنا ، وغيرٌ لـه تعـالى[١] ؛ لقيـام الدليـل على وجوده في أزله ، مع عدم جميع أفعاله ›› . [٢]

---

(١) على التفصيل السابق ، ووجه تفريق الأشاعرة بـين صفـات الـذات وصفـات الفعـل ، في هذه المسألة مترتب على قولهم بأنَّ الصفات الفعلية غـير قائمـة بـذات الله تعـالى ، وأنَّهـا صفات حادثة وجدت بعد أن لم تكن ، وهذا مايخالفهم فيه السلف حيث يذهبون إلى أنَّ الصفات الفعلية قديمة النوع حادثة الآحاد وهو مـا تقتضيـه الـبراهين النقليـه والعقليـة ، وعلى هذا فلا وجه للتفريق في مسألة الغير بين صفات الذات والفعل .

(٢) مابين القوسين منقول من شرح ابن بطال مع تصرف يسير (٤/٣٤٣/ب) .

١٥ - بـــاب

قول الله عزوجل:﴿ ويحذركم الله نفسه﴾ (١)

وقوله : ﴿ تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك﴾(٢)

ذكر فيه :

[٧٤٠٣] حديث شقيق عن عبدالله ﷺ عن النبي ﷺ قال : « مامن أحد أَغْيَرُ مـن الله عزَّوجل ، من أجل ذلك حرَّم الفواحش ماظهر منها وما بطن ، ومـا أحـدٌ أحـب إليـه المدح من الله عزوجل » • وقد سلف . [أطرافه في : ٤٦٣٤ ، ٤٦٣٧ ، ٥٢٢٠]

[٧٤٠٤] وحديث أبي هريرة ﷺ عن النبيﷺ : قال : « لَمَّا خلق الله عزوجـل الخلـق كتب في كتابه – وهو يكتب على نفسه ، وهو وضع عنده على العرش – إنَّ رحمتي تغلب غضبي » • [أطرافه في : ٣١٩٤ ، ٧٤٢٢ ، ٧٤٥٣ ، ٧٥٥٣ ، ٧٥٥٤]

غرض البخاري ـ فيما يبدو ـ من هذا البـاب إثبـات إطـلاق النفس علـى الله تعالى ، بمعنى ذاته وعينه ، ولهذا أورد البخاري هذا الباب عقب باب مايذكر في الـذات والنعوت وأسامي الله ـ عز وجل ـ وقد استشـكل بعـض الشـراح إيـراد الحديـث الأول وليس فيه ذكر للنفس ، وأجاب عن ذلك الحافظ ابن حجر بـأنَّ ذكـر النفس ثـابت في هذا الحديث الذي أورده وإن كان لم يقع في هذا الطريق لكنه أشار إلى ذلك كعادته فإنَّه ورد في بعض رواياته « ولذلك مدح نفسه » وهذا القدر هو المطـابق للترجمـة وقـد كـثر منه أن يترجم ببعـض مـاورد في طـرق الحديـث الـذي يـورده ولـو لم يكـن ذلـك القـدر موجوداً في تلك الترجمة . انظر : الفتح (١٣/ ٣٩٦).

(١) سورة آل عمران ، الآية (٢٨) و (٣٠)•

(٢) سورة المائدة ، الآية (١١٦).

أ / ٨٣١

[٧٤٠٥] وحديثه // أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : (((يقول الله تعالى)*: أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إليّ شبراً تقربت منه ذراعاً ، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت منه باعاً ، ومن** أتاني يمشي أتيته هرولة)) .

[طرفاه في : ٧٥٠٥ ، ٧٥٣٧].

الشرح

معنى قوله : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ [١] أي : إيّـاه[٢] ، تقـول قتـل نفسـه ، أي : أوقع الهلاك بذاته كلها [٣] .

وقيل : يحذركم عقابه[٤] .

وقوله : ﴿ تعلم مافي نفسي ، ولا أعلم مافي نفسك ﴾[٥] قال ابن الأنباري[٦]

---

* مابين القوسين ساقط من ((ب)) .

** في: ((ب)) : وإنْ ، وعند ابن بطال كالمثبت .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (٢٨-٣٠).

(٢) وهو قول أبي جعفر النحاس وأبي إسحاق الزجاج ،
انظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (١/٢٨٤) ، تفسيرالقرطبي (٤/٣٨).

(٣) انظر لسان العرب (٦/٢٣٣) .

(٤) انظر تفسيرالبغوي (٢/٢٦) وتفسير القرطبي (٤/٣٨).

(٥) سورة المائدة ، الآية (١١٦).

(٦) هو محمد بن القاسم بن محمد الأنباري – أحد الأئمة المشهورين ، كـان مـن الصـالحين ، يقال : إنّه كان يحفظ مائة وعشـرين تفسـيراً بأسـانيدها ، لـه تصـانيف مفيـدة في النحـو واللغة ، وأمالي ، منها : كتاب الزاهرفي اللغة ، وكتاب هاءات القرآن ، وكتاب الأمالي توفي سنة (٣٢٨) . انظر : إشارة التعيين ص (٣٣٥) .

" أي :تعلم مافي نفسي ، ولا أعلم مافي غيبك ٠ " *[١]

قال الزجاج[٢] : النفس عند أهل اللغة على معنيين :

أحدهما : أن يراد بها بعض الشيء

والآخر : أن يراد بها الشيء كله ٠ //

ب/ ٢٨٤أ

فالمعنى : تعلم حقيقتي وما عندي ، والدليل عليه قوله تعالى :﴿ إنّك أنت علام الغيوب﴾[٣]

وقال غيره[٤] : " تعلم غيبي ، ولا أعلم غيبك "[٥].

وقيل : تعلم مافي نفسي ، ولا أعلم أنا مافيها ، فأضاف** نفسه إلى الله تعالى ، لأنّه خالقها[٦] ٠

---

* في ((ب)): نفسك . وهو خطأ .

** في ((ب)) : فإضافة ٠

---

(١) ذكر البغوي عن ابن عباس قولاً نحو هذا حيث قال : تعلم مافي غيبي ولا أعلم مافي غيبك انظر تفسير البغوي (٣/١٢٢) ٠ انظر لكلام ابن الأنباري : عمدة القاري (٢٥/١٠٠)٠

(٢) هو ابراهيم بن السري بن سهل النحوي ، أبو إسحاق الزجاج ٠ أخذ عن ثعلب والمبرد وكان إماماً في العربية ، من أهل الدين ٠ أخذ عنه العربيه أبو علي الفارسي وجماعة ، له تصانيف منها : معاني القرآن ، وفعلت وأفعلت ، وكتاب الإنسان وأعضائه ٠ توفي سنة (٣١١) وقد جاوز الثمانين ٠ انظر : إشارة التعيين ص (١٢) ، السير (١٤/٣٦٠)٠

(٣) وهي تتمة الآية التي يراد تفسيرها ٠

(٤) وهو قول ابن عباس كما تقدم قريباً ٠

(٥) انظر:معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٢٢-٢٢٣) ومعاني القرآن للنحاس (٢/٣٩٠-٣٩١)٠

(٦) انظر قريباً من هذا القول : المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ص (٥٠١) قال ابن حجر : " لا يخفى بعده و تكلفه "٠ انظر : فتح الباري (١٣/٣٩٦)٠

وقال ابن بطال : " ماذكر في الآيتين والأحاديث من ذكر النفس فالمراد به إثبات نفس لله تعالى ، والنفس لفظ يحتمل معاني . والمراد بنفسه : ذاته ، فنفسه ليس بأمر مزيد* عليه تعالى فوجب أن تكون نفسه هي هو ، وهو إجماع .[١]

وللنفس وجوه أخر[٢] لا حاجة بنا إلى ذكرها ، إذ الغرض من الترجمة خلاف ذلك .[٣]

فصل

قوله : « ومامن أحد أحب إليه المدح من الله » تقرأ برفع أحبّ ، لأنّه خبر مقدم على المبتدأ ؛[و]** المبتدأ : المدح . ولا يرفع*** المدح بأحب في هذه المسأله[٤]

* في « ب » : نفسك . وهو خطأ .
** في « أ » : أو : وهو خطأ .
** في « ب » : ولا يرتفع .

(١) انظر الفتاوى (٩/٢٩٢-٢٩٣) و (١٤/١٩٦) على أنّ هناك طائفة من العلماء ذهبوا إلى أنّ النفس من صفات الله ، وهو رأي مرجوح ، وممن ذهب إلى ذلك الإمام ابن خزيمة ، وعبدالغني المقدسي ، والبغوي ، وصديق حسن خان .
انظر (كتاب التوحيد لابن خزيمه (١/١١) والاقتصاد في الاعتقاد ، لعبد الغني المقدسي (ص ١٢٣) وشرح السنة (١/ ١٦٨) وقطف الثمر في عقيدة أهل الأثر (٦٥) . وقد بين ابن تيمية خطأهم في هذا ، انظر الفتاوى (٩/٢٩٣) .

(٢) انظرها في كتاب الأسماء والصفات للبيهقي (٢/٥٣) .

(٣) شرح ابن بطال لصحيح البخاري (٤/٣٤٤/ أ) .

(٤) يقول العيني : أحب بالنصب ، والمدح بالرفع فاعله وهو مثل " مسأله الكحل " . عمدة القاريء (٢٥/١٠٠) .

ويكون المبتدأ والخبر (في موضع نصب خبر ما ؛ إن جعلتها حجازية . وإن جعلتها تميمية ؛ فتكون)* في موضع رفع خبر المبتدأ وهو أحد.[١]

فصل

وقوله : ((وهو وضع عنده)) نقول : [هو] على مايشاء . وقيل : وضع ذلك على العرش.[٢]

وقيل : معنى عنده : أنّه عالم به.[٣] فمعنى الخبر أنّه كتبه ، وهو لايخفى عنه ولم يستعن بكتابه عليه لئلا ينساه.[٤]

و " عند "، بمعنى : قرب المكان على المسافة**. يقال : وضع الشيء من يده وضعاً

---

* مابين القوسين ساقطة من ((ب)) .

** في ((ب)) : المسافر .

---

(١) الحجازيون يلحقون (ما) النافية بـ (ليس) في العمل ، فيجعلون لها اسماً مرفوعاً ، وخبراً منصوباً إذا توفرت فيها أربعة شروط . أمَّا بنو تميم فلا يعملونها عمل ليس . انظر تفصيل هذه المسألة : شرح الكافية الشافية ، لابن مالك (١/٤٣٠-٤٣٥).

(٢) كلمة " وضع " في الحديث بمعنى : موضوع ، كما جاء ذلك في إحدى روايات مسلم لهذا الحديث (٢٧٥١) ، (١٠٦/١٧). أي أنَّ الله تعالى وضع الكتاب عنده فوق عرشه ، وذلك للإهتمام به ، وليس في فهم هذا إشكال يدعو إلى التوقف أو التأويل ، وانظر : فتح الباري (٣٩٧/١٣) وشرح كتاب التوحيد (٢٥٧/١).

(٣) قال ذلك الخطابي في كتابه أعلام الحديث (١٤٧٣/٢).ولاشك أنَّ هذا تأويل مردود ، فهل علم الله يختص بهذا الكتاب ، فهو الذي لا ينساه ولا يبدله ، أم أنَّ جميع الكون تحت علم الله سبحانه وتعالى لا ينساه ولا يبدله ، والحق أنّه كتاب حقيقة ، كتبه الله حقيقة ، وهو عند الله حقيقة ، فوق عرشه حقيقة . وانظر : شرح كتاب التوحيد (٣٩١/١).

(٤) انظر : الفتح (٣٩٧/١٣) حيث عزا الحافظ ابن حجر هذا القول إلى ابن التين .

إذا ألقاه .[١]

وقال عياض : " ضبطه القابسي وغيره – بفتح الواو وإسكان الضاد .

وعند أبي ذر : [وَضَعَ]* – بفتح الضاد والعين .

وقال الأصمعي[٢] : " الوضائع : [كتب] تكتب فيها الحكمة ".[٣]

وقال ابن بطال : ⟨⟨ " عند " في ظاهر اللغة تقتضي أنَّها للموضع[٤] ، [والله] ** تعالى يتعالى عن الحلول في المواضع ، لأنَّ ذلك من صفات الأجسام ، إذ الحال في موضع لا يكون بالحلول فيه بأولى منه بالحلول في غيره ، إلاَّ لأمر يخصه

---

* في « أ » و « ب » : فوضع . وهو خطأ ، والتصويب من مشارق الأنوار ، ونص عبارته : " وعند بعضهم عن أبي ذر : وضع بفتح الضاد والعين – فعل " .

** في « أ » : وأنّه ، والتصويب من « ب » وابن بطال .

---

(١) انظر : النهاية (٥/٢٩٧).

(٢) هو : عبدالملك بن قريب البصري ، اللغوي ، صدوق سني ، أثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل في السنة ولما سئل عنه ابن معين قال : لم يكن ممن يكذب ، وكان من أعلم الناس في فقه ، وقال المبرد: كان الأصمعي بحراً في اللغة . مات سنة (٢١٦) وقيل (٢١٥) وقد قارب التسعين .

انظر : السير (١٠/١٧٧) ، الجرح والتعديل (٥/٣٦٣) التقريب (٤٢٠٥).

(٣) مشارق الأنوار (٢/٢٩٠) وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/١٩٨).

(٤) انظر الصحاح (٢/٥١٣).

حلوله فيه ، والحلول فيه : عرض من الأعراض، يفني بمجيء حلول آخر ، يحل بـه في غيرذلك المكان .

والحلول محدث ، والحوادث لا تليق به تعالى ؛ لدلالتها على حدث من قـامت به ، فوجب صرف " عند " عن ظاهرها إلى مايليق به تعالى .

وهو أنَّه أراد عليه السلام إثبات علمه ، بإثابة من سبق علمه أنَّه عامل بطاعتـه ، وعقاب من سبق علمه أنَّه* عامل بمعصيته .[1]

و "عند " وإن كان وضعها في اللغة للمكـان ، فقـد يتوسـع فيهـا فتجعـل لغـير المكان كقوله عليه السلام : ((أنا عند ظن عبدي بي)) [2] . ولا مكان هناك .[3]

فصل

وقوله : ((إنَّ رحمتي تغلب غضبي)) ، قد سلف أنَّ رحمة الله تعالى إرادته لإثابـة المطيعين له . وغضبه : إرادته لعقاب العاصين له .[4]

---

* في ((ب)) ، وابن بطال : بأنَّه .

---

(١) إنَّما ترد مثل هذه الشبه على من لم يفرق بين صفات الخالق والمخلوق ، فما يتصوره في المخلوق يتصوره في الخالق ، ولا شك أنَّ للخالق صفاته اللائقة بـه وللمخلـوق صفاتـه اللائقة به ، فكما أنَّ ذاته لا تشبهها الذوات فكذلك صفاته لا تشبهها الصفات .

و انظر التعليق السابق هامش (٣) ص (٢٩٠) .

(٢) جزء مـن حديـث أبي هريـرة المتقـدم قريبـاً برقـم (٧٤٠٥) ص (٢٨٧) ، و الحديـث أخرجه مسلم أيضاً في كتـاب الذكـر والدعـاء والتوبـة والإسـتغفار ، بـاب الحـث على ذكرالله (١٧/٣) رقم (٢٦٧٥) .

(٣) انظر المعاني المتعددة لكلمة : عند ، كتاب الكليات للكفوي (ص ٦٣٣-٦٣٤) .

(٤) هذا من التأويل المردود ، الذي ينحو فيه المؤلف منحى الأشاعرة ، وتقدم الرد عليه ص (١٩٤) هامش (٢) من هذا الكتاب .

وإذا كان ذلك كذلك ، كان معنى قوله : ((إنَّ رحمتي تغلب غضبي)) : إنَّ إرادتي ثواب الطائعين لي هي : إرادتي أن لا أعذبهم ، وهو بمعنى قوله تعالى ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾(١) ، (فإرادته بهم اليسر هي إرادته أن لا يريد بهم العسر)(٢) * وكان ماأراد من ذلك بهم ، ولم يكن مالم يرده ،

فعبَّر عليه السلام عن هذا المعنى بقوله : ((إنَّ رحمتي تغلب غضبي " " [وتسبق غضبي] " (٣) وظاهر قوله يفيد أنَّ رحمته وغضبه معنيان أحدهما غالب للآخر وسابق له .

---

* مابين القوسين ساقط من ((ب)) ٠

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٨٥)٠

(٢) انظر لتفسير هذه الآية : تفسير الطبري (٢/١٦٢)٠

(٣) ورد هذا الحديث في صحيح البخاري بعدة ألفاظ :

- فرواية المغيرة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة جاءت بلفظ : ((إنَّ رحمتي غلبت غضبي)) الفتح (٦/٣٣١) برقم (٣١٩٤)٠

- أمَّا رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة فجاءت بلفظ : ((إنَّ رحمتي تغلب غضبي)) الفتح(١٣/٣٩٥) برقم (٧٤٠٤)٠

- ورواية شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، (١٣/٤١٥) برقم (٧٤٢٢)٠

- ورواية مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة (١٣/٤٤٩) برقم (٧٤٥٣)

- ورواية محمد بن اسماعيل عن معتمر عن أبيه عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة (١٣/٥٣٢)٠برقم (٧٥٥٤) ، جاءت الرويات الثلاث بلفظ ((إنَّ رحمتي سبقت غضبي)) ٠

- أمَّا رواية خليفة بن خياط عن معتمر عن أبيه عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة فقد جاءت على الشك ، ولفظها : ((غلبت أو قال : سبقت رحمتي غضبي)) الفتح (١٣/٥٣٢) برقم (٧٥٥٣)٠

وإذا ثبت أنَّ إرادته واحدة ، وصفة من صفات ذاته ، وأنَّ رحمته وغضبه ليسا بمعنى أكثر من إرادته التي هي متعلقة بكل مايصح كونه مراداً ، وجب صرف كلامه عن ظاهره ، لأنَّ إجراء الكلام على ظاهره يقتضي حِدَثَ إرادته ، [أو]* كانت له إرادات كثيرة متغايرة ›› (١) (٢)

فصل

وقوله : « أنا عند ظن عبدي بي » يقول : إن كان فيه شيء من الرجاء حققت رجاءه ، لأنَّه لا يرجو إلاَّ مؤمن بأنَّ** له رباً يجازي .

وقوله : « في ملأ خير منهم » يعني : الملائكة المقربين . وفيه دليل على فضل الملائكة ،ويحتمل أن يكون على عمومه ، وتكون الملائكة خير الخلق ، (ولا أقول به)***

* في « أ » و « ب » : ولو . ولايستقيم بها المعنى . والمثبت من شرح ابن بطال .

** في « ب » : لأن .

*** مابين القوسين ساقط من « ب »

(١) تأويل الرحمة والغضب بالإرادة ، سبق الرد عليه ، وأما الشُّبه التي أوردها المؤلف هنا : وقوله : بأنَّ ظاهر الكلام يفيد أنَّهما معنيان أحدهما غالب للآخر وسابق له ، نقول يزول هذا الإشكال عندما نجعل الرحمة والغضب صفتان فعليتين لله ، كما هو مذهب السلف ، فيكون معنى غلبة الرحمة للغضب ، أنَّ الرحمة أوسع وأشمل ، كما قال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [الأعراف ١٥٦] أمَّا الإشكالان الثاني والثالث فهما متصوران في حالة تأويل الرحمة والغضب بالإرادة ، وهذا ما لايقول به السلف . والله أعلم .

(٢) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٤٤/ أ) .

ويحتمل أن يكون : يخبر الشارع بذلك أمته ، فيريد أنَّ الملائكة خير ممن بعد الأنبياء .[1]

وقد اختلف في الأنبياء والملائكة أيهم أفضل ؟[2]

---

(١) بأي دليل يحصل الإستثناء ، والحديث عام شامل ، والأنبياء هم أهل الذكر ومجالسهم مجالس الرحمة . وانظر مجموع الفتاوى (٣٩١/٤) .

(٢) مسألة التفضيل بين الأنبياء والملائكة من المسائل التي تكلم الناس فيها من عهد الصحابة ، وإن كان لا ينبني عليها أثر يذكر ، وملخص أقوال أهل العلم فيها مايلي :-

- أهل السنة والجماعة على تفضيل الأنبياء على الملائكة . يقول ابن تيمية : " السلف الأولون كانوا يتناقلون بينهم : أنَّ صالحي البشر أفضل من الملائكة من غير نكير منهم لذلك ، ولم يخالف أحد منهم في ذلك ، إنَّما ظهر الخلاف بعد تشتت الأهواء بأهلها ، وتفرق الأراء فقد كان ذلك كالمستقر عندهم " ا.هـ مجموع الفتاوى (٣٦٩/٤) فإذا كان هذا في صالحي البشر فكيف بالأنبياء

- وذهب المعتزلة - تبعاً للفلاسفة - إلى تفضيل الملائكة على الأنبياء ، وانتصر لهذا القول ابن حزم أيضاً .

- أمَّا الأشعرية : فمنهم من ذهب إلى قول السلف ، وإلى هذا ذهب ابن حجر . ومنهم من توقف في المسألة ، ولم يقطع بشيء . وروي هذا أيضاً عن أبي حنيفة وإليه مال شارح الطحاوية (ابن ابي العز) . ومنهم من مال إلى مذهب المعتزلة ، كما نقله البيهقي عن شيخه الحليمي . ولكل منهم أدلة ليس هذا موضع بسطها .

انظر بسط المسألة وأدلة كل قول : الدرة فيما يجب اعتقاده (ص ٢٢٢) ، شعب الأيمان للبيهقي (١٨٢/١) مجموع الفتاوى (٣٥٠/٤-٣٩٢) شرح العقيدة الطحاوية (٤١٠/٢-٤٢٢) فتح الباري (٣٩٨/١٣-٤٠٠) شرح جوهرة التوحيد(١٣٠-١٣٢) .

قال ابن فورك[1] : " ومن ذهب إلى تفضيل الأنبياء والأولياء// من الآدميين [ب/١٨٤ب] [على الملائكة] قال : معنى* قوله ((خير منه)) يرجع إلى الذكر ، كأنّه قال بذكر خير** من ذكره ، لأجل أنَّ ذكر العبد لله دعاء وتضرع ، وذكر الله له : إظهار لرحمته وكرامته[2] ، وذلك خير للعبد وأنفع " [3] .

وهذا يرد عليه هذا الخبر ، لأنَّ فيه ((ملأ خير منهم))[4]

وقيل : العلماء أفضل من الملائكة .

وقال ابن بطال : ((هذا الحديث نص من الشارع على أنَّ الملائكة أفضل من بني آدم[5] ثم قال : وهو مذهب جمهور أهل العلم ، وعلى ذلك شواهد من كتاب

---

* في ((ب)) : يعني وهو خطأ .

** في ((ب)) : يذكر بخير .

---

(١) هو شيخ المتكلمين ، أبو بكر ، محمد بن الحسن بن فورك – بالفاء المضمومه والواو الساكنة والراء المفتوحه الأصبهاني . حدث عنه : أبو بكر البيهقي ، والقشيري وآخرون ، صنف تصانيف جمة في علم الكلام منها : بيان مشكل الحديث . وكتاب الحدود في الأصول . وشرح غريب الحديث . كان شديد الرد على ابن كرام . قال الذهبي : " كان أشعرياً ، رأساً في فن الكلام " مات مسموماً سنة (٤٠٦) .

انظر : السير (٢١٤/١٧) الوافي بالوفيات (٣٤٤/٢) تاريخ بروكلمان (٢١٨/٣) .

(٢) هذا تأويل باطل ، بل هو ذكر حقيقي على مايليق بجلال الله سبحانه .

(٣) مشكل الحديث وبيانه ، (ص ٣٢١-٣٢٢).

(٤) ويقول ابن تيمية معقباً على القول السابق : " وهذا ليس بشيء ، فإنَّ الخبر(كذا ولعله الخير) مجرور وصفة للملأ وقد وصل بقوله : منهم ، ولم يقل : منه ، ولولا ذلك المعنى لقيل : ذكرته في ملأ خيراً منه – بالنصب – وصلة الضمير الذكر . وهذا من أوضح الكلام لمن له فقه بالعربية " أ.هـ. مجموع الفتاوى (٣٩٠/٤) .

(٥) هذا الحديث الصحيح هو أجود مااحتج به أصحاب هذا القول،وقد أجاب عنه ابن تيمية بخمسة أجوبه ، وعقبها بقوله : " فليتدبر هذا فإنّه جواب معتمد إن شاء الله "انظر : مجموع الفتاوى (٣٩١/٤-٣٩٢).

الله تعالى : منها قوله تعالى ﴿ مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلاَّ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾[١] . ولا شكَّ أنَّ الخلود أفضل من الفناء ، [فكذلك]* الملائكة أفضل من بني آدم ، وإلا فلا يصح معنى الكلام".[٢]

قلت : ولا أوافقه على أنَّ هذا مذهب الجمهور[٣] ، بل الجمهور على تفضيل البشر[٤] . وهذه نزعة اعتزالية[٥] ، فأشرف المخلوقات // بنو آدم الذين جعل الله خيرته منهم ، فلوكان غيرهم أشرف لصيَّره منهم .

أ / ٨٣٣

* في « أ » : وأنَّ . والتصويب من « ب » ، وابن بطال .

---

(١) الأعراف ، الآية (٢٠) .

(٢) شرح ابن بطال لصحيح البخاري (٤/٣٤٤/ ب) وقد أجاب ابن تيمية عن هذا الإستدلال بثلاثة أجوبة ، انظرها في : مجموع الفتاوى (٤/٣٨٥) .

(٣) وبنحو هذا قال ابن حجر . انظر : الفتح (١٣/٣٩٨) ، وقال العيني : " ماوافقه أحد على أنَّ هذا مذهب الجمهور ، بل الجمهور على تفضيل البشر ، وفيه الخلاف المشهور بين أهل السنة والمعتزلة " عمدة القاري (٢٥/١٠١) .

(٤) المقصود بالبشر هنا هم الصالحون منهم ، أمَّا الكفار والمنافقون والجاهلون والفجار ، فهم أضل من البهائم ﴿ إن هم إلاَّكالأنعام بل هم أضل ﴾ فكيف يفاضل بينهم وبين الملائكة
وتحقيق القول في هذه المسألة أنَّ صالح بني آدم أفضل من الملائكة باعتبار كمال النهاية ، وتفضيل الملائكة باعتبار البداية ، فإنَّ الملائكة الآن في الرفيق الأعلى ، منزهون عما يلابسه بنوا آدم ، مستغرقون في عبادة الرب ، ولا ريب : أنَّ هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة ، فتصير حال صالح البشر أكمل من حال الملائكة .

انظر مجموع الفتاوى (٤/٣٧٢) (١٠/٢٩٩-٣٠٠) ، وانظر عمدة القاري (٢٥/١٠١)

(٥) أي أنَّ قول ابن بطال هنا موافق لقول المعتزلة ، حيث يذهبون إلى تفضيل الملائكة على صالحي البشر .

فصل

((ووصفه تعالى لنفسه ، بأنّه يتقرب إلى عبده ، ووصف العبد بالتقرب إليه ، ووصفه بإتيانه هرولة ، فإنَّ التقرب والإتيان وإن كان يحتمل الحقيقة والمجاز[1] ،

---

(١) تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ، اصطلاح محدث حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة ، لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا أحد من الأئمه المشهورين بالعلم كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي ، بل ولا تكلم به أئمة الفقه والنحو ، كالخليل ، وسيبويه ، والأصمعي ، ولا يعرف لدى المصنفين الأوائل في أصول الفقه . وإنّما كان منشؤه من جهة المعتزلة والجهمية ، ومن سلك طريقهم من المتكلمين ؛ ليكون سلماً لنفي كثير من صفات الله تعالى ، بإدعاء أنّها مجاز ، وهذا من أعظم وسائل التعطيل . والقائلون بالمجاز يفرقون بينه وبين الحقيقه : بأنَّ الحقيقة هي : اللفظ المستعمل فيما وضع له . والمجاز هو : اللفظ المستعمل في غير ماوضع له مع قرينه مانعة من إرادة المعنى الأصلي .

وللعلماء أربعة أقوال في إثبات المجاز أو منعه :

أ – من لم يتكلم في هذه المسألة وهم جمهور علماء الأمة من الصحابة فمن بعدهم .

ب – من يقول بوقوع المجاز في اللغة و القرآن وهو قول الجمهور .

ج – من يقول بوقوع المجاز في اللغة دون القرآن . وهو قول ابن خويز منداد . من المالكية، وابن القاص من الشافعية، وهو قول الظاهرية، واختيار ابن حامد من الحنابلة.

د – ومنهم من يقول : لا مجاز في اللغة ولا في القرآن . وبه قال أبو اسحاق الأسفرائيني ، وأبو علي الفارسي ، وابن تيمية ، وابن القيم حيث أبطله من خمسين وجهاً ونصره من المتأخرين محمد الأمين الشنقيطي في رسالة خاصة . وكل ما يسميه القائلون بالمجاز مجازاً فهو عند هؤلاء أسلوب من أساليب اللغة العربية المتنوعة .

انظر لتفصيل هذه المسألة : " الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز في الصفات " ضمن مجموع الفتاوى (٦/٣٥١-٣٧٤) والإيمان ، لابن تيمية (ص ٨٣-٨٩) . بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ، لشمس الدين الأصفهاني (١/٢٣٠-٢٣١) مختصر الصواعق (٢/١-٧٥) منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز للشنقيطي .

وحملها على الحقيقة ، يقتضي قطع المسافات وترائي الأجسام ، وذلك لا يليق به تعالى ، فاستحال حملها عليه ، فتعين المجاز لشهرة ذلك في كلام العرب .

فوجب أن يكون وصف العبد بالتقرب إليه شبراً أو ذراعاً ، وإتيانه ومشيه هرولة ، معناه التقرب إليه بطاعته وأداء مفروضاته* .

ويكون تقربه تعالى من عبده وإتيانه كذلك ، عبارة عن إثابته** على طاعته [وتقريبه] من رحمته[1] . ويكون معنى قوله : « أتيته هرولة » أي أتاه ثوابي مسرعاً[2] .

قال الطبري : " وإنّما مثل القليل من الطاعة [بالشبر]***منه ، والضعف من الكرامة والثواب بالذراع ، فجعل ذلك دليلاً على مبلغ كرامته لمن أكرم على

* في « ب » وابن بطال : مفترضاته .

** في « ب » : إتيانه .

*** في « أ » : والشبر . وعند ابن بطال : بالشبر من الدنو منه .

(١) الواجب في صفات الله تعالى إثباتها على الوجه اللائق بها ، وعدم تحريف معناها ، الذي يسمونه تأويلاً ، وانظر هامش (١) ص (٢٤٩) من هذا الكتاب .

(٢) تفسير المؤلف للهرولة تأويل مردود ، بل الهرولة صفة من صفات الله الفعلية ، تؤمن بها من غير تكييف ولاتمثيل ؛ لأنّه أخبر بها عن نفسه وهو أعلم بنفسه . والهرولة في لغة العرب هي : المشي السريع .وليس المراد بالإتيان وامشي والهرولة في الحديث المعنى الحسي ، لافي حق العبد ولافي حق الخالق ، بدلالة سياق الحديث . انظر : غريب الحديث ، للحربي (٦٨٤/٢). فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية (٣ / ١٤٢)(رقم ٦٩٣٢) والجواب المختار لهداية المحتار ، لابن عثيمين (صـ ٢٤).

طاعته ؛ أنَّ[ثواب]* عمله له على عمله [الضعف]** ، وأنَّ إكرامه مجاوز حدَّه إلى ما بيَّنه تعالى" .

فإن قلت فما معنى قوله : ((إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي)) قيل : معناه : إذا ذكرني بقلبه مخفياً ذلك عن خلقي ، ذكرته برحمتي وثوابي[١] مخفياً ذلك عن خلقي ، حتى لا يطلع عليه أحد منهم ، وإذا ذكرني في ملأ من عبادي ذكرته في ملأ من خلقي أكثر منهم وأطيب .

وقد اختلف السلف : أيهما أفضل الذكربالقلب أو باللسان ؟!

فروي عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت : لأن أذكر الله في نفسي أحب إليّ من أن أذكره بلساني سبعين مرة [٢] .

وروى عن أبي عبيده[٣] بن عبدالله بن مسعود قال : " مادام قلب الرجل

---

* في ((أ)) : يقول . وهو خطأ ، والتصويب من ((ب)) وشرح ابن بطال .

** في ((أ)) : الضعيف .

---

(١) بل هوذكرحقيقي، على ما يليق بجلال الله، أمَّا تأويل ذلك بالرحمة والثواب فهو يفتقرإلىدليل.

(٢) لم أقف على هذا الأثر بنصِّه ، وقد ورد نحو منه مرفوعاً ، فعن عائشة رضي الله عنهما ، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((الذكر الذي لايسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي يسمعه الحفظة سبعين ضعفاً)) . رواه ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (ص ١٩٩) برقم (١٦٩) ، والبيهقي في الشعب (٤٠٧/١) برقم (٥٥٥ و ٥٥٦) وقال : " تفرد به معاوية بن يحيى الصدفي ، وهو ضعيف " . وكذا قال الهيثمي في المجمع (٨٦/١٠) (١٦٧٩٦) ، وعزاه لأبي يعلى . ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠ ٣٧٦) برقم (٩٧١٣) ، موقوفاً على عائشة .

(٣) هو أبو عبيدة بن عبدالله بن مسعود الهذلي ، الكوفي . أخو عبدالرحمن ، يقال : اسمه عامر ، ولكن لا يرد إلاَّ بالكنية . قال أحمد : كانوا يفضلونه على عبدالرحمن . وقال الترمذي : لا يعرف اسمه ولم يسمع من أبيه شيئاً . قال الذهبي : وثقوه . ذكره ابن حبان في الثقات . مات سنة (٨١) . انظر ترجمته في : الحلية (٢٠٤/٤) السير (٣٦٣/٤) التهذيب (٧٥/٥).

يذكر الله فهو في صلاة وإن كان في السوق ، وإن تحرك بذلك اللسان والشفتان فهو[أعظم] "* (١)

قال الطبري : " والصواب [عندي] أنّ إخفاء الذكر أفضل من ظهوره** لمن لم يكن إماماً يقتدى به ، وإن*** كان في محفل اجتمع أهله لغير ذكر الله ، أو في سوق . وذلك أنّه أسلم له من الرياء ، روينا من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه قال : ((خير الرزق ما يكفي ، وخير الذكر الخفي))(٢) .

ولمن كان بالخلوة أن يذكر الله بقلبه ولسانه لأنّ شغل جارحتين بما يرضي الله ، أفضل من شغل جارحة [واحدة] ، وكذلك شغل ثلاث جوارح أفضل من شغل جارحتين ، وكل مازاد فهو أفضل ››.(٣)

---

* في ((أ)) و ((ب)) : أعلم . والتصويب من ابن بطال وحلية الأولياء .

** في ((ب)) وابن بطال : إخفاء النوافل أفضل من ظهورها .

*** في ((ب)) وشرح ابن بطال : إن .

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/٢٠٤).

(٢) رواه أحمد (١/١٧٢ ، ١٨٠ ، ١٨٧) وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/٣٧٥) والطبراني في كتاب الدعاء (٣/١٦٤٠) رقم (١٨٨٣) وابن شاهين في الترغيب (١/٢٠٠) رقم (١٧١) وابن حبان (٢/١٠٤٧موارد) والبيهقي في الشعب (١/٤٠٧) رقم (٥٥٢ ، ٥٥٤) والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٦٠) بصيغة الجزم قال الهيثمي " رواه أحمد وأبو يعلى ، وفيه محمد بن عبدالرحمن بن لبيبة ، وقد وثقه ابن حبان ، وقال : روى عن سعد بن أبي وقاص ، قلت : وضعفه ابن معين وبقية رجالهما رجال الصحيح " المجمع (١٠/٨٦) رقم (١٦٧٩٦) وقال محقق كتاب الدعاء للطبراني : اسناده حسن لغيره ، فيه يحيى الحماني ، وقد توبع . ومحمد بن عبدالرحمن ابن لبيبة صرّح بالسماع . الدعاء (٣/١٦٤٠) . والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (ص٤٢٤) رقم (٢٨٨٧).

(٣) مابين القوسين أخذه الشارح من شرح ابن بطال مع تصرف يسير(٤/٣٤٤/ ب-٤/٣٤٥/ أ)

١٦ - بـــاب

قول الله تعالى :﴿ كل شيء هالك إلاّوجهه﴾[1]

ذكر فيه :

[٧٤٠٦] حديث جابر بن عبدالله ﷺ قال : لّما نزلت هذه الآية : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾[2]. قال النبي ﷺ : « أعوذ بوجهك ... الحديث » // و قد سلف . [أطرافه : ٤٦٢٨ ، ٧٣١٣].

ب/٢٨٥أ

قال سفيان[3] في قوله : ﴿ إلاّ وجهه ﴾ : " قال أبو عبيدة :إلاّ جاهة ، واحتج بقوله لفلان [وجه في الناس أي : جاه] " *[4]

* في « أ » و « ب » : لفلان جاه في الناس أي : وجه . وهو خطأ ، والتصويب من معاني القرآن للنحاس ، وتفسير القرطبي وغيرهما .

غرض البخاري ـ فيما يظهر ـ من هذا إثبات صفة الوجه لله تعالى ، وهو من الصفات الذاتية الثابته بالكتاب والسنة .

(١) القصص ، الآية (٨٨) .

(٢) الأنعام ، الآية (٦٥).

(٣) هو الثوري ، سفيان بن سعيد بن مسروق ، أبو عبدالله الكوفي . روى عن أبيه وأبي إسحاق الشيباني ، وعنه جعفر بن برقان – وهو من شيوخه – والأوزاعي – وهو من أقرانه – قال شعبة وابن عيينة وابن معين : " سفيان أمير المؤمنين في الحديث " ، وقال النسائي : " هو أجلُّ من أن يقال فيه ثقة " . مات سنة (١٦١) وله (٦٤) سنة . انظر تهذيب الكمال (٥١٢/١) تهذيب التهذيب(١١١/٤).

(٤) انظر : معاني القرآن للنحاس (٢٠٧/٥) وتفسير القرطبي (٢١٣/١٣) وهو لاشك قول غريب . وهذا القول حكاه الثوري عن أبي عبيدة ، ولا يعني أنّه يقول به ، بل المشهور عنه أنّه قال : ﴿ إلاّ وجهه ﴾ أي إلاّ ماأريد به وجهه . وقد حكاه البخاري في صحيحه (٣٦٤/٨) كالمقرر له ، انظر قول سفيان في معاني القرآن للنحاس (٢٠٧/٥) .

وقيل : إلاَّ إياه كقولك أكرم الله وجهه ، وفلان وجه القوم .[١]

((واستدلاله من هذه الآيه والحديث على أنَّ لله وجهاً هو صفة ذاته ، لا يقال هو هو ، ولا هو غيره[٢] ، بخلاف قول المعتزلة [٣] .

ومحال أن يقال هو جارحة [٤] ، كالذي نعلمه من الوجوه ، كما لا يقال هو تعالى فاعل وحيّ وعالم ، كالفاعلين والأحياء والعلماء الذين نشاهدهم .

وإذا استحال قياسه تعالى على [المشاهدين]* ، والحكم له بحكمهم مع مشاركتهم [له]** في التسمية ، كذلك يستحيل الحكم لوجهه تعالى الذي هو صفة

* في ((أ)) : الشاهد وفي ((ب)) : الشاهدين . والتصويب من شرح ابن بطال .

** في ((أ)) : لهم . والمثبت من ((ب)) وشرح ابن بطال .

(١) انظر معاني القرآن ، للنحاس (٥/٢٠٧) وخلاصة الكلام أنَّ هذه الآية هي كقوله تعالى : ﴿ كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ فعبر الله بالوجه عن الذات الموصوفة بالوجه ، وقال مجاهد والثوري : إلاَّ ما أريد به وجهه ، وذهب ابن كثير إلى أنّه لاتنافي بين القولين ، فالقول الأول مقتضاه أنَّ كل الذوات فانية وزائلة إلاَّ ذاته تعالى فإنّه الآخر الذي ليس بعده شيء ، والقول الثاني إخبار عن كل الأعمال بأنّها باطله إلاَّ ما أريد به وجه الله من الأعمال الصالحه المطابقة للشريعة . والقول الأول – لاشك – أنّه أظهر وأقوى .

انظر : تفسير الطبري (١٤/١١٩) تفسير ابن كثير (٣/٤٠٣).

(٢) انظر : حاشية (١) صـ (٢٨٤) من هذا الكتاب .

(٣) المعتزلة ويوافقهم بعض الأشاعرة ، يؤولون الوجه في الآيات بالذات والنفس ، ولاشك أنَّ قولهم هذا مخالف للغة العرب ولظواهر نصوص الكتاب والسنة . انظر الرد على هذه المقولة كتاب مختصر الصواعق المرسلة ص (٣٣٦ –٣٤٤) . انظر شرح الأصول الخمسة ص (٢٢٧) وأصول الدين لأبي منصورالتميمي ص (١٠٩–١١٠).

(٤) انظر ماتقدم (ص ٢٢٧) هامش (٢) من هذا الكتاب .

ذاته بحكم الوجوه التي نشاهدها ، وإنَّما لم يجز أن يقال إنَّ وجهه جارحة لاستحالة وصفه تعالى بالجوارح لما فيها من أثر الصنعة [(١)] .

ولم نقل في وجهه إنَّه هو لاستحالة كونه تعالى وجهاً، وقد أجمعت الأمة على أنَّه لا يقال : ياوجه اغفرلي .

ولم يجز أن يكون وجهه غيره لاستحالة مفارقته له بزمان أو مكان ، أو عدم أو وجود ، فثبت أنَّ له وجهاً لا كالوجوه لأنَّه ليس كمثله شيء)) .[(٢)]

---

(١) يكفي عن هذا الكلام قوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [الشورى الآية (١١)]

(٢) ما بين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٤٥/أ) .

١٧ - بـــاب

قول الله تعالى: ﴿ ولتصنع على عيني﴾[١] – تُغَذَّى .
وقوله جل ذكره : ﴿ تجري بأعيننا﴾ .[٢]

ذكر فيه :

[٧٤٠٧] حديث نافع عن عبدالله ﷺ قال: ذكر الدجال عند رسول الله ﷺ فقال : « إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله* ليس بأعور ... الحديث » .

[أطرافه في : ٣٠٥٧ ، ٣٣٣٧ ، ٣٤٣٩ ، ٤٤٠٢ ، ٦١٧٥ ، ٧١٢٣ ، ٧١٢٧]

[٧٤٠٨] وحديث أنس ﷺ فيه أيضاً « إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور »

[الحديث طرفه في ٧١٣١]

الشرح

ماذكره في تفسير : ﴿ ولتصنع على عيني ﴾** هو قول قتاده[٣] .

---

* في « ب » : بأنّه ليس .

** في « ب » : تصنع ، ولم يذكر الآية .

غرض البخاري ـ فيما يظهر ـ من هذا الباب اثبات صفة العينين لله تعالى ، وهي من الصفات الذاتية الثابتة له في نصوص كثيرة ، بعضها بالإفراد وبعضها بالجمع وبعضها يدل على التثنية ولاخلاف بينها كما سيأتي بيانه قريباً .

(١) سورة طه ، الآية (٣٩) .

(٢) سورة القمر ، الآية (١٤) .

(٣) روى هذا الأثر عبدالرزاق في تفسيره (١٧/٢) والطبري (٤١٣/٨) وجعله هو الأولى والأرجح . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٢٩/٤) إلى ابن أبي حاتم .

وهو معروف في اللغة ، يقال : صَنَعْتُ الفرس وصنَّعْتُهُ إذا أحسنت القيام عليه .[1]

((واستدلاله من هذه الآية والحديث على أنَّ لله تعالى صفة سماها عينا [2] ، ليست هو ولا غيره ، وليست كالجوارح ،

---

(١) انظر:الصحاح للجوهري(١٢٤٥/٣)واللسان(٢١٠/٨)وانظر تفسيرالقرطبي(١٣٢/١١).

(٢) مذهب السلف أنَّ لله ـ تعالى ـ عينين حقيقيتين على مايليق بجلال الله ، وقد وردت صفة العينين في كتاب الله مضافة إلى الله تعالى على وجهين الإفراد والجمع قال تعالى : ﴿ ولتصنع على عيني﴾ وقال : ﴿ تجري بأعيننا ﴾ وجاء في السنة مايدل علىالتثنية كحديث الباب فهو يدل على إثبات عينين لله ـ تعالى ـ لنفيه العور عن الله وهو فقد إحدى العينين أو ذهاب نورها فدل على أنَّ الله بصير ذو عينين خلافاً للأعور . ويزيد ذلك وضوحاً إشارته ﷺ إلى عينه لتحقيق الوصف . وأما الحديث الذي جاء التصريح فيه بالتثنية وهو حديث أبي هريرة قال قال رسول اللهﷺ : ((إنَّ العبد إذا قام في الصلاة فإنَّه بين عيني الرحمن ... الحديث)) فإنه لايصح فقد رواه العقيلي في الضعفاء الكبير (٧٠/١)، ورواه بدون ذكر العينين ، البزار (٢٦٨/١ كشف الأستار) وأورده الهيثمي في المجمع (٢٣٢/٢) والمنذري في الترغيب (٣٧٠/١) والألباني في السلسه الضعيفة (٩٣/٣) وكلهم ضعفوه لأنَّ في إسناده ابراهيم بن يزيد الخوزي وهو ضعيف لا يحتج بحديثه .

والجمع بين هذه الوجوه الثلاثة أن يقال :

إنَّ الإفراد لا ينافي التثنيه ولا الجمع ، لأنَّ المفرد المضاف يعم فيتناول كل ماثبت لله من عين واحدة كانت أو أكثر ، وأمَّا الجمع بين ماجاء بلفظ التثنيه والجمع : فإن قلنا أقل الجمع اثنان فلا منافاة أصلاً بين صيغتي التثنيه والجمع لاتحاد مدلوليهما ، وإن قلنا أقل الجمع ثلاثة – وهو المشهور – فالجمع بينهما أن يقال : إنَّه لا يراد من صيغة الجمع مدلولها ، وإنَّما أريد بها التعظيم والمناسبة بين المضاف والمضاف إليه الذي هو (نا) . والله اعلم . انظر المتواري على أبواب البخاري ، لابن المنير (ص٤٢٦) الصواعق المرسلة (٢٥٤/١-٢٦٢) وفتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين (رسائل في العقيدة ص ٨٥) وشرح كتاب التوحيد للغنيمان (٢٧٦/١-٢٨٢).

المعقولة بيننا[١] ، لقيام الدليل على استحالة وصفه بأنّه ذو جوارح وأعضاء – تعـالى* عن ذلك – ، خلافـاً لما تقولـه المجسـمة مـن أنّـه** تعـالى جسـم ، لا كالأجسـام[٢] ، واستدلوا على ذلك بهذه، كما استدلوا بالآيـات المتضمنـة لمعنى الوجـه ، واليديـن ، ووصفه لنفسه بالإتيان والمجـيء والهرولـة في حديـث الرسـول ، وذلـك كلـه بـاطل[٣] وكفر من متأوله ، لقيام الدليل على تساوي الأجسام في دلائل الحـدث [القائمـة]*** بها ، واستحالة كونه من جنس المحدثات ، إذ المحدث إنما كـان محدثـاً مـن حيـث **** هو متعلق بمحدث أحدثه وجعله بالوجود***** أولى منه بالعدم ٠

* في ((ب)) وابن بطال : يتعالى ٠

** في ((ب)) : الله

*** في ((أ)) : القائم ٠

**** جاء في نسخة ((أ)) زيادة كلمـة : يتعلـق ٠ وهـي زائـدة لإخلالها بسـياق الكـلام ولعـدم ورودهـا في ((ب)) ، وشرح ابن بطال

***** في ((ب)) : للوجود ٠

(١) هذا التقييد ـ وإن كان صحيح المعنى ـ بدعة من القول سببه أنَّ المتكلمـين يزعمـون أنَّ من أثبت مادل عليه ظاهر النصـوص فإنّمـا يثبـت لله جـوارح تشبه جـوارح الخلـق ، تعـالى الله وتقدس عن ظنهم السيء حيث ظنوا أنَّ ظاهر ماوصف الله به نفسه أو وصفه به رسـوله يقتضـي التشبيه ، ثم جاء قوم تأثروا بهذا الفكر لكنهم لا يجترؤن على رد النصوص ، ومنهـم المشـتغلون بالحديث إذا جاء نص فيه إثبات صفة لله بادروا بنفي الجارحة فيقولون : لا من حيث الجارحـة ، أوليست كالجوارح ونحوها من العبارات التي لا مستند لها من كتـاب الله ولا سـنة رسـوله ﷺ ، وانظر : نقض عثمان بن سعيد على بشـر المريسـي ص(٥٤٥-٥٤٦) ضمـن عقـائد السـلف ، وشرح كتاب التوحيد للغنيمان (٢٨٣/١)٠ وانظر ماتقدم (ص٢٢٧/أ) هامش (٢) .

(٢) انظر مقالات الإسلاميين (ص٣٤) والملل والنحل (١٢١/١)٠

(٣) انظر هامش (٣) ص (١٧٤) من هذا الكتاب ٠

[أ/ ٨٣٤] فإن قالوا : الدليل على صحة ما تذهب إليه من أنَّه // تعالى جسم * [قولـه] : ((إن الله ليس بأعور)) ، وإشـارته إلى عينـه[بيـده] وأنَّ المسيح الدجال أعـور عين اليمنى[١] **، ففي إشارته إلى عينه بيده ، تنبيه منه على أنَّ عينه كسائر الأعين.

قلنا لهم : قد تقدم في دليلنا ، استحالة كونه جسماً ؛ لاستحالة كونه محدثاً ، وإذا صح ذلك ، وجب صرف قوله ، وإشارته بيده ، إلى معنى يليق به ، وهو نفي النقص والعور عنه تعالى ، وأنَّه ليس كمن لايرى ولا يبصر ، بل هو منتف عنه جميع النقائص ، والآفات التي هي أضداد البصر والسمع وسائر صفات ذاته ، التي يستحيل وصفه بأضدادها ، إذ الموصوف بها تارة وأضدادها أخرى ؛ محدث مربوب ؛ لدلالة قيام الحوادث به على حدثه .

فصل

قد أسلفنا أنَّ قوله : ((طافية)) يروى : بغير همز ، أي بارزة ظاهرة ، ـ وكذا الرواية هنا ـ ، وبهمز . أي : غائرة مفقوءة ، أي ذهب ماؤها .[٢]

وقوله : ((مكتوب بين عينيه كافر)) ، [قيل]*** : يعني أنَّـه سمي بذلك[٣] ، وكتب بين عينيه : العوراء والصحيحة .

* في ((ب)) : جنس ، وهو خطأ .
** في ((ب)) : اليمين .
*** في ((أ)) : وقيل .

(١) إشارة إلى حديثي الباب .

(٢) انظر مشارق الأنوار (٣٢٦/١).

(٣) يقول النووي رحمه الله : " الصحيح الذي عليه المحققون أنَّ هذه الكتابة على ظاهرها وأنَّها كتابة حقيقية جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله ، ويظهرها الله لكل مسلم كاتب وغير كاتب . شرح مسلم (٨٢/١٨).

١٨- بـــاب
قول الله عزوجل:﴿ هو[الله]* الخالق البارئ المصور ﴾[(١)] //

ب/٢٨٥ب

ذكر فيه :

[٧٤٠٩] حديث ابن محيريز عن أبي سعيد الخدري ﷺ في غزوة بني المصطلق ، أنَّهم أصابوا سبايا ... الحديث . وقد سلف في بابه .

[أطرافه في : ٢٢٢٩ ، ٢٥٤٢ ، ٤١٣٨ ، ٥٢١٠ ، ٦٦٠٣]

وقال مجاهد عن قزعة[(٢)] سألت أبا سعيد فقال : قال النبيﷺ : ((ليس نفس مخلوقة إلاَّ الله خالقها)) .

* جاء في هامش ((أ)) عبارة : في نسخة صحيحة باب هو الله الخالق البارئ المصور .

مراد البخاري بهذا الباب ـ فيما يظهر ـ بيان أنَّ الله ـ تعالى ـ متصف بأنَّه الخالق ، البارئ ، المصور في الأزل والأبد ، فهو الخالق قبل وجود المخلوق ، وهو الباري قبل وجود المبري ، وهو المصور قبل وجود المصور ، فهو تعالى لم يزل بصفاته ولايزال ، كما يريد أيضاً بيان أنَّ الخلق الذي هو وصفه تعالى غير المخلوق ، خلافاً لأهل البدع الذين يشير بهذا إلى الرد عليهم . شرح كتاب التوحيد للغنيمان (١/ ٢٨٦).

(١) الحشر ، الآية (٢٤).

(٢) هو قزعة بن يحيى ، ويقال : ابن الأسود ، أبوالغادية البصري روى عن أبي سعيد الخدري وجماعة ، وعنه مجاهد وغيره ، قال العجلي : بصري تابعي ثقة . وقال ابن خراش : صدوق . وذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن حجر : " ثقة " .

انظر ترجمته في : الكاشف (٢/٣٤٤) التهذيب (٨/٣٧٧) التقريب (٥٥٤٧).

الشرح

ابن محيريز اسمه عبدالله وكنيته أبو محيريز بن محيريز بن جنادة بن وهب بن لوذان ابن سعد بن جمح القرشي ، الجمحي* [المكي] [١] [ربَّاه أبو محذوره[٢] أوس بن مِعْيَر بن لوذان بن سعد بن جمح] ، أحد المؤذنين كان بمكة . وقُتِلَ أخوه أُنيس بن مِعْيَر كافراً ببدر[٣] .

قال رجاء بن حَيْوَه**[٤] : " إن يفخر علينا أهل المدينة بعابدهم*** ابن عمر ﵁ ، فإنَّا نفخر بعابدنا

* في هامش ((أ)) : سقط من هنا شيء ، ولعله : رباه أبو محذوره ، وقتل أخيه أي أخو أبي محذورة ، والله أعلم

** في ((ب)) : صورة .

*** في ((ب)) : بعابديهم . وهو خطأ .

(١) انظر ترجمته في : الإستيعاب (١٢/٧) رقم (١٦٥٢) حلية الأولياء (١٣٨/٥) السير (٤٩٤/٤) البداية والنهاية (١٨٥/٩) ، الإصابة (٣١٤/٧) .

(٢) ترجمته في : الإستيعاب (١٣٢/١٢) طبقات ابن سعد (٤٥٠/٥) ، السير (١١٧/٣) ، الإصابة (١٢/١٢(التقريب (٨٣٤١) .

(٣) قتله علي بن أبي طالب وقيل: بل قتله الحصين بن الحارث وعثمان بن مظعون . انظر : السيرة النبوية ، لابن هشام (٣٥٢/٢) والمؤرخون مختلفون في اسم أبي محذورة وأخيه . انظر الاستيعاب (١٣٢/١٢) و (٢٢٥/٨١) والإصابة (١٢/١٢) و (١٤١/١) .

(٤) هو رجاء بن حيوه – بفتح المهملة وسكون التحتانية وفتح الواو – بن جرول ، ويقال جندل الكندي ، أبو المقدام الفلسطيني ، ويقال : أبو نصر . كان ثقة فاضلاً كثيرالعلم ، قال عنه ابن حجر : ثقة فقيه . توفي سنة (١١٢) . انظر تهذيب التهذيب (٢٦٩/٣) . طبقات خليفة بن خياط ص ٣١٠ التقريب (١٩٢٠) .

ابن محيريز[١] ، إن كنت لأعدُّ أنَّ بقاءه أماناً لأهل الأرض "[٢] . مات قبل المائة إمَّا في خلافة عمر بن عبدالعزيز[٣]، أو في خلافة الوليد بن عبدالملك بالشام[٤] . أخرجوا له.

واسم أبي سعيد : سعد بن مالك بن سنان – ولُقِّبَ – سنان الشهيد – ابن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر – وهو خُدْرَة – بن عوف بن الحارث بن الخزرج مات سنة أربع وسبعين .[٥]

فصل

والسبايا : جمع سبيَّة [بترك الهمز]* وهي المرأة التي** تُسبى ، مثل خطيَّة وخطايا ، وكان الأصل سبائي وخطائي على فعائل ، فلما اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية ياءً ؛ لأنَّ قبلها كسرة ، ثم استثقلت – والجمع ثقيل – وهو معتل مع ذلك [فقلبت]*** الياء ألفاً ثم قلبت الهمزة الأولى يإلحاقها بين الألفين .

* في « أ » و « ب » : بالهمز ، وجاء في هامش « أ » : لعله سقط بترك ، وزاد الباء . قال ابن قرقول : سبية ... سبايا جمع سبيّة – غير مهموز وهو ماغلب عليه من بنات المشركين واسترق . وماجاء في الهامش هو الصواب لأنَّ السبيئة – بالهمز – هي الخمر . وانظر تهذيب اللغة (١٣/١٠٦) مشارق الأنوار (٢/٢٠٦) لسان العرب (١٧/٣٦٧) و (١/٩٣).

** التي ساقطة من « ب » .

*** في « أ » : قلبت .

(١) تذكرة الحفاظ (١/٦٩) ، سير أعلام النبلاء (٤/٤٩٥-٤٩٦) ، والبداية والنهاية(٩/١٩٤).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٥/١٤٢) وابن عبدالبر في الاستيعاب (٧/١٢) وانظرسير أعلام النبلاء (٤/٤٩٦).

(٣) انظر : كتاب الطبقات لخليفة بن خياط (ص ٢٩٤).

(٤) انظر الاستيعاب (٧/١٢).

(٥) انظر ترجمة في : الاستيعاب (٤/١٦٢) ت (٩٥٤) الإصابة (٤/١٦٥)ت (٣١٨٩) سيرأعلام النبلاء (١٦٨).

(وقوله : « يستمتعوا بهن ولا يحملن » يعني : الوطء . وفي رواية : « وأحبوا الأثمان » [1])*وفي رواية أخرى : « وأحببنا الفداء» .[2]

وفيه : دليل[3] على داود في إجازته بيع أمهات الأولاد[4] .

وقوله : « ماعليكم أن لاتفعلوا » [قيل]** :معناه : إباحة العزل .

وقيل : النهى عنه[5] .

وفي مسلم : « إنَّه الوأد الخفي » وفي أخرى: [زيادة]: ﴿ وإذا الموؤدة

* مابين القوسين ساقط من « ب » .

** في « أ » : وقيل .

(١) روى البخاري هذا الحديث في ستة مواضع من صحيحه ليس فيها هذه اللفظة ، ولم أقف عليها إلاّ أنَّه أورد رواية نحوها بلفظ : « فنحب الأثمان » كتاب البيوع ، باب بيع الرقيق حديث رقم (٢٢٢٩).

(٢) لم ترد عند البخاري هذه اللفظة ، ورواها أبو داود في كتاب النكاح ، باب ماجاء في العزل (عون المعبود ١٥٣/٦) حديث رقم (٢١٧٢) . وعند مسلم بلفظ « ورغبنا في الفداء » صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/١٠) كتاب النكاح ، باب حكم العزل حديث رقم (١٤٣٨).

(٣) انظر وجه الدلاله من الحديث : التمهيد (١٣٦/٣).

(٤) ذهب داود الظاهري تبعاً لعلي وابن عباس وابن الزبير إلى إباحة بيع أمهات الأولاد ، بينما ذهب عمر وعثمان وعائشة ، ومالك وأبو حنيفة والشافعي والثوري والأوزاعي وجمهور أهل الحديث إلى منع ذلك . انظر تفصيل المسالة : التمهيد (١٣٥/٣-١٣٨) بداية المجتهد (٤٨٠/٢-٤٨٢) المحلى (٢١٢/٨-٢١٦) المغني (٥٨٤/١٤-٥٨٨).

(٥) بحث الحافظ ابن حجر هذه المسألة بحثاً متيناً ، انظره في : فتح الباري (٢١٨/٩-٢٢٠)وانظر التمهيد (١٤٦/٣-١٤٩) شرح مسلم للنووي (١٤/١٠).

سئلت ﴾ [١].

فصل

قال الأصيلي : " كان سبي بني المصطلق من عبدة الأوثان اللاّتي لا يجوز وطؤهنّ بملك ، وإنّما أجاز ـ عليه السلام ـ وطئهنّ لأصحابه قبل قوله تعالى ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ ﴾[٢] ".

وقيل :" إنّهن أسلمن ، فلذلك حل وطؤهنّ " [٣] .

وقال ابن أبي زيد[٤] : " في قوله ((مامن نسمة كائنة ٠٠ إلى أخره)) مايدل* على أنّ الولد يكون مع العزل ، ولهذا قال العلماء : من أقرّ

---

* في ((ب)) : ومايدل ٠

---

(١) كتاب النكاح ،باب جواز الغيلة وهي وطء المرضع ، وكراهة العزل (١٠/٢٥-٢٦) رقم (١٤٤٢) ولفظه : ((٠٠٠ ثم سألوه عن العزل؟ فقال رسول الله ﷺ : ذلك الوأد الخفي)) ٠ زاد عبيدالله في حديثه عن المقرىء وهي ﴿وإذا المؤودة سئلت ﴾ [التكوير ، ٨] ٠ أ٠هـ٠

(٢) البقرة الآية (٢٢١)٠

(٣) انظر لهذه المسألة : التمهيد (٣/١٣٤-١٣٥) تفسير القرطبي (٣/٤٨) فتح الباري (٩/٢٢٠)٠

(٤) هو عبدالله بن أبي زيد القيرواني المالكي ، أبو محمد٠ويقال له : مالك الصغير٠عالم أهل المغرب ، كان أحد من برز في العلم والعمل ، وهو الذي لخّص المذهب ،، تفقه بفقهاء القيروان وعوّل على أبي بكر بن اللباد ٠من مصنفاته : الرسالة ، وكتاب الثقة بالله ، والتوكل على الله ، ورسالة في الرد على القدرية ، ورسالة في التوحيد ، وغيرها كثير. قال الذهبي : "كان رحمه الله على طريقة السلف في الأصول لا يدرى الكلام ولا يتأول " ٠ توفي سنة ٣٨٩هـ٠ انظر : السير (١٧/١٠) شذرات الذهب (٣/١٣١)٠

بوطء أمته ، وادعى العزل ، لحق به الولد، وهو الأصح عندنا ، فيحرم نفيه لأنّ (الإسباق)* (١) .

وقيل** : هذا يكون معنى قوله : ((ليست نفس مخلوقة إلاّ الله خالقها)) .

فصل

((الخالق : المبدع والمنشيء لأعيان المخلوقات ، وهو معنىً لا يشاركه فيه أحدٌ من خلقه ، ولم يزل الله مسمياً لنفسه خالقاً ورازقاً ، على معنى أنّه [سيخلق]*** ويرزق . لا على**** معنى أنّه خلق الخلق في أزله ؛ لا ستحالة قدم [الخلق] (٢) ***** ، والخلق أيضاًيكون بمعنى التصوير(٣) ، وهذا أمر يصح مشاركة

* هكذا رسمت في ((أ)) و ((ب)) ولم يتبين لي معناها .

** في ((ب)) : ومثل .

*** في ((أ)) : يخلق . والتصويب من ((ب)) وشرح ابن بطال .

**** على ساقطة من ((ب)) .

***** في ((أ)) : العالم . والتصويب من ((ب)) وشرح ابن بطال .

(١) لم أقف على هذا النص في كتاب الرسالة . وانظر : المغني (١٤ / ٥٨٢ ــ ٥٨٣) والإستذكار (٢٢ / ٢٠١) .

(٢) قال القاضي أبو يعلى الصغير الحنبلي ، فيما نقله عنه شيخ الاسلام ابن تيمية : " فالخلق صفة قائمة بذاته ، والمخلوق الموجود المخترع ، وهذا بناءً على أصلنا ، وأنَّ الصفات [الناشئة] عن الأفعال موصوف بها في القدم وإن كانت المفعولات محدثه ." أ . هـ مجموع الفتاوى (١٤٩/٦).

(٣) هكذا في النسختين ، والذي في كتب اللغة : " التقدير " ، ولاشك أنَّ التصوير داخل في معنى التقدير . وانظر : تفسير أسماء الله الحسنى ، للزجاج ص (٣٥) شأن الدعاء ص (٤٩) ، والصحاح (١٤٧١/٤) ، النهاية ،لابن الأثير (٧٠/٢) لسان العرب (٨٥/١٠-٩١).

الخلق فيه له ، فالخلق المذكور هنا [١] بمعنى : الإبداع والاختراع لأعيان السموات والأرض والخلق بمعنى التصوير [في] قوله تعالى : ﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾[٢] أي* : تُصَوِّر لا تخترع ، ومنه قول الشاعر :

وأنت** تفري ماخلقت وبعـــ ـــض القوم يخلق ثم لا يفري ›› [٣] [٤]

---

* أي ، ساقطة من « ب » •

** هكذا في « أ » و « ب » ، وفي ديوان زهير: فلأنت .

---

(١) أي في هذا الباب •

(٢) المائدة ، الآية (١١٠)•

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان مطلعها :

لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر •

والبيت في ديوانه ص (٢٩) وهو من شواهد الأضداد ، للأصمعي ص (٥٥) والأضداد لابن السكيت ص (٢٠٥) وغريب الحديث لأبي عبيد (٤/٢١٦) ، وتفسير أسماء الله الحسنى ، للزجاج ص (٣٦) ، والدعاء للخطابي ص (٤٩) ، والصحاح (٤/١٤٧١).
ومعنى البيت : أي أنت اذا قدرت أمرك قطعته وأمضيته ، وغيرك يقدر ثم لا يشرع في الأمر •

(٤) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٤٥/ب) بتصرف.

١٩ - بـــاب

قول الله عزوجل : ﴿ لما خلقت بيديّ ﴾[1]

[و] حديث الشفاعة .

ذكر فيه :

[٧٤١٠] حديث أنس ﷺ في الشفاعة بطوله .

[الحديث أطرافه في : ٤٤ ، ٤٤٧٦، ٦٥٦٥ ، ٧٤٤٠ ، ٧٥٠٩ ، ٧٥١٠ ، ٧٥١٦]

[٧٤١١] وحديث أبي هريرة ﷺ : « يد الله ملأى لا يغيضها نفقة ... الحديث » وسلف* [أطرافه في : ٤٦٨٤ ، ٥٢٥٢ ، ٧٤١٩ ، ٧٤٩٦]

[٧٤١٢] وحديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر ﷺ : « أنّ الله يقبض الأرض** يوم القيامة فتكون السموات بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك » رواه سعيد عن مالك .

[٧٤١٣] وقال عمر بن حمزة : سمعت سالماً ، قال : سمعت ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ بهذا . [أطرافه في : ٤٨١٢ ، ٦٥١٩ ، ٧٣٨٢]

وقال ابن اليمان أنا*** شعيب عن الزهري ، أخبرني أبو سلمة أنّ أبا هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يقبض الله الأرض » .

[أطرافه في :٤٨١٢ ، ٦٥١٩ ، ٧٣٨٢]

---

* وسلف . ساقطة من « ب » .

** في « ب » : الأرضين ،وكذا في شرح ابن بطال .

*** في « ب » : أنبأنا .

غرض البخاري ـ فيما يظهر ـ من هذا الباب إثبات صفة اليد لله سبحانه وتعالى ، وهي من الصفات الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة ، والرد على من أولها من أرباب البدع .

(١) سورة ص ، الآية (٧٥).

[٧٤١٤] وحديث سليمان عن ابراهيم عن عبيدة عن عبدالله ﷺ : « أنَّ يهودياً جاء إلى رسول // الله ﷺ فقال : يامحمد إنَّ الله يمسك السموات ٠٠٠ الحديث » . ب/٢٨٦أ

قال يحيى بن سعيد : وزادفيه فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن ابراهيم عن عبيدة عن عبدالله ﷺ : فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً له ٠

[أطرافه في : ٤٨١١ ، ٧٤١٥ ، ٧٤٥١ ، ٧٥١٣]

[٧٤١٥] وحديث علقمة قال : قال عبدالله ﷺ : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل الكتاب – فقال: ياأبا القاسم ، إنَّ الله يمسك السموات على إصبع// ... أ / ٨٣٥ الحديث » [اطرافه في : ٤٨١١ ، ٧٤١٤ ، ٧٤٥١ ، ٧٥١٣]

الشرح

اليد هنا : القدرة ٠ قال* الداودي : يحتمل أن يريد ذلك ٠

وقال [أبوالمعالي][١] ** : " ذهب بعض أئمتنا[٢] إلى أنَّ [اليدين]*** والعين والوجه

* في « ب » : وقال ٠

** في « أ » : الفراء العالى ٠

*** في « أ » : اليد ،و التصويب من « « ب » » ومن كتاب الإرشاد ٠

(١) إمام الحرمين وشيخ الشافعية ، عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن عبدالله أبو المعالي الجويني ٠ المولود سنة ٤١٩هـ٠ اشتغل بالكلام مدة طويلة ثم رجع عنه في آخر عمره ، وقال : لو استقبلت من أمري مااستدبرت مااشتغلت بالكلام ٠ وهو القائل في مرض موته : اشهدوا عليّ أنّي قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة ، وإنّي أموت على مايموت عليه عجائز نيسابور ٠ له تصانيف كثيرة منها : الإرشاد والشامل ، والرسالة النظامية ، وغيرها ٠ مات سنة ٤٧٨هـ٠

انظر : السير (١٨ / ٤٦٨) طبقات السبكي (١٦٥/٥) ٠

(٢) وممن ذهب إلى ذلك الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابيه : الإبانه (١٣١–١٤٠) ورسالة إلىأهل الثغر (ص١٢٧) والباقلاني في الإنصاف (ص ٣٥)٠

صفات ثابته للرب ، والسبيل إلى إثباتها : السمع دون قضية* العقل ، والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة ، والعين** على البصر والوجه على الوجود٠ .[١]

وقال ابن فورك : " قوله : ((يد الله مع الجماعة)) [٢] من أصحابنا من قال : اليد هنا بمعنى الذات ، كقوله*** تعالى :﴿ مّما عملت أيدينا ﴾[٣] أي [مّماعملنا] " ****[٤] .

قال[٥] :" فإن قال قائل : إذا حملتم اليد على معنى الذات فهلاَّ حملتموه***** في قوله : ﴿ خلقت بيديّ ﴾[٦] على الذات ٠ ؟

---

* في ((ب)) : معية ٠

** في ((ب)) : العينين ٠

*** في ((ب)) : وقوله ٠

**** في ((ب)) : فاعلمنا وهو خطأ ٠ وفي ((أ)) : ماعملنا ، والمثبت من مشكل الحديث وهو أصوب ٠

***** في مشكل الحديث : حملتموها ، وهو أصوب ٠

---

(١) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد ، للجويني ص (١٤٦) ولا شك أنَّ هذا تأويل باطل ، تنقضه الأدلة ولغة العرب ، وفي كلام ابن بطال اللاحق قريبا ماينقضه ٠ وانظر مختصر الصواعق المرسلة (ص٣٢٢-٣٣٥)٠

(٢) جزء من حديث تكلم عليه ابن فورك ، لم أقف عليه ، وهذه اللفظة وردت في أحاديث منها مارواه ابن أبي عاصم في السنة ، باب ماذكر عن النبي ﷺ من أمره بلزوم الجماعة وإخباره أنَّ يد الله مع الجماعة ٠ حيث أورد حديثين ، أحدهما عن ابن عمر وضعفه الألباني ، والآخر عن أسامة بن شريك وصححه الألباني بشواهده ٠ كما وردت في حديث عند النسائي (٧/٦٠) حديث رقم (٤٠٣٢)٠ عن عرفجة الأشجعي ، كتاب تحريم الدم ، باب قتل من فارق الجماعة (٣٩/١) رقم (٨٠ و ٨١) .

(٣) سورة يس ، الآية (٧١)٠

(٤) مشكل الحديث وبيانه ص (٣٢٣)٠

(٥) القائل ابن فورك

(٦) سورة ص ، الآية (٧٥)

قيل : لا يصح ذلك[١] ، ذكره ابن التين .

قال[٢] : والفرق بينهما أنَّ الله تعالى قال ذلك لإبليس محتجاً عليه ، مفضلاً لآدم هذا التخصيص بقوله ﴿ أنا خير منه ﴾ [٣] فلو حمل على معنى الذات ، سقطت الفائدة ، وبطل [موضع]* الاحتجاج منه تعالى على إبليس فيه ". [٤]

وقال ابن بطال : ((استدلاله بقوله تعالى ﴿ لماخلقت بيديّ ﴾[٥] وسائر أحاديث الباب على إثبات يدين لله تعالى ، هما صفتان من صفات ذاته ، ليستا بجارحتين ، بخلاف قول المجسمة ، المثبتة [٦] أنَّهما : جارحتان . وخلاف قول القدرية النفاة لصفات ذاته . ثمَّ إذا لم يجز أن يقال : إنَّهما جارحتان [لم يجز أن] يقال : إنَّهما قدرتان ، ولا إنَّهما نعمتان ، لأنَّهما لو كانتا قدرتين لفسد ذلك من وجهين :

أحدهما : أنَّ الأمة أجمعت من بين ناف لصفات** ذاته وبين مثبت لها أنَّ الله تعالى ليس له قدرتان ، بل واحدة في قول المثبتة ، ولا قدرة له في قول النافية لصفاته [لأنَّهم]*** يعتقدون كونه قادراً [بنفسه]**** لا بقدرته. [٧]

---

*في ((أ)) : معنى ، والتصويب من ((ب)) ومشكل الحديث .

** في ((ب)) : لصفاته

*** في ((أ)) و ((ب)) : أنَّهم ، والتصويب من شرح ابن بطال .

**** في ((أ)) : لنفسه . وعند ابن بطال : لنفسه لابقدرة .والمثبت من ((ب)) .

---

(١) مشكل الحديث ص (٣٢٥).

(٢) القائل ابن فورك

(٣) سورة ص ، الآية (٧٦) وتمامها : ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾.

(٤) مشكل الحديث ص (٣٢٥) .

(٥) سورة ص ، الآية (٧٥)

(٦) انظر : هامشي (٢و ٣) ص (٢٢٧/أ) من هذا الكتاب

(٧) انظر شرح الأصول الخمسة ص (١٢٩و١٥١) ، وكتاب الإرشاد ص (٩١).

والآخر : أنَّ الله تعالى قال لإبليس : ﴿ مامنعك أن تسجد لما خلقت بيديّ... الآية ﴾[١] ، قال إبليس مجيبا له : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار ﴾[٢] فأخبر بالعلة التي لأجلها لم يسجد ، وأخبره تعالى بالعلة التي لأجلها أوجب السجود ، وهي : [أنه] خلقه [بيديه]* ، فلو كانت [اليد القدرة]** التي خلق آدم بها ، وبها خلق إبليس ، لم يكن لاحتجاجه تعالى عليه ـ بأن [خلقه]*** بما يوجب عليه السجود ـ معنى ؛ إذ إبليس مشارك لآدم فيما خلقه به تعالى من قدرته ، ولم يعجز إبليس بأن يقول له : أي رب فأي فضل له وأنا خلقتني بقدرتك ، كما خلقته ، ولم يعدل إبليس عن هذا الجواب إلى أن يقول : أنا خير منه ، لأنّه خلقه من نار وخلق آدم من طين ، فعدول إبليس عن هذا الاحتجاج مع وضوحه ، دليل على أنَّ آدم خصَّه الله ، من خلقه بيده ، بما لم يخص به إبليس ۰

وكيف يسوغ للقدرية القول بأنَّ اليد هنا : القدرة ، وظاهر الآية مع هذا يقتضي يدين ، فينبغي على الظاهر اثبات قدرتين ، وذلك خلاف الآية .

ولا يجوز أن يكون المراد باليدين : نعمتين ، لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق مثله ، لأنَّ النِّعم مخلوقة كلها .

وإذا استحال كونهما جارحتين ونعمتين وقدرتين ، ثبت أنَّهما يدان صفتان لا كالأيدي والجوارح المعروفة عندنا ۰ اختص آدم بأن خلقه بهما من بين سائر خلقه تكريماً له وتشريفاً ۰ ›› [٣] .

---

* في ((أ)) : بيده ۰

** في ((أ)) : القدرة اليد ۰ وهو خطأ .

*** في ((أ)) وب : خلقها ، والتصويب من شرح ابن بطال ۰

---

(١) سورة ص ، الآية (٧٥)۰

(٢) سورة ص ، الآية (٧٦)۰

(٣) شرح ابن بطال (٤/٣٤٦/أ – ب) وانظر تفصيلاً أوسع لهذه المسألة : مختصر الصواعق المرسلة (ص ٣٢٢–٣٣٥)۰

فصل

((وفي هذا الحديث دليل على شفاعة سيدنا رسول الله ﷺ لأهل الكبائر من أمته ، خلافاً لمن أنكرها من المعتزلة والقدرية والخوارج ، وهذا الحديث في غاية الصحة //والقوة* ،تلقاه المسلمون بالقبول** إلى أن حدث أهل العناد والردّ لسنن رسوله . ب٢٨٦ب

وفي كتاب الله مايدل على صحة الشفاعة قوله تعالى إخباراً عن الكفار إذ قيل لهم ﴿ ماسلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ٠٠ إلى اليقين ﴾ [١] ، فأخبروا عن أنفسهم بالعلل التي من أجلها سلكوا في سقر ، ثم قال : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾[٢] زجراً لأمثالهم من الكافرين ، وترغيباً للمؤمنين في الإيمان لتحصل لهم به شفاعة الشافعين ، وهذا دليل قاطع على ثبوت الشفاعة .

فإن عارض حديث الشفاعة معارض بأحاديث الوعيد ، كقوله : ((من قتل نفسه بحديدة عذب بها في نار جهنم أبداً***، ومن تحسَّى**** سماً... الحديث[٣])) ونحوه من الأخبار ٠

---

* في ((ب)) : والقدرة ٠

** في ((ب)) : بالقول وكذا هو في شرح ابن بطال ٠

*** في ((ب)) : خالداً ٠

**** في ((ب)) : حسي ٠

---

(١) سورة المدثر ، الآيات (٤٢-٤٧) ٠

(٢) سورة المدثر ، الآية (٤٨)٠

(٣) رواه البخاري في كتاب الطب باب شرب السم والدواء به ومايخاف منه والخبيث (٢٥٨/١٠فتح) حديث (٥٧٧٨) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : غلظ تحريم قتل الانسان نفسه (١٥٦/٢) حديث (١٧٥) ، والترمذي كتاب الطب باب ماجاء فيمن قتل نفسه بسم أو غيره (٣٨٦/٤) حديث (٢٠٤٣) ، والنسائي في كتاب الجنائز ،

⇐⇐⇐

فالجواب : بأنّه لا تعارض ، لجواز أن يكون* الله أنفذ عليه وعيده ، بأن خلده في النار أكثر من مدة بقاء من خرج بالشفاعة ، ثم يخرج من النار بعد ذلك [بمدة]** لشفاعة رسول الله ﷺ بما*** في قلبه من الإيمان ، المنافي للكفر ، لأنّ الخلود الأبدي الدائم إنّما يكون في الكفار الجاحدين .

وماجاء في [كتاب]**** الله من ذكر الخلود للمؤمنين ، كقوله ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ﴾[1] فإنّما يراد بالتخليد : تطويل المدة عليه في العذاب ،ولايقتضي التأبيد ،كما يقتضي خلود الكافرين .

ويحتمل تأويل الحديث : من قتل نفسه على وجه الاستحلال والردة***** ، فجزاؤه ماذكر في الحديث ، لأنّ فاعل ذلك كافر لا محاله .

---

* في « ب » : أنّ الله ۰

** ساقطة من « أ » ۰ وفي « ب » هذه ، والمثبت من شرح ابن بطال ۰

*** في « ب » : لما ۰

**** في « أ » : الكتاب

***** في « ب » : والزيادة ۰

⇐⇐⇐

باب ترك الصلاة على من قتل نفسه (٣٦٨/٣) حديث (١٩٦٤)۰ والدارمي ، كتاب الديات ، باب التشديد على من قتل نفسه (٦٣٥/٢) حديث (٢٢٧٣) جميعهم عن أبي هريرة ﷺ ، بألفاظ مختلفة ولفظ مسلم : « من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ۰۰۰ الحديث » ۰

(١) سورة النساء ، الآية (٩٢)۰

ويشهد لهذا* ماقاله قبيصة[١] فيما سلف في البخاري في تأويل قوله عليه السلام : ((سحقاً** سحقاً)) قال هو في المرتدين [٢] ٠

وقد سلمت جماعة من المعتزلة شفاعة رسول الله ﷺ على وجه دون وجه ٠ لمّا لم يمكنها رد الأحاديث الواردة فيها ، لانتشارها وقبول الأمة لها ، ولشهادة*** ظواهر كتاب الله سبحانه لها ، فقالوا : تجوز شفاعته عليه السلام للتائب من الكبائر ولمن أتى صغيرة مع اجتنابه الكبائر ، أو في مؤمن لا ذنب له ليثاب[٣] وهذا كله فاسد على

** في ((ب)) : لها ٠

*** في ((ب)) : فسحقاً ٠

**** في ((ب)) : وبشهادة ٠

---

(١) هو قبيصة بن عقبة بن محمد السوائي ، الكوفي ، أبو عامر من كبار شيوخ البخاري أخرج عنه أحاديث عن سفيان الثوري ٠ قال أحمد بن حنبل : كان كثير الغلط ، وكان ثقه لا بأس به ٠ وقال أبو حاتم : لم أر من المحدثين من يحفظ و يأتي بالحديث على لفظ واحد لايغيره سوى قبيصة وأبي نعيم في حديث الثوري ، مات ليلة الجمعه في المحرم سنة ٢١٥هـ٠ انظر : كتاب بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم ، ليوسف ابن حسن بن عبدالهادي ص (٣٤٩) ت (٨٤٠) ورجال صحيح البخاري (٦٢١/٢) ت (٩٨٦) وهدي الساري ص (٤٥٨) .

(٢) انظر صحيح البخاري (٥٥١/٦ فتح) حيث جاء فيه : قال محمد بن يوسف الفربري : ذكر عن أبي عبدالله عن قبيصة قال : هم المرتدون الذين ارتدوا على عهد أبي بكر ، فقاتلهم أبو بكر ﷺ ٠ أ ، هـ٠ قال ابن حجر : وقد أخرج الإسماعيلي الحديث المذكور عن إبراهيم بن موسى عن إسحق ، عن قبيصة ، عن سفيان الثوري به ٠ فتح الباري (٥٦٦/٦)٠

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة ص (٦٨٧-٦٩٣) ٠ الإنصاف للباقلاني ص (٢٣١-٢٣٢)والوجه الذي سلمت به المعتزلة هو شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ماكان يقتضيه ثواب أعمالهم ٠ انظر مقالات الاسلاميين (ص٤٧٤)٠وشرح العقيدة الطحاوية (٢٨٨/١)

أصولهم ، لاعتقادهم أنّ الله سبحانه يستحيل منه تعذيب التائب من كبيرته ، أو فاعل الصغائر إذا اجتنب الكبائر أو تأخير ماستحق – والذي لا ذنب له – من الثواب ، لأنّه لو عذب من ذكرنا وأخر* ثواب [الآخر]** ، ولم يوف التائب والمجتنب للكبائر مع فعله الصغائر ثوابه على أعماله ، لكان ذلك خارجاً عن الحكمة وظالماً [وذلك]*** من صفات المخلوقين .

وإذا كان هذا أصلهم ، فإثبات**** الشفاعة على هذا الوجه لا معنى له فبطل قولهم ، ولزمهم تسليم الشفاعة على الوجه الذي يقول به أهل السنة والحق ، وهذا بيّنٌ ولله الحمد ›› .[1]

فصل

وقوله : « ويذكر خطيئته التي أصاب » يحتج به***** من يجوز وقوع الصغائر منهم عليهم الصلاة والسلام[2] ‹‹ وقد قام الإجماع على عصمتهم في الرسالة ، وأنّه لا تقع منهم الكبائر[3] واختلفوا في جواز الصغائر عليهم ، فأطبقت المعتزلة والخوارج

* في « ب » : وأخبر ٠

** في « أ » : الآخرة ٠

*** في « أ » و « ب » : بذلك ، والتصويب من شرح ابن بطال ٠

**** في « ب » : فإثباتهم ٠

***** به ، ساقطة من « ب » ٠

(١) انظر : شرح ابن بطال (٣٤٦/٤/ب –٣٤٧/أ) ٠

(٢) يقول ابن تيمية : " القول بأنّ الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر ، هو قول أكثر علماء الإسلام ، وجميع الطوائف ، حتى إنّه قول أكثر أهل الكلام ، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أنّ هذا قول أكثر الأشعرية ، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلاّ مايوافق هذا القول ٠٠٠" مجموع الفتاوى (٣١٩/٤)٠

(٣) نقل الإجماع على هذا أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر:مجموع الفتاوى (٢٩٠/١٠)٠

على أنَّه لا يجوز وقوعها منهم[١] ، وزعموا أنَّ الرسل لا يجوز أن يقع منهم ماينفر الناس عنهم، وأنَّهم معصومون من ذلك [٢] ، وهذا باطل ، لقيام الدليل من التنزيل ، وحديث الرسول ، أنَّه ليس كلُّ ذنب كفراً ٠

وقولهم : إنَّ الباري سبحانه يجب عليه عصمة الأنبياء من الذنوب [كي] لا ينفر الناس عنهم بمواقعتهم* لها [٣] ، هو فاسد بخلاف القرآن له ، وذلك أنَّ الله تعالى قد أنزله**[٤] – وفيه متشابه – مع سابق علمه أن سيكون ذلك سبباً لكفر قوم ، فقال تعالى ﴿ فأمَّا الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه// ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾[٥] وقال تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنَّما أنت مفتر ﴾[٦] فكان التبديل الذي هو النسخ[٧] // سبباً لكفرهم ، كما كان إنزاله تعالى متشابها سبباً لكفرهم ›› .[٨]

أ / ٨٣٦

ب/ ٢٨٧أ

* في ((ب)) : لموافقتهم .
** في ((ب)) : أنزل .

(١) انظر : مقالات الإسلاميين (ص٢٢٦) وكتاب اصول الدين،للتميمي(ص١٦٧-١٦٨)٠

(٢) انظر : كتاب الدرة فيما يجب اعتقاده ص (٣٧٧)حيث يذهب ابن حزم إلى هذا القول ٠

(٣) من يرى من العلماء وقوع بعض صغائر الذنوب من الأنبياء لا يرى استمرارهم عليها ، وإنَّما إذاحصلت لا يقرهم الله عليها ، فيرجعون عنها ويتوبون ويستغفرون ولا يكون هناك مجال للأخذ بها ، ولا تقليد الأنبياء عليها ، وليس في ذلك نقص فيهم لأنَّ العبرة بكمال النهايات ، راجع : مجموع الفتاوى (١٠/٢٩٣-٣١٣) و(٥/١٥٠) حيث فنَّد شبه من يرون عصمتهم مطلقاً وأجاب عنها جواباً متيناً ٠

(٤) أي : القرآن الكريم ٠

(٥) سورة آل عمران ، الآية (٧) ٠

(٦) سورة النحل ، الآية (١٠١)٠

(٧) انظر تفسير الطبري (٧/٦٤٧) والبغوي (٥/٤٣)٠

(٨) مابين القوسين منقول من شرح ابن بطال (٤/٣٤٧/ب) ٠

ونقل ابن بطال عن أهل السنة[١] : " أنّه جائز وقوع الصغائر عليهم ، واحتجوا بقوله تعالى مخاطباً لرسوله في آية الفتح[٢]، قال: وقد ذكر الله في كتابه ذنوب الأنبياء فقال ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾[٣] ، وقال نوح لربه : ﴿ ان ابني من أهلي ﴾[٤] فسأل أن ينجيه ، وقد كان تقدم إليه فقال :﴿ لا تخاطبني في الذين ظلموا إنّهم مغرقون﴾ [٥] ، وقال ابراهيم : ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾[٦] وفي كتاب الله تعالى من ذكر خطاياهم مالا خفاء به ، وقد سلف الاحتجاج في هذه المسألة في كتاب الدعاء في[باب] قوله* : ((رب** اغفر لي ماقدمت ٠٠٠ إلى آخره)) [٧] ٠

فصل

فإن قلت فما معنى قول آدم عليه الصلاة والسلام : ((ولكن ائتوا نوحاً ، فإنّه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض)) وقد تقدم آدم قبله ؟

* في ((ب)) : قولهم ٠

** في ((ب)) : اللهم

(١) انظر : شرح ابن بطال (٤/٣٤٧/ب) ٠ وانظر كلام ابن تيمية المتقدم ص (٣٢٤) .

(٢) المقصود قوله تعالى : ﴿ ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً ﴾ ٠ الآية (٢) من سورة الفتح ٠

(٣) سورة طه ، الآية (١٢١)

(٤) سورة هود ، الآية (٤٥)٠

(٥) سورة هود ، الآية (٣٧)٠

(٦) سورة الشعراء ، الآية (٨٢)٠

(٧) انظر : فتح الباري (١١/٢٠٢)٠

فالجواب : أنَّ آدم لم يكن رسولاً ، لأنَّ الرسول يقتضي مرسلاً إليه في وقت الإرسال ، وهو عليه السلام أهبط إلى الأرض ، وليس فيها أحد ، ذكره ابن بطّال[١] ، وكذا قال الداودي .

فيه أنَّ آدم ليس برسول ، لقوله في نوح : أول رسول ، وسيأتي قريباً الخلف فيه ، في باب ﴿وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة﴾ .[٢] [٣]

ثمَّ قال ابن بطال : ((فإن قيل : لمَّا تناسل منه ولده ؛ وجب أن يكون رسولاً إليهم . قيل : إنَّما أهبط عليه السلام إلى الأرض وقد علَّمه الله [أحكام] دينه وما يلزمه من طاعة ربه فلمَّا حدث ولده بعده حملهم على دينه ، وماهو عليه من شريعة ربه ، كما أنَّ الواحد منا إذا ولد له ولد يحمله على سنته وطريقته ، ولا يستحق بذلك أن يسمى رسولاً ، وإنَّما سمى نوح رسولاً ، لأنَّه بُعث إلى قوم كفار ليدعوهم إلى الإيمان . [٤]

وقوله : ((ائتوا نوحاً فإنَّه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض)) ،

ذكر أهل التأريخ[٥] : أنَّ إدريس جد نوح ، فإن صح أنَّ إدريس رسول لم

---

(١) انظر : شرح ابن بطال (٤/٣٤٧/ب) ومقصوده أنَّ آدم لم يكن رسولاً بل كان نبياً ، حيث ثبتت نبوته بثلاثة أحاديث عن رسول الله ﷺ ، الأول : عند الإمام أحمد عن أبي ذر (المسند ٥/١٧٨) وصححه الألباني في المشكاة (٣/١٥٩٩) . الثاني عند الترمذي عن أبي سعيد (كتاب التفسير ، باب : ومن سورة بني اسرائيل (٥/٣٠٨) ح (٣١٤٨) وقال : حسن صحيح ، وصححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي (٣/٧١). الثالث : عند ابن حبان عن أبي أمامة (٢/٩٢٢ موارد) ح (٢٠٨٥) وحكم عليه المحقق بالصحة

(٢) سورة القيامة ، الآيتان (٢٢ و ٢٣) .

(٣) انظر ص (٤٣٤-٤٣٥) من هذا الكتاب .

(٤) شرح ابن بطال (٤/٣٤٧/ب) .

(٥) انظر : تاريخ الطبري (١/١٠٦-١٠٧) والبداية والنهاية (١/٩٣).

يصح قولهم إنّه قبله ، وإلاّ احتمل أن يكون إدريس غير مرسل .[١]

فصل

⟨⟨ وأمّا حديث الإصبع فإنّه إذا لم يصح أن يكون جارحة لما قدمناه من إبطال التجسيم ، فتأويله ماقاله أبو الحسن الأشعري : [من]* أنّ هذا وشبهه مما أثبته الرسول عليه السلام لله تعالى ، ووصفه به راجع إلى أنّه صفة ذات لا يجوز تحديدها ولا تكييفها ٠ ⟩⟩ [٢]

وقد قال أبو بكر بن فورك : " إنّه يجوز أن يكون الإصبع خلقاً لله يخلقه ، يحمله على ما حملت عليه الإصبع** ٠ ودليله : أنّه لم يقل على إصبعه بل أطلق ذلك

* في « أ » : مع ، والتصويب من « ب » وشرح ابن بطال .

** في « ب » وابن بطال : يحمله ماحملت الإصبع ٠ والعبارة غير واضحة المعنى ٠

(١) يتوجه الإشكال الوارد على هذا الحديث بأحد أمرين :
الأول : أنّ من كان قبل نوح وهم – آدم وشيث وادريس – عليهم السلام إنّما كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلاً ، فيكون نوح هو أول الرسل على الإطلاق ٠
الثاني : وهو خاص بإدريس إذ تذهب طائفة من الناس إلى أنّ إدريس هو إلياس فيكون من نسل نوح عليه السلام وإلى هذا ذهب ابن عباس وابن مسعود كما حكاه عنهما البخاري في صحيحه ، وإليه ذهب الضحاك بن مزاحم وحكاه قتادة ومحمد بن إسحاق ، وزعم الحاكم أنّه قول أكثر الصحابة ، وخطأ ابن كثير القول بأنّهما واحد ٠ والله أعلم بالصواب ٠ انظر : المستدرك للحاكم (٥٩٥/٢) البداية والنهاية (٩٣/١و٣١٦) فتح الباري (٤٣٠/٦و٤٣٢) و (٤٤٢/١١)٠

(٢) مابين القوسين منقول من شرح ابن بطال : (٣٤٧/٤/ب)٠

مُنَكَراً [١] ، وليس ينكر في خلق* الله تعالى أن يخلق خلقاً على هذا الوجه ٠

قال محمد بن شجاع الثلجي[٢] : يحتمل أن يكون خلق من خلق الله ، يوافق اسمه اسم الإصبع ، فقال إنّه يحمل السموات على ذلك ،ويكون ذلك تسمية للمحمول عليه ذكر فيه ٠

ويحتمل أن يكون المراد بالإصبع : القدرة والملك والسلطان على معنى قول القائل : مافلان إلاّ بين إصبعين ، إذا أراد الإخبار عن جريان** قدرته عليه ، فذكر معظم المخلوقات ، وأخبر عن قدرة الله تعالى على جميعها ، معظماً لشأن الرب تعالى في قدرته وسلطانه " .[٣]

---

* في ((ب)) : مخلوق الله ٠

** في ((ب)) : حرمان .

---

(١) قوله هذا متعقب ، نعم في هذا الحديث جاء لفظ الإصبع منكراً غيرمضاف إلى الله ولكن سياق الحديث يدل على المقصود ، وقد جاء لفظ الإصبع مضافاً إلى الله تعالى في أحاديث كثيرة منها مارواه مسلم في صحيحه : كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء : عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول : إنّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن ٠٠٠ الحديث)) انظر (٣١١/١٦) ح (٢٦٥٤) ٠ وانظر بعضاً من هذه الأحاديث كتاب التوحيد لابن خزيمة باب إثبات الأصابع لله عزوجل (١٨٧/١-٢٠١)٠

(٢) هو محمد بن شجاع البغدادي الحنفي ، أبو عبدالله الثلجي – بالمثلثة والجيم – كان صاحب تعبد وتهجد وتلاوة ٠ قال عنه الإمام أحمد : مبتدع صاحب هوى ، وقال ابن عدي : كان يضع أحاديث في التشبيه وينسبها إلى أصحاب الحديث يثلبهم بذلك ٠ وقال الأزدي : كذاب لاتحل الرواية عنه لسوء مذهبه وزيغه عن الدين ٠ قال ابن حجر : متروك ورمي بالبدعة ٠ مات ساجدا سنه (٢٦٦) ٠ انظر : تهذيب الكمال (١٢١٠/٣) السير (٣٧٩/١٢) التهذيب (٢٢٠/٩) التقريب (٥٩٥٤) كتاب بحر الدم ص (٣٧٣) ت (٨٩٦) ٠

(٣) مشكل الحديث وبيانه ص (٢٤١-٢٤٢)٠

وقال الداودي : " يحتمل أن يكون الإصبع ملكاً أو خلقاً مـن خلق الله يملكه ذلك ويقدره عليه " ٠[1]

وقـال الخطـابي : ذكـر الأصـابع لم يوجـد في كتـاب ، ولا سـنة مقطـوع

---

(١) هذه التأويلات لصفة الإصبع التي حشدها المؤلف هنا لا شـك أنّها مـن التحريـف لكلام الرسول ﷺ عن مراده ، فالنبي – الذي هو أعلم الخلـق بالخـالق وأنصحهـم للخلـق وهـو الذي أوتي جوامع الكلم – قد خاطب أمته بلغة واضحة مفهومـة لسـامعها ، ولا يمكن بحال أن ترد هذه المعاني والتأويلات على بال أحد إلاّ مـن أشـرب قلبه بهـذه الشـبهات وصفة الأصابع ثابتة لله على مايليق بجلالـه ، كمـا نطقت بذلـك الأحـاديث الكثـيرة عـن رسول الله ﷺ ، والواجب علينا تجاه هذه النصوص إثبات ماجاءت بـه علـى ظـاهره إثباتـاً بلا تمثيل ،و على هذا مضى سلف الأمة وعلماءالسنة، يقول الإمام أحمد رحمه الله تعالى : " الحديث عندنا على ظاهره كما جاء عن النبي ﷺ ، والكلام فيـه بدعـة ، ولكـن نؤمـن بـه كما جاء على ظاهره " ٠ ويقول الإمام البربهـاري : " وكـل مـاسمعت مـن الآثـار شـيئاً لم يبلغه عقلك نحو قول الرسول ﷺ : « قلوب العباد بين إصبعين مـن أصـابع الرحمـن" ٠ ثـم قال: " فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضا ، ولا تفسر شيئاً مـن هـذا بهـواك ، فإنّ الإيمان بهذا واجب فمن فسرشيئا مـن هـذا بهـواه ، أو رده فهـو جهمـي " ٠ ويقـول البغوي : " والإصبع المذكورة في الحديث صفة مـن صفـات الله عزوجـل ، وكذلـك كـل ماجاء به الكتاب أو السنة من هذا القبيل في صفات الله تعالى ٠٠٠ ورد بها السمع يجب الإيمان بها ، وامرارها على ظاهره ، معرضاً فيها عن التأويل مجتنباً عـن التشـبيه ، معتقـداً أنّ الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق كما لا تشـبه ذاتـه ذوات الخلق " ٠ بل إنّ الإمام أبا الحسـن الأشـعري الـذي ينتسـب إليـه الأشـاعرة – وإن كـانوا يخالفونه في كثير مما استقر عليه في آخر أمره ٠ يقول : وندين بأنّ الله تعالى يقلب القلوب ، وأنّ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، وأنّه سـبحانه يضـع السـموات علـى إصبـع والأرضين على إصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ من غير تكييف ٠

انظر لـما سبق: طبقـات الحنابلـة (١/٢٤٢و ٢/٢٣) ، الإبانـة ص (٥٧–٥٨) شـرح السنة للبغوي (١/١٦٨–١٧٠) شرح كتاب التوحيد للغنيمان (١/٣١٦–٣١٩)٠

بصحتها[1] وليس معنى اليد : الجارحة ، حتى يتوهم بثبوتها ثبوت الأصابع ، بل هو توقيف شرعي ، أطلقنا الاسم فيها على ماجاء في الكتاب من غير تكييف ، فخرج بذلك [عن]* أن يكون [له]* أصل [في] الكتاب والسنة ، أو أن يكون على شيء من** معانيها ٠ [2] [3]

فصل

وضحكه عليه السلام ، [كالمتعجب]*** منه أنَّه يستعظم ذلك في قدرته ، وإنَّه ليسير

* مابين المعقوفتين زيادة من أعلام الحديث يختل المعنى بدونها ٠

** في ب : منها ٠

*** في أ : كالتعجب ٠

(١) مقصوده بالسنة المقطوع بصحتها : الحديث المتواتر ، أمَّا حديث الآحاد وإن كان صحيحاً فلا يثبت به عنده حكم عقدي إذا لم يكن مستنداً إلى أصل في الكتاب أو في السنة المقطوع بصحتها هكذا زعم ثم أكد هذا بقوله : هذا هو الأصل الذي بنى عليه الكلام ونعتمده في هذا الباب ٠ انظر : أعلام الحديث (٣/١٨٩٩) ولاشك أنَّ هذا الكلام تأثرمنه بالمتكلمين ، وهي شبهة من شبهاتهم التي علقت بذهنه ، مع اشتهار ردوده عليهم ، وقد سبق بيان الحق في هذه المسألة ٠

وانظر : الحجة في بيان المحجة (١/٣٤٥-٣٤٩) و (٢/٢١٤-٢٢٤)٠

(٢) أعلام الحديث (٣/١٨٩٩)٠

(٣) هذا الكلام مبني على عدم قطعية أحاديث الآحاد في مسائل الاعتقاد عند الخطابي ، وإلاَّ فالأحاديث قد تكاثرت في إثبات صفة الأصابع لله ، منها ما هو مُخَرَّجٌ في الصحيحين ، والحق أنَّها قطعية الدلالة والصحة ،و انظر هذه الأحاديث (كتاب السنة ،لعبدالله بن الإمام أحمد (١/٢٦٤-٢٦٧) التوحيد ، لابن خزيمة (١/١٨٧-١٩٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/٤٢٠-٤٢١) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/١٦٤-١٧٤)٠

في جنب مايقدر عليه ، ولذلك قرأ عليه قوله ﴿ وماقدروا الله حق // قـدره﴾[١] أي ليس قدره في القدرة على مايخلق على الحد الذي ينتهي إليه الوهم ، ويحيط بـه الحد والحصر[٢] لأنَّه تعالى يقدر على إمساك جميع مخلوقاته على غير شيء ، كما هـي اليوم لقوله تعالى ﴿ رفع السموات بغير عمد ترونها ﴾[٣]

ب٢٨٧ب

فصل

وقوله : ((ملأى)) أي عطاؤه واسع ، ومنته* كاملة ، تقول العرب لي عنـد فلان يـد بيضاء ، أي : منة كاملة ٠

وقوله : ((لايغيضها)) أي : [لا] ينقصهـا ، وقال أبوزيـد [٤] : " غـاض ثمـن السلعة أي نقص ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وغيض الماء ﴾ ٠ "[٥] [٦]

وقوله : ((سحَّاء)) : يقال : سح المطر والدمع وغيرهما سـحوحاً [وسـحاً] : انصبّ وسال[٧] فكأنّها لامتلائها بالعطاء تسيل أبداً ٠

---

* في ((ب)) : ومنّه .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (٩١) ٠ والزمر ، الآية (٦٧) .

(٢) سيورد المؤلف هذا الكلام قريباً ص (٣٣٦) معزواً إلىابن فورك ٠

(٣) سورة الرعد ، الآية (٢) ٠

(٤) هو سعيد بن أوس بن ثابت بن القيطـون ، أبوزيـد الأنصـاري ، صـاحب كتـاب النـوادر، وغيره ٠ روى القراءات عن أبي عمرو بن العلاء ٠ مات سـنة (٢١٥) وعمـره (٩٤) عاماً ٠ انظر : اشارة التعيين ص ١٢٨ ت (٧٦) البلغة ص (١٠٣) ت (١٣٦) ٠

(٥) سورة هود ، الآية (٤٤) ٠

(٦) لم أقف على النص في كتابه النوادر .

(٧) انظر لسان العرب (٢/٤٧٦) ٠

وفي الصحاح :" تفيد السيلان من فوق "[١] . وهو غاية في التمثيل ، لأنَّ سيل الماء من فوق أشد من سيلانه في أرض وطية .

فصل

قال الداودي : هذا الحديث كأنّه ركب متناً* على غير أصله ، وذلك : أنَّ أول الحديث فيه ذكر الشفاعة من الموقف ، وفي آخره ذكر الشفاعة فيمن يخرج من النار وذكر من يبقى فيها ممن يخلد .[٢]

فصل

وقوله : ((مابقي في النار إلاَّ من حبسه القرآن)) : يعني : من أخبر القرآن بخلوده فيها.

وقوله : ((وكان في قلبه مايزن شعيرة ، وذرة ، وبرة)) قال الداودي : يعنى من اليقين مع كلمة الإخلاص، وهذا على التقليل .

وكلمة الإخلاص لو جعلت السموات والأرض ومابينهما في كفة ، وجعلت لا إله إلاَّ الله في كفة** أخرى ، لرجحت

* هكذا في ((أ)) و ((ب)) . وفي الفتح : شيئاً ولعله الأقرب .

** كفة ، ساقطة من ((ب))

(١) انظر : الصحاح (١/٣٧٣).

(٢) انظر هذا الإشكال والجواب عنه : الفتح (١١/٤٤٦) .

لا إله إلاَّ الله [١]، غير أنّه لا تقبل من أحد إلاَّ مع الإقرار بكتاب الله ، وملائكته ، وأنبيائه ، ورسله ، وبالبعث ، وبالجنة ، والنار ٠

فصل

وقوله* : ((وكان عرشه على الماء)) :(قال سعيد بن جبير[٢] : سألت ابن عباس ﷺ ، على أي شيء كان الماء ، ولم)** يخلق سماء ولا أرض ، فقال : على متن الريح ٠ [٣]

* ساقطة من ((ب)) ٠

** مابين القوسين ساقط من ((ب)) ٠

(١) جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : ((قال موسى يارب ، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به قال : قل ياموسى : لا إله إلاَّ الله ، قال : يارب كل عبادك يقولون هذا ، قال : ياموسى ، لو أنَّ السموات السبع وعامرهن غيري ، والأرضين السبع في كفة ولا إله إلاَّ الله في كفة ، مالت بهن لا إله إلاَّ الله)) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٨٣٤، ١١٤١) والحاكم في المستدرك (٧١١/١) رقم (١٩٣٦) وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي ٠ والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٥٠/١) رقم (١٨٥) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢١١/١١) أخرجه النسائي بسند صحيح ٠ وقال الهيثمي في المجمع (٨٨/١٠) رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا ، وفيهم ضعف ٠ والحديث في إسناده:دراج،قال أحمد والنسائي: حديثه منكر . ووثقه ابن معين.

(٢) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي ، الوالبي ٠ من كبار التابعين ، روى عن ابن عباس وابن عمر وجماعة ، قال عنه ابن حجر : ثقة ثبت فقيه ٠ قتله الحجاج سنة (٩٥) ترجمته في : السير (٣٢١/٤) تهذيب التهذيب (١١/٤) التقريب (٢٢٧٨) ٠

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٦/٧) حديث رقم (١٧٩٩٨) و(١٧٩٩٩) وعزاه السيوطي إلى : عبدالرزاق في المصنف ، والفريابي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، والحاكم وصححه، والبيهقي في الأسماء والصفات ٠ انظر الدر المنثور (٥٨٢/٣)٠

أ / ٨٣٧

وقوله :// ((وبيده الأخرى الميزان ، يخفض ويرفع)) : هذا يدل على أنَّ اليدين صفتان لله تعالى ، ثابتتان له ، كماسلف .[١] خلافاً لما يقول أبو المعالي : أنْ حمل اليدين على القدرة .[٢]

ومعنى : ((بيده الميزان)) أنّه قدَّر الأشياء ووقتها وحدَّدها ، ولا* يملك أحد نفعاً ولا ضراً إلاَّ منه تعالى ، قاله الداودي .[٣]

وقال الخطابي : " الميزان هنا مثل[٤] ، وإنّما هو قسمه بالعدل بين الخلق يخفض من يشاء أي : يضعه ، ويرفع من يشاء ويقتر ، كما قد صنعه الواصفون** عند الوزن يرفع مرة ويخفض أخرى " .[٥]

*في ((ب)) : فلا .

** هكذا في ((أ)) ، وفي ((ب)) : كما يصفه الواصفون . والعبارة غير مستقيمة المعنى ، وفي أعلام الحديث : ويوسع الرزق على من يشاء ، ويقتر على من يشاء ، كما يصنعه الوزان عند الوزن ، يخفض مرة ويرفع أخرى .

(١) انظر ص (٣١٨) ومابعدها من هذا الكتاب .

(٢) انظر ص (٣١٧) من هذه الكتاب .

(٣) انظر : فتح الباري (٤٠٧/١٣).

(٤) هذا صرف للحديث عن ظاهره ، والأولى حمله على الظاهر ، وأهل السنة يثبتون الميزان ، وأنّه ميزان حقيقي توزن به أعمال العباد ، وذهبت المعتزلة إلى إنكار الميزان ، وقالوا : هو عبارة عن العدل . ونقل القرطبي نحواً من هذا الكلام عن مجاهد والضحاك والأعمش . وتعقبه بقوله : وهذا القول مجاز وليس بشيء ، وإن كان شائعاً في اللغة ، للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي ، ووصفه بكفتين ولسان . أ-هـ. انظر : التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، للقرطبي ص (٣٦٤) مجموع الفتاوى (٣٠٢/٤) شرح العقيدة الطحاوية (٦٠٨/٢) القيامة الكبرى ، للأشقر ص(٢٤٧-٢٥٠).

(٥) انظر : أعلام الحديث (١٨٦٣/٣).

فصل

[وقوله] ((وتكون السماء بيده)) أي بقوته ٠ وقيل هي : صفة لله تعالى وقد سلف ٠[١]

و ((النواجذ)) : أقصى الأسنان ، وهي سِنّ الحلم . أو الضواحك أو الأضراس ،[عند]* الأصمعي٠

أو الأنياب ، [عند] * أبي العباس .[٢] [٣] . أقوال[٤] ٠

فصل

وقراءته عليه السلام : ﴿ وماقدروا الله حق قدره ﴾[٥] قال ابن فورك : " كالمتعجب منه أنّه يستعظم** ذلك في قدرة الله ، فإنّ ذلك يسير في جنب مايقدر عليه ولذلك قرأها ، أي ليس قدرته في القدرة على مايخلق على الحد الذى ينتهي إليه الوهم ، ويحيط به الحد والحصر ". [٦]

---

* في ((أ)) : عن ٠

** في ((ب)) : يستعطف ٠

---

(١) انظر : ص (٣١٨) وما بعدها من هذا الكتاب ٠

(٢) انظر : غريب الحديث ، للحربي (١١٧٥/٣)٠

(٣) انظر : لسان العرب (٥١٣/٣) وأبو العباس هو المبرد وتقدمت ترجمته ص (٢٢٧/ب)

(٤) انظر مجمل اللغة (٢/ ٨٥٥) الصحاح (٢/ ٥٧١) النهاية (٥/ ٢٠)

(٥) سورة الأنعام ، الآية (٩١) ٠ والزمر الآية (٦٧).

(٦) مشكل الحديث وبيانه ص (٢٤٢) ٠

وقال الخطابي : " الآية محتملة للرضاء والإنكار ، وليس فيها للإصبع ذكر ، وقول من قال من الرواة : (تصديقاً لقول الحبر)* ، ظن وحسبان ".[1] [2]

قال : وروى هذا الحديث غير واحد من أصحاب عبدالله ، [فلم]**يذكروا فيه تصديقاً له ٠وقد يستدل المستدل بحمرة الوجه على الخجل ، وبصفرته على الوجل ، وذلك غالب تجري العادة في مثله ، [ثمَّ]*** لايخلو ذلك من إرتياب وشك في صدق الشهادة منهم بذلك ، لجواز أن تكون الحمرة لأمر حادث في البدن ٠والصفرة لهيج مِرارٍ وثوران خلط .

والاستدلال بالتبسم على مثل هذا [الأمر]**** الجسيم قدره غير سائغ مع

---

* في هامش « أ » : في الأصل : اليهود وفي « ب » : اليهودي ٠

** في « أ » : ولم ٠

*** في « أ » : ولا ، والمثبت من « ب » و أعلام الحديث ٠

**** في « أ » و « ب » الاسم ، والمثبت من أعلام الحديث .

---

(1) أعلام الحديث (٣/١٩٠٠)٠

(2) قال ابن حجر : ولو كان الأمر على خلاف مافهمه الراوي بالظن للزم منه تقرير النبيﷺ على الباطل وسكوته عن الإنكار ـ وحاشا لله ـ من ذلك ، وقد اشتد إنكار ابن خزيمة على من أدعى أنَّ الضحك المذكور كان على سبيل الإنكار فقال بعد أن أورد هذا الحديث في كتاب التوحيد من صحيحه بطريقه ، قد أجل الله تعالى نبيه ﷺ عن أن يوصف ربه بحضرته بما ليس هو من صفاته فيجعل بدل الإنكار والغضب على الواصف ضحكاً ٠ فتح الباري (١٣/٤١٠)

وقال ابن التين : تكلف الخطابي في تأويل الإصبع حتى جعل ضحكه ﷺ تعجباً وإنكاراً لما قال الحبر ، ورد ما وقع في الرواية الأخرى « فضحك ﷺ تعجباً وتصديقاً ، بأنَّه على قدر مافهم الرواي ٠ قال النووي : وظاهر السياق أنَّه ضحك ﷺ تصديقاً له : بدليل قراءته الآية التي تدل على صدق ماقال الحبر ، وهي قوله تعالى ﴿ وماقدروا الله حق قدره ﴾ وانظر الفتح (٨/٤١٣)٠

تكافؤ[وجهي]* الدلالة المتعارضين فيه ٠ ولو صح الخبر[١] ، حملناه على تأويل قوله تعالى ﴿والسموات مطويات بيمينه ﴾[٢] أي : قدرته على طيها[٣] وسهولة الأمر في جمعها بمنزلة من جمع شيئاً في كفة فاستخف** حمله ، فلم يشتمل بجميع كفه عليه ، لكنه // يقله [ببعض]*** أصابعه ، وقد يمثل ذلك الأمر الشاق**** القوي ، ب/٢٨٨ب فيقال: إنَّه يقله بإصبع واحدة ، وإنَّه يقله بخنصره ٠[٤]

فصل

راوي حديث عبدالله ﷺ هو : عبيدة بن عمرو ، أبو عمر أو أبو مسلم المرادي السلماني – بسكون اللام – ، اتفقا عليه ، أسلم قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنتين ، وسمع عمر وعلياً وابن مسعود ، مات سنة أربع وستين ، وقيل اثنتين وسبعين ، وقيل ثلاث وسبعين ٠[٥]

* في ((أ)) وجه الدلالة .
**في ((ب)) : فاستحب ٠ وهو خطأ ٠
*** في ((أ)) : بعض ٠
****في ((ب)) : السار ٠

(١) الحديث ثابت ورواته ثقات فلم الطعن فيهم !!٠
(٢) سورة الزمر ، الآية (٦٧)٠
(٣) هذا تأويل من المؤلف وسبق الرد عليه ٠
(٤) انظر : أعلام الحديث (٣/١٨٨٩-١٩٠١)٠
(٥) ترجمته في السير (٤/٤٠) تهذيب التهذيب (٧/٨٤) التقريب (٤٤١٢)٠

أمَّا عبيدة بن حميد الضبي[١] وعبيدة بن سفيان الحضرمي[٢] عن أبي هريرة من أفراد مسلم، وكلهم ـ بفتح العين وكسر الباء ـ ٠ ، وماعداهم في الصحيحين – فبضم العين وفتح الباء –وقد سلف التنبيه على ذلك في المقدمات أول الكتاب.[٣]

---

* جاء في هامش ((أ)) : الأكثر ومن .

---

(١) ترجمة في التهذيب (٧/٨١) التقريب (٤٤٠٨)٠

(٢) ترجمة في التهذيب (٧/٨٣) التقريب (٤٤١١)٠

(٣) انظر : التوضيح شرح الجامع الصحيح (المقدمه وكتاب الوحي) تحقيق زبن العتيبي (٣١٧/١-٣١٨)٠

٢٠ - بـاب

قول النبي ﷺ : ((لا أحد* أغير[١] من الله))

وقال عبيدالله بن عمرو عن عبد الملك : " لا شَخْص أغْيَر من الله " .[٢]

ثم ساق :

[٧٤١٦] حديث عبدالملك عن ورّاد - كاتب المغيرة - عن المغيرة ﷺ قال : قال سعد بن عبادة** : " لو رأيت رجلاً مع أمراتي لضربته بالسيف غير مُصْفَح ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ... الحديث " . [طرفه في : ٦٨٤٦]

---

* في ((ب)) : ما أحد . وجاء في هامش ((أ)) : شخص كذا في أصلنا ... .

** في ((ب)) : معاذ ، وهو خطأ .

غرض البخاري ـ فيما يبدو ـ من هذا الباب بيان جواز إطلاق الشخص على الله ، وإثبات الغَيْرَة وصفاً له ، لأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم أثبتهما له ، وهو أعلم الخلق بالله

(١) قال ابن حجر : وقع عند ابن بطال : " أحد" بدل : " شخص " وكأنّه من تغييره .

(٢) الحديث وصله ابن حجر في التغليق (٥/٣٤٤) وهو في سنن الدرامي : حدثنا زكريا بن عدي ، ثنا عبيدالله بن عمرو ، عن عبدالملك بن عمير ، عن وراد مولى المغيرة ، عن المغيرة قال : بلغ رسول الله ﷺ أنَّ سعد بن عباده يقول : لوجدت رجلاً معها لضربتها بالسيف غير مصفح ، فقال رسول الله ﷺ : ((أتعجبون من غيرة سعد ، أنا أغير من سعد ... الحديث)) . سنن الدّارمي ، كتاب النكاح ، باب : في الغيرة (٢/٥٨٨) ح (٢١٤٧) . وروى مسلم نحوه في كتاب اللعان من صحيحه (١٠/١٨٥) ح(١٤٩٩) ورواه الإمام أحمد عن أبي عوانه عن عبدالملك . المسند (٤/٢٤٨).

والصاد في مصفح – ساكنة – ، والفاء – مكسورة ومفتوحة – أي : غير ضارب بعرضه بل بحده ، وصفحتا الشيء : وجهاه العريضان* ، وغراراه : حدّاه ، فمن فتح الفاء جعله وصفاً للسيف وحالاً منه ، ومن كسره جعله وصفاً للضارب وحالاً** (١)

واختلفت ألفاظ هذا الحديث ، فرواه ابن مسعود مرفوعاً : ((لا أحد)) كما سلف في آخر النكاح(٢) ، وفي رواية عبيد الله(٣) .

ورواية ابن مسعود مبينة أنَّ لفظ الشخص موضوع [موضع] أحد ، على أنَّه من باب المستثنى من غير جنسه وصفته ، كقوله تعالى ﴿ ماهم به من علم إلاَّ اتباع الظنّ ﴾(٤) ،وليس الظن من اتباع العلم بوجه .

وأجمعت الأمة على أنَّ الله تعالى لا يجوز أن يوصف بأنَّه شخص(٥) لأنَّ التوقيف لم يرد به(٦) .

---

* في ((ب)) : العريضتان .

** حالاً : ساقطة من ((ب)) .

---

(١) انظر : مشارق الأنوار (٢/٤٩).

(٢) انظر : كتاب النكاح ، باب الغَيْرَة ح (٥٢٢٠) (٩/٢٣٠فتح) .

(٣) المتقدمة في الصفحة السابقة .

(٤) سورة النساء ، الآية (١٥٧).

(٥) هذه دعوى عارية عن الدليل ، إذ كيف تجمع الأمة على خلاف ماصح عن رسول هذه الأمة محمد ﷺ ، وقد ثبت أنَّ الأمة لا تجتمع على ضلاله ،بل سلف هذه الأمة على إطلاق الشخص على الله تعالىلورودها في صحيح السنة على لسان أعلم الخلق بالخالق.

(٦) بل وردت الأحاديث الصحيحة بذلك . انظر هامش (٢) من الصفحة السابقة يقول عبيدالله القواريري ـ أحد رواة هذا الحديث ـ: ليس حديث أشد على الجهمية من هذا الحديث ، قوله : ((لاشخص أحب إليه مدحة من الله عزو جل)) المسند (٤/٢٤٨).

وقد منعت [المجسمة]* من إطلاق الشخص عليه مع قولهم : إنَّه جسم واحد موضوع** للإشتراك [بين]*** الله تعالى و[بين]*** خلقه.[١] .

وقد نص الله تعالى على تسمية نفسه ، فقال : ﴿ قل هو الله أحد﴾.[٢]

((وقد سلف في باب الغَيْرَة من كتاب النكاح ، معنى الغَيْرَة من الله تعالى أنَّها بمعنى : الزجر عن الفواحش والتحريم لها))[٣] ، لأنَّ الغيور هو الذي يزجر عمَّا يغار عليه ، وقد بين ذلك عقبة بقوله : ((ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن)) . والمعنى أنَّ سعد[اً] زجر عن المحارم ، وأنا أزجر منه [والله أزجر منه] عن الجميع.[٤][٥]

((ومعنى الحديث أنَّ الأشخاص الموصوفه بالغيرة لا تبلغ غيرها غيرة الله تعالى ، وإن لم يكن شخصاً.))[٦][٧]

---

* في ((أ)) : المعتزلة . والتصويب من ((ب)) وشرح ابن بطال وفتح الباري ومشكل الحديث وبيانه .

** في ((ب)) موضع .

*** في ((أ)) : من . والمثبت من ((ب)) وشرح ابن بطال .

---

(١) انظر أقوال المجسمة في التجسيم : مقالات الإسلاميين (٣١-٣٥).

(٢) سورة الإخلاص ، الآية (١) .

(٣) مابين القوسين مأخوذ من شرح ابن بطال (٤/٣٤٨/ أ) .

(٤) انظر قريباً من هذا الكلام : مشكل الحديث وبيانه (ص٩٥).

(٥) هذا تأويل لصفة الغيرة والواجب إثباتها على مايليق بجلال الله اثباتاً بلا تمثيل كما هو الشأن في جميع صفات الله تعالى ، فغيرة الله تعالى ليست مماثلة لغيرة المخلوق بل هي صفة تليق بعظمته كالغضب والرضى ونحو ذلك من خصائصه التي لا يشاركه الخلق فيها ، فلايلزم من اتفاق الاسمين تماثل مسماهما . وانظر التدمرية ص (٢١).

(٦) مابين القوسين مأخوذ من شرح ابن بطال (٤/٣٤٨/ أ).

(٧) انظر قريباً من هذا الكلام : مشكل الحديث وبيانه (ص٩٥).

وقال الداودي[(١)] : " قوله : ((لا شخص أغير من ا لله)) لم يأت متصلاً [(٢)] ، ولم تتلق الأمة مثل هذه الأحاديث بـالقبول ، فـإن صـحَّ[(٣)] فيحتمـل أنَّ ا لله أغير من خلقه ، ليس أحداً منهم أغير منه ، ولم يسمِّ نفسه شخصاً ، إنَّما أتى [هنـا] مرسـلاً[(٤)] وهو يُتوقى في الأحكام التي بالناس الضرورة إلى العمل بها " .[(٥)]

وقـال الخطـابي : " إطـلاق الشـخص في صفـات ا لله غـير جـائز ، لأنَّ الشـخص إنَّمـا يكـون جسـماً مؤلفـاً ، وخليـق أن لاتكـون هذه اللفظة صحيحة ، وأن تكون تصحيفاً من الراوي[(٦)] ، ودليل [ذلك] أنَّ أبا عوانة

---

(١) انظر : عمدة القاريء (٢٥/٢٩٦).

(٢) المتصل هو : مااتصل إسناده ، مرفوعاً كان أو موقوفاً .
انظر : المقنع في علوم الحديث،لابن الملقن ص(١١٢) تيسيرمصطلح الحديث ص (١٣٦).

(٣) انظر التعليق الآتي في هامش (٦) .

(٤) المرسل عند المحدثين هو : ماسقط من آخر إسناده مـن بعـد التـابعي . وأمَّـا عنـد الفقهـاء والأصوليين : فهو كل مالم يتصل سنده على أي وجه كان انقطاعه . وفي حجيـة المرسـل خـلاف مشـهور بـين العلمـاء . انظـر مقدمـة إكمـال المعلـم ، للقـاضي عيـاض ص (٣١٤-٣٢٠) المقنع في علوم الحديث ص (١٢٩-١٤٠) تيسير مصطلـح الحديـث ص (٧١-٧٤) . وكلام المؤلف هنا غير مسلّم ، فالحديث رواه الإمام أحمد ، ومسـلم ، والدارمي ، جميعهم بروايات متصلة الإسناد .

(٥) بل إذا صح الحديث فهو حجة سواء كان ذلك في أبواب العقـائد ، أوالحـلال والحـرام أو غيرها ، وسبق تفصيل الكلام حول هذه المسألة .

(٦) قال ابن حجر : " وطعن الخطابي ومن تبعه في السند مبني على تفرد عبيد الله بن عمرو به ، وليس كذلك كما تقدم ، وكلامه ظاهر في أنّه لم يراجـع صحيـح مسـلم ولا غـيره من الكتب التي وقـع فيهـا هـذا اللفـظ مـن غـير روايـة عبيـدالله بـن عمـرو ، ورد الروايـات الصحيحة والطعن في أئمة الحديث الضابطين مع إمكان توجيه مارووا من الأمور التي أقدم عليها كثير من غيرأهل الحديث ، وهو يقتضي قصور فهم من فعل ذلـك منهـم ." أ.هـ فتح الباري (١٣/٤١٣).

رواه عن عبدالملك[1] [فلم يذكر]* هذا الحرف .

وروته أسماء بنت الصديق ﷺ مرفوعاً : ((لاشيء أغير من الله[2])) .

ورواه أبو هريرة كذلك أيضاً[3] .

فدل ذلك على أنّ " الشخص " وهم وتصحيف ، فمن لم ينعم [4] الإستماع لم يأمن الوهم ، وليس كل الرواة يراعون لفظ الحديث حتى لا يتعدوه ، بل كثير منهم يُحَدِّثُ على المعنى ، وليس كلهم فقهاء ، وفي كلام آحاد الرواة منهم جفاء وتعجرف[5] .

وقال بعض كبارالتابعين : " نعم المرء ربنا لو أطعناه ماعصانا " [6] ، ولفظ المرء إنّمايطلق** في الذكور من الآدميين ، فأرسل الكلام ، وبقي أن يكون لفظ الشخص جرى على هذا // السبيل ، إن*** لم يكن غلطاً من قبيل التصحيف [أ/٨٣٨ و ب/٢٨٨ب]

[ثمَّ] إنَّ عبيدالله انفرد به عن عبدالملك ، [ثمَّ] لم**** يتابع عليه فاعتوره

---

* في ((أ)) و ((ب)) : فذكره وهو خطأ ، والمثبت من أعلام الحديث للخطابي .

** في ((أ)) زيادة كلمة : في الدين . ولامعنى لها هنا ، وليست في ((ب)) ولافي أعلام الحديث .

*** في ((ب)) : إذ .

**** لم ، ساقطة من ((ب)) .

---

(١) مقصوده حديث الباب عند البخاري .

(٢) انظر : صحيح البخاري : كتاب النكاح باب الغيرة (٩/٢٣٠فتح) ح (٥٢٢٢) .

(٣) المصدر السابق ح (٥٢٢٣).

(٤) أنعم النظر في الشيء : إذا أطال الفكرة فيه . اللسان (١٢/٥٨٦) مادة (ن ع م) .

(٥) ليس هناك ثمة حاجة إلى تخطئة الرواة الثقات والقدح فيهم ، فروايتهم هذه كغيرها من الروايات التي تثبت لله الصفات اللائقة به ، والتي لا تشبه بحال صفات المخلوق إلاّ من حيث اتحاد التسمية فحسب .

(٦) انظر : شأن الدعاءللخطابي ص (١٨).والمقولة فيها تجوز لاينبغي .

الفساد من هذه الوجوه فدل على صحة ماقلناه.[١]

وقال ابن فورك : " لفظ الشخص غيرثابت من طريق السند ، فإن صح [فبيانه]* في الحديث الآخر ، وهو قوله : ((لا أحد أغير من الله))[٢] فاستعمل لفظ الشخص موضع أحد كما سلف ، والتقدير أنّ الأشخاص الموصوفة لا تبلغ غيرتها ، وإن تناهت غيرة الله، وإن لم يكن شخصاً بوجه"[٣] ، كما أسلفناه[٤] ، قال : وإنّما منعنا من إطلاق لفظ الشخص لأمور :

أحدها : أنّ اللفظ لم** يثبت من طريق السمع .

وثانيها : إجماع الأمة على المنع منه .

ثالثها : أنّ معناه أن يكون أجساماً مؤلفة على نوع من التركيب .

وقد منعت المجسمة*** إطلاق " الشخص " مع قولهم بالجسم ، فدل ذلك على ماقلناه من الإجماع على منعه في صفتة تعالى [٥] .

---

* في ((أ)) : فشأنه .

** لم . ساقطة من ((ب)) . وجاء في هامش ((أ)) : لعله سقط : لم .

*** في ((ب)) : الجسمية ، وكذا في مشكل الحديث .

---

(١) انظر : أعلام الحديث ، (٢٣٤٦/٣) وتقدم في الصفحة السابقة الرد على هذا القول .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢١٩/٥) ح (٣٦١٦) بتحقيق أحمد شاكر ، والحديث في البخاري كما سلف قريباً .

(٣) مشكل الحديث وبيانه ص (٩٦-٩٧).

(٤) ص (٣٤٢) من هذا الكتاب .

(٥) مشكل الحديث وبيانه ص (٩٦-٩٧) وتقدم الرد على هذه الأمور التي ذكر أنّها تمنع إطلاق الشخص في حق الله تعالى .

فصل

قوله : ((ماظهر منها)) قال مجاهد هو نكاح الأمهات في الجاهلية .

((ومابطن)) : الزنا .[١]

وقال قتادة : سرها وعلانيتها .[٢]

فصل

⟨⟨ المحبة من الله تعالى إرادته من عباده طاعته وتنزيهه ، والثناء عليه ، ليجازيهم بذلك* .[٣]

وقوله : ((ولا أحد أحب إليه العذر من الله)) معناه ماذكر في قوله تعالى : ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾[٤] فالعذر في هذا الحديث التوبة والإنابة ⟩⟩ .[٥]

---

* في ((ب)) : على ذلك .

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/٣٩٢) ح (١٤١٥٠) ، وزاد المسير (٣/١٥٢) . الدر المنثور (٣/١٠٤) وعزاه إلى : عبد بن حميد ، وأبي الشيخ .

(٢) انظر : تفسير الطبري (٥/٣٩٢) ح(١٤١٤٨) ، وزاد المسير (٣/١٥٢) .

(٣) تفسير المحبة بالإرادة تأويل لهذه الصفة وصرف لها عن مايجب اعتقاده في هذا الباب وقد سبق بيان ذلك (ص ١٨٩) هامش (٤) .

(٤) سورة الشورى ، الآية (٢٥) . وانظر لتفسير الآية : تفسير البغوي (٧/١٩٣) .

(٥) مابين القوسين مأخوذ من شرح ابن بطال (٣٤٨/ب) .

٢١ - بــاب

قول الله تعالى:﴿ قل أي شيء أكبر شهادة ... الآية ﴾ (١) وسمَّى الله نفسه شيئاً ، وسمى النبي ﷺ القرآن شيئاً وهو صفة من صفات الله وقال : ﴿ كل شيء هالك إلاّ وجهه ﴾(٢)

ثمَّ ذكر فيه :

[٧٤١٧] حديث أبي حازم [سلمة] * بن دينار القاص ، مولى بني مخزوم ، عن سهل بن سعد ﷺ قال : قال النبي ﷺ لرجل : ((أمعك من القرآن شيء ، قال : نعم سورة كذا وسورة كذا لسور** سمَّاها)) [أطرافه في : ٢٣١٠ ، ٥٠٢٩ ، ٥٠٣٠ ، ٥٠٨٧ ، ٥١٢١ ، ٥١٢٦ ، ٥١٣٢، ٥١٣٥ ، ٥١٤١ ، ٥١٤٩ ، ٥١٥٠ ، ٥٨٧١]٠

---

* في ((أ)) و ((ب)) : سلمان . وهو خطأ ٠ وانظر ترجمته في : التهذيب (١٤٤/٤)والتقريب (٢٤٨٩) وانظر الفتح (١١٢/٩)٠

** في ((ب)) : لسورة

غرض البخاري ـ فيما يظهر ـ من هذا الباب بيان جواز إطلاق " شيء " على الله تعالى ، وكذا على صفاته ، وليس معنى ذلك أنَّ الشيء من أسمائه الحسنى ، ولكنه يخبر عنه بأنَّه شيء ، لأنَّ كل موجود يصح أن يقال : إنَّه شيء وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء .انظر : شرح كتاب التوحيد للغنيمان (٣٣٨/١) .

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٩) ٠

(٢) سورة القصص ، الآية (٨٨)٠

الشرح

ماذكره ظاهر لما ترجم له ٠

﴿ قال عبدالعزيز[١] - صاحب الحيدة[٢] - : " إنّما سمى الله نفسه شيئاً ، إثباتاً للوجود ، ونفياً للعدم ، ولذلك أجرى على كلامه ما أجراه على نفسه ، فلم يتسمّ بالشيء ، ولم يجعله من أسمائه ، ولكنّه دل على نفسه ، أنّه شيء ، أكبر الأشياء ، إثباتاً للوجود ونفياً للعدم ، وتكذيباً للزنادقة والدهرية ، ومن أنكر ربوبيته من سائر الأمم . فقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم ﴾ [٣] فدل على نفسه أنّه شيء ليس كالأشياء ، لعلمه السابق أنّ جهماً [٤]

---

(١) هو عبدالعزيز بن يحيى بن عبدالعزيز الكناني ، المكي ٠ صاحب الحسن ٠ كان يلقب بالغول لدمامته ٠ كان من تلاميذ الشافعي ، طالت صحبته له واتباعه خرج معه إلى اليمن ٠ قدم بغداد في أيام المأمون ، وجرت بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن ، كان من أهل العلم والفضل ، وله مصنفات عديدة ٠ انظر ترجمته في : ميزان الإعتدال (٦٣٩/٢) تهذيب التهذيب (٣٦٣/٦) الأعلام (٢٩/٤)٠

(٢) الحيدة كتاب مشهور ، له شهرة واسعة ، طعن بعض العلماء في نسبته للمؤلف . يقول الذهبي : " لم يصح اسنادكتاب الحيدة ، فكأنّه وضع عليه والله أعلم " . ميزان الاعتدال (٢/ ٦٣٩).

(٣) سورة الأنعام ، الآية (١٩)٠

(٤) هو جهم بن صفوان ، أبو محرز الراسبي . أسُّ الضلالة ورأس الجهمية ، كان صاحب ذكاء وجدال ، ولم يكن له عناية برواية الحديث وتحمله ، كان ينكر الصفات ، ويقول بخلق القرآن ، وأنّ الله في الأمكنة كلها ، وأن الإيمان عقد بالقلب ، وإن تلفظ بالكفر . أسره سلم بن الأحوز وقال : " والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك "، فقتله . انظر : السير (٢٦/٦) تاريخ الجهمية و المعتزلة (ص ١٠-١٦) .

وبشراً [١] ومن وافقهما سيلحدون في أسمائه ، ويشبهون على خلقه ، ويدخلونه وكلامه في الأشياء المخلوقه • [فـ] قال عزوجل : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[٢] فأخرج نفسه وكلامه وصفاته عن الأشياء المخلوقه بهذا الخبر ، تكذيباً لمن ألحد في كتابه ، وشبهه بخلقه ، ثم عدَّد أسماءه في كتابه ،فلم يتسم بـ " شيء " * ولم يجعله من أسمائه في قوله عليه السلام : ((إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً • • •))[٣]

ثم ذكر كلامه كما ذكرنفسه ، ودل عليه [بما]** دل [على]*** نفسه ، ليعلم الخلق أنَّه صفة من صفات ذاته ، فقال تعالى : ﴿ وماقدروا الله حق قدره إذا قالوا ماأنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس ﴾ •[٤] فذم الله اليهود حين نفت أن تكون التوراة شيئاً ، وقال : ﴿ ومن

* في ((ب)) : بالشيء ،

** في ((أ)) : ما •

*** في ((أ)) و ((ب)) : عليه ، والتصويب من شرح ابن بطال والفتح •

(١) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي ، أبو عبدالرحمن ، كان من الفقهاء ، ونظر الكلام فغلب عليه ، وجرَّد القول بخلق القرآن ودعا إليه حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم ، فمقته أهل العلم . سُئِل أحمد عن الصلاة خلف بشر المريسي فقال " لاتصل خلفه " وهو الذي رد عليه عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه المشهور . له مصنفات منها : الإرجاء و الرد على الخوارج و الوعيد و كفر المشبهة وغيرها . هلك سنة (٢١٨) وقد قارب الثمانين . انظر : تاريخ بغداد (٧ / ٥٦) والسير (١٠/ ١٩٩) وميزان الإعتدال (٣٢٢/١) .

(٢) الشورى ، الآية (١١)•

(٣) تقدم ص (٢٥٤)•

(٤) الأنعام ، الآية (٩١) .

أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء﴾ [١] ، فدل أنَّ الوحي شيء[بالمعنى] *والذم لمن جحد أنَّ كلامه شيء [فكل]**صفة من صفاته تسمى شيئاً ،[بمعنى]*** أنَّها موجودة**** ، ولَمَّا أظهر الله تعالى اسم كلامه لم يظهره باسم الشيء ، وإنَّما أظهره باسم الهدى والنور والكتاب ، ولم يقل من أنزل [الشيء]***** الذي جاء به موسى ". [٢]

قال غيره****** : " وتسمية // الله تعالى لنفسه بشيء[٣] يرد قول من زعم من أهل البدع : أنَّه لا يجوز أن يسمى الله بشيء ، وهو الناشيء[٤] [ب/٢٨٩أ]

---

* في « أ » و « ب » فالمعنى ، والتصويب من شرح ابن بطال وكتاب الحيدة .

** في « أ » : وكل ، والمثبت من « ب » وشرح ابن بطال .

*** في « أ » : يعني .

**** في « ب » : موجودته .

***** في « أ » و « ب » : الكتاب . وهو خطأ ، والتصويب من شرح ابن بطال .

****** في « أ » و « ب » : قال به غيره ، والتصويب من شرح ابن بطال.

---

(١) الأنعام ، الآية (٩٣) .

(٢) انظر : الحيدة والإعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن ، لعبدالعزيز الكناني ص (٣٥-٣٧)

(٣) يصح أنَّ يطلق على الله تعالى أنَّه شيء، وكذلك صفاته ، وليس معنى ذلك أنَّ الشيء من أسمائه الحسنى ، ولكن يخبر عنه بأنَّه شيء ، لأنَّ كل موجود يصح أن يقال إنَّه شيء ، وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء ، انظر مجموع الفتاوى (١٤٢/٦) ، بدائع الفوائد (١٤٦/١-١٤٧).

(٤) هو أبو العباس ، عبدالله بن محمد الناشيء ، الشاعر المتكلم ، يعرف بابن شرشير أصله من الأنبار ، أقام ببغداد مدة طويلة ، ثم خرج إلى مصر وتوفي بها سنة (٢٩٣هـ). انظر : السير (٤٠/١٤) البداية والنهاية (١٠٧/٦) الأعلام (١١٨/٤).

ونظراؤه.*[١]

وقولهم خلاف مانص عليه في كتابه ، وهو القائل : شيء إثبات الوجود** ، ولا شيء نفي . فبان أنَّ المعدوم ليس بشيء ، خلافاً لقول المعتزلة من أنَّ المعدومات أشياء [وأعيان]*** على ماتكون عليه في الوجود[٢] ، وهذا قول يفضي بقائله إلى قدم العالم ، ونفي الحدث والمحدث ، لأنَّ المعدومات إذا كانت على ماتكون عليه في الوجود أعياناً [لم]**** يكن لقدرة الله على خلقها وحدثها تعلق ، وهذا كفر ممن قال به)).[٣]

---

* في « ب » : ونظائره .

** في « ب » : الموجود . وعند ابن بطال : موجود .

*** في « أ » و « ب » : وأعوان . والتصويب من شرح ابن بطال .

**** في « أ » : لن

---

(١) وممن ذهب إلى هذا الجهم بن صفوان .

انظر : مقالات الإسلاميين ص (٥١٨) شرح أسماء الله الحسنى ص (٣٥٧-٣٥٨).

(٢) انظر :محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ، للرازي (ص ٨٣) .

(٣) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٤٨ / ب - ٣٤٩ / أ) .

٢٢- بـــاب

قوله تعالى : ﴿ وكان عرشه على الماء﴾[١] ﴿وهو رب العرش العظيم ﴾[٢]

قال أبو العالية [٣] : " ﴿ استوى إلى السماء ﴾ : ارتفع . ﴿فسواهنَّ ﴾ : خلقهنَّ * " وقال مجاهد : " ﴿ استوى ﴾ : عـلا** علـى العـرش ". وقال ابـن عبـاس : ﷺ :" ﴿ المجيـد ﴾ : الكريـم ، و ﴿ الـودود ﴾ : الحبيب ، يقال حميد مجيد : كأنّه فعيل من ماجد ، ومحمود من حميد ".

ثم ساق أحاديث سنذكرها واحداً واحداً .

* في ((ب)) :فخلقهنَّ .

** علا ، ساقطة من ((ب)) .

غرض البخاري ــ فيما يظهر ــ من هذا الباب إثبات العرش وبيان أنّـه مربـوب مخلوق ، وبيان معنى الإستواء على العرش ، والرد على الطوائف المنحرفة من الفلاسـفة وأهل التأويل في ذلك .

(١) سورة هود ، الآية (٧)

(٢) سورة النمل ، الآية (٢٦) .

(٣) هو : رُفَيْع – بالتصغير – ابن مهران ، أبو العالية ، الرياحي ، البصري . روى عـن علي وابن مسعود وابن عباس وآخرون ، وعنه خالد الحذاء ، وداود بن أبـي هنـد ومحمـد بـن سيرين . أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ ، بسنتين ودخل على أبي بكر وصلـى خلف عمر . وثقه ابن معين وأبوزرعة وأبوحاتم واللالكائي . قال ابن أبـي داود : ليـس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة من أبي العالية . وقال ابن حجر : ثقة كثير الإرسـال . توفي سنة (٩٣هـ) انظر : التهذيب (٣/٢٨٤) التقريب (١٩٥٣).

⟪ وغرضه في الباب [حدث]* العرش ، بدليل قوله تعالى ﴿ وهو رب العرش العظيم ﴾[1] وبدليل قوله في حديث أبي سعيد الآتي : « فإذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش » ، فوصَفَه تعالى بأنَّه مربوب كسائرالمخلوقات ، ووصَفَه عليه السلام بأنَّه ذو أبعاض** وأجزاء ، منها مايسمى قائمة والمتبعض والمتجزيء لا محالة جسم ، والجسم مخلوق ، لدلائل قيام الحدث به من التأليف ، خلافاً لما تقوله الفلاسفة : أنَّ العرش هو الصانع الخالق[2] ⟫ .[3]

وأثر أبي العالية : أخرجه الطبري ، عن محمد بن أبان ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن حصين عنه[4] .

وأثر // مجاهد ذكره*** [الفريابي]**** في تفسيره[5] . أ / ٨٣٩

* في « أ » و « ب » : حديث ، وجاء في هامش « أ » : لعل الصواب ... حدوث . والمثبت من شرح ابن بطال .

** في « ب » : العارض .

*** في « ب » : ذكر . والمثبت من تغليق التعليق (٥/٣٤٤) والفتح (١٣/٤١٦)

**** ساقطة من « أ » و « ب » .

(١) سورة النمل ، الآية (٢٦) .

(٢) انظر : راحة العقل ، للداعي أحمد حميد الكرماني (ص ٣٠٢-٣٠٥) .

(٣) مابين القوسين من ابن بطال (٤/٣٤٩/ أ) .

(٤) انظر : تفسير الطبري (١/٢٣٢) وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم والبيهقي . انظر الدر المنثور (٩١) تعليق التعليق (٥/٣٤٤).

(٥) الفريابي هو : محمد بن يوسف الفريابي ، أبو عبدالله الضبي ، شيخ البخاري . أحد الأثبات كان رجلاً صالحاً ، صحب سفيان ، كتب عنه الإمام أحمد بمكة ورحل إليه فبلغه موته فعدل إلى حمص . عن محمد بن سهل قال : خرجنا مع الفريابي في الاستسقاء فرفع يديه فما أرسلهما حتى مطرنا . وقال البخاري : رأيت قوماً دخلوا إلى الفريابي

⇐⇐⇐

رواية ابن ابي نجيح[١] عن ورقاء[٢] عنه ٠ [٣]

وأثر ابن عباس ، أخرجه البيهقي من حديث عثمان بن سعيد الدارمي ثنا عبدالله بن صالح عن معاوية بن*صالح عن ابن أبي طلحة عنه به ٠ [٤]

---

* في « أ » و « ب » : معاوية بن أبي صالح ٠ وهوخطأ ٠ والصواب المثبت ٠

⇐⇐⇐

فقيل له : إنَّ هؤلاء مرجئة فقال أخرجوهم ، فتابوا ورجعوا ٠ توفي رحمه الله سنة ٢١٢هـ ٠ انظر ترجمته : ميزان الإعتدال (٧١/٤) السير (١١٤/١٠) ٠ وكتابه التفسير ذكره صاحب كشف الظنون (٤٥٦/١) وأشار إلى أنَّ منه منتقى للسيوطي ٠

(١) ابن أبي نجيح هو : عبدالله بن أبي نجيح – يسار المكي – أبو يسار الثقفي ، روى عن مجاهد وطائفة ، وعنه ورقاء وغيره ٠ وثقه أحمد وابن معين وأبوزرعه والنسائي ٠ وكان سفيان يصحح تفسير ابن أبي نجيح ، وقال يحيى بن سعيد : لم يسمع ابن أبي نجيح التفسير من مجاهد ٠ قال ابن حجر : ثقة رمي بالقدر ، وربما دلس ٠ مات سنة (١٣١) ٠ انظر : تهذيب التهذيب (٥٤/٦) التقريب (٣٦٢٢)٠

(٢) هو ورقاء بن عمر بن كليب ، أبو بشر اليشكري ، ويقال الشيباني ٠ روى عن ابن أبي نجيح وجماعة ٠ عن أحمد قال : ورقاء ثقة صاحب سنة ، قيل : وكان مرجئاً ؟ قال : لا أدري ٠ وكان أبو عبدالله ضعفه في التفسير ، روى عنه توثيقه في تفسير ابن أبي نجيح ٠ قال ابن حجر : صدوق ، في حديثه عن منصور لين ٠ انظر ترجمته : تهذيب الكمال (١٤٦٠/٣) ميزان الاعتدال (٣٣٢/٤) السير (٤١٩/٧) تهذيب التهذيب (١١٣/١١)٠

(٣) انظر : تغليق التعليق (٣٤٥/٥) ٠

(٤) الأسماء والصفات باب جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع اثبات التدبير له دون ماسواه (١٨٩/١) ح (١٣٣) والأثر إسناده ضعيف ، لأنَّ فيه عبدالله بن صالح وهو مضعف ، وكذا في سنده انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس ٠ والأثر عزاه السيوطي إلى ابن المنذر " الدر المنثور ٥٥٧/٦ " والأثر رواه الطبري تفسيره (٥٢٩/١٢) رقم (٣٦٨٨٨ و ٣٦٨٩٠) وعزاه ابن حجر إلى ابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق (٣٤٥/٥)٠

فصل

وأمَّا الإستواء ، فاختلف الناس في معناه : -

فقالت المعتزلة : إنَّه بمعنى الاستيلاء والقهر والغلبة ، واحتجوا بقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهـــــراق*[١]

يعني** : قهر وغلب .

وقال كثير من أهل اللغة : إنَّ معنى [علا]*** على العرش : استوى واستقر ، كقوله تعالى ﴿ فإذا استويت أنت من معك على الفلك ﴾[٢]

وأنكر بعضهم الأول ، وقال : لا يقال استولى إلاَّ لمن لم يكن مستوليا [ثم استولى] لأنَّه تعالى لم يزل مستولياً .[٣]

ثم اختلف من سوى المعتزلة في العبارة ، وهي ثلاثه كما ذكرناه ارتفع ، علا ، استقر .

فأما قول من جعل الاستواء بمعنى القهر والاستيلاء ، فقول فاسد كماقررناه[٥]

---

* جاء في نسخه ((أ)) كلمة فصل ، ولا مكان لها هنا .

** في ((ب)) : بمعنى .

*** ساقطة من ((أ)) .

---

(١) يقول شيخ الاسلام ابن تيمية " ولم يثبت نقل صحيح أنَّه شعر عربي وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه ، وقالوا : إنَّه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة ، وقد علم أنَّه لو احتج بحديث رسول ا لله ﷺ لاحتاج إلى صحته فكيف ببيت شعر لا يعرف اسناده ، وقد طعن فيه أئمة اللغه " . أ.هـ مجموع الفتاوى (١٤٦/٥).

(٢) سورة المؤمنون ، الآية (٢٨).

(٣) انظر لسان العرب (٤١٤/١٤).

(٥) أبطل شيخ الاسلام ابن تيمية هذا التأويل من اثنى عشر وجهاً . انظرها في مجموع الفتاوى (١٤٤/٥-١٤٩) وكذا ابن القيم من اثنين وأربعين وجهاً . انظر : مختصر الصواعق ص (٣٠٦).

لأنَّ ا لله تعالى لم يزل قاهراً [غالبا] مستولياً •

وقولـه تعـالى ﴿ ثـمَّ اسـتوى ﴾ يقتضـي اسـتفتاح هـذا الوصـف ، واسـتحقاقه[بعـد]* أن لم يكـن ،كمـا أنَّ المذكـور في البيـت إنَّمـا حصـل** لـه هـذا الوصف بعد أن لم يكن •

وتشبيههم أحد الاستوائين بالآخر غير صحيـح ، ومؤد إلى أنَّ ا لله تعـالى كـان مغالباً في ملكه ، وهذا منتف عن ا لله تعالى إنَّ ا لله تعالى هو الغالب لجميع خلقه ،

وأمَّا من قـال تأويلـه :" اسـتقر " ففاسـد [أيضـاً] لأنَّ الاسـتقرار مـن صفـات الأجسام •

وأمَّا تأويل " ارتفع " فقول مرغوب عنه ، لما في ظاهره من إيهـام الانتقـال مـن سفل إلى علو ، وذلك لا يليق با لله •

وأمَّا تأويل " علا " فهو صحيح ، وهو مذهب أهل السنة والحق كما قاله ابـن بطال[١]

ثم قال : فـإن قلـت : ماالتزمتـه في " ارتفـع " مثلـه يـلزم في " عـلا " !! قيـل الفرق بينهما ، أنَّ ا لله تعالى وصف نفسه بـالعلو بقولـه [تعـالى] : ﴿ سبحانه وتعـالى عما يشركون ﴾[٢] ، فوصف نفسه بالتعالي ، والتعالي من صفات الـذات ، ولم يصـف نفسه بالإرتفاع •

وقال بعضهم : الاستواء ينصرف في كلام*** العرب على ثلاثة أوجه : –

* ساقطة من ((أ)) و ((ب)) ، والمثبت من شرح ابن بطال •

** في ((ب)) : قصد •

*** في ((ب)) : لسان •

(١) شرح ابن بطال (٣٤٩/٤/ ب) •

(٢) سورة يونس ، الآية (١٨) •

فالوجه الأول : قوله تعالى في ركوب الأنعام : ﴿ ثمَّ تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ﴾ (١) فهذا الاستواء بمعنى الحلول ، وهو منتف عن الله عزوجل ، لأنَّ الحلول يدل على التحديد والتناهي فبطل// أن يكون حالاً على العرش بهذا الوجه . ب/٢٨٩ب

والوجه الثاني : [أنَّ] الإستواء بمعنى : الملك للشيء والقدرة عليه ، كما قال بعض الأعراب وسُئِلَ عن الإستواء ، فقال : خضع له مافي السموات ومافي لأرض ، ودان له كل شيء وذل ، كما تقول للملك إذا دانت له البلاد بالطاعة ، حتى استوت له البلاد .

والثالث : الاستواء بمعنى : التمام للشيء والفراغ منه ، [كقوله] : ﴿ ولمَّا بلغ أشدَّه واستوى . . . ﴾(٢) فإنَّ الاستواء هنا التمام كقوله عزوجل :﴿على العرش استوى ﴾ (٣) أراد التمام للخلق كله وإنَّما قصد بذكر العرش ، لأنَّه أعظم الأشياء ،

ولا يدل قوله تعالى : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾(٤) أنَّه حالٌ عليه ، وإنَّما أخبر عن العرش خاصة أنَّه على الماء ، ولم يخبر عن نفسه أنَّه جعله للحلول ، لأنَّ هذا كان يكون حاجة منه إليه ، وإنَّما جعله ليتعبد به ملائكته ، فقال تعالى : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون . . . الآية ﴾(٥) .

وكذلك تعبد الخلق بحج بيته الحرام ، ولم يسمه بيته بمعنى [أنَّه] يسكنه ، وإنَّما سماه بيته ، لأنَّه الخالق له والمالك ، وكذلك العرش سمَّاه عرشه ، لأنَّه مالكه ، والله تعالى ليس لأوليته حد ، ولا منتهى* ، وقد كان في أوليته وحده ولا عرش معه ، تعالى

* في « ب » : انتهى .

(١) سورة الزخرف ، الآية (١٣).

(٢) سورة القصص ، الآية (١٤)

(٣) سورة طه ، الآية (٥).

(٤) سورة هود ، الآية (٧).

(٥) سورة غافر ، الآية (٧).

عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ثم اختلف أهل السنة هل الاستواء صفة ذات ، أو صفة فعل ؟!

فمن قال هو بمعنى علا ، جعله صفة ذات ، وأنَّ الله لم يزل مستوياً [بمعنى] أنه لم يزل عالياً .

ومن قال إنَّه صفة فعل ، قال إنَّ الله تعالى فعل فعلاً سماه : استواءً على عرشه ، لا أنَّ ذلك الفعل قائم بذاته تعالى ، لاستحالة قيام الحوادث به .[1]

فصل

واستدل بعضهم بهذة الآية [2] على أنَّ خلق السماء بعد الأرض وقال تعالى: ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾[3] ، قال ابن عباس : خلقت الأرض ثمَّ السماء ثمَّ دحى الأرض[4] ، [أي بسطها][5] ،

وقيل المعنى : ثم أخبركم بهذا كقوله : ﴿ ثمَّ كان من الذين آمنوا ﴾[6] .

وقيل : ثمَّ بمعنى الواو .[7]

---

(١) أغفل المؤلف هنا قول السلف ، وأنهم يثبتون صفة الاستواء على مايليق بجلال الله ، وهو عندهم صفة فعلية قائمة بذات الله سبحانه .

(٢) مقصوده قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء.. الآية ﴾البقرة (٢٩).

(٣) سورة النازعات ، الآية (٣٠).

(٤) يقول الطبري بعد ذكره كلام ابن عباس هذا : " والقول الذي ذكرناه من أنَّ الله تعالى خلق الأرض ، وقدَّر فيها أقواتها ولم يدحها ، ثمَّ استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، ثمَّ دحا الأرض بعد ذلك ،فأخرج منها ماءها ومرعاها ، وأرسى جبالها ، أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل " . أ.هـ تفسير الطبري (١٢/٤٣٨).

(٥) تفسير الدحي بالبسط هو المروى عن قتادة ، والسدي ، وسفيان . المرجع السابق .

(٦) سورة البلد ، الآية (١٧).

(٧) هذه أقوال للمفسرين ، والأول أصحُّ وأرجح كما ذهب إلى ذلك الطبري ، انظر الصفحة السابقه.

فصل

وقوله : " المجيد : الكريم " مصداقه [قوله] عليه السلام : « إذا قال العبد : الرحمن الرحيم، قال الله تعالى : مجدني عبدي[١] أي : ذكرني بالكرم ».

وقيل : المجيد : الشريف ، ومنه ﴿ والقرآن المجيد ﴾[٢] [أي] الشريف ، والمجد في كلام العرب : الشرف الواسع .

قال ابن السكيت[٣] : الشرف والمجد يكونان بالآباء ، يقال شريف ماجد إذا كان له* آباء متقدمون في الشرف، قال : والحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن له** آباء لهم شرف .[٤]

* ساقطة من « أ » ، وفي هامش النسخه : لعله سقط : له .

* في « ب » : لهم .

(١) نص الحديث : قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ماسأل فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين : قال الله تعالى : حمدني عبدي . وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : أثنى عليّ عبدي . وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال : مجدني عبدي ... الحديث . رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٤/١٣٤) ح (٣٩٥).

(٢) سورة ق ، الآية (١).

(٣) هو يعقوب بن إسحاق بن السكيت – بكسر السين المهمله والكاف المشددة – البغدادي أبو يوسف النحوي . إمام في اللغة ، وكان من أهل الدين والخير وكان عالماً بنحو الكوفيين وعلوم القرآن ، والشعر . من مصنفاته : كتاب " اصلاح المنطق " والأضداد ، وغيرها قال ثعلب : أجمعوا أنّه لم يكن أحد بعد ابن الأعرابي أعلم باللغه من ابن السكيت . مات سنة ٢٤٤هـ .

انظر : اشارة التعيين ص (٣٨٦) رقم (٤٣٤) السير (١٢/١٦).

(٤) اصلاح المنطق ، لابن السكيت (ص ٣٢١) وانظرالصحاح للجوهري (٢/٥٣٦-٥٣٧).

وقوله : " والودود : الحبيب " منه قوله : " إذا أحب ا لله عبداً نادى جبريل أنّي أحبه ... الحديث ".[١] و[هو] في القرآن كثير .[٢]

و قال الجوهري : الودود : المحب ، ورجال ودد[اء] يستوي فيه المذكر والمؤنث [لكونه]* وصفاً داخلاً على وصف المبالغة.[٣]

ثمَّ ساق البخاري في الباب تسعه أحاديث :

[٧٤١٨] أحدها : حديث أبي حمزة – واسمه محمد بن ميمون السكري– إلى عمران بن حصين قال : ((إنّي عند النبي ﷺ إذا جاءه قوم من بني تميم فقال : اقبلوا البشرى يابني تميم ...الحديث بطوله)) [اطرافه في : ٣١٩٠ ، ٣١٩١ ،٤٣٦٥ ، ٤٣٨٦]

((فإنّما قالوا : بشرتنا فأعطنا ، فإنّما قاله** جرياً على عادتهم (في أنَّ البشرى إنّما كانت تستعمل في فوائد الدنيا .

* ساقطة من ((أ)) و ((ب)) ، والمثبت من الصحاح .

** هكذا في ((أ)) و ((ب)) ، وعند ابن بطال : قالوه . ولعله الصواب .

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة ، في كتاب بدء الخلق ، باب ذكرالملائكة (٣٥٠/٦فتح) رقم (٣٢٠٩) وفي كتاب الأدب ، باب المقة من ا لله (٤٧٦/١٠)ح(٦٦٤٠) وفي كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل (٤٦٩/١٣) ح (٧٤٨٥) ورواه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب إذا أحب ا لله عبداً ، حببه إلى عباده (٢٨٢/١٦)ح (٢٦٣٧).

(٢) أي إتيان الود بمعنى المحبة ، ومن ذلك قول ا لله تعالى : ﴿ وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ﴾ [الأنفال ، الآية (٧)] وقوله : ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ [الحجر ، الآية (٢)] .

(٣) الصحاح (٥٤٩/٢).

قال المهلب (١) : وفيه أنَّ السؤال عن مباديء الأشياء والبحث عنها جائز في الشريعه ، وجاز* للعالم أن يجيب السائل عنها بما انتهى إليه علمه فيها ، إذا كان سبباً**للإيمان ، وأما إن خشي من السائل إيهام شك)*** أو تقصير فهم ، فلا يجيب فيه ، ولينهه عن ذلك وليزجره .)) (٢)

فصل

قوله : (([فقال] : اقبلوا البشرى ياأهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم ، فقالوا : قبلنا ، جئناك لنتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر)) كذا في الصحيح .

ووقع في كلام الداودي مانصه : " وقول بني تميم جئناك لنتفقه في الدين ، فيه دليل على أنَّ الصحابة لا ينعقد إجماع // لأهل المدينة إن خالفهم أحد من الصحابة [أ / ٨٤٠] وقد علمت أنَّ الذي في البخاري أنَّ أهل اليمن هم الذين جاءوا للتفقه ، فاعلمه ". (٣)

وقوله : ((عن أول هذا الأمر)) يعني : الحق والخلق ،كله يسمى أمراً ، (والبعض يسمى أمراً)**** ، والأمر من الله ـ تعالى ـ أمر .

* عند ابن بطال : جائز .

** عند ابن بطال : تثبيتاً .

*** مابين القوسين ساقط من ((ب)) .

**** مابين القوسين ساقط من ((ب)) .

(١) المهلب بن أحمد بن أسيد بن صفرة التميمي ، أبو القاسم . صحب الأصيلي وتفقه معه ، وسمع القابسي وغيره . كان أحد الأئمة الفصحاء ، والموصوفين بالذكاء ، من أهل العلم الراسخين ، المتفننين في الفقه والحديث والعبادة والنظر . شرح البخاري شرحاً سماه : النصيح في اختصار الصحيح ، توفي في شوال سنة (٤٣٥).انظر : الديباج المذهب (٣٤٦/٢) السير (٥٧٩/١٧).

(٢) شرح ابن بطال (٣٥٠/٤/ أ).

(٣) انظر فتح الباري (٤٢٠/١٣) حيث عزا هذا التعقيب لابن التين .

فصل

وقول عمران ﷺ : " فانطلقت أطلبها ـ يعني: ناقته ـ فإذا السراب ينقطع دونها ، وأَيْمُ الله لوددت أنَّها قد ذهبت ولم أقم " .

وأَيْمُ الله // هو : اسم وضع للقسم ، وألفه ألف وصل عند أكثر النحويين[١] ، ولم يجيء في الأسماء ألف وصل غيرها[٢] ، وأصلها : أيمن . وحذفت [النون]* ، وقيل : هو بكسر الهمزة .

ب/٢٩٠أ

والسراب : الذي يراه الإنسان نصف النهار كأنّه ماء[٣] .

وقوله : " لوددت أنَّ ناقتي ذهبت "** ....

* في ((أ)) : الهمزة ، وهو خطأ .

** سقط من النسختين ، وفي هامش ((أ)) : سقط بعد " ذهبت " شيء ، فلهذا جعلت عوضه بياضاً ليكتب إذا وجد .

وتمامه من شرح ابن بطال: فيه دليل على جواز إضاعة المال في طلب العلم بل في مسألة منه وفي الفتح وعمدة القاريء : الود المذكور ، تسلط على : مجموع ذهابها وعدم قيامه لا على أحدهما فقط ، لأنَّ ذهابها كان قد تحقق بانفلاتها ، أو المراد بالذهاب الفقد الكلي . زاد العيني : قاله بعضهم وفي الأخير نظر لا يخفى .

(١) ذكر القاضي عياض عن الهروي أنَّها تقال : بقطع الألف ووصلها . والكوفيون يذهبون إلى أن ألفها ألف قطع ، إذ أنَّها جمع يمين .
انظر : مشارق الأنوار (٥٦/١) شرح الكافية الشافية (٢٠٧٣/٤) .

(٢) كلامه غير مسلم ، فقد جاءت عشرة أسماء همزاتها همزات وصل ، جمعها ابن مالك في قوله : واحفظه في (اسم) و(است) (ابن) و(ابنم)
و (اثنين) و(امرئ) وتأنيث ثمي
أعني (اثنتين) (امرأة) ثم (ابنه)
و (أيمن) العاشر فاحوهنّه .
انظر : المصدر السابق (٢٠٧٢/٤) .

(٣) انظر : مشارق الأنوار (٢١١/٢) .

فصل*

[٧٤١٩] الحديث الثاني : حديث أبي هريرة ﷺ: ((أنَّ يمين الله ملأى لا يغيضها** نفقة سحَّاء الليل والنهار ، أرأيتم ماأنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنَّه لم ينقص ما في يمينه ، وعرشه على الماء ، وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض)) .

[أطرافه في : ٤٦٨٤ ، ٥٣٥٢ ، ٧٤١١ ، ٧٤٩٦]

⟨⟨ فيه إثبات اليمين صفة[ذات] *** لله تعالى لا صفة فعل ، وليست بجارحه[1] كما سلف قبل هذا ٠⟩⟩ [2][3]

وقوله : ((ملأى)) : ⟨⟨ ليس حلول المال**** فيها ، لأنَّ ذلك من صفات الأجسام[4] ، وإنَّما هو إخبار منه على أنَّ مايقدر عليه من النعم وأرزاق العباد ، لا غاية له ولا نفاد ، لقيام الدليل على وجوب تعلق قدرته بما لا نهاية من مقدوراته ، لأنَّه لو تعلقت قدرته بمقدورات متناهية ، لكان ذلك نقصاً لا يليق به تعالى ٠⟩⟩ [5]

---

* فصل : ساقطة من ((ب)) ٠

** في ((ب)) : لا ينقصها ٠

*** زيادة من شرح ابن بطال يقتضيها السياق ، وهي ساقطة من ((أ)) و ((ب)) ٠

**** في ((ب)) : الماء ٠

---

(١) انظر هامش (٢) ص (٢٢٧/أ) من هذا الكتاب ٠

(٢) انظر ص (٢٢٧/أ) من هذا الكتاب ٠

(٣) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٥٠/ أ)٠

(٤) ليس هناك ضرورة لهذا الإحتراز ، إذ صفات الخالق غيرصفات المخلوق ٠

(٥) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٥٠/ أ - ب) .

فصل

[٧٤٢٠] الحديث الثالث : حديث أنس ﷺ :((جاء زيد بن حارثه ﷺ يشكو ، فجعل النبي ﷺ يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك ٠٠٠ وكانت تفخر على أزواجه تقول زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات)) ٠

[طرفه في :٤٧٨٧]

وشيخه فيه : أحمد ، فإنَّه قال : حدثنا أحمد ، وأحمد هذا قال فيه ابن البيع[١] : هو أبو الفضل أحمد بن النضر بن عبدالوهاب النيسابوري٠[٢]

وقال غيره : هو أبو الحسن أحمد بن سيار* بن أيوب بن عبدالرحمن المروزي ، واقتصر عليه صاحب الأطراف نقلاً[٣]، روى عنه النسائي ومات سنه ثمان وستين ومائتين٠[٤]

* في ((ب)) : سنان ٠

(١) هو أبو عبدالله الحاكم ، إمام المحدثين محمد بن عبدالله بن محمد الضبي النيسابوري ، يعرف بابن البيع صاحب المستدرك والتاريخ وعلوم الحديث وغيرها ٠ ولد سنه ٣٢١هـ٠ وطلب الحديث صغيراً وكان إمام عصره في الحديث ، العارف به حق معرفته ، صالحُ ثقه ، يميل إلى التشيع ٠ توفي سنه ٤٠٥هـ٠ انظر : السير (١٦٢/١٧) طبقات الحفاظ ، للسيوطي ص ٤١٠ ت (٩٢٧)٠

(٢) انظر : ترجمته في السير (٥٦٤/١٣) تذكرة الحفاظ (٦٤٥/٢) تهذيب التهذيب (٨٧/١) التقريب (١٢٠)٠

(٣) انظر : تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف (١١٥/١)٠

(٤) انظر : ترجمته في السير (٦٠٩/١٢) تهذيب التهذيب (٣٥/١) التقريب (٤٥)٠

وشكواه [هي]* : لسان زينب[١] .

قال الداودي : " الذي شكاه [من] زينب ، وأمها أميمة بنت عبدالمطلب ـ عمة رسول الله ﷺ ـ من لسانها ، وكان زيد تزوجها وهم يرون أنّه ابن رسول الله ﷺ ، فلمّا أراد طلاقها : قال عليه السلام : ((أمسك عليك زوجك)) ، وكان عليه السلام يحب طلاقه إياها ، فكره أن يقول له : طلّقها ، فسمع الناس بذلك " .

قال الحسن : " أعلم الله نبيه سيطلقها ثم تتزوجها أنت بعده ، أي فقد أعلمتك أنّه يطلقها قبل أن يطلقها . "[٢]

وقول عائشة رضي الله عنها : " لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه الآية " ، كذا في الأصول هنا[٣] .

ونسبه الداودي إلى أنس ، وقال عن غيرها : ولكتم ﴿ عبس وتولى ﴾ [٤]

---

* في ((أ)) : على .

---

(١) روى عبدالرزاق عن معمر عن قتادة قال : جاء زيد النبي ﷺ فقال : إنّ زينب اشتد على لسانها، وأنا أريد أن اطلقها ، فقال له النبي ﷺ : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، والنبي ﷺ يحب أن يطلقها ويخشى قالة الناس إن أمره بطلاقها . "تفسير القرآن ، للصنعاني (١١٧/٢) وانظر : الفتح (٣٨٤/١٣) .

(٢) انظر تفسير الطبري (٣٠٣/١٠) تفسير البغوي (٣٥٤/٦) تفسير ابن كثير (٤٩١/٣) الدر المنثور (٣٨٤/٥) .

(٣) المروي في صحيح البخاري أنّ هذا القول لأنس ، ونسبه إلى عائشة الطبري في تفسيره (٣٠٣/١٠) والترمذي في سننه : كتاب التفسير ، باب " ومن سورة الأحزاب " (٣٥٢/٥) ح (٣٢٠٧ ، ٣٢٠٨) . وكذا جاء في بعض نسخ البخاري . انظر : عمدة القاريء (١١٣/٢٥) وهو مروي أيضاً عن الحسن . انظر / الدر المنثور (٣٨٤/٥) .

(٤) سورة عبس ، الآية (١) .

فصل

[٧٤٢٢] الحديث الرابع : حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((إنَّ الله عزوجل لما قضى الخلق كتب عنده فوق العرش إنَّ رحمتي سبقت غضبي)) .

[أطرافه في : ٣١٩٤ ، ٧٤٠٤ ، ٧٤٥٣ ، ٧٥٥٣ ، ٧٥٥٤]

في قضى قولان : حكم بخلق ماخلق ، أو أعلم ، كقوله تعالى : ﴿وقضينا إلى بني اسرائيل﴾[١] أي : أعلمناهم ، فكأنَّه أراد لمَّا سبق في علمه وحكمه أنَّه يخلق مايخلق خلق كتاباً كتب فيه ، بمعنى : أنَّه خلق فيه كتابة دالة على ماأراد أن يكون في المستقبل من الأوقات من الحوادث التي تحدث فيها ، وهذا كما في الخبر الآخر : ((إنَّ أول شيء خلق الله القلم ثمَّ خلق اللوح فقال له أجر بما هو كائن إلى يوم القيامة)) .[٢] [٣]

و ((فوق عرشه)) قيل معناه[٤] : دونه ، استعظاماً أن يكون شيء من الخلق فوق العرش ، واحتج قائله بقوله تعالى ﴿ بعوضة فما فوقها ﴾[٥] أي : فما دونها[٦] .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (٤)٠

(٢) روى نحوه الإمام أحمد في المسند (٣١٧/٥) من حديث عبادة الصامت ٠ ورواه الترمذي في سننه ، كتاب التفسير ، باب : من سورة ن ٠ (٤٢٤/٥)ح(٣٣١٩)٠ وقال :حديث حسن غريب .

(٣) انظر : مشكل الحديث لابن فورك ص (٣٧١) .

(٤) انظر : أعلام الحديث (١٤٧١/٢-١٤٧٢)٠

(٥) سورة البقرة : الآية (٢٦)٠

(٦) قال ابن حجر : والحامل على هذا التأويل : استبعاد أن يكون شيء من المخلوقات فوق العرش، ولا محذور في إجراء ذلك على ظاهره لأنَّ العرش خلق من خلق الله ٠ أ ٠هـ فتح الباري (٣٣٧/٦)٠

والذي قاله المحققون في ذلك : إنَّ المعنى فما فوقها في الصغر ، لأنَّ الغرض هنا الصغر .[١]

وقيل : " فوق " هنا زائدة كقوله : ﴿ فاضربوا فوق الأعناق ﴾[٢] .

قال ابن فورك في قوله : « سبقت غضبي » : " معنى الغضب والرحمة في صفاته تعالى ترجع إلى صفة واحدة[٣] ، في* رحمة يوصف بها أنَّها [إرادة]** لتنعيم من علم أنَّه ينعمه بالجنة ، وكذلك يقال لهذه الصفة غضب إذا كانت إرادته لتعذيب من علم أنَّه يعذبه بعقوبته في النار من الكفار به . يقال للصادر عن رحمته// رحمة ، كما ب/٢٩٠ب يقال للكائن [عن]*** قدرته قدرة ، وللكائن عن أمره أمر ، وكذلك يقال للكائن عن غضبه غضب وحملناه على هذا ليصح فيه التسابق**** والغلبة ، لأنَّ ماهو لله تعالى مما هو الرحمة والغضب على الحقيقة لا يجوز وصفه به[٤] ، والتسابق والغلبة . إذا وقف على هذا كان تقدير [إفادتنا به]*****: مايظهر من رحمته لأهل الرحمة ، ومن غضبه لأهل الغضب ، وأنَّ من رحمه ، فقد غلبت رحمته عليه على معنى وصول

* كذا في « أ » و « ب » . وفي مشكل الحديث : هي .

** في « أ » : زائدة . والمثبت من « ب » ومشكل الحديث .

*** في « أ » : من .

**** في « ب » : السابق .

***** في « أ » : أماد شار به ، والمثبت من « ب » ، ومشكل الحديث .

(١) انظر : تفسير ابن كثير (١/٦٤).

(٢) هذا قول الأخفش والضحاك وعطية . وقال محمد بن يزيد : هذا خطأ لأنَّ فوق تفيد معنى فلا يجوز زيادتها . انظر : تفسير القرطبي (٧/٢٤٠).

(٣) سبق الرد على هذا التأويل هامش (٢) ص (١٩٤) من هذا الكتاب .

(٤) أي : وصفه بالسبق والغلبة .

الصادر عنه إليه ، وظهر ذلك عليه ظهور آياته عمن* وصل إليه الكائن [عن]** غضبه .[1]

فصل

[٧٤٢٣] الحديث الخامس : حديث أبي هريرة ﷺ أيضاً ، عن النبي ﷺ قال : ((من آمن بالله ورسوله ، فأقام*** الصلاة ، وصام رمضان ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة . . . الحديث)) .

﴿ فيه تعلق للمعتزلة والقدرية**** ، القائلين بأنَّ الله واجب عليه الوفاء لعبده الطائع بأجر عمله ، وأنّه لو أخره عنه في الآخرة كان ظالماً له ، و*****هذامتقرر عندهم في العقول . قالوا : وجاءت // السنة بتأكيد مافي العقول من ذلك .[2] (أ / ٨٤١) وقولهم فاسد .

ومذهب أهل السنة : أنَّ لله تعالى أن يعذب الطائعين من عباده وينعم على الكافرين ، غير أنَّ الله سبحانه أخبرنا في كتابه [و] على لسان رسوله أنّه لا يعذب إلاَّ من كفر به، ومن وافى بكبيرة ، فمن شاء الله تعذيبه عليها ،

---

* في ((ب)) : عن .

** في ((أ)) : من .

*** في ((ب)) : وأقام .

**** كذا في ((أ)) و ((ب)) ، وعند ابن بطال : للمعتزلة القدرية .

***** الواو . ساقطة من : ((ب)) .

---

(١) مشكل الحديث ص(٣٧١-٣٧٢)

(٢) انظر : شرح الأصول الخمسة ص (١٣٦) و (٦١٣-٦٢١).

فمعنى قوله : ((كان حقاً على الله)) ليس على معنى : أنَّ ذلك واجب عليه[١] ، لأنَّ واجباً يقتضي موجباً له ، والله تعالى ليس فوقه آمر ولا ناه ، يوجب عليه مايلزمه المطالبة به ، وإنَّما معناه إنجاز ماوعده ، من فعل ماذكره* في الحديث ، لأنَّ وعده تعالى عبده على فعل تقدم إعلامه به قبل فعله ووعده خبر ولا يصح منه تعالى إخلاف عبده ماوعده ، لقيام الدليل على أنَّ الصدق من صفات ذاته[٢] ، فعبر عليه السلام في هذا المعنى بقوله : ((كان حقاً على الله)) بمعنى أنَّه يستحيل عليه اخلاف ماوعد** عبده على عمله ››.[٣]

فصل

وقوله : ((هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها)) قيل هذا بعد*** تَقَضِّي الهجرة بالفتح ، أو يكون من غير أهل مكة لأنَّ الهجرة لم تكن على جميعهم .

((والفردوس)) : البستان . قال الفراء : هو عربي ، كذا في الصحاح[٤]

* في ((ب)) : ماذكر .

** في ((ب)) : إخلافه وعده .

*** في ((ب)) : قيل .

(١) نفي الوجوب ليس على إطلاقه ، فإن كان المقصود حقاً أوجبه الغير على الله فالنفي صحيح لمنافاته مشيئة الله واختياره المطلق في مخلوقاته ، وإن كان المقصود وجوباً أوجبه الله على نفسه بمقتضى وعده وعدله وحكمته فالنفي على هذا المعنى غير صحيح ، بل هو الموافق لما دلت عليه النصوص الكثيرة ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ [الزلزلة ، الآية (٧)].

(٢) قال تعالى : ﴿ قل صدق الله ﴾ [آل عمران : ٩٥] وقال : ﴿ قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

(٣) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٥٠/ ب).

(٤) الصحاح (٣/٩٥٩).

وعن ابن عزيز : أنّه البستان بلغة الروم [(١)]

فصل

[٧٤٢٤] الحديث السادس : حديث أبي ذر ﷺ : ((دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس ، فلما غربت الشمس قال : ياأبا ذر ، هل تدري ٠٠٠ الحديث))

[أطرافه : ٣١٩٩ ، ٤٨٠٢ ، ٤٨٠٣ ، ٧٤٣٣]

﴿ الاستئذان لها في السجود هو قول لها – والله على كل شيء قدير – فيمكن أن يخلق الله فيها حياة ، يوجد القول عندها ، فتقبل الأمر والنهي ، لأنّ الله تعالى قادر على إحياء الجماد والموات[(٢)] ، وأعلم عليه السلام : أنّ طلوعها من مغربها شَرَط من أشراط الساعة ﴾ ٠[(٣)]

وقوله هنا : ((تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها)) ، وفي الحديث الآخر : ((تذهب حتى تسجد تحت العرش)) [(٤)] ، ولا منكر لذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها ٠ وفي القرآن ذكر سجودها ، وسجود القمر والنجوم [(٥)] ، وليس في هذا إلاّ التسليم ، وليس في سجودها مايمسكها عن الدأب فيما سخرت له ٠[(٦)]

---

(١) انظر لسان العرب (١٦٣/٣) وهو قول مجاهد واختاره الزجاج ٠ انظر : تفسير الطبري (٢٩٦/٨) ومعاني القرآن الكريم للنحاس (٣٠٠/٤) وتفسير القرطبي (٤٦/١٢)٠

(٢) الموات – بالفتح – مالا روح فيه ٠ الصحاح (٢٦٧/١)٠

(٣) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٣٥٠/٤/ ب) بتصرف يسير ٠

(٤) هي رواية أخرى لهذا الحديث ، رواها البخاري ، حدثنا الحميدي ، حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه عن أبي ذر به ٠ كتاب التفسير/ باب والشمس تجرى لمستقر لها ٠ (٤٠٢/٨ فتح) ح (٤٨٠٣)٠

(٥) في قوله تعالى ﴿ ألم تر أنّ الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض ، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ٠٠٠ الآية ﴾ [الحج : ١٨] ٠

(٦) انظر : أعلام الحديث (١٨٩٤/٣)٠

وليس في قوله : ﴿ تغرب في عين حمئة ﴾[١] مايخالف هذا الخبر لأنَّ المذكور في الآية ، إنَّما هو نهاية مدرك البصر إياها حال الغروب ، ومصيرها* تحت العرش إنَّما هو بعد غروبها ، فيما دل عليه لفظ الخبر ، فلا تعارض** .[٢]

فصل

[٧٤٢٥] الحديث السابع : حدثنا موسى عن إبراهيم ثنا ابن شهاب عن عبيد بن السباق : أنَّ زيد بن ثابت ،

وقال الليث حدثني عبدالرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن ابن السباق ، أنَّ زيد بن ثابت حدثه قال : " أرسل إليّ أبو بكر ﷺ فتتبعت القرآن حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري ، لم أجدها مع أحد غيره،// ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ حتى خاتمة براءة . [ب/٢٩١أ]

حدثنا*** يحيي بن بكير ثنا الليث عن يونس بهذا ، وقال : مع أبي خزيمة الأنصاري[٣]

[أطرافه في : ٢٨٠٧ ، ٤٠٤٩ ، ٤٦٧٩ ، ٤٧٨٤ ، ٤٩٨٦ ، ٤٩٨٨، ٤٩٨٩ ، ٧١٩١]

---

* في هامش ((أ)) : لعله وسجودها . ومافي أعلام الحديث موافق لما هو مثبت .

** في ((ب)) فلا معارض .

*** في ((ب)) : أنبأنا .

---

(١) الكهف ، الآية (٨٦).

(٢) انظر أعلام الحديث (٣/١٨٩٤-١٨٩٥).

(٣) هذه الزيادة تشعر بوجود اختلاف مع الرواية السابقة لها في تسمية الرجل هل هو خزيمة أو أبو خزيمة والروايتان في كلا النسختين على أنَّه أبو خزيمة إلاَّ أنَّه عند ابن بطال بالشك في الرواية الأولى حيث جاءت " خزيمة أو أبي خزيمة الأنصاري " وانظر : شرح ابن بطال (٤/٣٤٩/ أ).

وهذا التعليق قد أسلفه مسنداً ، عن سعيد بن عفير ، ثنا الليث به.[١]

وأبو خزيمة : هو [ابن] أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، - واسمه تيم اللات - ، شهد بدراً وما بعدها ومات في خلافة عثمان ﷺ.[٢]

وأخوه أبو محمد مسعود : زعم أنَّ الوتر واجب ، شهد بدراً ومات في خلافة عمر ﷺ ، وقيل : إنَّه شهد صفين مع علي ﷺ.[٣]

وأخوهما عمار بن أوس شهد الكوفة روى* عنه زياد بن علاقة ، وقد أسلفنا هذا فيما مضى أيضاً.

قال ابن التين : وخزيمة هذا[٤] هو الذي جعل الشارع شهادته بشهادة

---

* في «ب» : وروى.

---

(١) لم أقف على ماأشار إليه المؤلف رحمه الله ، ولعله وهم ،والتعليق المذكور وصله أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة : حدثنا أحمد بن منصور ، ثنا أبو صالح ، حدثني الليث ، ثنا عبدالرحمن بن خالد بن مسافر ، عن ابن شهاب ، عن عبيد بن السباق ، عن زيد بن ثابت . انظر : تغليق التعليق (٤/٢٢٠) الفتح (١٩٥/٨).

(٢) ترجمته في : الاستيعاب (٢١٤/١١) ، الاصابة (٩٣/٣) و (١٠٠/١١).

(٣) ترجمته في : الاستيعاب (٧٩/١٠) ت (٢٢٧٤) ، الاصابة (١٨٤/٩) ت (٧٩٣٤).

(٤) تنبيه : اختلفت الروايات في تسمية الرجل الذي وجدت عنده آخر آية ، ففي بعضها أنَّها وجدت مع أبي خزيمة الأنصاري ، وفي بعضها مع خزيمة بن ثابت ، وفي بعضها على الشك ، وأيضاً فالروايات مختلفة في تعيين الآية التي ذكر زيد أنَّه وجدها مع الصحابي المذكور ، فحيناً تنص بعض الروايات على أنَّها قوله تعالى : ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه﴾ [الأحزاب:٢٣]. في حين تنص الروايات الأخرى على أنَّها قوله تعالى :﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم...﴾[التوبة : ١٢٨] وقد أخرج البخاري

⇐⇐⇐

رجلين.[١]

قال الداودي : " فأكمل الله تعالى القرآن بشهادة رجلين ممّن سمعه من رسول الله ﷺ .

وقيل : إنّها كانت مقروءة* عنده ـ أعني هذه الآية ـ وإنّما وجدها عند أبي خزيمة مكتوبة .[٢]

فصل

عن ابن عباس رضي الله عنه : " أنّ آخر آية نزلت هذه الآية[٣] " . وعن البراء رضي الله عنه أنّها : ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾[٤]

---

* في « ب » : مقرونة .

⇐⇐⇐

الحديثين جميعاً بأسانيدها ، فكأنّهما جميعاً صحا عنده ، ويؤيد ذلك أنّ شعيباً حدث عن الزهري بالحديثين جميعاً . والجمع بين تلك الروايات أن يقال : إنّ الذي وجد معه آخر سورة التوبة غير الذي وجد معه الآية التي في الأحزاب ، فالأول هو : أبوخزيمة (بالكنية) والآخر هو : خزيمة بن ثابت . والله أعلم .انظر : الفتح (٢٩/٦) (١٩٦/٨ ، ٦٣٠) . وبهذا يتبين أنّ كلام ابن التين عن خزيمة هنا ليس هذا مكانه ، بل الأصوب ذكر أبي خزيمة ، لأنّ الحديث المشروح : فيه أبو خزيمة ، وليس خزيمة .

(١) انظر : قصة إجازة النبي ﷺ شهادته بشهادة رجلين ، سنن أبي داود / كتاب القضاء / باب إذا علم الحاكم صدق شهادة الشاهد الواحد (١٩/١٠ عون) ح (٣٦٠٢) .

(٢) انظر : الفتح (٦٣١/٨).

(٣) أخرجه الماوردي ، وأبو الشيخ في تفسيره ، وهو خلاف المشهور عنه .
انظر : تفسير القرطبي (١٩٢/٨) ، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٨٨/١).

(٤) سورة النساء ، الآية (١٧٦) . والأثر مخرج في الصحيحين : البخاري : كتاب التفسير ، باب : ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ (١١٧/٨ فتح) ح (٤٦٠٥) — ومسلم ، كتاب الفرائض باب : آخر آية أنزلت آية الكلالة (٨٤/١١) ح (١٦١٨).

وقيل : ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾[١] وقيل غير ذلك مما سلف .[٢]

فصل

[٧٤٢٦] الحديث الثامن : حديث أبي العالية عن ابن عباس ﷺ قال : « كان عليه السلام يقول عند الكرب : " لا إله إلاّ الله العليم* الحليم ، لا إله إلاّ الله رب العرش الكريم » [أطرافه في : ٦٣٤٥ ، ٦٣٤٦ ، ٧٤٣١]

هذا الحديث** سبق في أبواب الدعاء .[٣]

وأبو العالية عن ابن عباس ﷺ اثنان : رُفَيْع بن مهران هذا – اتفقا عليه[٤] – ، وزياد بن فيروز البرّاء ، كان يبري النبل ، انفرد به " م " .[٥] [٦]

---

* جاء في هامش « أ » : تصحيح العليم بالعظيم . وكلاهما ثابت إلاّ أنّ الرواية هنا كما هو مثبت .

** في « ب » : هذا الباب .

---

(١) البقرة ، الآية (٢٨١) . وهو مروي عن ابن عباس ، كما روى ذلك عنه النسائي في التفسير (١/٢٩٠-٢٩٢) ح (٧٧-٧٨) ، والطبري في تفسيره (٣/١٥١) والنحاس في معاني القرآن الكريم (١/٣١٢).

(٢) انظر علوم القرآن ، للسيوطي (١/٨٦-٩١).

(٣) انظر : كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الكرب (١١/٤٩ فتح) ح (٦٣٤٥ ، ٦٣٤٦).

(٤) تقدمت ترجمته ص (٣٥٢)

(٥) انظر لترجمته : تهذيب التهذيب (١٢/١٤٣) التقريب ت (٨١٩٧).

(٦) جاء في هامش « أ » مايلي : " حاشية : روى له خ أيضاً عن ابن عباس حديثاً واحداً : « قدم النبي ﷺ وأصحابه بصبح رابعه يكون الحج ... الحديث » الحديث أخرجه خ ، م ، س . البخاري " تقصير الصلاة [١٠٨٥] ومسلم في الحج [١٢٤٠] وكذا النسائي [٢٨٧١] وليس له عن ابن عباس في الكتب إلاّ هذا الواحد . أ .هـ . وانظر مايأتي : ص (٦٨٠).

فصل

[٧٤٢٧] الحديث التاسع : حدثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال : « الناس يصعقون يوم القيامة ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش »

[أطرافه في : ٢٤١٢ ، ٣٣٩٨ ، ٤٦٣٨ ، ٦٩١٦ ، ٦٩١٧]

[٧٤٢٨] وقال الماجشون : عن عبدا لله بن الفضل عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « فأكون أول من بعث ، فإذا أنا بموسى* آخذ بالعرش »

[أطرافه في : ٢٤١١ ، ٣٤٠٨ ، ٣٤١٤ ، ٣٤٧٦ ، ٤٨١٣ ، ٥٠٦٢ ، ٦٥١٧ ، ٦٥١٨ ، ٧٤٧٢] .

الشرح

هذا الحديث اختصره هنا . قال أبو مسعود الدمشقي(١)(٢) :" [هذا] إنّما

---

* في « ب » : فإذا موسى آخذ العرش .

---

(١) هو ابراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي ، أبو مسعود ، الحافظ ، المجود البارع ، مصنف كتاب : " أطراف الصحيحين " قال الذهبي : وقفت على جزء فيه أحاديث معللة لأبي مسعود تقضي يامامته " . توفي سنة ٤٠١هـ . ، وقيل ٤٠٠ هـ .

انظر : السير (٢٢٧/١٧) طبقات الحفاظ ص (٤١٧).

(٢) جاء في هامش « أ » مايلي : هذا سقط منه شيء ، أو أنّه دخل على المؤلف . قال أبومسعود : إنّما يعرف عن عبدالعزيز الماجشون ، عن عبدا لله بن الفضل ، عن الأعرج عن أبي هريرة . انتهى . وعلىهذا الحكم أخرجه : "خ" و "م" "س" ، لا على ماساقه "خ" هنا في التعليق فاعلمه . أ .هـ.

وقول أبي مسعود هذا تبعه عليه جماعة من المحدثين حيث حكموا على البخاري بالوهم في قوله : عن أبي سلمه . والمعروف أنّه عن الأعرج ، كما تقدم موصولاً في أحاديث

⇐⇐⇐

يعرف بذلك مارواه البخاري في أحاديث الأنبياء ، عن يحيى بن بكير ، ثنا الليث ، عن عبدالعزيز بن أبي سلمه عن ابن الفضل "[١]

ومسلم عن زهير ثنا حجين* بن المثنى ثنا الماجشون بمثله ، وحدثنا محمد بن حاتم ثنا يزيد بن هارون ثنا عبدالعزيز به .[٢]

وقال النسائي : حدثنا موسى عن الحسين بن محمد عن شبابة عن الماجشون به .[٣]

وهو : أبو عبدالله عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة دينار الماجشون المدني الفقيه مولاً لآل المنكدر التميمي ، اتفقا عليه وعلى** ابن عمه // يوسف بن يعقوب [أ / ٨٤٢] بن أبي سلمة - دينار - ، وقيل : - ميمون - ، وانفرد مسلم بأبيه يعقوب .[٤]

---

* في ب : حجير . وهو خطأ .

** في ب : وهو .

⇐⇐⇐

الأنبياء برقم (٣٤١٤) ، وتعقب الحافظ ابن حجر هذا القول بقوله : " ولكن تحرر لي أنَّ لعبدالله بن الفضل في هذا الحديث شيخين ، فقد أخرج أبو داود والطيالسي في مسنده [ص ٣١٢ ، ح ٢٣٦٦] عن عبدالعزيز بن أبي سلمه عن عبدالله بن الفضل عن أبي سلمه طرفاً من هذا الحديث ، وظهر لي أنَّ قول من قال : عن الماجشون عن عبدالله بن الفضل عن الأعرج ، أرجح ، ومن ثم وصلها البخاري وعلق الأخرى ، فإن سلكنا سبيل الجمع استغنى عن الترجيح وإلا فلا استدراك على البخاري في الحالين " أ. هـ الفتح (٤٢٥/١٣) وانظر : النكت الظراف على الأطراف (٤٦٣/١٠)

(١) انظر كلام أبي مسعود بتمامه : تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، للحافظ المزي (٤٦٣/١٠-٤٦٤) حيث ذكره هنا مبتوراً ، غيرمستقيم المعنى .

(٢) صحيح مسلم،كتاب الفضائل،باب من فضائل موسى ﷺ (١٨٨/١٥ نووى) ح(٢٣٧٣)

(٣) تفسير النسائي ، باب قوله تعالى : ﴿ ثمَّ نفخ فيه أخرى ﴾ (٢٤٦/٢) ح (٤٧٨) .

(٤) ترجمته في تهذيب الكمال (٨٣٨/٢) ، السير (٣٠٩/٧) تهذيب التهذيب (٣٤٣/٦) التقريب ت (٤١٠٤).

٢٣ - بـــاب

قول الله تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾(١)

وقوله تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾(٢)

وقال أبو جمرة : عن ابن عباس : بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ فقال لأخيه : اعلم لي علم هذا الرجل الذي* يزعم أنّه يأتيه الخبر من السماء . وقال مجاهد : العمل الصالح يرفع الكلم الطيب . يقال ذي المعارج : الملائكة تعرج إليه .

ذكر فيه خمسة أحاديث :

[٧٤٢٩] أحدها : حديث أبي هريرة ﷺ :((يتعاقبون فيكم ملآئكة ... الحديث .)) . [أطرافه في : ٥٥٥ ، ٣٢٢٣ ، ٧٤٢٩ ، ٧٤٨٦] .

---

* الذي : ساقطة من ((ب)) .

غرض البخاري من هذا الباب ــ فيما يظهر ــ إثبات علو الله ـ تعالى ـ وبيان ثبوت ذلك بالكتاب والسنة وبالعقل والفطرة ، فقد فطر الله تعالى العباد على الإيمان بذلك ، وآمن الصحابة به ، واتبعهم عليه كل من سلك طريق الرسل ، ولبيان أنَّ الإيمان بذلك فطري عقلي ، ذكر قول أبي ذر لأخيه قبل أن يسلم ، ومعلوم أنَّ الخبر لايأتي إلاَّ من مُخْبِر ، والمُخْبِر الذي يرسل الرسل بأوامره ونواهيه هو الله ـ جل وعلا ـ وهو في السماء ، أي : في العلو بائن من خلقه . وفي هذا رد على من ضل من الفرق في هذه المسألة المهمة من الجهمية والمعتزلة ، وكثير من الأشعرية . انظر : شرح كتاب التوحيد للغنيمان (١/ ٤٣٥ـ ٤٣٦)

(١) المعارج ، الآية (٤).

(٢) فاطر ، الآية (١٠).

[٧٤٣٠] ثانيها : وقال خالد بن مخلد : ثنا سليمان ، حدثني عبدالله بن دينـار عـن أبي صالح ، عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((مـن تصـدق بعـدل تمرة من كسب طيب ، ولا يصعد إلى الله إلاَّ الطيب ...)) [الحديث] .

[طرفه في : ١٤١٠] .

[٧٤٣١] ثالثهـا : حديـث ابـن عبـاس ﷺ ، السـالف في دعـاء الكـرب[1] .

[أطرافه في : ٦٣٤٥ ، ٦٣٤٦ ، ٧٤٢٦] .

[٧٤٣٢] رابعها : حديث قبيصة ، ثنا سفيان //- وهو ابن سـعيد بـن مسـروق - عن أبيه ، عن ابن أبي نُعْم - واسمه عبدالرحمن - أو أبي نُعْم ، شك قبيصة ، عن أبـي سعيدقال : ((بعث إلى* النبي ﷺ بذهيبة** ، فقسمها بين أربعة ...)) ب/٢٩١ب

[أطرافه في : ٣٣٤٤ ، ٣٦١٠ ، ٤٣٥١ ، ٤٦٦٧ ، ٥٠٥٨ ، ٦١٦٣ ، ٦٩٣١ ، ٦٩٣٣ ، ٧٥٦٢]

وحدثني*** إسحاق بن نصر ، ثنا عبدالرزاق ، أنا سفيان ، عن أبيه ، عن ابـن أبي نُعْم ، عن أبي سعيد قال : ((بعث علي ﷺ وهو باليمن إلى رسول الله ﷺ بذهيبة في تربتها ، فقسمها بين : الأقرع بن حابس ...)) الحديث وقد سلف[2] .

وقوله فيه - إنَّ من ضئضيء هذا - هو الأصل بالضاد والصاد .[3]

[٧٤٣٣] الخـامس : حديـث أبـي ذر ﷺ : ((سـألت النـبي ﷺ عــن قولــه :

---

* إلى : ساقطة من ((ب)) .

** في ((ب)) : شعبة من ذهب .

*** في ((ب)) : حدثنا .

---

(1) صحيح البخاري : كتاب الدعوات ، بـاب الدعـاء عنـد الكـرب (١١/١٤٩ فتـح)ح (٦٣٤٥).

(2) كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ وإلى عـاد أخاهم هـوداً ﴾ (٦/٤٣٣) ح (٣٣٤٤).

(3) انظر الخلاف في ذلك : مشارق الأنوار (٢/٣٧).

﴿ والشمس تجري لمستقر لها ﴾[1] قال : مستقرها تحت العرش)) .

[اطرافه في : ٣١٩٩ ، ٤٨٠٢ ، ٤٨٠٣ ، ٧٤٢٤] .

الشرح

تعليق ابن عباس أخرجه مسنداً في إسلام أبي ذر ، عن عمرو بن العباس ، ثنا ابن مهدي ، ثنا المثنى عنه .[2]

(وتعليق مجاهد ذكره في تفسيره رواية ابن أبي نجيح ، عن ورقاء عنه) .*[3]

وتعليق خالد أخرجه مسلم عن أحمد بن عثمان ، ثنا خالد به[4]

وأخرجه أبو نعيم الحافظ عن أبي أحمد ، ثنا عبد الكبير الخطابي ، ثنا إسحاق بن إبراهيم ، ثنا شبابه ، ثنا ورقاء ،

وأغفل ذكره فيما جمعه من حديث عبدالله بن دينار .

---

* مابين القوسين ساقط من ((ب)) .

---

(١) يس ، الآية (٣٨) .

(٢) كتاب مناقب الأنصار ، باب إسلام أبي ذر الغفاري (٧/ ٢١٠) ح (٣٨٦١) .

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٣٩٩) ح (٢٨٩٤١) . ورواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٣٤)رقم (٩٠٠) وعزاه السيوطي إلى البغوي والفريابي وعبد بن حميد . الدر المنثور (٥/ ٤٦٢)

(٤) هذا وهم من المؤلف – عفا الله عنه – تبع فيه الحافظ المزي (التحفة ٩/ ٤٣٠ ح ١٢٨١٩) فمسلم لم يخرج هذا الحديث بهذا الإسناد ، وإنّما هو عنده : عن أحمد بن عثمان ، عن خالد بن مخلد ، عن سليمان بن بلال ، عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه ، عن أبي هريرة . صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ، (٧/ ١٣٩) ح (١٠١٤) . وانظر : تغليق التعليق (٥/ ٣٤٨). وقال الحافظ ابن حجر : " وقد وصله أبو عوانة والجوزقي ، من طريق محمد بن معاذ بن يوسف عن خالدبن مخلد بهذا الإسناد " . أهـ. الفتح (٣/ ٣٢٩).

((وغرضه في هذا الباب : رد شبهة الجهمية المجسِّمة[١] في تعلقها بظاهر قولـه تعالى ﴿ ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه ﴾[٢] وبقولـه :﴿ إليـه يصعـد الكلـم الطيب ﴾[٣] ، وما تضمنته أحاديث الباب من هذا المعنى [٤] .

وقد سلف الكلام في الرد عليهم ، وهو أنَّ الدلائل الواضحة قـد قـامت على أنَّ الباري تعالى ، ليس بجسم[٥] ، ولا محتاجاً إلى مكان يحله ويستقرفيه ، لأنَّه تعالى قـد كان ولا مكان ، وهو على ماكان ثم خلق المكان ، فمحال كونه غنياً عن المكـان قبـل خلقه إياه ثم يحتاج إليه بعد خلقه له ، هذا مستحيل [٦] .

---

(١) قال ابن حجر : " وخلطه المجسمة بالجهمية من أعجـب مايسـمع " و انظـر ص (١٧٥) هامش (١) من هذا الكتاب .

(٢) المعارج ، الآية (٤).

(٣) فاطر ، الآية (١٠).

(٤) انظر ماتقدم قبل صفحتين . ففيه التنبيه على خطأ المؤلف هنا .

(٥) انظر : ص (١٧٥) من هذا الكتاب .

(٦) الكلام في المكان وهل الله في مكان أو ليس كذلك، هو من الكلام المحدث الذي لم يـرد بـه نص مـن كتـاب الله أو سـنة رسـوله ﷺ اللـذان همـا مصـدرا الاعتقـاد عنـد أهـل السـنة والجماعة مثله مثل لفظ "الجهة "و "الحيز " ونحوهما ، فالأشاعرة يذهبون إلىنفيها بإطلاق ، والمؤلف هنا على هذا النهج ، بينما يذهب أهل السنة والجماعة إلى التفصيل في ذلـك ، يقول ابن تيمية في الدرء (٢٤٦/٦) بعد ذكره اختلاف النـاس في لفـظ المكـان : "وحقيقـة الأمر أن ينظر في المقصود، فمن اعتقد أنَّ المكان لا يكون إلاَّ ما يفتقر إليه المتمكن، سـواء كان محيطاً به، أو كان تحته، فمعلوم أنَّ الله سـبحانه ليـس في مكـان بهـذا الاعتبـار، ومـن اعتقد أنَّ العرش هو المكان، وأنَّ الله فوقه، مـع غنـاه عنـه، فـلا ريـب أنَّـه في مكـان بهـذا الاعتبار. فما يجب نفيه بلا ريب افتقار الله تعالى إلى ماسواه، فإنَّه سبحانه غني عن ماسواه، وكل شيء فقير إليه، فلا يجوز أن يوصف بصفة تتضمن افتقاره إلى ما سواه، وأما إثبـات النسب والإضافات بينه وبين خلقه، فهذا متفق عليه بـين أهـل الأرض، وأمـا علـوه علـى العالم ومباينته للمخلوقات فمتفق عليه بين الأنبياء والمرسلين وسلف الأمة وأئمتها.

ولا حجة* لهم في قوله : ﴿ ذي المعارج ﴾ لأنّه إنّما أضاف المعارج إليه إضافة فعل ، وقد كان ولا فعل له موجود .[١]

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله :﴿ ذي المعارج ﴾ هو بمعنى العلو والرفعة [٢].

وكذلك لا شبهة لهم في قوله تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ لأنّ صعود الكلم إليه تعالى لا يقتضي كونه في جهة العلوإذ الباريء تعالى لا تحويه جهة إذ كان موجوداً ولا جهة .[٣]

وإذا صح ذلك وجب أن يكون تأويل قوله : ﴿ ذي المعارج ﴾ : رفعته واعتلاؤه على خليقته ، وتنزيهه عن الكون في جهة ، لأنّ ذلك مايوجب كونه جسماً ، تعالى الله عن ذلك .

[وأمّا] ** وصف الكلم بالصعود إليه [فمجاز] *** أيضاً [واتساع] **** لأنّ الكلم عرض ، والعرض لا [يصح أن] يفعل ، لأنّ من شرط

---

* في « ب » : فلا حجة

** في « أ » : وإنما ، والتصويب من « ب » وشرح ابن بطال .

*** في « أ » : فمحال .

**** في « أ » : وامتناع والتصويب من شرح ابن بطال – وهي ساقطة من « ب » .

---

(١) من القواعد المتفق عليها عند السلف أنّه لا يلزم من قدم الصفة قدم متعلقاتها بل قد تكون الصفة قديمة النوع حادثة الآحاد والمتعلق . فتبين أنّ هذا الإستدلال لا وجه له . وانظر القواعد الكلية ص (١١٩).

(٢) تفسير الطبري (٢٢٦/١٢) وفيه : العلو والفواضل بدلاً من العلو الرفعة . وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم (الدر المنثور ٤١٦/٦).

(٣) هذا تأويل أشعري مخالف لإجماع الأمة المبني على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، وانظر هامش (٦) من الصفحة السابقة (٣٨١) .

الفاعل : كونه حيا قادراً عالماً مريداً ، فوجب صرف الصعود المضاف إلى الكلم إلى الملائكة الصاعدين به .[(١)]

فصل

معنى : ((تعرج)) : تصعد .

واختلف في الروح فقيل : جبريل [(٢)] . وقيل : مَلَكٌ عظيم يقوم وحده صفاً يوم القيامه* ، وتقوم الملائكة صفاً ، قال تعالى : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ﴾[(٣)] [(٤)] .

وقيل : هوخلق من خلق الله و** لا ينزل ملك إلاّ ومعه اثنان منهم .[(٥)]

وعن ابن عباس ﷺ :" أنَّه ملك له أحد عشر ألف جناح وألف وجه يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة " [(٦)] .

---

* يوم القيامة ، ساقط من ((ب)) .

** الواو : ساقطة من ((ب)) .

---

(١) هذا إقرار من المؤلف بأنَّ الملائكة تصعد بالكلم الطيب ، وهل يكون الصعود إلاّ من جهة السفل إلى جهة العلو التي ينكر المؤلف إطلاقها في حق الله تبارك وتعالى ، ولكنّه التناقض والاضطراب الذي لابد وأن يصل إليه من جعل عقله حاكماً على النصوص الشرعية ، وردَّ ظواهرها – بحجة عدم قبول العقل لها ، أو أنّها تودي إلى محذور تخيله وتوهمه .

(٢) وهو قول ابن عباس ، ودليله قوله تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ [الشعراء : ١٩٣] وانظر تفسير القرطبي (١٨/١٨٣).

(٣) النبأ ، الآية (٣٨).

(٤) وهو مروي عن ابن عباس وابن مسعود. انظر تفسير الطبري (١٢/٤١٥) والقرطبي(١٩/١٢١).

(٥) انظرالأسماء والصفات للبيهقي (٢/٢١٨) معزواًإلى ابن عباس وفيه : " واحد " بدل " اثنين " . وانظر تفسير القرطبي (١٩/١٢٢).

(٦) انظر : تفسير القرطبي (١٩/١٢٢) والطبري (١٢/٤١٥).

وقيل : هم خلق كخلق بني آدم لهم أيد وأرجل .[1]

فصل

وقول مجاهد : " العمل الصالح يرفع الكلم الطيب " هو قول ابن عباس ، وزاد : " والعمل الصالح : أداء فرائض الله ، فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد* كلامه على عمله وكان أولى به "[3] ، وقاله** الحسن[4] وسعيد بن جبير[5] .

وقال شهر بن حوشب[6] : ﴿ إليه يصعد الكلم

* في ((ب)) : رده .

** في ((ب)) : وقال .

(١) انظر الأسماء والصفات للبيهقي (٢/٢٢٠) والقرطبي (١٩/١٢٢) وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ . الدر المنثور (٦/٥٠٥).

(٣) اخرجه ابن جرير (١٠/٣٩٩) ح (٢٨٩٤٠) والنحاس في معاني القرآن (٥/٤٤٠) .وقال السيوطي . " أخرجه ابن مردويه والديلمي " . الدر المنثور (٦/٤٦٢) إلاَّ أنَّه جعله من قول أبي هريرة .

(٤) انظر تفسير البغوي (٦/٤١٥) ومعاني القرآن للنحاس (٥/٤٤١) وعزاه السيوطي إلى ابن المبارك ، وعبد بن حميد وابن المنذر . الدر (٥/٤٦٢).

(٥) انظر المرجع السابق وعزاه السيوطي إلى الفريابي (الدر ٥/٤٦٢).

(٦) هو شهر بن حوشب الأشعري ، أبو سعيد الشامي ، من كبار علماء التابعين ، قرأ القرآن على ابن عباس ، وحول الاحتجاج به كلام كثير . قال الذهبي : " والاحتجاج به مترجح " ، وللشيخ يوسف الجديع رسالة – مخطوطة – أسماها " العرف المطيَّب في بيان

⇐⇐⇐

الطيب ﴾[١] : القرآن ، ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ [٢] : القرآن .[٣]
وعن* قتادة : العمل الصالح يرفعه الله .[٤]

فصل

[وقوله] « يتعاقبون فيكم » فيه تقديم الضمير على [الفاعل]** قبل الذكر وهي لغة غير مشهورة ، وهي لغة*** أكلوني البراغيث .[٥]

---

* في : « ب » فصل . بدلاً من : عن .
** في « أ » و « ب » : الفعل .
*** لغة : ساقطة من « ب » .

⇐⇐⇐
حال شهر بن حوشب " خلص فيها إلى أنَّ حديثه لا ينزل عن رتبه الحسن . مات سنه(١٠٠) وقيل (١١١) .انظر :السير (٣٧٢/٤)التهذيب (٣٦٩/٤)العرف المطيب(ص٥٢)

(١) فاطر ، الآية (١٠).

(٢) فاطر ، الآية (١٠).

(٣) أخرجه النحاس في معاني القرآن (٤٤٢/٥) وانظر : تفسير القرطبي (٢١٢/١٤).

(٤) انظر : معاني القرآن للنحاس (٤٤٢/٥) وعزاه السيوطي إلى ابن المبارك . الدر المنثور (٤٦٣/٥).

(٥) هي لغة بني الحارث بن كعب ، ومعناها : الإتيان في الفعل المسند إلى الظاهر بعلامة تدل على التثنية أو الجمع ، خلافاً لما هو مشهور من لغات العرب ، وإلى هذا يشير ابن مالك بقوله :

وجرد الفعل إذا ماأسندا ... لاثنين أو جمع كفاز الشهداء
وقد يقال : سعدا وسعدوا ... والفعل للظاهر بعد مسند

ولكن جعل هذا الحديث من هذه اللغة فيه قولان : الأول من يجعله كذلك منهم ابن مالك صاحب الألفية ، والقرطبي ، والثاني قول من لا يجعله من هذه اللغة وحجتهم أنَّ هذه الرواية
⇐⇐⇐

فصل

وقوله : ((بعدل تمرة)) : رويناه – بفتح العين – ومعناه : المثل ٠

وقال الكسائي[١] : العِدل والعَدل بمعنى[٢] ،

وقال الفراء : عَدْل الشيء مثله من غير جنسه ، [وعِدْله] * مثله من جنسه[٣]

وأنكر البصريون هذا التفريق وقالوا : العَدل // والعِدل : المثل ، سواء كان من الجنس ، أو من غير الجنس[٤] ٠ ب/٢٩٢أ

* في ((أ)) : وعدل ٠

⇐⇐⇐

للحديث مختصرة ، ولفظه الكامل : " إنَّ لله ملائكة يتعاقبون فيكم ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار " ، فيتعاقبون صفة لملائكة السابق ٠ والواو في يتعاقبون ضمير يرجع إلى ملائكة، وملائكة بالليل مستأنف لبيان ما أجمل أولاً وإلى هذا ذهب ابن عقيل وأبو حيان.

انظر : شرح الكافية الشافية ، لابن مالك (٥٨١/٢) شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك (١٧/٢–١٨) فتح الباري (٤٢/٢)٠

(١) علي بن حمزة بن عبدالله الأسدي ، الكوفي ، المعروف بالكسائي ، أحد القراء السبعة جالس في النحو الخليل بن أحمد ، قال الشافعي : من أراد أن يتبحر في النحو ، فهو عيال على الكسائي ، مات بالري ، سنة ١٨٩ وقيل غير ذلك ٠

انظر اشارة التعيين (ص٢١٧) السير (١٣١/٩) البلغة ص (١٥٢)٠

(٢) معاني القرآن الكريم ، للنحاس (٣٦٢/٢)٠

(٣) انظر : معاني القرآن للنحاس (٣٦٢/٢) غريب الحديث للخطابي (١٩٥/١) الصحاح (١٧٦١/٥)٠

(٤) انظر : مشارق الأنوار (٦٩/٢) ومعاني القرآن الكريم ، للنحاس (٣٦٢/٢)٠

وحكى صاحب الصحاح[١] عن الفراء ، مثل ماسلف ٠

فصل

وقوله في حديث أبي هريرة ﷺ : ((كما يربي أحدكم فلوَّه)) ٠

قال الجوهري : " الفلوّ – بتشديد الواو – :المهر ، لأنَّه يفتلى أي : يفطم ٠

وقال أبو زيد :" فلو" إذا فتحت الفاء شددت الواو،وإذا كسرت خففت "[٢] // أ / ٨٤٣

[وقرأناه بالفتح] ٠

وقوله : ((يتقبلها بيمينه)) : هو عبارة عن حسن القبول ، لأنَّ العادة جرت بأنَّ اليمين تصان من مس الأشياء الردية ، وقيل اليمين عبارة عن القدرة ، وسلف ٠[٣]

فصل

قوله في حديث أبي سعيد ﷺ : " بذهيبة في تربتها " هي : تبر الذهب ثم* يسبك بعد ٠

قيل : إنَّما أنث ذهيبة ، لأنَّ الذهب مؤنث فلما صغرها أظهره لأنَّ التصغير يرد الأسماء** إلى أصولها ٠[٤]

---

* كذا في ((أ)) و ((ب)) ٠ ولعلها : لم ٠

** في ((ب)) : الشيء إلى أصله ٠

---

(١) انظر : (١٧٦١/٥)٠

(٢) انظر : الصحاح (٢٤٥٧/٦)٠

(٣) لاشك أنَّ هذا صرف للفظ عن ظاهره ، والواجب إثبات هذه الصفة على وجه الكمال ، مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات ، وتقدم هذا التأويل ، وبيان بطلانه تفصيلاً ص (٢٢٧/أ و ٣١٩ – ٣٢٠) .

(٤) انظر : المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث،للأصفهاني (٧١٤/١) النهاية (١٧٣/٢)٠

وفي الصحاح : " الذهب معروف ، وربما أنث ، والقطعة منه ذهبة ".[١]

فصل

الأقرع ومن ذكر معه من المؤلفة قلوبهم الذين يُعْطَون من الزكاة ، وقد اختلف هل حكمهم باق أم منقطع ؟!، ولا يأخذون إن احتيج إلى مثله .[٢]

و ((الصناديد)) جمع صنديد وهو : السيِّد الشجاع[٣] .

و ((غائر العينين)) * : أي : غارت عينيه** ، فدخلتا ، وهي [ضد] *** الجاحظ [٤] .

و ((ناتيء الجبين)): مرتفعه ، وفي رواية أخرى : ((ناشز)) [٥] ، والمعنى واحد[٦] .

و ((كثُّ اللِّحية)) : كثير شعرها ، غير مسبلة .

و ((مشرف الوجنتين)) : أي ليس بسهل الخد ، وقد أشرفت وجنتاه : علتا ، والوجنتان: العظمان المشرفان على الخدين ، وهي الوَجنة ، والوُجنة ، والأجنة ، هذا قول القزاز .

---

* في ((ب)) : العين .

** في ((ب)) : عينه .

*** في ((ب)) : ضد الخافض . وفي ((أ)) : صفة الجاحظ ، وفي عمدة القاريء : ضد الجاحظ .

---

(١) (١/١٢٩).

(٢) انظر : المغني (٩/٣١٦-٣١٨) الحاوي الكبير ، للماوردي (٨/٤٩٨-٥٠٠).

(٣) الصحاح (٢/٤٩٩).

(٤) انظر : الصحاح (٢/٧٧٤) و (٣/١١٧١).

(٥) كتاب المغازي ، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع (٧/٦٦٦)ح (٤٣٥١).

(٦) انظر مشارق الأنوار (٢/٢٩).

وفي الصحاح : " الوجنة : ماارتفع من الخدين ، وفيها أربع لغات بتثليث الواو والرابع أجنة " .[١]

وقوله : ((محلوق الرأس)) كانوا لا يحلقون رؤوسهم ، ويوفرون شعورهم ، وقد فرق رسول الله ﷺ شعره [٢] ، وحلق في حجه وعُمَرِه .

قال الداودي : " كان هذا الرجل من بني تميم من بادية العراق " .

و ((ضئضيء)) تقدم أنَّه بالضاد والصاد ، وأنَّه أصله ، ورويناه بالمعجمة .[٣]

وقال الداودي : ((من ضئضيء هذا)) يعني : أمثاله وقرناه ، وكذا قال الشيخ أبو عمران[٤] ، وعلَّل ذلك بأنَّ هذا سبق فكان أصلاً لكل من جاء بعده منه . كقوله في رسول الله ﷺ : " لقد أمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشه "[٥] ، لمَّا كان أتى بأمر لم يسبق إليه ، فشبَّه رسول الله ﷺ به لما فعل مثل فعله .

وقوله : ((لا يجاوز حناجرهم)) أي : لا يرتفع إلى الله منهم شيء .

---

(١) (٦/٢٢١٢).

(٢) قال ابن القيم – رحمه الله – : " وكان [أي النبي ﷺ] أولاً يسدل شعره ، ثم فرقه ، والفرق أن يجعل شعره فرقتين ، كل فرقة ذؤابه ، والسدل : أن يسدل من ورائه ولا يجعله فرقتين " أ.هـ. زاد المعاد (١/١٧٥).

(٣) قال صاحب المشارق : قوله : " يخرج من صنصئ " هذا بالصاد المهملة ، مهموز الوسط والآخر، كذا قيده أبو ذر وبعض روات البخاري ومسلم ، وقيَّده الأصيلي والقابسي وابن السكن وعامة شيوخنا عن مسلم : بالضاد المعجمة ، وكلاهما صحيح بمعنى ، وبالمعجمة رواية أكثر مشايخ الموطأ ، وبالوجهين عند التميمي فيهما . وقال أهل اللغة : يقال بهما وبالسين أيضاً ومعناه الأصل ، وقيل : النسل . أ.هـ (٢/٣٧).

(٤) لعله : عالم القيروان ، أبو عمران ، موسى بن عيسى ، الفاسي ، المالكي ، تفقه بالقابسي والأصيلي . توفي سنة ٤٣٠ انظر ترجمته في السير (١٧/٥٤٥).

(٥) من قول أبي سفيان لأصحابه لمَّا خرجوا من مجلس هرقل وقد سأله عن النبي صلى الله عليه وسلم . والقصة في البخاري / كتاب بدء الوحي ح (٧) وفي كتاب الجهاد والسير ح (٢٩٧٨) ، وفي مسلم / كتاب الجهاد والسير ح (١٧٧٣) .

وقوله : ((مروق السهم)) أي يخرجون خروج السهم .

و ((الرمية)) مايرمى من الصيد فيخرج السهم منها ، " فعيلة " بمعنى مفعوله.

وقوله* : ((لئن أنا** أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)) احتج به من يرى كفرهم.***

وقوله : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ﴾[١] قال : مستقرها تحت العرش .

قيل : أبعد منازلها في الغروب ، ثم ترجع فلا تجاوزه[٢] ،

وقيل : لأَجلِ أجَّلها[٣]

وقرأ ابن عباس ﷺ : ﴿ لا مستقر لها ﴾ أي : هي جارية لا تثبت في موضع واحد.[٤]

وقيل : الشمس مرتفعة بالإبتداء ، والخبر : [لمستقر لها] **** [٥] ،

وقيل : هي خبر محذوف تقديره : وآية*****هم الشمس تجري لمستقر لها .[٦]

---

* في ((ب)) : قولهم .

** أنا ، ساقطه من ((ب)) .

*** في ((ب)) : كفره .

**** في ((أ)) : لمستقرها .

***** وآية لهم : ساقطة من ((ب)) .

---

(١) يس ، الآية (٣٨).

(٢) انظر تفسير الطبري (٤٤١/١٠) معاني القرآن للنحاس (٤٩٤/٥).

(٣) انظر : الدر المنثور (٤٩٥/٥) حيث ذكر نحواً من هذا القول معزواً إلى قتادة .

(٤) معاني القرآن ، للنحاس (٤٩٣/٥) .

(٥) انظر : المرجع نفسه .

(٦) انظر : تفسير القرطبي (١٩/١٥).

٢٤ - بـــاب

قول الله عزوجل:﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾[١]

ذكر فيه أحاديث جملتها اثنا* عشر حديثاً :

[٧٤٣٤] أحدها : حديث جرير ﷺ : « كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ ، إذ نظر إلى القمر ليلة البدر ، فقال : إنّكم سترون ربكم ... الحديث » بطوله ، وقد سلف . [أطرافه في : ٥٥٤ ، ٥٧٣ ، ٤٨٥١ ، ٧٤٣٥ ، ٧٤٣٦] .

[٧٤٣٥] ثانيها : حديث عاصم بن يوسف اليربوعي – من إفراده – ثنا أبو شهاب وهو عبدربه بن نافع الحناط** – صاحب الطعام – المدايني ، اتفقا عليه[٢] إلى جرير مرفوعاً : « إنّكم سترون ربكم عياناً » [أطرافه : انظر الحديث السابق] .

[٧٤٣٦] وعنه : « خرج رسول الله ﷺ ليلة البدر ، فقال : إنّكم سترون ربكم يوم القيامة ... الحديث بطوله » . [أطرافه : انظر الحديث السابق] .

[٧٤٣٩] رابعها[٣] : حديث زيد ، هو : ابن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن

---

* في « ب » : اثني عشر . وفي هامش « أ » : صوابه : ثلاثة .
** في « ب » الخياط . وهو خطأ .

---

(١) القيامة : الآيتان (٢٢، ٢٣) .

(٢) انظر:ترجمته في : تهذيب الكمال (٧٧١/٢) السير (٢٢٦/٨) تقريب التهذيب (٣٧٩٠).

(٣) جاء في هامش « أ » تعليقان : الأول : هذا سقط من المؤلف وهو رابع وكون الغلط من المؤلف لأنّه عدها اثني عشر ، وإنّما هي ثلاثة عشر ، فاعلمه ، وقد تكلم عليه المؤلف فيما يأتي من هذا الباب .أ.هـ. التعليق الثاني : حديث عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة أنّ الناس قالوا :يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ... الحديث بطوله ، فعلى ماذكر... العدد ، ويبقى الرابع في كلامه خامساً والخامس في كلامه سادساً ، وهكذا إلى ما عدّده .

أبي سعيد الخدري ﷺ : قلنا يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ ... الحديث بطوله . بمثله وزيادة . [أطرافه فى ٢٢ ، ٤٥٨١ ، ٤٩١٩ ، ٦٥٦٠ ، ٦٥٧٤ ، ٧٤٣٨]

[٧٤٤٠] خامسها : وقال حجاج بن منهال ، ثنا همام بن يحيى ، ثنا قتادة عن أنس ﷺ // : أنَّ النبي ﷺ ... الحديث بطوله في الشفاعة .

ب/٢٩٢ب

[أطرافه في : ٤٤ ، ٤٤٧٦ ، ٦٥٦٥ ، ٧٤١٠ ، ٧٥٠٩ ، ٧٥١٠ ، ٧٥١٦]

وحجَّاج بن منهال شيخه ، فكأنَّه أخذه عنه مذاكرة*[1] ، وقد قال أبو جعفر بن حمدان[2] : أنَّه عرض[3] ومناولة .[4] [5]

[٧٤٤١] سادسها : حديث أنس ﷺ : ((أنَّه عليه السلام أرسل إلى الأنصار ، فجمعهم في قبة ، وقال : اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإنِّي على الحوض)) .

[أطرافه في : ٣١٤٦ ، ٣١٤٧ ، ٣٥٢٨ ، ٣٧٧٨ ، ٣٧٩٣ ، ٤٣٣١ ، ٤٣٣٢ ، ٤٣٣٣ ، ٤٣٣٤ ، ٤٣٣٧ ، ٥٨٦٠ ، ٦٧٦٢] .

[٧٤٤٢] سابعها : حديث سليمان الأحول – وهو سليمان بن أبي مسلم المكي

---

* في ((ب)) : فذاكره .

---

(١) انظر : المقنع في علوم الحديث لابن الملقن (١/٢٩٥) .

(٢) هو أحمد بن حمدان بن علي النيسابوري ، وصفه الذهبي : بالإمام ، الحافظ ، الزاهد ، القدوة ، المجاب الدعوة ، شيخ الإسلام . صنف الصحيح المستخرج من صحيح مسلم . توفي رحمه الله سنة . ٣١هـ . انظر : تذكرة الحفاظ (٢/٧٦١) السير (١٤/٣٠٢) .

(٣) العَرْض هي : القراءة على الشيخ ، كقراءة القاري على المقري . انظر : المقنع في علوم الحديث (١/٢٩٧) .

(٤) المناولة هي : أن يعطي الشيخ للطالب أصل سماعه ، أوفرعاً مقابلاً به ويقول له : هذا سماعي عن فلان فاروه عني . أو نحو ذلك ، وهي على نوعين : مقرونة بالإجازة أو مجردة . انظر المرجع السابق (١/٣٢٥) .

(٥) ولفظه كما في السير (١٤/٣٠٠) : كل ماقال البخاري قال لي فلان ، فهو مناوله وعرض .

خال عبدالله بن أبي نجيح المكي اتفقا عليه[١] ، عن طاوس ، عن ابن عباس ﷺ قال : كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال : ((اللهم* ربنا لك الحمد ، أنت قَيِّمُ السموات والأرض ... الحديث)). [أطرافه في : ١١٢٠ ، ٦٣١٧ ، ٧٣٨٥ ، ٧٤٩٩] .

وقال قيس بن سعد وأبو الزبير ، عن طاوس : قيام ، وقال مجاهد : القيوم : القائم على كل شيء ، وقد سلف ذلك في التفسير ، وقرأ عمر ﷺ : القيَّام ، وكلاهما مدح.

[٧٤٤٣] ثامنها : حديث عدي بن حاتم ﷺ مرفوعاً : ((ما منكم من أحد إلاَّ سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه .

[أطرافه في : ١٤١٣ ، ١٤١٧ ، ٣٥٩٥ ، ٦٠٢٣ ، ٦٥٣٩ ، ٦٥٤٠ ، ٦٥٦٣ ، ٧٥١٢]

[٧٤٤٤] تاسعها : حديث أبي عمران – واسمه عبدالملك بن حبيب الجوني** [٢] – عن أبي بكر – واسمه عمرو بن عبدالله بن قيس[٣] – عن أبيه ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : " جنتان من فضة ... إلى أن قال : ومابين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلاَّ رداء الكبرياء على وجهه في // جنة [عدن] ***)) .

أ / ٨٤٣

[أطرافه في : ٤٨٧٨ ، ٤٨٨٠] .

* اللهم ، ساقطة من ((ب)) .

** في ((ب)) : الحربي .

*** في ((((أ)))) : عدل .

(١) انظر ترجمته في : تهذيب التهذيب (٤/٢١٨) التقريب (٢٦٠٨).

(٢) انظر ترجمته : السير (٥/٢٥٥) التقريب (٤١٧٢).

(٣) انظر ترجمته : تهذيب التهذيب (١٢/٤٠) التقريب (٧٩٩٠).

[٧٤٤٥] العاشر : حديث أبي وائل ، عن عبدالله ﷺ مرفوعاً : « من اقتطع مال امريء مسلم ... إلى قوله : [﴿ ولا يكلمهم الله ﴾ الآية *] » .

[أطرافــه في : ٢٣٥٦ ، ٢٤١٦ ، ٢٥١٥ ، ٢٦٦٦ ، ٢٦٦٩ ، ٢٦٧٣ ، ٢٦٧٦، ٤٥٤٩ ، ٦٦٥٩ ، ٦٦٧٦ ، ٧١٨٣]

[٧٤٤٦] الحادي عشر : حديث أبي هريرة ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ... » الحديث سلف .

[أطرافه في : ٢٣٥٨ ، ٢٣٦٩ ، ٢٦٧٢ ، ٧٢١٢] .

[٧٤٤٧] الثاني عشر : حديث ابن** أبي بكرة ، عن أبي بكرة ﷺ ، ـ واسم الأول : عبدالرحمن ، والثاني[١] : نفيع[٢] . والأول : أول مولود في الإسلام بالبصرة ، يكنى ، أبابحر ، وقيل : أباحاتم ، اتفقا[٣] عليه ـ عن النبي ﷺ قال : « الزمان قد استدار ... » الحديث سلف بطوله ، وفيه : « ستلقون*** ربكم فيسألكم عن أعمالكم » .

[أطرافه في : ٦٧ ، ١٠٥ ، ١٧٤١ ، ٣١٩٧ ، ٤٤٠٦ ، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠ ، ٧٠٧٨] .

الشرح

استدل البخاري بالآية ، وبأحاديث الباب على : أنَّ المؤمنين يرون ربهم في جنات النعيم ، وهو باب اختلف الناس فيه :

ومذهب أهل السنة والجماعة ، وجمهور الأمة : جواز رؤية الله تعالى في الآخرة .

---

* في « أ » : ولا يكلمه الله .

** ابن ساقطة من « ب » .

*** في « ب » : فستلقون .

---

(١) في هامش « أ » : المراد بالثاني أبوبكرة ، والأول ابنه عبدالرحمن .

(٢) انظر ترجمته في : الإصابة (١٠ / ١٨٣) (٨٧٩٤) التقريب (٧١٨٠).

(٣) انظر ترجمته في : التهذيب (١٤٨/٦) التقريب (٣٨١٦).

ومنعت من ذلك الخوارج ، والمعتزلة[١] ،و بعض المرجئة[٢] ، واستدلوا على ذلك: بأنَّ الرؤية توجب كون المرئي محدثاً ، وحالاً في مكان في شبه آخر نقض بعضها مغن عن نقض سائرها ، وزعموا أنَّ ﴿ ناظرة ﴾ في الآية بمعنى منتظرة ٠

فيقال لهم : هذا جهل بموضع اللغة ، لأنَّ النظر في كلام العرب ينقسم أربعة أقسام :

يكون بمعنى الانتظار[٣] .

والتفكر والاعتبار[٤] .

والتعطف والرحمة .

ويكون بمعنى الرؤية للإبصار[٥] [٦]

وإن كان النظر له معان أخر ، قال في المحكم : " نظر إليه بمعنى : أهلكه ، ونظر إليك : قابلك ، ونظر الشئ : باعه ".

وفى جامع القزاز : " نظرت إلى هذا الأمر ، من نظر القلب ، مثل نظر العين ونظرات : مرات* ".

* في : " ب " : نظرت : قرأت .

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة ص (٢٣٢) وقال في المغني (١٣٩/٤) : " فأمَّا أهل العدل بأسرهم والزيدية والخوارج ، وأكثر المرجئة فإنَّهم قالوا : لا يجوز أن يرى الله تعالى بالبصر ، ولا يدرك به على وجه ، لاالحجاب ومانع ولكن لأنَّ ذلك يستحيل أ٠هـ٠" نقلاً عن المعتزلة وأصولهم الخمسة لعوادالمعتق ص (١٢٨)٠

(٢) انظر : مقالات الإسلاميين ص (١٥٣) حيث جعل المرجئة فرقتين الأولى تنفي رؤية الله بالأبصار والثانية تثبت أن الله يرى بالأبصار في الآخرة ٠ انظر : شرح العقيدة الطحاوية (٢٠٧/١)٠

(٣) كقوله تعالى : ﴿ ما ينظرون إلاَّ صيحة واحدة ﴾ يس ، الآية (٤٩)٠

(٤) كقولة تعالى : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ الغاشية ، الآية (١٧)٠

(٥) كقولة تعالى : ﴿ ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت ﴾ محمد ، الآية (٢٠)٠

(٦) انظر : الإبانة ، للأشعري (ص٦٥) ، والإعتقاد للبيهقي (ص٧٤)٠

وخطأً كونه في الآية بالمعنى الأول ، وهو الانتظار من وجهين :

أحدهما : أنَّه عُدِّيَ إلى مفعوله بإلى ، وهو إذا كان بمعنى الانتظار ، لا يتعدى بها، وإنَّما يتعدى بنفسه قال تعالى ﴿ هل ينظرون إلاَّ الساعة ﴾[1] . فعداه بنفسه لَّما كان بمعنى : ينتظرون ، قال الشاعر :

فإنَّكما إن تنظراني ساعة   من الدهر تنفعني لدى أم جندب[2]

بمعنى : تنتظراني .

ثانيهما : [أنَّ] حمله على معنى الإنتظار لا يخلو أن يراد به : منتظرة ربها أو ثوابه ، و* على أيهما حمل فهو خطأ ، لأنَّ [المنتظر لما ينتظره**] في تنغيص وتكدير ، والله قد وصف أهل الجنة بغير ذلك وأنَّ لهم فيها مايشاؤون .

ويبطل كون النظر فيها بمعنى الاعتبار والتفكر ، لأنَّ الأخرة ليست بدار اعتبار وتفكر ، إذ ليست بدار محنة وعبادة ، وأنَّ ذاته تعالى ليست مما يعتبر بها ، فبطل قولهم .

ويبطل [كونه] *** فيها بمعنى التعطف // والرحمة ، لأنَّ ذاته [تعالى ليست] مَّما يتعطف عليها ويترحم . ب/٢٩٣ب

وإذا بطلت هذه الأقسام الثلاثة ، صح الرابع وهو : النظر بمعنى الرؤية بالأبصار له تعالى ، وهو ماذهب إليه جمهور المتكلمين ، قبل حدوث القائلين بهذه

* في ((ب)) : أو .

** في ((أ)) و ((ب)) : لأنَّ المنتظر لا ينتظره لأنَّهما في تنغيص... والكلام غير مفهوم المعنى والتصويب من شرح ابن بطال .

*** في ((أ)) : كونها .

(١) الزخرف : الآية (٦٦).

(٢) البيت لإمريء القيس ، وهو في شرح ديوانه صـ (٥٣)

الضلالة ، وشهدت له السنن الثابتة من الطرق المختلفة.[١]

وما احتج به من نفاها من أنَّه* يوجب كون المرئي محدثاً ، فهو فاسد ، لقيام الدلائل الواضحة على أنَّ الله موجود ، وأنَّ الرؤية [منزلتها] ** في تعلقها بالمرئي، منزلة العلم في [تعلقه] *** بالمعلوم .

فكما أنَّ العلم المتعلق بالموجود لا يختص بموجود دون موجود ، ولا يوجب تعلقه [به] حدثه ، كذلك الرؤية في تعلقها بالمرئي لا توجب حدثه .

واحتج نفاتها أيضاً بقوله : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾[٢] وبقوله لموسى : ﴿ لن تراني ﴾[٣] في جواب سؤاله الرؤية .

وهذا لا تعلق لهم فيه ، لأنَّ قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ وقوله : لن تراني ﴾ : لفظ عام ، والآية خاصة ، تقضي على العام وتُبَيِّنه ، فمعنى لا تدركه الأبصار في الدنيا ، لأنَّه تعالى قد أشار على أنَّ المراد بالآية : الآخرة ، بقوله**** ﴿ يومئذ ﴾.[٤] وكذلك يكون معنى قوله لموسى : ﴿ لن تراني ﴾: في الدنيا ،

* في ((ب)) أنَّها

** في ((أ)) : بمنزلتها.

*** في ((أ)) : تعلقها .

**** في ((ب)) : لقوله .

(١) انظر : الإبانة (٦٥-٦٦) والاعتقاد (٧٤-٧٥).

(٢) الأنعام الآية (١٠٣).

(٣) الأعراف ، الآية (١٤٣).

(٤) في قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ﴾[القيامة ٢٢ ، ٢٣] وهذا الجواب ذكره صاحب الإبانة ص (٧٢) . وهناك جواب أجود من هذا وأقوى وهو : أنَّ المنفي في الآية هو الإدراك لا الرؤية ، وفرق بينهما ، فالإدراك معنى زائد ، على النظر والرؤية ، وهو بمعنى الإحاطة ، والدليل على أنَّ الإدراك غير الرؤية قوله تعالى :

⇐⇐⇐

لأنّه قد ثبت أنّ نفي الشيء لا يقتضي إحالته ، بل قد يتناول : المستحيل وجوده والجائز* وجوده ، فلا تعلق لهم بالآيتين .

فشهد لصحة الرؤية لله ، من الأحاديث الثابتة ، التي تلقاها المسلمون بالقبول من عصر الصحابة والتابعين إلى وقت حدوث المارقين المنكرين لها .

وقال ابن التين : " هي إمّا متواترة المعنى ، أو اشتهرت ولم ينكرها أحد من الصحابة ، ولا دفعها بحجة [عقل]** ولا سمع ولا [دل] دليل على عدم صحتها(١) .

فصل

فإن قلت : " إلى " في الآ ية : [هي واحدة] الآلاء ، لاحرف جر . يقال : ليس هذا معروفاً ، ولو عرف [لم] *** يكن مراداً ، لأنّه ذكرالمراد النظر وأضافه

---

* في ((ب)) : والحايل .

** في ((أ)) : نقل .

*** في ((أ)) : لمن .

⇐⇐⇐

﴿ فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنّا لمدركون ، قال كلا إنّ معي ربي سيهدين ﴾ [الشعراء ،٦١] فالآية أثبتت الرؤية ونفت الإدراك، والمنفي غير المثبت .فنفي الإدراك في الآية لا يدل على نفي الرؤية، لاختلاف معناهما .انظر : المعتزلة وأصولهم الخمسة (ص١٢٩) .

(١) قال الحافظ ابن حجر : " جمع الدار قطني الأحاديث الواردة في رؤية الله تعالى في الآخرة فزادت على العشرين ، وتتبعها ابن القيم في حادي الأرواح فبلغت الثلاثين وأكثرها جياد ، وأسند الدار قطني عن يحيى ابن معين قال : عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية صحاح ". الفتح (١٣/ ٤٤٣) . وانظر حادي الأرواح (ص ٢١٢ - ٢٣٦) .

إلى الوجه . فإن استدل بقول الأعشى[١] :

أبيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحماً ولا يخون إلاًّ*[٢] .

قيل معنى البيت : ولا يجوز إلا – مخفف – ، والإِلُّ : العهد ، وحماية العهد أولى من حماية النعمة . ولوكان بمعنى الانتظار لكان تنغيصاً وتنكيداً للمنتظرين .

وعلى هذا قال الأشعري : " أهل الجنة لا ينتظرون نعمة وهم** في أخرى ، بل كلما خطر ببالهم شيء أُتوا به ، من غير انتظار . "[٣]

فإن قلت : إذا جعلتم النظر في الآية نظر عين ؛ لإضافته إلى الوجوه ، فاجعلوا الوجوه*** نظراً أيضاً بإضافة النظر إليها .

قيل لهم : لا يمتنع**** أن يكون بعض الآية حقيقة ، وبعضها مجاز[٤] ، أو أن يكون أضاف النظر إلى الوجوه ، والمراد به أصحابها ،

---

* في « أ » : إلى .

** في « ب » : وهي .

*** كذا في « أ » و"ب": ولعله الصواب : للوجوه .

*** في « ب » : لا يمنع .

---

(١) هو ميمون بن قيس بن جندل ، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي ، أبو بصير ، الشاعر الكبير ، أحدأصحاب المعلقات ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، ومدح النبي ﷺ توفى عام ٧هـ . انظر : البداية والنهاية (١٠١/٣) الأعلام (٣٤١/٧) .

(٢) انظر ديوان الأعشى ص (١٧١) .من قصيدة عنوانها : الشعر يستنزل الكريم .

(٣) انظر : الإبانة (ص ٦٦) .

(٤) جعل بعض آيات الصفات من باب المجاز ، مدخل كلامي فاسد سلكه كل من يريد تعطيل صفات الله أو تحريفها دون دليل معتبر صحيح ، ومن المعلوم قطعاً أنَّ جميع آيات الصفات هي من باب الحقيقة لا المجاز ، وسبق تفصيل هذه المسألة ص (٢٩٨) من هذا الكتاب .

ويجوز أيضاً أن يكون نظر الوجوه على الحقيقة ، ويخلق فيها النظر[١] ، لأنَّ ذلك وقت خرق العادات .

ومن الناس من قال : إنَّما خوطب بالظن النبي ﷺ فقال : تظن يا محمد أن يفعل بها فاقرة ، حكاه ابن التين .

فإن قلت : كيف يُرى من ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر ؟!

قيل : كما يعلم ماليس بجسم ولا عرض ولا جوهر ، وقد سلف [ذلك][٢] .

فصل

قوله : « ليلة البدر » قال الجوهري: " سمي بدراً ، لمبادرته الشمس في الطلوع ، كأنَّه يعجلها المغيب " .[٣] قال : " ويقال : سمي لتمامه " .[٤]

وقوله « كما ترون هذا القمر » لم يقصد به إلاَّ تشبيه الرؤية بالرؤية // لا تشبيه المرئي بالمرئي .

أ / ٨٤٥

و « تضامون » قد سلف الخلف فيه ، هل هو بالتشديد أو بالتخفيف ؟ [٥]

---

(١) النظر إذا أضيف إلى الوجه فمعناه نظر العين كما أنَّه إذا أضيف إلى القلب فمعناه اليقين ورؤية المؤمنين الله في الآخرة هي رؤية بصرية وعلى ذلك إجماع سلف الأئمة للأدلة المتكاثرة منها – أحد أحاديث الباب رقم (٧٤٣٥) وفيه " أنكم سترون ربكم عياناً " والحديث الآخر رقم (٧٤٣٤) وفيه " أنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته " ومعلوم أنَّ التشبيه هنا هو تشبيه للرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي ، ورؤية الناس للقمر إنَّما تكون بأعينهم لا بوجوههم . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " المؤمنون يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم " انظر : العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/١٤٤) (١٤٠) حادي الأرواح ، لابن القيم ص (٤٢٢) .

(٢) انظر : (ص ٣٩٥) من هذا الكتاب .

(٣) الصحاح (٢/٥٨٧) .

(٤) الصحاح (٢/ ٥٨٧) .

(٥) انظر مشارق الأنوار (٢/ ٥٨) .

قال ابن التين : رويناه - بفتح التـاء والتشـديد - في أول البـاب ، وبعـده - بضمها والتخفيف - .

قال الشيخ أبو الحسن[١] : إذا فتحت التاء ، فالضاد والميـم مشـددتان* ، وإذا ضممتها : خففتها .

فمعنى التشديد : مأخوذ من الازدحـام** ، أي : لا ينضـم بعضكـم إلى بعـض كما تنضمون في رؤية الهلال رأس*** الشهر ، لخفائه ورقته .

ومن خفف فالمعنى عنده // : على نفي الضيـم****[٢] ، وأصلـه : تُضْيَمـون ، [ب/٢٩٣ب] فألقيت حركة الياء على الضاد ، فقلبت ألفاً***** لانفتاح ماقبلها .[٣]

فصل

تأولت المعتزلة هذا الخبر على أنَّ معناه : رؤية العلـم ، (وأنَّ المؤمنـين يعرفـون الله يوم القيامة ضرورة .[٤] وهذا خطأ)****** ، لأنَّ الرؤية بمعنى العلـم تتعـدى إلى مفعولين ، كقولك : رأيت زيداً فقيهاً، أي : علمته كذلك ، فـإذا قـال : رأيـت زيـداً

* في ((ب)) : يشددن .

** في ((ب)) : الإزحام .

*** في ((ب)) : ليلة .

**** في ((ب)) : القسم .

***** في ((ب)) : الهاء .

****** مابين القوسين ساقط من ((ب)) .

(١) هو القابسي ، تقدمت ترجمته (ص ٢٤٥) .

(٢) انظر : مشارق الأنوار (٥٨/٢) والنهاية (٣ / ١٠١) .

(٣) انظر : المعلم بفوائد مسلم (٢٢٥/١) .

(٤) انظر : شرح الأصول الخمسة ص (٢٧٠-٢٧٢) .

منطلقاً ، لم يفهم منه إلاَّ رؤية البصر ، وتحقق ذلك [لتشبيهه] * برؤية البدر ، ورواية جرير : ((عيانا)) ترفع الإشكال لأنَّ الرؤية إذا قرنها بالعيان لم تحتمل العلم ٠

ويُبيِّنه**أنَّه عليه السلام : بشَّر المؤمنين بذلك ، وذلك يوجب أن تكون بمعني*** يختصون به ، وأمَّا**** العلم بالله فمشترك بين المؤمنين والكافرين .

فصل

حاصل اختلاف الناس في رؤية الله يوم القيامة أربعة أقوال :

قال أهل الحق : يراه المؤمنون يوم القيامة ، دون الكفار ٠

وقالت المعتزلة والجهمية : هي ممتنعة ، لايراه مؤمن ولا كافر ٠[1]

وقال ابن سالم البصري[2] : يراه الجميع الكافر والمؤمن ٠[3]

وقال صاحب كتاب التوحيد[4] : " من الكفار من يراه ، رؤية امتحان ، ولا يجدون فيها لذة ، كما يكلمهم بالطرد والإبعاد .

* في ((أ)) : لشبهه ٠ وفي ((ب)) : بشبهه ٠

**في ((ب)) : وبينه ٠

*** في ((ب)) : معنى ٠

**** في ((ب)) : فأما ٠

(١) مشكل الحديث ص (٤٠٦) وانظر : شرح الأصول الخمسة (٢٣٢و٢٧٧) مقالات الإسلاميين ص (٢١٦)٠

(٢) هو محمد بن أحمدبن محمد بن سالم البصري ، أبو عبدالله الزاهد ٠ شيخ الصوفية السالمية وابن شيخهم ٠ عمر دهراً ، وكان أبوه من تلاميذ سهل التستري ، ولحق هو – وهو حدَث – سهلاً ، وحفظ عنه ٠ توفي سنة بضع وخمسين وثلاث مائة، وقد قارب التسعين. انظر : حلية الأولياء (٣٧٨/١٠) والسير (٢٧٢/١٦)٠

(٣) مشكل الحديث (٤٠٦)٠

(٤) مراده الإمام ، أبو بكرة محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله المتوفي سنة (٣١١)٠

قال : وتلك الرؤية قبل أن يوضع الجسر بين ظهراني* جهنم[1] ، واحتج بحديث أبي سعيد الخدري ، وهو نحو من حديثه هنا[2] ، وموضع الدليل قوله : « فكل من كان يعبد غير الله ، يسقط في النار ، ويبقى المؤمنون والمنافقون بين أظهرهم ، وبقايا من أهل الكتاب – [و] هنا [3] : « وغبّرات من أهل الكتاب** » ، وهو : هو ، أي : بقايا جمع غُبّر[4] و غُبّر جمع غابر – .

فيقال لهم : ألا تتبعون ما كنتم تعبدون فيقولون : كنا نعبد الله ولم نره ، قال*** : فيكشف عن ساق ... » الحديث[5] ،

وانفصل عنه ابن فورك بأنّه ليس فيه ذكر رؤية عين[6] ، ودليل أهل الحق قوله تعالى : ﴿ كلا إنّهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾[7] فأخبر أنَّ الكفار محجوبون عن رؤيته تعالى .

---

* كذا في « أ » و « ب » . وفي كتاب التوحيد وكتاب مشكل الحديث : ظهري .

** في « ب » : الكبائر .

*** قال : ساقطة من « ب » .

---

(١) انظر : كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/٤٢٠) والكلام منقول بالمعنى ،و لعله بواسطة كتاب مشكل الحديث لابن فورك ص (٤٠٦) حيث يتقارب اللفظان .

(٢) أي حديث أبي سعيد الخدري عند ابن خزيمة مقارب لحديثه عند البخاري .

(٣) أي حديث الباب عند البخاري .

(٤) هكذا في « أ » و « ب » ، ولعله الصواب : بقايا بمعنى : غبر . انظر : مشارق الأنوار (٢/١٢٧).

(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/٤٢١) ح (٢٤٦).

(٦) انظر : مشكل الحديث (ص٤١٣).

(٧) المطففين ، الآية (١٥).

وقولـه تعـالى : ﴿ [وجـوه] يومئـذ نـاضرة إلى ربهـا نـاظرة ﴾[1] الآيـة الـتي ذكرها البخاري ٠

فأعلم أنَّ الوجوه الناضرة – أي المشرقة وهي وجوه المؤمنين في الناظرة إلى ربها تعالى ، فدل هذا التقييد وهذا النص أنَّ الكافرين لا يرونه تعالى ٠[2]

فصل

وقوله في حديث جريـر ﷺ : ((فـإن اسـتطعتم أن لا تغلبـوا علـى صـلاة قبـل طلوع الشمس – هـي الصبـح – وصـلاة قبـل غـروب الشـمس – وهـي العصـر – فافعلوا))

وهذا* يدل على تأكدهما** ، وهما أقوى أقوال أهل العلم في الوسطي ٠ [3]

فصل

وقول جرير : " كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ " وقال مرة : " خـرج علينـا " لا تنافي بينهما ، وكذا حديث أبي هريرة ﷺ : ((إنَّ الناس سألوا)) لا تنافي فيه أيضـاً ، فقد تتعدد الواقعة ، أو سمع أبو هريرة ﷺ سؤالهم ، دون جرير ٠

فصل

الطواغيت : الشياطين ، أو الأصنام ٠

* في ((ب)) : وهو .

في ((ب)) : تأكيدهما .

(1) القيامة ، الآية (٢٢–٢٣)٠

(2) انظر: مشكل الحديث ص (٤٠٧) ٠ وانظر مجموع الفتاوى (٦/٤٨٧)٠ورؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها ، لأحمد بن ناصر آل حمد ص (١٨٦–١٨٨)٠

(3) انظر : الخلاف في تحديد الصلاة الوسطى ، أعلام الحديث (١/٤٣١–٤٣٥)٠

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ يريـدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ﴾[١] : أنَّه كعب بن الأشرف .[٢] [٣]

وفي الصحاح :" الطاغوت : الكاهن [و] *الشيطان ، وكل رأس في الضلال "[٤] ، وقد يكون واحداً ، ثمَّ ذكر الآية .

قال : وقد يكون جمعاً ، وذكر قوله تعالى : ﴿ أولياؤهم الطاغوت ﴾[٥] ، و" طاغوت " وإن جاء على وزن " لاهوت "، فإنّه مقلوب ، لأنَّه من طغا ، و"لا هوت " [غير] ** مقلوب كأنَّه*** من لاهِ ، بمنزلة : " الرغبوت "، و " الرهبوت " .[٦]

---

* زيادة من الصحاح ، يقتضيها السياق .

** ساقطة من « أ » و « ب » والتصويب من الصحاح .

*** هكذا في « أ » و « ب » ، وفي الصحاح : لأنَّه .

---

(١) النساء ، الآية (٦٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٥٧/٤) وبه قال ابن عباس والضحاك .

(٣) كعب بن الأشرف الطائي ، من بني نبهان ، شاعر جاهلي ، أدرك الإسلام ولم يسلم وأكثر من هجو النبي وأصحابه ، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم . أمر النبي بقتله ، فانطلق إليه خمسة من الأنصار فقتلوه في ظاهر حصنه . انظر : الأعلام (٢٢٥/٥).

(٤) قال ابن القيم : " الطاغوت : كل ماتجاوز به العبد حده من معبود ، أو متبوع ، او مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله تعالى ، ورسوله ﷺ ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أويطيعونه فيما لا يعلمون أنَّه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم ، إذا تأملتها ، وتأملت أحوال الناس رأيت أكثرهم عدلوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت ، وعن التحاكم إلى الله ، وإلى الرسول ، إلى التحاكم إلى الطاغوت ، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلىطاعة الطاغوت ومتابعته " أعلام الموقعين (٥٤/١) .

(٥) البقرة ، الآية (٢٥٧).

(٦) الصحاح (٢٤١٣/٦).

وقال النحاس[١] : " [هو] مأخوذ من الطغيان ، يؤدي عن معناه من غير اشتقاق* ، كما قيل [اللآل] ** من اللؤلؤ .

وقال سيبويه : الطاغوت : اسم واحد مؤنث ، يقع على الجمع ."[٢]

قال النحاس : " أحسن ماقيل فيه*** إنّه من طغى ، أصله من طغو [و] ت**** ، مثل جبروت ثم نقلت اللام فجعلت عيناً ، ونقلت العين فجعلت لاماً مثل : جبذ وجذب ، ثم قلبت الواو ألفاً لتحركها ، وانفتاح ماقبلها ".[٣]

فصل

((وقوله ((فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون)) ليس الإتيان [هنا] على المعهود فيما بيننا ، الذي هو انتقال [و] حركة[٤] ، لاستحالة وصفه تعالى نفسه ،

---

* في ((ب)) : إتفاق .

** في ((أ)) و ((ب)) : لآل . والتصويب من معاني القرآن للنحاس .

*** فيه ، ساقطة من ((ب)) .

**** ((أ)) و ((ب)): طغوت ، والتصويب من معاني القرآن .

---

(١) أحمد بن محمد بن اسماعيل المرادي ، المصري ،إمام النحو ، من مصنفاته : إعراب القرآن ، معاني القرآن ، اشتقاق الأسماء الحسنى . وغيرها . سبب موته : أنّه كان يقطع بحراً من العروض على شاطيء النيل ، فسمعه بعض العامة ، فقال : هذا الشيخ يسحر النيل ، فركضه برجله فذهب في النيل ، مات سنة (٣٣٨) انظر : اشارة التعيين (ص٤٥) السير (١٥/٤٠١).

(٢) انظر : معاني القرآن للنحاس (١/٢٦٩ ، ٢٧٠).

(٣) انظر : المرجع السابق .

(٤) الانتقال والحركة هو لازم لإتيان المخلوق ، والله جل وعلا ليس كمثله شيء ولذا لا يلزم من إتيانه انتقال أو حركة ، ولكن هل يوصف الله بالحركة أم – يجب نفيهاعنه ؟ الناس في

⇐⇐⇐

بما توصف به الأجسام ، فوجب حمله // على أنَّه تعالى يفعـل[١] فعـلاً يسـمية إتيانـاً ، [ب/٢٩٤أ]
وصف تعالى به نفسه . ويحتمل أن يكون الإتيان المعهـود فيمـا بيننـا ، خلقـه الله تعـالى لغيره من ملائكته ، فأضافه إلى نفسه كقولك : قطع الأمير اللص ، وهو لم يلـه بنفسـه وإنَّما أمربه 〉〉 .[٢]

والحاصل: أنَّ الإتيان هنا مثل قولـه : ﴿ وجـاء ربـك ﴾[٣] وأنَّ ذلـك بظهـور فعل ، لا بتحرك ذات .

أو أنَّه فعل من أفعال ملائكته ، فيضاف إليه من* طريق أنَّه تابع أمره**.

---

* في « أ » : أنَّه من .

** في « ب » : بأمره .

⇐⇐⇐

هذا على ثلاثـة أقـوال : الأول : نفي ذلـك مطلقاً وبكـل معنـى ، وهـذا قـول الجهمية والمعتزلة ثم انتقل ذلك عنهم إلى الكلابية والأشعرية والسـالمية . الثاني : إثبـات ذلـك ، وهو قول الهشامية والكرامية وغيرهم . وأثبته الدارمي ونصره على أنَّه قـول أهـل السنة والحديث ، وذكر حرب الكرماني أنَّه قـول أحمـد – ولا يصـح – . الثـالث : قـول من يقول : إنَّ المعنى صحيح ، لكن لا يطلق هذا اللفظ لعدم مجـيء الأثـر بـة لأنَّ صفـات الله توقيفية ، يتوقف إثباتها ونفيها على ماجاء به الكتاب والسنة ، وليس فيهمـا إثبـات لفـظ الحركة أو نفيه . وهذا قول كثير من أهل السنة والحديث . ولما سمع الإمام أحمد شـخصاً يروي حديث النزول ،ويقول ينزل بغير حركة ، ولا انتقال أنكر ذلـك وقـال : قـل كمـا قـال رسـول الله ﷺ ، فهـو كـان أغـير علـى ربـه منـك . انظـر : الاستـقامة لابـن تيميـة (١/٧٠-٧٣) مجموع الفتاوى (٥/٥٦٥-٥٧٨) مختصر الصواعق (٣٨٨)

(١) يلاحظ أنَّ الأشاعرة يقصدون بفعل الله مفعوله المنفصل عنه ، الذي لا يقوم بذاته .

(٢) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٥٣/ ب).

(٣) الفجر ، الآية (٢٢).

أو أنَّه عبارة عن رؤيتهم الله تعالى ، لأنَّ العادة جارية أنَّ من [غاب]* لا يتوصل إلى رؤيته إلاَّ بمجيء ، فعبر** عن رؤيته بالمجيء [مجازاً] (١) .***

---

* في « أ » و « ب » : نحا . والتصويب من المعلم، والفتح ، ومقتضى سياق الكلام .

** في « ب » : فغبره .

*** في « أ » : جوازاً .

---

(١) انظر : المعلم بفوائد مسلم (٢٢٦/١) . والمؤلف – عفا الله عنه – هنا يذهب إلى تأويل إتيان الله تعالى – تبعاً لمذهب الأشعرية – فتارة يجعله فعلاً من أفعال الله – المنفصله عنه – وتارة يجعله فعلاً من أفعال ملائكته ، وتارة يقول : إنَّه عبارة عن الرؤية ، وكل ذلك فراراً من التشبيه والتجسيم اللذين يتوهم هؤلاء أنَّهما لازمان لمن أثبت هذه الصفة . والصواب أنَّ إثبات ذلك لا يستلزمهما ، لأنَّنا إنَّما نثبت ذلك على مايليق بجلال الله وعظمته ، فالله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله . ويقال لهؤلاء : الذين ينفون الإتيان والمجيء بحجة أنَّهم لا يعرفون مايوصف بذلك إلاَّ ما هو جسم ، يقال لهم : فأنتم قد وصفتموه بالحياة والعلم والسمع ... وهذا كهذا فإذا كان مانفيتموه يوصف به الجسم فما أثبتموه كذلك . وإن أمكن أن يوصف بأحدهما ماليس بجسم فالآخر كذلك ، فالتفريق بينهما تفريق بين متماثلين . إذا تقرر هذا ، فما ذهب إليه المؤلف من التأويل مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح ، فالقرآن قد فرق بين إتيان الله وإتيان الملائكة فقال تعالى : ﴿ هل ينظرون إلاَّ أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك ﴾ [الأنعام ، الآية ١٥٨] ففرق بين إتيان الملائكة وإتيان الرب وإتيان بعض آيات الرب ، فقسم ونوع ، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحداً . ثم هل يجوز للملك الذي يأتي – على زعمهم – أن يقول لأهل ذلك الموقف : أنا ربكم . وقد قال الله عن ملائكته : ﴿ ومن يقل منهم إنِّي إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ﴾ [الأنبياء ، الآية : ٢٩] .

وكيف يأمر الله أحداً من الخلق أن يقول لجميع العباد : أنا ربكم ، فإنَّه تعالى لايأمر بالشرك ، ومن زعم أنَّ الله يأمر بهذا فهو مفترٍ على الله .

وأمَّا تفسير المؤلف للإتيان بأنَّه عبارة عن الرؤية ، فهذا من التحريف البيِّن ، إذ الناس كلهم يفرقون بين الإتيان والرؤية ، فإن الإتيان المذكور في الحديث فعل لله تعالى يفعله إذا شاء ، وأمَّا الرؤية فهي تقع من الخلق ، وكذلك فالرؤية ذكرت في الحديث بعد الإتيان مما يمنع تفسير أحدهما بالآخر . انظر : نقض التأسيس (٢٢٣/٣ مخطوط) التدمرية (ص٣١) مختصر الصواعق المرسلة (٢٩٤) شرح كتاب التوحيد ، للغنيمان (٥١٦/١-٥٢١).

فصل

((وأمَّا وصفه تعالى بالصورة ، ففيه إيهام للمجسِّمة أنَّه تعالى ذو صورة ، ولاحجَّة لهم فيه ، لأنَّ الصورة هنا* يحتمل أن تكون بمعنى العلامة ، وضعها تعالى دليلاً لهم على معرفته ، أو التفرقه بينه وبين مخلوقاته ، فسمى الدليل والعلامة : صورة مجازاً . كما تقول العرب : صورة حديثك كيت وكيت ، وصورة أمرك // كذا وكذا)) .[1]

أ / ٨٤٦

وقال ابن التين : اختلف في معنى الصورة ، فقيل : صورة اعتقاد ، كما تقول : صورة اعتقادي في هذا الأمر ، فالمعنى : يرونه تعالى على ما كانوا يعتقدون من الصفات .

وقيل معناها : الصفة ، وهو نحو الأول [2] .

وقال ابن قتيبة : " لله تعالى صورة لا كالصور** ، كما أنَّه شيء لا كالأشياء " . فأثبت لله تعالى صورة قديمة .[3]

قال ابن فورك : " وهذا جهل من قائله " .[4]

وقال الداودي : إن كانت [الصورة] محفوظة فيحتمل أن تكون صورة الأمر والحال الذي يأتي فيه ، يقال أنا أصف لك صورة هذا الأمر ، وذلك أنَّ الله تعالى

---

* في ((ب)) : هاهنا .

** في ((ب)) : لا كالصورة .

---

(١) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٥٣/ ب) .

(٢) مايحكيه ابن التين هنا في معنى الصورة هو من التأويل المذموم المخالف لما عليه سلف الأمة وأئمتها ، ونقض هذا التأويل يطول ، فقد أبطله شيخ الإسلام ابن تيمية من اثني عشر وجهاً ، انظرها في نقض تأسيس الجهمية (٣/ ٣٧٧ ـ ٣٨١) والكتاب مازال مخطوطاً.

(٣) انظر : مشكل الحديث وبيانه ص (٦٧) .

(٤) المرجع السابق .

أخبر أنَّه يأتيهم في ظلل من الغمام والملائكة ، فقد يرونه ولا يرون الملائكة والغمام ، أو يرون بعض ذلك [دون بعض] ، لأنَّه يخفي من ذلك ماشاء في وقت ، ويظهره في وقت آخر ، فإذا رأوا غير ماقيل لهم وقفوا.(١)

فصل

وقولهم* : ((أنت ربنا)) أي : أنت عين** ربنا تخاطبنا صدقاً [فيتحققون] *** نداءه وخطابه أنَّه عن الله تعالى .

ويحتمل أن يكون ذلك عند تجلي الله للمؤمنين من خلقه فيقولون – عند رؤيتهم له ، وظهور تلك الصورة التي لا يعرفون مّما اضيفت إلى الله تعالى

---

* ساقطة من ((ب)) .

** في ((ب)) : عن .

*** في ((أ)) : فيتحقون ، وجاء في الهامش: لعله : يتحققون .

---

(١) الواجب في أسماء الله وصفاته إثباتها وتنزيهها ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، هذا هو مذهب السلف الصالح في هذا الباب ، وماذهب إليه المؤلف – رحمه الله – هنا من تأويل ماورد في صورة الرحمن بتأويلات لا دليل عليها لا يوافق عليه ، بل هو من الإلحاد في صفات الله تعالى ، والصورة صفة ذاتيه خبرية ثابتة لله عزوجل ، أثبتها له أعلم الخلق به ، وأفصحهم بياناً ، وأنصحهم للأمة كما في هذا الحديث ، وكذا مارواه أحمد (٢٤٣/٥) والترمذي (٣٢٣٥) عن جمع من الصحابة يرفعونه : " رأيت ربي في أحسن صورة " . قال ابن قتيبة : " والذي عندي – والله تعالى أعلم – أنَّ الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع ، والعين ، وإنّما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن ، ووقعت الوحشة من هذه لأنّها لم تأت في القرآن ، ونحن نؤمن بالجميع ، ولا نقول في شئ منه بكيفية ولاحد " أ ، هـ . ويقول ابن تيمية : " لفظ الصورة " في الحديث كسائر ماورد من الأسماء والصفات التي قد يسمى المخلوق بها على وجه التقييد ، وإذا أطلقت على الله تكون مختصه به مثل العليم والقدير " انظر : تأويل مختلف الحديث ص (٢٦١) وصفات الله عزوجل الواردة في الكتاب والسنة ، لعلوي السقاف (ص ١٦٥-١٦٦).

ملكاً وخلقاً[1] - : أنت ربنا ، اعترافاً بالربوبية وفصلاً بين حالهم وحال الكفرة .*

قال المهلب : وأمَّا قولهم : « فإذا جاء ربنا عرفناه » فإنَّما ذلك : أنَّ الله سبحانه وتعالى يبعث إليهم ملكاً[2] ليفتنهم ويختبرهم** في اعتقاد صفات ربهم ، الذي ليس كمثله شيء ، فإذا قال لهم الملك : أنا ربكم ، رأوا عليه دليل الخلقه التي تشبه المخلوقات ، فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاءنا عرفناه ، أي : أنَّك لست ربنا ، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون ، أي : يظهر إليهم في [مُلْكٍ] *** لا ينبغي لغيره ، وعظمته لا تشبه شيئاً من مخلوقاته ، فيعرفون أنَّ ذلك الجلال والعظمة لا يكون لغيره ، فيقولون : أنت ربنا الذي لا يشبهك شيء ، فالصورة يعبر بها عن حقيقة الشيء 〉〉 [3]

فصل

〈〈 وقوله : فيقول « هل بينكم وبينه آية تعرفونها فيقولون الساق فيكشف لهم عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن » .

* في « ب » : الكفر .

** في « ب » : ويخبرهم .

*** في « أ » : ملكه ، والتصويب من « ب » وشرح ابن بطال .

(1) انظر التعليق السابق قريباً .

(2) هذا قول لا دليل عليه ، بل الدليل على خلافه فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً وفيه : " ثم يرفعون رؤوسهم ، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم ، فيقولون أنت ربنا " . ممايدل على أنَّ المرئي في الحالتين هو الله سبحانه وتعالى .

انظر : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (٣/٣٧) ح (٢٩٩) .

(3) انظر : شرح ابن بطال (٤/٣٥٣/ ب و ٤/٣٥٤ / أ) .

هذا يدل – والله أعلم – أنَّ الله تعالى عرف المؤمنين على ألسنة الرسل يوم القيامة ، أو على ألسنة الملائكة المبلغين لهم بالبشرى[١] : أنَّ الله تعالى قد جعل لكم ، علامة تجليه لكم : الساق ، وعرَّفهم أنَّه سيبتلي المكذبين ، بأن يرسل إليهم من يقول : أنا ربكم . فتنة لهم . ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾[٢] في سؤال القبر وفي هذا الموطن .

وقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾[٣] عن شدة الأمر . أو يكشف عن أمر عظيم[٤] ، يريد به هولاً من أهوال يوم القيامة .

وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ في قوله تعالى : ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾[٥] : أي أعمال الدنيا بمحاسبة // الآخرة[٦] ، وذلك أمر عظيم ، والعرب تقول : قامت الحرب على ساق ، إذا كانت شديدة . ب/٢٩٤ب

---

(١) هذا القول من المؤلف مرجوح ، لمخالفته صريح حديث أبي سعيد الدال على أنَّ هذه العلامة عرفوها من رؤية سابقة لهذه الرؤية فقد جاء في الحديث " فيأتيهم في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة " . وفي لفظ (٤٥٨١) وفي أدنى صورة من التي رأوه فيها " فتبين أنَّ تلك المعرفة كانت لرؤية منهم متقدمة ، في صورة غير الصورة التي أنكروه فيها .انظر : شرح كتاب التوحيد للغنيمان (١٣/٢).

(٢) ابراهيم ، الآية (٢٧).

(٣) القلم ، الآية (٤٢).

(٤) انظر : تفسير الطبري (١٩٧/١٢) رقم (٣٤٦٧٠) و (٣٤٦٧٢).

(٥) القيامة ، الآية (٢٩).

(٦) لم أقف على هذا الأثر .

فيظهر الله سبحانه وتعالى على الخلق* هذه الشدة[١] ، التي لايكون مثلها من مخلوق ليبكت بها الكافرين وينزع عنهم [قدرتهم] التي كانوا**يدَّعونها ، فيعلمون حينئذ أنَّه الحق ، فيذهبون إلى السجود مع المؤمنين ، لما يرون من العظمة والشدة ، فلا يستطيعون ، فيثبت الله المؤمنين ، فيسجدون له .

وذكر ابن فورك عن أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعاً : ـ في هذه الآية ـ : نور عظيم.[٢] ومعنى ذلك : ما يتجدد للمؤمنين عند رؤية الله تعالى من

* في ((ب)) : الخلائق .

** في ((ب)) : كانت .

(١) الساق صفة ثابته لله بنص الحديث ، ولا يصح تأويلها بأنَّ المراد بها الشدة ، ولم يقل بذلك أحد من سلف الأمة ، وإنَّما حصل الخلاف بين السلف في الآية التي ذكرها المؤلف هنا ، هل المراد الكشف عن الشدة ، أو المراد بها أنَّ الرب يكشف عن ساقه لكونها جاءت نكرة غير معرفة بالإضافة إلى الله تعالى ، فتكون قابلة لكونها صفة ، وكونها غير صفة . فهي ليست نصاً في إثبات الساق صفة لله ولكن الحديث الصحيح يثبتها ، وذهب كثير من العلماء إلى تفسير الآية بالحديث فقال الإمام البخاري في كتاب التفسير (٥٣١/٨) :باب : ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾. ثم ذكر حديث أبي سعيد المثبت لصفة الساق بل قد روى ابن مندة عن أبي هريرة قال : قال : رسول الله ﷺ ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾. قال : يكشف الله عزوجل عن ساقه . فبهذا يتبين أنَّ إيراد أقوال الصحابة في تفسير الآية في مقام تفسير الحديث ، خلط ووضع للكلام في غيرموضعه. انظر الرد على الجهمية لابن منده ص (٤٠) ح (٨) مجموع الفتاوى (٣٩٤/٦) الصواعق المرسلة (٢٥٢/١) الردود والتعقبات ، لمشهور بن حسن آل سلمان ص (١١١-١٢١).

(٢) الحديث رواه الطبري في تفسيره (٢٠٠/١٢) ح (٣٤٦٨٨) . والبيهقي في الأسماء والصفات (١٨٧/٢)ح (٧٥٢) وعزاه السيوطي في الدر (٣٩٧/٦) إلى أبي يعلى وابن المنذر وابن مردويه وابن عساكر . والحديث ضعَّفه البيهقي ، وابن كثير كما في التفسير (٤٠٨/٤) والحافظ في الفتح (٥٣١/٨).

الفوائد والألطاف ، ويظهر لهم من فضل سرائرهم التي لم يطلع عليها غيره عزوجل .[١]

قال المهلب : "هذا يدل على أنَّ كشف الساق ، للكافرين نقمة* ، وللمؤمنين نعمة " .

والضحك منه تعالى بخلاف ماهو منا** ، وهو بمعنى إظهار [ه] لعباده لطائف [و] كرامات لم تكن تظهر لهم قبل ذلك[٢] ،

والضحك المعهود فيما بيننا هو : إظهار [الضاحك] لمن يشاهده*** ، مالم يكن يظهر [له] **** منه قبل ، من كشره عن أسنانه ››[٣] ، وفيه أقوال أخر ستأتي قريباً .

فصل

قوله في حديث أبي هريرة : « فيتبعونه » : أي يذهبون حيث يؤمرون وقوله : « ويضرب الصراط بين ظهراني[٤] جهنم » أي : على وسطها ،

---

* نقمة ساقطة من « ب » .

** في « ب » : فينا .

*** في « ب » : يشاهد

**** في « أ » : لهم .

---

(١) انظر : مشكل الحديث ص (٤٤٢).

(٢) هذا من المؤلف تأويل لصفة الضحك ، خوفاً من التشبيه ، والواجب إثباتها على مايليق بجلال الله ، لورود ذلك عن نبينا محمد ﷺ وهو أعلم الخلق بربه ، وأشدهم له تنزيهاً . والخير كله في اتباعه ﷺ ، وانظر مايأتي قريباً (صـ٤٢٢) حاشية (١) .

(٣) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٥٤/ أ).

(٤) الرواية هنا في كتاب التوحيد " ظهري " أمَّا " ظهراني" فقد جاءت في رواية شعيب في كتاب الآذان ، باب فضل السجود (٢/٨٠٦)ح(٨٠٦).

وكل شيء متوسط بين شيئين فهو بين ظهرانيهما وظهريهما ٠

قال الداودي : " يعني على أعلاها فيكون جسراً " ٠

قوله : ((فأكون أنا وأمتي أول من يجيز)) أي : يجوز ، وفي بعض النسخ : يجيزها ٠ [1]

والكلاليب : جمع كلوب - بفتح الكاف - وهو : الذي يتناول به الحداد الحديد من النار ، كذا في كتاب ابن بطال ٠ [2] .

وعبارة ابن التين : هو [المعقف] * الذي يخطف به الشيء ٠ وهو واحد ٠

((والخطاطيف في حديث أبي سعيد ﷺ : جمع خطاف ، والخطاف حديدة معوجة الطرف تجذب بها الأشياء ، قال النابغة[3] :

خطاطيف حجن في حبالٍ متينة))[4]

---

* في ((أ)) : المعتقف ٠

---

(١) جاءت هذه الجملة عند البخاري على ألفاظ ثلاثة :

أ)- رواية شعيب في كتاب الأذان باب فضل السجود (٢/٣٤١)ح(٨٠٦) بلفظ : " فاكون أول من يجوز من الرسل بأمته " ٠

ب) - رواية شعيب ومعمر ، في كتاب الرقاق (١١/٤٥٣)ح(٦٥٧٣) بلفظ : " فأكون أول من يجيز " ٠

ج) - رواية ابراهيم بن سعد هنا بلفظ " فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها " ٠

(٢) شرح ابن بطال (٤/٣٥٥/ أ)٠

(٣) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني ، الغطفاني المصري ، أبو أمامة ، شاعر جاهلي ، كان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة ٠

انظر : طبقات فحول الشعراء (١/٥١-٥٩) الأعلام (٣/٥٤)٠

(٤) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٥٥/ ب) بتصرف يسير ٠وقول النابغة شطر بيت من قصيدة قالها في مدح النعمان بن المنذر . وتمام البيت : تمدُّ بها أيد إليك نوازع .

انظر : ديوان النابغة الذبياني (صـ ٣٨).

وشوك السعدان : بأرض* نجد .

فصل

قوله في حديث أبي سعيد : ((خطـاطيف وكلاليـب وحسـكة)) ، والحسـك معـروف وهو : شوك مضرس ذو شيء** [ينشب] *** فيه كل مامر به .

قال الجوهري : "الحسك حسك السـعدان ، والحسـكة مـايعمل مـن الحديـد على مثاله ، وهو [من] **** آلات العسكر ".[1]

وقوله في حديث أبي هريرة ﷺ : ((ومنهـم المخـردل أو المجـازى ، أو نحـوه)) كذا هنا ، وفي مسلم : ((ومنهم المجازى حتى يُنَجّى))[2]

وقوله قبله ((تخطف الناس بأعمالهم فمنهـم الموبـق بعملـه ، أو الموثـق))[3] وفي مسلم: ((الموبق)).[4] و ((تخطف)) بفتح الطاء .

و ((الخـردل)) قـال صـاحب العـين[5] : " خردلـت اللحـم : فصلتـه ، وخردلت الطعام : أكلت خياره ".

---

* في ((ب)) : في أرض .

** هكذا في ((أ)) و ((ب)) . وعند ابن بطال : وهو شيء مضرس ذو شوك ينشب به ....

*** في ((أ)) : يثبت .

**** زيادة من الصحاح يقتضيها السياق .

---

(١) الصحاح (١٥٧٩/٤).

(٢) كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (٢٧/٣)ح(١٨٢).

(٣) الشك هي رواية ابراهيم بن سعد ، عند أبي ذر . انظر الفتح (٤٦٢/١١).

(٤) هذا اللفظ روي عند مسلم على ثلاثـة أوجـه : أحدهـا : المؤمـن " يقـي بعملـه "– بـالميم والنون "ويقي " بالياء والقاف . والثاني : " الموثـق " – بالمثلثة والقـاف – ، والثـالث : " الموبق " يعني بعمله، فالموبق بالباء الموحدة والقاف، يعني بفتح الياء المثناة وبعدها العين ثم النون . انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (٢٧/٣)وعمدة القاريء (١٢٦/٢٥).

(٥) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي تقدمت ترجمته (ص٥٥٩) وانظر قوله في العين (٣٣٤/٤)

وقال غيره[١] : خردلته : صرعته // ، وهذا الوجه يوافق معنى الحديث ٠ كما قاله ابن بطال ٠ والجردلة – بالجيم[٢] – الإشراف على السقوط والهلكة٠ 〉〉[٣]

أ /٨٤٧

وقال الداودي : الجردل : الذي تحدثه الكلاليب ٠ والظاهر أنَّه من تقطعه الكلاليب صغيراً صغيراً كالخردل ٠

فصل

وقوله : ((امتحشوا)) : أي : احترقوا .

وفي الصحاح : المحش : احراق النار الجلد ، وفيه لغة : أمحشته النار٠[٤]

وكذا 〈〈 " قال صاحب العين : المحش : إحراق الجلد ، وامتحش الجلد : احترق*٠ والسنة المحوش : اليابسة " [٥] ٠

وقال صاحب [الأفعال] ** : " محشت النار الشيء محشاً : أحرقته لغة، والمعروف [أمحشته〉〉] .[٦] [٧] ***

* في ((ب)) : أي : حرق ٠

** في ((أ)) و ((ب)) : صاحب العين ، والتصويب من شرح ابن بطال ٠

*** في ((أ)) و ((ب)) : محشته ٠والتصويب من شرح ابن بطال .

---

(١) هو ابن التين كما نص على ذلك الحافظ في الفتح (٤٦٣/١١)٠

(٢) مناسبة ذكر الجردلة هنا ، ورودها في رواية شعيب عند الأصيلي ، حيث ذكر : المجردل بدلاً من المخردل ٠ انظر الفتح (٤٦٢/١١)٠

(٣) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٣٥٥/٤/ ب) بتصرف يسير ٠

(٤) انظر : الصحاح (١٠١٨/٣) وفيه : " أمحشته بالنار "٠

(٥) عبارة صاحب العين : المحش : تناول من لهب يحرق الجلد ويبدي العظم ، يقال محشته النار محشاً . أ ، هـ العين (١٠٠/٣)

(٦) كتاب الأفعال لابن القوطية (ص١٤٨)

(٧) مابين القوسين من شرح ابن بطال ٠

وقال الداودي : امتحشوا : ضمروا وانقبضوا* كالمحترقين ، وكان أبو زيد ينكر : محشته ، وقعد يوماً إلى جنب ** أبي حنيفة فسمعه يقول : قال رسول الله ﷺ : يخرج من النار قوم [قد] محشتهم النار، فقال أبو زيد : [ليس] كذلك الحديث يرحمك الله ، إنَّما هو قد [أمحشتهم] *** النار ، فقال أبو حنيفة : من أي موضع أنت ؟ قال أبو زيد : من البصرة ، فقال أبو حنيفة : أبالبصرة مثلك قال أبو زيد : إنّي لمن أحسن أهلها ، فقال أبو حنيفة : طوبى لبلدة أنت أحسن أهلها .[1]

فصل

الحِبَّة – بكسر الحاء المهملة – // هي : اسم لجميع الحبوب التي للبقول تنتشر إذا هاجت ، ثم إذا أمطرت من قابل نبتت . ب/٢٩٥أ

وعبارة ابن بطال : أنَّها بذور البقول . وقول الفراء .[2]

((وعبارة أبي عبيد[3] : أنَّها كل ما نبت لها حب ، فاسم الحب منه : الحِبّة .[4]

* في ((ب)) : انقضوا .

** جنب : ساقطة من ((ب)) .

*** في ((أ)) : امتحشتهم ، والتصويب من شرح ابن بطال.

**** في ((أ)) : الحبة ، والتصويب من ((ب)) وشرح ابن بطال .و الغريب للهروي .

(١) شرح ابن بطال (٤/٣٥٥/ ب).

(٢) أي أنَّ ابن بطال والفراء يفسران الحبة بأنَّها : بذور البقول .
انظر شرح ابن بطال (٤/٣٥٥/ب) . وغريب الحديث للهروي (١/٧١).

(٣) أبو عبيد هو : القاسم بن سلام الأزدي الهروي الإمام في الفنون ، أخذ عن الكسائي وأبي زيد والأصمعي وغيره ، له : الغريب في المصنف . وغريب الحديث ، وكتاب الأموال ، والإيمان ، وغيرها . توفي سنة ٢٢٤هـ . انظر : البلغة ص (١٧٢) الأعلام (٥/١٧٦)

(٤) غريب الحديث ، لأبي عبيد (١/٧١).

وقال أبو عمرو[١] : هي نبت ينبت في الحشيش صغار .[٢]

وقال الكسائي : إنَّها حب الرياحين ، وواحد الحِبّة حبّة ، وأمَّا [الحنطة] *ونحوها فهو الحَبُّ لاغير ›› .[٣] [٤]

وقال ابن دريد[٥] في جمهرته : كل ماكان من بذر العشب فهو حبة والجمع [حبب]**[٦]

وقيل : هي الحبوب المختلفة ،

وقال الداودي : الحبة - بالكسر - جمع [حبة] - بالفتح .

وقوله : « في حميل السيل » : قال الأصمعي : الحميل : ماحمله السيل من كل شيء ، وكل محمول فهو حميل ، كما يقال للمقتول قتيل[٧] ،

* في « أ » الحبة . والتصويب من « ب » وشرح ابن بطال وغريب الهروي .

** في « أ » : حبّ .

---

(١) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار ، التميمي ، ثم المازني البصري . شيخ القراء والعربية اختلف في اسمه فقيل : زبان . وقيل العربان . قال ابراهيم الحربي عنه : كان أبو عمرو من أهل السنة . توفي سنة(١٥٤هـ) وعمره (٨٦) . انظر : السير (٤٠٧/٦) البلغة ص (١١٠)

(٢) غريب الحديث ، للهروي (٧١/١).

(٣) المرجع نفسه . وانظر لسان العرب (٢٩٣/١).

(٤) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٣٥٥/٤/« ب »).

(٥) محمد بن الحسن بن دريد ، الأزدي ، أبو بكر البصري . حصل من النحو واللغة أوفرنصيب ، وأعظم قسم ، كان رأس أهل الأدب . وكان قليل الديانة ، يتجاهر بشرب المسكر مصراً على ذلك . له تصانيف حسنة منها : الاشتقاق ، الجمهرة ، المجتبى ، وغيرها توفي سنة (٣٢٣) .

انظر : اشارة التعيين (ص٣٠٤)(١٧٨)، السير (٩٦/١٥). البلغة ص (١٩٣).

(٦) انظر : جمهرة اللغة (١/ ٢٥) .المعلم (٢٢٦/١) ولسان العرب (٢٩٤/١).

(٧) غريب الحديث للهروي (٧١/١).

وقال أبو سعيد الضرير[١] : حميل السيل ما حمله من طين* ، فإذا اشتدت** فيه الحبة نبتت في يوم وليلة ، فأخبر الشارع بسرعة نباتهم.[٢] وحميل بمعنى محمول .

فصل

(قوله : ((قشبني ريحها)) تقول العرب : قشبت الشيء قذرته وقَشِب - بكسر الشين - قشباً : قذر عن صاحب الأفعال[٣]

وقال ابن قتيبة : إنَّه من القشب ، والقشب السم ، كأنَّه قال : سمني ريحها ، ويقال : كل مسموم قشب .[٤]

وقال الخطابي : " قشبه الدخان إذا ملأ خياشيمه ، وأخذ*** يكظمه وإن كانت ريحه طيبة ، وأصل القشب : خلط السم بالطعام ، يقال : قشبه إذا سمَّه ،

* في ((ب)) : ما جاء من غبار وطين . وفي المعلم : ماجاء به من طين أو غثاء .

** كذا في ((أ)) و ((ب)) . وفي المعلم والنهاية : اتفقت .

*** في ((ب)) : وأخذه .

(١) هو أحمد بن خالد البغدادي اللغوي . كان عالماً باللغة والأدب . ترجمته في معجم الأدباء (١١٨/١) لسان الميزان (١٦٦/١) بغية الوعاة (٣٠٥/١) .

(٢) انظر : النهاية (٤٤٢/١) والمعلم (٢٢٦/١).

(٣) انظر : الأفعال لابن القوطية (ص٢٢٢) ، والأفعال لابن القطاع (٣٨/٣) .

(٤) انظر : الصحاح (٢٠١/١) مجمل اللغة (ص٥٩٧) النهاية (٦٤/٤) .

وقشبتنا الدنيا ، فصار حبها كالسم الضار ، ثم قيل على هذا : قشبه الدخان والريح الذكية ، إذا بلغت [منه] * الكظم)) .[١]

قال ابن التين : رويناه – بتشديد الشين – وكذلك هو في الصحاح –[٢] بالتشديد – أي : أذاني ، كأنّه قال : سمني ريحها ، لأنَّ القشب : السم .

وقوله : ((وأحرقني ذكاؤها)) هو بفتح الذال المعجمة ، أي : لهبها وشدة وهجها، كذا ضبطه النووي .

قال : والأشهر في اللغة : ذكاها – مقصور ، وذكر جماعة المد أيضاً [٣] .

وقال ابن التين : كذا رويناه – بضم الذال والمد[٤] – .

وقال ابن ولاد[٥] : ذكا النار: التهابها ، يكتب بالألف لأنّه من الواو ، يقال ذكت النار تذكو ، والذكاء من الفهم ممدود ، وكذلك في السِّن**[٦] ممدود أيضاً .

---

*في ((أ)) : منها .

** في ((ب)) : السين .

---

(١) انظر : غريب الحديث للخطابي (٢/١٠٩) . ومابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٥٥/ ب) .

(٢) انظر : الصحاح (١/ ٢٠١)

(٣) انظر : شرح مسلم للنووي (٣/٢٩) واللسان (١٤/٢٨٧).

(٤) ذكر الحافظ ابن حجر : أنَّ المد هو رواية أبي ذر وغيره . انظر الفتح (١١/ ٤٦٨).

(٥) أحمد بن محمد بن الوليد ، والوليد يعرف بـ " ولاّد " أصله من البصرة ، وانتقل جده إلى مصر وهو وأبوه وجده مشهورون بالعربية . له مصنفات مفيدة منها : الانتصار لسيبويه على المبرد . وله مع ابن النحاس مناظرات . توفي سنة (٣٣٢). انظر : اشارة التعيين (ص٤٤) . ت (٣١) البلغة ص (٦١) ت (٥١).

(٦) أي في اطلاق الذكاء على السن يكون ممدوداً أيضاً ، تقول بلغت الدابة الذكاء أي : السن ، وذكيّ الرجل : أسنّ وبدُن .

قال : وذكاء – بالضم والمد – اسم للشمس[1] .

وقال الداودي : قشبني : غير جلدي ، وحوله عن حاله .

وقوله : ((هل عسيت)) – بفتح السين وكسرها – ، ونافع قرأ بالفتح[2] . ويقال عسينا وعسيتم [للرجال] ، ولا يقال [منه] يفعل ولا فاعل .

فصل

قوله : ((انفهقت له الجنة)) أي انفتحت واتسعت ، وفهق الغدير امتلأ ، ومنه : [التفهق] * في القول وهو : كثرة الكلام[3] .

قوله : ((من الحبرة)) كذا في الأصول ، وفي بعض النسخ : الخير[4] .

واقتصر ابن التين على قوله : ((من الخير)) وقال : أي السرور والنعمة .

قال الهروي : إنَّما سمي بذلك ، لأنَّه يبين في وجه صاحبه . وهي – بفتح الحاء – أي – وسكون الباء .

وهي في مسلم أيضاً ،وأخرى : ((الخير)) – بفتح الخاء المعجمة – ثم مثناة تحت .[5]

---

* في ((أ)) : الفهق . وعند ابن بطال : التفهيق .

---

(١) انظر المقصور والممدود ،لابن ولاد (ص ٤٢ـ ٤٣)لسان العرب (١٤/ ٢٨٨) والمفهم (٢٢٧/١)

(٢) في قوله تعالى : ﴿ قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ﴾ [البقرة :٢٤٦] وقوله : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض ﴾ [محمد : ٢٢] والمقصود لفظة " عسيتم " تقرأ بفتح السين وكسرها ، لغتان . وقراءة الجمهور بالفتح ، وقرأ نافع بالكسر . خلافاً لما ذكره المؤلف هنا . والله أعلم . انظر : كتاب الاقناع في القراءات السبع (٦١٠/٢) زاد المسير (٢٤٢/١) املاء مامن به الرحمن (١٠٣/١).

(٣) انظر : غريب الحديث ، للهروي (١٠٦/١) ولسان العرب (٣١٤/١٠).

(٤) انظر : مشارق الأنوار (١٧٧/١) وشرح مسلم للنووي (٣٠/٣).

(٥) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (٣٠/٣)ح(١٨٢).

وقوله : ((لا أكون أشقى خلقك)) يريد : خلقك الذين لم تخلدهم في النار .

فصل

وقوله : ((حتى يضحك الله)) [قد] سلف معنى* الضحك ، وأنّه إظهار اللطف .

وقال ابن التين : أي : رضي عنه ، لأنّ الضحك في البشر علامة على ذلك .

وقال البخاري : معناه الرحمة[1] ، وقال الداودي : يحتمل أن يضحك الله عباده من فعل ذلك [الرجل كما قرأ بعضهم : ﴿ بل عجبت ﴾[2] - بضم التاء[3] - أي جعله عجباً لعباده .[4] وعبّر بعضهم عن] الأول بأنّه** ماأبدى من فضله ،

* معنى : ساقطة من ((ب)) .

** في ((ب)) : أنّه .

(١) نسبة هذا القول للإمام البخاري رحمه الله وهم من المؤلف - عفا الله عنه ، تبع فيه الإمامين الخطابي والبيهقي ، والقول مخالف لما هو معلوم من مذهب البخاري . يقول الحافظ ابن حجر : " لم أر ذلك في النسخ التي وقعت لنا من البخاري " . أ.هـ.

انظر : أعلام الحديث (١٣٦٧/٢) ، الأسماء والصفات للبيهقي (٤٠٣/٢) الفتح (٥٠١/٨).

(٢) الصافات ، الآية (١٢).

(٣) قرأ بها حمزة والكسائي . انظر : كتاب الإقناع في القراءات السبع (٧٤٥/٢).

(٤) بل العجب صفة فعلية ثابتة لله تعالى لورود النص بذلك ، وتفسير المؤلف لهذه الآية مخالف للصواب ، فالآية معناها على قراءة النصب . أنّ محمدا ﷺ عجب مما أعطاه الله من الفضل . وعلى قراءة الضم : أنّ ربنا عجب من عظيم ما قاله المشركون في الله .

انظر : تفسير الطبري (٤٧٦/١٠) .و مجموع الفتاوى (١٢٣/٦).

وأظهر من نعمه وتوفيقه.[١]

[وقد] روي عنه عليه السلام لما قال له أبو رزين العقيلي : أيضحك ربنا ؟ ، فقال : لن نعدم من رب يضحك خيراً[٢] ، وهذا منه إشارة إلى وصف الله تعالى بالقدرة على فعل النعم ، وكشف الكرب ، والبيان عما خفي ، فرقاً بينه وبين الأصنام ، التي لا يرجى فيها خير ولا بر*.[٣]

---

* في « ب » : ولا شر .

---

(١) هذه التأويلات لصفة الضحك ، تأويلات باطلة لا مستند لها من عقل ولا نقل ، بل هما يدلان على إثباتها لله تعالى على مايليق به . قال الإمام ابن خزيمة : باب ذكر إثبات ضحك ربنا – عزوجل – بلا صفة تصف ضحكه جلّ ثناؤه ، لا ولا يشبّه ضحكه بضحك المخلوقين ، وضحكهم كذلك ، بل نؤمن بأنّه يضحك ، كما أعلم النبي ﷺ ، ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا ، إذ الله – عزوجل – استأثر بصفة ضحكه ، لم يطلعنا على ذلك فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ ، مصدقون بذلك بقلوبنا ، منصتون عما لم يبين لنا ، مما استأثر الله بعلمه .

كتاب التوحيد (٢/٥٦٣)وانظر : كتاب الشريعة للآجري (ص ٢٧٧ - ٢٣٨).

(٢) الحديث أخرجه أبو داود الطيالسي في المسند (ص١٤٦) رقم (١٠٩٢) والإمام أحمد في المسند (٤/١١ و ١٢) وابن ماجه في المقدمة (١/٦٤) رقم (٢٨١) وابن أبي عاصم في السنة ص (٢٤٤) رقم (٥٥٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٤١١) رقم (٩٨٧) كلهم من طريق حماد بن سلمه عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حدس [ويقال عدس] عن أبي رزين والحديث فيه حدس وهو مجهول لم يرو عنه غير يعلى بن عطاء ، ولم يوثقه معتبر ، وقال الذهبي في الميزان " لا يعرف " قال الألباني : اسناده ضعيف . انظر : ظلال الجنة في تخريج السنة (١/٢٤٤).

(٣) انظر التعليق المتقدم آنفاً .

فصل

وقوله : ((تمَّه)) الهاء هنا للسكت أتى بها لتسلم الحركة في الوقف // ب/٢٩٥ب كقوله تعالى : ﴿ فبهداهم اقتده ﴾[١]

وقول أبي هريرة ﷺ : ((ومثله معه)) ثم يقول أبو سعيد ﷺ : ((وعشرة أمثاله معه)) ، يحتمل أن يكون عليه السلام قالهما جميعاً ، فأعلمه الله الأول أولاً ، والثاني ثانياً تكرما ً .

فصل

في حديث أبي سعيد ﷺ : ((تضارون)) هو بالتخفيف . أي : لا يلحقكم ضرر و*لايخالف بعضكم بعضاً ولا تتنازعون ، وروي بالتشديد أيضاً ، وهو مثله أي: [لاتضاررون] ** أحداً [وتسكن] *** الراء الأولى ، وتدغم في التي بعدها ، ويحذف المفعول لبيان معناه . .

ويجوز أن يكون على معنى (([لا تضاررون] "**** - بفتح [الراء] ***** الأولى - أي : لا تتنازعون ولا تجادلون ، فتكونون أحزاباً****** [يضر] ******* بعضكم بعضاً في الجدل .[٢]

*في ((ب)) : أو .

** في ((أ)) و ((ب)) : لا تضارون . ولا يستقيم معه سياق الكلام . والمثبت من المعلم.

*** في ((أ)) :و بسكون

**** في ((أ)) و ((ب)) : لاتتضارون . والمثبت من المعلم وهو مقتضى السياق .

***** في ((أ)) و ((ب)) : التاء . والمثبت من المعلم وهو مقتضى السياق .

****** في ((ب)) : أحواباً .

*******في ((أ)) : ينصر .

(١) الأنعام ، الآية (٩٠).

(٢) انظر : المعلم بفوائد مسلم (٢٢٥/١) ومشارق الأنوار (٥٧/٢) . النهاية (٨٢/٣).

وبعضهم يقرؤه – بفتح التاء – أي لا تضارون* ، حكاه الشيخ أبو الحسن .

فصل

قوله : ((إذا كانت صحواً)) أي** : ذات صحو .

وفي الصحاح : أصحت السماء : انقشع عنها الغيم ، فهي مُصحية .

وقال الكسائي : فهي صحو ، ولاتقل مصحية [١] ،

والغبرات : البقايا كما تقدم ، وغبر الشيء : بقيته .

وعُزير : اسم منصرف لخفته وإن كان أعجمياً ، مثل نوح ولوط ، لأنَّه تصغير عزْرٍ[٢] . وعزير وعيسى ... [٣]

وقوله : // ((ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة)) ، وهم المنافقون . أ / ٨٤٨

وقوله : ((فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره*** طبقاً واحداً)) أي : لا يطيق [أن] **** ينعطف ولا ينحني ،

وفي رواية أخرى : ((تصير ظهورهم طبقا واحداً كأنَّ فيها السفافير)) وهذا استدل به

* في ((ب)) : لا تضامون .

** في ((ب)) : أو .

*** ظهره ساقطة من ((ب)) .

****في ((أ)) : أي .

(١) الصحاح (٦/٢٣٩٩).

(٢) الصحاح (٢/ ٧٤٤).

(٣) جاء في حاشية ((أ)) : سقط من هنا .

من أجاز تكليف مالا يطاق[١] ، وهو مذهب الأشعرية[٢] ، قالوا : جائز في حكم الله تعالى أن يكلف عباده مالايطيقون ، واحتجوا على ذلك بأنَّ الله تعالى قد كلف أبا لهب بالإيمان مع إعلامه له أنَّه لا يؤمن ،وأنَّه يموت على الكفر ، الذي* له ﴿سيصلى ناراً ذات لهب﴾[٣]

---

* في « ب » : التي .

---

(١) الكلام في هذه المسأله من البدع الحادثة في الإسلام . والخلاف واقع في هذه المسأله على أقوال:

١/ جواز تكليف مالايطاق مطلقاً ، وهذا قول جهم بن صفوان .

٢/ عدم جواز تكليف مالايطاق مطلقاً ، لقبحه عقلاً ، والله لا يفعل القبيح ، وهذا قول المعتزلة ومن وافقهم .

٣/ أنَّ تكليف مالايطاق جائز ، وهذا مذهب الأشاعرة وبنوا ذلك على مافي مذهبهم من أنَّه لا يجب على الله شيء ولا يقبح منه شيء . وعندهم أنَّ مالايطاق أقسام ثلاثة بينهم اختلاف في جوازها .

٤/ مذهب السلف التفصيل ، وذلك أن يقال تكليف مالا يطاق على وجهين : أحدهما : ما لا يقدر على فعله لاستحالته . فهذا النوع اتفق حملة الشريعة على عدم وقوعه ،وأنَّه لا يجوز تكليفه . الثاني : مالايقدر عليه لا لإستحالته ، ولا للعجز عنه لكن لتركه والإشتغال بضده ، مثل تكليف الكافر الإيمان حال كفره . فهذا النوع جائز ، ولكن اطلاق تكليف مالايطاق على هذا مما منعه جمهور أهل العلم .انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/١٣٢٥-١٣٣٩).

(٢) انظر : الإشاد ص (٢٠٣).

(٣) سورة المسد ، الآية (٣) واحتجاجهم بالآية هنا خطأ ، لأنَّ من أخبر الله أنَّه لا يؤمن وأنَّه يصلى النار ، بعد دعاء النبي ﷺ له إلى الإيمان ، فهذا قد حقت عليه كلمة العذاب ، فهو كالذي يعاين الملائكة وقت الموت ، فلم يبق هذا مخاطباً من جهة الرسول بالأمرين المتناقضين يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " واحتجاجهم بقصة أبي لهب حجة باطلة ،

⇐⇐⇐

ومنع الفقهاء من ذلك ، وقالوا : لا يجوز أن يكلف الله عباده مالايطيقون ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلاَّ وسعها ﴾[١] ، قالوا : وهذا خبر لا يجوز أن يقع بخلاف مخبره .

وقالوا : ليس في قوله تعالى :﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾[٢] [الآية] حجة لمن خالفنا ، لأنَّهم إنَّما يدعون له تبكيتا لهم ، إذ أدخلوا أنفسهم [بزعمهم] في جملة المؤمنين ، الساجدين في الدنيا ، وعلم الله منهم الرياء في سجودهم ، فدعوا في الآخرة إلى السجود ، كما دعى المؤمنون المحقون فتعذر السجود عليهم ، وعادت ظهورهم طبقاً واحداً ، فأظهر الله عليهم نفاقهم ، فأخبرهم وأوقع الحجة عليهم ، فلا حجة في مثل هذه الآية لهم .

ومثل هذا في* التبكيت قوله تعالى للكفار : ﴿ ارجعوا وراءكم فالتمسوانوراً ، فضرب بينهم بسور ﴾[٣] ليس في هذا شيء من تكليف مالا يطاق ، وإنَّما هو خزي وتوبيخ .

ومثله قوله عليه السلام : « من كذب في حلمه** ، كلف يوم القيامة أن يعقد

---

* في « ب » : من .

** في « ب » : حكمه .

⇐⇐⇐

فإنَّ الله أمر أبا لهب بالايمان قبل أن تنزل السورة فلما أصر وعاند استحق الوعيد ، كما استحق قوم نوح حين قيل له :﴿ إنَّه لن يؤمن من قد قومك إلاَّ من آمن ﴾(هود : ٣٦) وحين استحق الوعيد أخبر الله بالوعيد الذي يلحقه ، ولم يكن حينئذ مأموراً أمراً يطلب به من ذلك . والشريعة طافحة بأنَّ الأفعال المأمور بها مشروطةبالاستطاعة والقدرة " مجموع الفتاوى (٨/ ٤٣٨) وانظر : أيضاً (٨/٣٠٢) ودرء التعارض (١/٦٣) .

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٨٦) .

(٢) سورة القلم ، الآية (٤٢) .

(٣) سورة الحديد ، الآية (١٣) .

بين شعيرتين ، وليس بعاقد بينهما » .[١] ،فهذه عقوبة وليس من تكليف مالايطاق [٢]
قلت : والمختار إذا قلنا أنَّه جائز ، إنَّه غير واقع .

فصل*

قوله : « فيقال لهم مايحبسكم وقد ذهب الناس ، فيقولون : فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليوم » معناه** : إلاَّ أن يكون بمعنى محتاجين ، وهذا موجود في القرآن، قال تعالى: ﴿ إنَّ ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ﴾[٣]
بمعنى : عالم ، فيسقط [على] هذا التأويل شيئاً من تقدير الكلام ، ومعناه : فارقناهم – يريد من لم يعبد الله – ونحن أحوج ماكنا إليه ، يعنون الله عزوجل ،نبه عليه ابن بطال[٤] .

* فصل : ساقطة من « ب » .
** عند ابن بطال : لا يخرج معناه إلاَّ . . . .

(١) أخرجه أحمد (١/٧٦ ، ٩٠ ، ٩١) والترمذي في كتاب الرؤيا ، باب في الذي يكذب في حلمه (٤/٥٣٨)ح (٢٢٨٢) والدارمي في كتاب الرؤيا ، باب النهي عن أن يحتلم الرجل رؤيا لم يرها . (١/٥٦١)ح(٢٠٦٩) . والحاكم في المستدرك ، كتاب تفسير الرؤيا (٤/٤٣٤،٤٣٥)ح(٨١٨٤ - ٨١٨٥) . من طرق عن عبد الأعلى بن عامر عن أبي عبدالرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب مرفوعاً . قال الترمذي : حديث حسن . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، وتعقبه الذهبي بقوله : قلت : عبدالأعلى ضعفه أبو زرعة . وقال الحافظ في الفتح (١٢/٤٤٦) : وسنده حسن . والحديث في السلسلة الصحيحة (٥/٤٧٣) رقم (٢٣٥٩).

(٢) انظر :الفتح (١٢/٤٤٧).

(٣) القلم ، الآية (٧).

(٤) شرح ابن بطال (٤/٣٥٥/ أ).

فصل

قوله : ((ثم يؤتى بالجسر)) وهو*- بفتح الجيم وكسرها - حكاهما ابن السكيت والجوهري.[١]

وقوله : ((مدحضة)) أي : مزلقه . وقال الداودي : مائلة .

واقتصر ابن بطال على الأول فقال : يقال دحضت رجله دحضاً ، زلقت ، والدحض مايكون عنه الزلق ، ودحضت الشمس عن كبد السماء زالت ، ودحضت حجته : بطلت .[٢]

((مزلة)) أي : يزل فيها ، لزلقها وميلها ، وعبارة ابن بطال : المزلة : موضع الزلل ، زلت الأقدام : سقطت[٣] .

وقال الجوهري : [المزلة] ** - بكسر [الزاي] ***وفتحها - المكان الدحض، وهو// موضع الزلل ، يقال : زل إذا زل في طين أو [منطق] [٤] **** ب/٢٩٦أ

قال ابن التين : رويناه بكسر الزاي ، وذكر عن الخليل : أنّها بالكسر : المكان الدحض ، وبالفتح : الزلل فيه و الدحض [٥] .

---

* في ((أ)) : هو .

** في ((أ)) و ((ب)) : زلقت ، والتصويب من الصحاح .

*** في أ : بكسر اللام ، في أ و ب : مطر والتصويب من شرح ابن بطال .

**** في ((ب)) : مناطحه لها شوك .

---

(١) انظر : الصحاح (٢/٦١٣) ، والمعلم (١/٢٢٩).

(٢) شرح ابن بطال (٤/٣٥٦/ أ).

(٣) شرح ابن بطال (٤/٣٥٦/ أ).

(٤) انظر : الصحاح (٤/١٧١٧).

(٥) انظر العين : (٧/ ٣٤٩) وفيه : وبالفتح : الزلل في الدحض .

وقوله : ((مفلطحة لها شوكة عقيفاء)) ، والمفلطح : كل شيء عريض ، قال الأصمعي : واسعة الأعلى رقيقة الأسفل[١] . وقال ابن دريد : فلطحت العود إذا بريته ، ثمَّ عرضته[٢] . وفطح الأنف – بكسر الطاء – فطحاً : لصق بالوجه ، والبقر كلها فطح وحس .

وقال الداودي : معنى مفلطحة بعود .

وقوله : ((عقيفاء))* هو بقاف أولاً ثم فاء[٣] ** ، أي مفتوحة*** ، يقال: عقفت الشيء فانعقف ، أي عطفته فانعطف ، والتعقيف : التعويج ، وأعرابي أعقف أي : جاف .[٤]

فصل

وقوله : ((المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح و [كـأ] جاويد الخيل والركاب)) .

الطرف – بفتح الطاء – : تحريك الجفون في النظر ، – وبكسرها – الطِرف**** الكريم من الخيل***** ، وهو نعت للذكر خاصة.[٥]

---

* في ((ب)) : عقيفة .

** في ((ب)) : ثم ياء .

*** في ((ب)) : معوجة . وجاء في حاشية ((أ)) : لا يحتاج إلى تقييدها بالفتح ؛ لأنَّ بعدها ((أ)) .

**** في ((ب)) : الفرس .

***** من الخيل ساقطة من ((ب)) .

---

(١) انظر : المشارق (٢/١٥٩).

(٢) الجمهرة (٢/ ١٧٢) وفيه : فطحت بدلاً من فلطحت .

(٣) بصيغة التصغير ممدود " عقيفاء ".

(٤) انظر : الصحاح (٤/١٤٠٦).

(٥) المرجع السابق (٤/١٣٩٣).

وقال الداودي : يعني كالنظرة حـين تبلـغ تكـون خطـوة ، و « الأجـاويد » :

قال الجوهري : "جاد الفرس فهو جواد ، صار رائعاً للذكر والأنثـى مـن خيـل جياد وأجاويد .

قال : " والأجياد : جبل بمكة* سمي بذلـك [لموضـع] ** خيـل تُبَّـعٍ ، وسمـي قعيقعان*** لموضع سلاحه ". [1]

و « الركاب » : الإبل التي يسار عليها ، الواحدة راحلة ، ولا واحد لها مـن لفظها ، والجمع ركب ، مثل كتب .

وقوله : « وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم » :

« مخدوش » ، أي : أصابه خدوش .

« ومكردس » : لعله يريد : جمعت يداه ورجلاه ، و " التكردس " : الإنقباض وجمع بعضه إلى بعض ، و " الكردسة " : مشي المقيد ، ذكره الجوهري أجمع[2] ،

وقال الداودي : « مكردس » أي : ملقى فيها .

وقوله : « حتى يمـر آخرهـم يسـحب سـحباً » ، قـال الـداودي : فيـه تقديـم وتأخير ، لأنَّ الذي يسحب يجر .

وقال الخطابي : « المكردس » : المدفوع في جهنم ، يقال تكردس على رأسه ، إذا دفع من ورائه فسقط ، و " التكدس " في سير الدواب : [أن يركب بعضها

---

* في « ب » : مكة .

** في « أ » : للموضع.

*** في « ب » : قينقاع.

---

(١) انظر : الصحاح (٤٦١/٢).

(٢) انظر : المرجع السابق (٩٧١/٣).

بعضاً] *(١) ، وعليه اقتصر ابن بطال ، [حكاية عن] ** صاحب العين بزيادة : [والكدس] *** : مايجمع من طعام وغيره .(٢)

فصل

وقوله : ((فما أنتم بأشد لي . . إلى آخره)) قال الداودي : هذا يرد قول من قال: إنَّ الله لو شاء لعذب العباد جميعاً ، لأنَّه رب غير مربوب ، وآمر غير مأمور(٣) ،

* في ((أ)) : أي ركب بعضها على بعض .وفي ((ب)) : أي يركب بعضها بعضاً . والمثبت من أعلام الحديث .

** في أوب : عن حكاية .

*** في ((أ)) والتكدس . والتصويب من ((ب)) ، ولسان العرب

(١) انظر : أعلام الحديث (٢٣٥٦/٤).العين (٥/ ٣٠٤)

(٢) انظر : شرح ابن بطال (٣٥٦/٤/((أ)))وانظر : .العين (٥/ ٣٠٤) لسان العرب (١٩٢/٦).

(٣) الخلاف في هذه المسألة ، مبني على الخلاف في تحديد معنى الظلم الذي نفاه الله عن نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، فقال تعالى : ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾ [الكهف :٤٩] وقال : ﴿ وماربك بظلام للعبيد ﴾ [فصلت:٤٦] .

وقد وقع الخلاف في معنى الظلم على ثلاثة أقوال :

((أ)) – قول الجهمية والأشاعرة ، وهؤلاء قالوا في تعريف الظلم : إمَّا أنَّه التصرف في ملك الغير ، أو أنَّه مخالفة الأمر الذي تجب طاعته ، وهؤلاء يقولون الظلم بالنسبة لله غير ممكن الوجود ، بل كل ممكن إذا قدر وجوده فإنَّه عدل . وبناءً على هذا التعريف للظلم يذهب هؤلاء إلى أنَّ الله لو عذب المطيعين ونعّم العاصين لم يكن ظالماً .

((ب)) – قول المعتزلة : وهؤلاء يقولون : إنَّ الظلم مقدور لله تعالى ، ولكنه منزه عنه، إلاَّ أنَّهم ذهبوا إلى تشبيه الظلم المنفي عن الله بظلم المخلوقين بعضهم لبعض .ولذا سمي هؤلاءبـ " مشبهة الأفعال"

⇐⇐⇐

قال : والله أعدل وأكرم مما أجاز هذا القائل أن يكون من صفاته ، والرب أحق بالفضل والكرم . فإن قالوا : لأنّه يقول : ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ [١] وذهبوا إلى أنّ الله لا يسأله أحد من خلقه عن فعله ، وليس الأمر على [ماذهبوا] * إليه . قال تعالى : ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴾[٢] ، وقال – حكاية عن الملائكة – : ﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾[٣] وقال – حكاية عن موسى – // : ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾[٤] ،

أ / ٨٤٩

* في « أ » : ذهب .

⇐⇐⇐

ج – قول أهل السنة والجماعة (السلف) قالوا : الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، مثل أن يُحمّل الإنسان سيئات غيره ، أو ينقص من حسناته فلا يجازى بها أو ببعضها . والله قادر على الظلم ، ولكنه تعالى نزه نفسه عنه ، وحرمه على نفسه كما ورد في ذلك الأحاديث الكثيرة ، وأشهرها حديث أبي ذر عند مسلم (٢٥٥٧) وأحمد (١٥٤/٥) . " ياعبادي إنّي حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ...) . انظر : رساله في معنى كون الرب عادلاً ، لابن تيمية ضمن جامع الرسائل (١/١٢١-١٢٢) ورسالة في شرح حديث أبي ذر لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٢٠٧/٢) . موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١٣٢٣/٣).

(١) الأنبياء ، الآية (٢٣).

(٢) النحل ، الآية (١١١).

(٣) البقرة ، الآية (٣٠).

(٤) الأعراف ، الآية (١٥٥).

ولو كان قوله : لا يسأل عما يفعل : حراماً ، ما * وجد خلافه ، لأنَّ الله تعالى أصدق قائل ، ولو كان [نهياً ما] ** كان ماوقع من كلام الملائكة والأنبياء والمؤمنين في المعاد . ومنه قول أبي سعيد الخدري ﷺ : اقرءوا إن شئتم : ﴿ إنَّ الله لايظلم مثقال ذرة ﴾ [٢] ، هذا كلامه[٣] ، وهو خلاف قول أهل السنة ، لأنَّ الله تعالى هو خالق العباد وملكهم*** يفعل مايشاء ، يعذب الطائع ، وينعم العاصي ، هذا جائز في حقه ،وأما من باب [ما] ****تفضل به ، وأخبر أنَّه يعذب العاصي وينعم على الطائع ، فقوله الحق ، ووعده***** لا يخيب .

فصل ******

[قوله] « فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون » ، فيه حجة لأهل السنة في إثباتهم الشفاعة – لا حرمناها – وقد سلف أيضاحه[٤] .

قال الداودي : يحتمل أن يكون النبي إذا دعا وشفع يشفع معه الملائكة والنبيون والمؤمنون ، فتؤمر الملائكة أن يخرجوا من يخرجون ، كما يأمر الجبار أن يخرجوا، ثمَّ من يخرجوا له من أراد الله نجاته .[٥]

* ما : ساقطه من « ب » .
** في « أ » : ولو كان نهانا كان ماوقع .
*** في « ب » : ومليكهم .
**** في « أ » : من .
***** في « ب » : وعده .
****** فصل : ساقطة من « ب »

(٢) جزء من حديث الباب .
(٣) أي الداودي .
(٤) انظر : ص (٣٢١ – ٣٢٢) من هذا الكتاب .
(٥) هكذا جاءت في النسختين ، والعبارة ليست مستقيمة المعنى .

ب/٢٩٦ب

وقوله : ((فيقول الجبار بقيت شفاعتي)) : خرج // على معنى المطابقة لمن تقدمه من الشفاعات ، لأنَّ الله تعالى يخرجهم تفضلاً منه من غير أن يشفع إلى أحد .

وقوله : ((فيخرجون كأنَّهم اللؤلو فيجعل في رقابهم الخواتيم ، فيدخلون الجنة ، فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الرحمن ، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه)) .

جاء في بعض الأخبار : أنَّها تنزع[1] فلا يبقى معهم شيء يكرهونه .

ويحتمل أن يريد بقوله : ((هؤلاء عتقاء الرحمن)) من في قلبه* أقل من ذرة من إيمان ، وهو اليقين ، لأنَّ الجنة محرمة على من كفر .

فصل

قوله** في حديث أنس ﷺ : ((وأسجد لك ملائكته)) ،

قال الداودي : يحتمل أن يأمرهم الله بالسجود إذ خلق آدم ، ويكون ذلك أيضاً معنى قوله في يوسف عليه السلام : ﴿ وخروا له سجداً ﴾[2] أن يكونوا سجدوا لله ، شكراً على ما أولاهم وجمعهم[3] .

وقول آدم : ((ولكن ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض))

---

* في ((ب)) : قلبهم .

** في قوله : ساقطه من ((ب)) .

---

(١) أي : الخواتيم .

(٢) سورة يوسف ، الآية (١٠٠).

(٣) هذا أحد الأقوال في تفسير الآية ، والقول الآخر أنَّ الضمير عائد على يوسف عليه السلام قال ابن كثير : " وقد كان هذا سائغاً في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له ، ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام ، فحرم هذا في هذه الملة ، وجعل السجود مختصاً بجناب الرب سبحانه وتعالى " أ.هـ

انظر : الطبري (٣٠٤/٧) تفسير القرطبي (١٧٣/٩) تفسير ابن كثير (٤٩١/٢).

قال الداودي : واختلف في أمره ، جاء في بعض الخبر : أنّه أول* مرسل[١] وجاء أنّه** رسول غير نبي ، وقيل : إنّه عبد صالح ليس برسول ولا نبي ، وهذا الذي قاله الداودي فيه ، غير*** صحيح [٢] ، لأنّ الرسالة متضمنة للنبوة ، فلا يكون الرسول إلاّ نبياً ، وكذلك قوله في نوح : " أول نبي بعثه الله « هو مثل قوله : " أول رسول " ، لأنّ النبي إذا بعث كان رسولاً ،و النبوة أعم ، والرسالة أخص ، وكل**** رسول نبي ، وليس كل نبي رسولاً .

فصل

وقول ابراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام : « ولكن ائتوا موسى عبداً أتاه الله التوراة ، وكلمه ، وقربه نجياً » .

روى ابن عباس : " أنّه أدني حتى سمع صريف***** القلم " .[٣]

* في « ب » : نبي .
** في « أ » : الكلمة غير واضحة .
*** غير : صحيح ساقطة من « ب » .
**** في « ب » : فكل .
*****في « ب » : صرير

(١) ورد ذلك في أحاديث كثيرة منها حديث الباب ، حديث أنس من طريق أبي عوانة عن قتادة ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ح (٦٥٦٥) (٤٢٥/١١) وانظر : الفتح (٤٤٢/١١)

(٢) جاء في حاشية « أ » مايلي : الذي قاله الداودي مصادم للقرآن والسنن ، وكان ينبغي لشيخنا أن لا يذكر هذا الخلاف ، ولا ينبغي للداودي أيضاً ذكره ، وهو شيء فاسد ، شاذ ، لغو ، مطرح ، فلا ينبغي أن تسود به الأوراق ، والله أعلم . أ.هـ.

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٣٥١/٨) والحاكم في المستدرك (٤٠٥/٢)ح(٣٤١٣) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٩٢/٤) إلى الفريابي، وابن أبي شيبه في المصنف، وهناد في الزهد، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم

وقوله في عيسى : « روح الله وكلمته » هو من قولـه تعـالى : ﴿ فنفخنـا فيـه من روحنا ﴾[١] نفخ جبريل الروح الأمين في جيـب مريـم ، ثـمَّ توصلـت النفخـة إلى الرحم ، وكان منها عيسى عليه السلام ، قال تعالى له : كن فكـان ، فسـماه كلمـة ، لأنَّه كان بقوله : كن .

فصل

قوله : « فأستأذن على ربي فيؤذن لي »[٢] يريد أنَّه عليه السلام يستأذن وهو في الجنة[٣] ، فنسب الجنة إلى الله ، كما قيل في الكعبة : بيت الله ، وسميت داراً ، لأنَّـه دورها لأوليائه ، ومثله روح الله على سبيل التفضيل له على سائر الأرواح .

⟨⟨ ولا تعلـق فيـه للمجسـمة ، لأنَّ الله تعـالى ليـس في مكـان[٤] ، لأنَّ هـذه الإضافة – وهي داره – لله تعالى إضافة فعل[٥] ، كسائر ماأضافه إلى نفسـه تعالى مـن

---

(١) التحريم ، الآية (١٢).

(٢) هذا اللفـظ روايـة أبي عوانـة في الرقـاق ، أمَّا روايـة همـام بـن يحيـى هنـا ففيهـا زيـادة: " فأستأذن على ربي في داره ، فيؤذن لي " .

(٣) ظواهر النصوص في هذه المسألة تدل على أنَّ الدار المضافـة إلى الله تعـالى يـراد بهـا مكـان معين ، كما في حديث الشفاعة الطويل " فآتي تحـت العـرش " وفي حديـث الصـور " فـآتي مكاناً تحت العرش ، يقال له الفحص " ، فيكون المعنى : المكان الـذي تحـت العـرش ، والله أعلم . انظر : شرح كتاب التوحيد ، للغنيمان (٢/٣٠).

(٤) المكان : من الألفاظ المجملة التي لايجوز نفيها بإطلاق ولا إثباتها بـاطلاق ولكـن يفصـل في ذلك . فإن قصد بالمكان مكاناً يحويه ويحيط به فلا ريب أنَّ الله منزه عن ذلك . وإن كـان المقصود بالمكان أنَّ الله فوق عرشه ، عال على خلقه ، فهذا المعنـى ثـابت لله بنـص الكتـاب والسنة ، ولا يجوز نفيه . وهذا المعنى تنفية المعتزلة والأشاعرة .وانظر ماتقدم صـ (٣٨٠) حاشية (٦) .

(٥) لعل الأولى التعبيرعن هذه الإضافة بأنَّها إضافة مخلوق إلى خالقه .

أفعاله ، ويحتمل أن يكون راجعاً إلى نبيه ، تأويله : فأستأذن على ربي وأنا في داره[١] ، لقيام الدليل على استحالة حلوله تعالى في المواضع ٠ ››[٢]

وقوله : « فإذا رأيته وقعت ساجداً ، فيدعني ماشاء الله أنَّ يدعني ، فيقول : محمد ارفع ٠٠٠ »

ذكر الإسماعيلي[٣] : أنَّ هذه السجدة مقدار جمعة من جمع الدنيا .

والمقام المحمود: قيل هو هذا ، وقيل : أن يكون النبي أقرب [إلى الله تعالى] [٤] من جبريل ٠

وفي الأصل*[٥] : قال قتادة : [و] سمعته – يعني أنساً – حتى مايبقى في النار إلاَّ من حبسه القرآن ، أي : وجب عليه الخلود ، قال : ثم تلا هذه الآية : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾[٦] قال : وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ٠

---

* في « ب » : الأصول ٠

---

(١) هذا التأويل بعيد ، يبطله إضافة الدار إلى الله جل وعلا ٠

(٢) يراجع التعليق الآنف قريباً ٠ ومابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٥٤/ ب)٠ بتصرف ٠

(٣) هو الإمام الحافظ : الحجة ، الفقيه ، شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل الإسماعيلي ، الشافعي ، طلب العلم في صغره ، وكتب الحديث بخطه وهو صبي مميز له : المستخرج على الصحيح والمعجم ومسند عمر ، توفي سنة (٣٧١) ٠ انظر : السير (١٦/٢٩٢)٠

(٤) وقد رجح الإمام الطبري القول الأول ٠ وانظر الخلاف في هذه المسألة وأدلة كل قول : تفسير الطبري (١٣٠٨-١٣٣) الفتح (١١/٤٣٤-٤٣٦)٠

(٥) أي أصل متن الصحيح ، وهذا القول جاء في آخر حديث أنس المشروح حالياً ٠

(٦) الإسراء ، الآية (٧٩)٠

فصل

وقوله في حديث أنس ﷺ : « فإنّي على الحوض » ⟨⟨ فيه :إثبات حوضه الكريم ، خلافاً لمنكريه من المعتزلة وغيرهم ، ممن يدفع أخبار الآحاد* ، وجمهور الأمة على خلافهم ، يؤمنون بالحوض على ما ثبت في السنن الصحاح ٠⟩⟩[1] [2]

فصل

والتهجد في حديث ابن عباس : سلف الكلام عليه في موضعه[3] ،

وحاصل ما فيه : ثلاثة أقوال : السهر ، الصلاة ليلاً ، الإيقاظ من النوم ، وهو ظاهر الحديث ٠

* في « ب » : ممن يرفع أخبار الأحاديث ٠

(١) قال العلامة ابن أبي العز الحنفي : " الأحاديث الواردة في ذكرالحوض تبلغ حد التواتر رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً ﷺ ٠٠٠" أ٠هـ٠ شرح العقيدة الطحاوية (٢٧٧/١) وقد استقصى طرقها الحافظ ابن كثير في كتابه : النهاية ، وانظر طرفاً منها في صحيح البخاري كتاب الرقاق ، باب في الحوض (٤٧١/١١-٤٧٤فتح) وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺوصفاته (٧٧/١٥-٩٥نووي)٠

(٢) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٣٥٤/٤/ ب)٠ بتصرف .

(٣) في كتاب التهجد ، باب التهجد بالليل ، وقوله عزوجل ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾٠

فصل

قد أسلفنا الكلام أيضاً على القيوم .

ويروى عن ابن عباس : أنَّه الذي لا يموت .[١] . وقرأ علقمة[٢] : القيِّم .

فهذا مع ماذكره البخاري في الأصل : ثلاث قراءات[٣] ،

قال ابن كيسان[٤] : القيوم : فيعول من القيام ، وليس بفعُّول ، لأنَّه ليس في الكلام : فعُّول من ذوات الواو .

وأصل القيوم عند البصريين : قيوِمُ // . ب/٢٩٧أ

وقال الكوفيون : [أصله] قويِم .

وقال ابن كيسان : لو كان ذا في الأصل ماجاز التغيير ، كما لا يجوز في طويل وسويق .[٥] [٦]

---

(١) الأثر في معاني القرآن ، للنحاس (١/٢٥٩) بلفظ : الذي لا يزول . وفي تفسير القرطبي (٣/١٧٧) بلفظ : الذي لا يحول ولا يزول .

(٢) هو علقمة بن قيس بن عبدالله النخعي ، أبو شبيل الكوفي ، روى عن ابن مسعود ، وثقه الإمام أحمد ، وابن معين ، والدارمي ، وقال عنه ابن حجر : ثقه ثبت فقيه عابد . توفي بعد الستين .

انظر : التهذيب (٧/٢٧٧) التقريب (٤٦٨١).

(٣) قال ابن الجوزي : وفي القيوم ثلاث لغات : القيوم ، وبه قرأ الجمهور ، والقيَّام وبه قرأ عمر بن الخطاب وابن مسعود ، وابن أبي عبلة ، والأعمش . والقيِّم ، وبه قرأ أبو رزين ، وعلقمة . زاد المسير (١/٢٥٠). وانظر تفسير الطبري (٣/١٧٧).

(٤) أبو الحسن ، محمد بن أحمد بن كيسان من أئمة علماء العربية أخذ عن المبرد وثعلب ، وكان بصرياً كوفياً ، مائلاً إلى مذهب البصريين . توفي سنة ٢٩٩ انظر : البلغة ص (١٨٣ و ١٨٨) رقم (٢٩٠ و ٢٩٩).

(٥) وهذا من ابن كيسان رد لقول الكوفين وترجيح لما ذهب إليه البصريون .

(٦) انظر : معاني القرآن الكريم ، للنحاس (١/٢٥٩-٢٦١).

فصل

((الترجمان)) الذي* في حديث عدي بن حاتم ﷺ - بفتح التاء وضمها - ، والجمع تراجم ، وهو الذي يفسر الكلام بلسان آخر .

و ((فيه إثبات الرؤية // له تعالى ، وإثبات كلامه لعباده ورفع الحجاب بينه تعالى وبين خلقه ، وهو تجليه لهم ، وليس ذلك بمعنى الظهور والخروج من سواتر وحجب حائلة بينه وبين عباده ، لأنَّ ذاك** من أوصاف الأجسام ، وهو مستحيل على الله تعالى، وإنّما رفع الحجاب بمعنى إزالته الآفات من أبصار خلقه المانعة لهم من رؤيته ، فيرونه لارتفاعها عنهم بخلق ضدها فيهم ، وهو الرؤية وبخلاف هذا وصف الله تعالى الكفار فقال : ﴿ كلا إنّهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾[1] [أ / ٨٥٠]

فالحجاب هنا : الآلة*** المانعة لهم من رؤيته ، التي لو فعل تعالى ضدها فيهم لرأوه ، وهي التي فعل في المؤمنين)).[2]

* الذي : ساقطة من ((ب)) .

** في ((ب)) : ذلك .

*** في شرح ابن بطال : الآفة .

(1) المطففين ، الآية (١٥).

(2) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٥٤/ ب - ٤/٣٥٥/ أ). وهذا التفسير للحجاب ، الذي يذهب إليه المؤلف - تبعا للأشاعرة وشبههم في ذلك : أنَّ ماستر بالحجاب ، فالحجاب أكبر منه ويكون متناهياً و محاذياً للحجاب ، وهذا لا يكون إلاَّ للأجسام ، وماذهبوا إليه تفسير باطل مردود بل هو تلاعب بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وتعطيل لما تدل عليه ، من معنى أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ . والكتاب والسنة واللغة والعقل السليم تبطل ما ذهبوا إليه : قال الله تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاَّ وحياً أو من وراء حجاب ﴾ [الشورى : ٥١] ومعلوم أنَّ هذا التكليم - مثل

⇐⇐⇐

فصل

قوله في حديث أبي موسى ﷺ : ((وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلاَّ رداء الكبر على وجهه في جنة عدن)) .

(لا تعلق فيه للمجسِّمة : في إثبات الجسم والمكان ، لما تقدم من استحالة كونه جسماً[1] ، أو حالاً في مكان[2] ، فوجب أن يكون تأويل الرداء مصروفاً إلى أن

⇐⇐⇐

ماحصل لموسى – وهو أرفع درجة من التكليم بالوحي ، وإرسال الرسول ، فإذا كان الحجاب كما يقول هؤلاء هو عدم خلق الرؤية ، فذلك مشترك بين الأقسام الثلاثة ، فلا يكون لمن كلم من وراء حجاب ميزة . وقوله تعالى : ﴿ من وراء حجاب ﴾ معناها من خلف حجاب ، وعدم خلق الرؤية عدم محض ، ليس له خلف ، ولا أمام فعلم أنَّ الحق إثبات الحجاب لله حقيقة ، لأنَّه موجود . وقال الله تعالى : ﴿ كلا إنَّهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين:١٥] فجعل حجابهم يوم القيامة ولو كان الحجاب هو عدم خلق الرؤية لكانوا محجوبين في الدنيا والآخرة، ولكان المؤمنون أيضاً داخلين في ذلك ، معذبين بهذا الحجاب الذي عذب به الكفار في الآخرة .

ومن السنة مارواه مسلم في صحيحه (١٧/٣نووي) رقم (١٧٩) أنَّ النبي ﷺ قال : " حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ماأدركه بصره من خلقه " فلولا هذا الحجاب لما بقي شيء من المخلوقات إلاَّ ذاب واحترق ، ولو كان الحجاب كما زعموا لم يكن كشف ذلك يحرق شيئاً ، فالمؤمنون يرون ربهم في عرصات القيامة ، وفي الجنة ولا تحرق رؤيتهم شيئاً .وقد تولى شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – إبطال شبه هؤلاء المنكرين لحجب الله تعالى ، بأكثر من أربعين وجهاً . انظرها في كتابه " نقض تأسيس الجهمية (١٤٥/٣-١٥٤) مخطوط . وانظر : شرح كتاب التوحيد للغنيمان (٤٦/٢-٥٣).

(١) انظر ص (١٧٤) وانظر هامش (٣) من الصفحه السابقه .

(٢) انظر ص (٤٣٦) وانظر بيان الحق في المسألة هامش (٤) من الصفحه ذاتها .

المراد به : [الآفة] * المانعة من رؤيته تعالى ، والموجودة بأبصارهم ، وذلك فعل من أفعاله تعالى ، يفعله** في محل رؤيتهم له ، بدلا من فعله الرؤية ، فلا يرونه مادام ذلك المانع [المسمى رداء موجوداً [بمحل رؤيتهم***] له ، فإذا رفع**** الرؤية انتفى***** ذلك المانع] لهم من رؤيته ، وسمَّاه رداء مجازاً واتساعاً ، إذ منزلته في المنع من رؤيته ، منزلة الرداء وسائر مايحتجب به ، والله تعالى لا تليق به الحجب والأستار إذ ذلك من صفات الأجسام [(١)] .

وقوله : ((على وجهه)) المراد به أنَّ الآفة المانعة لهم من رؤية وجهه تعالى الذي هو صفة من صفات ذاته ، كأنَّها على وجهه لكونها في أبصارهم ، ومانعة لهم من رؤيته ، فعبَّر عن هذا المعنى بهذا اللفظ ، والمراد به غير ظاهره ، إذ يستحيل كون وجهه محجوباً برداء أو غيره من الحجب ، إذ ذاك من صفات الأجسام .

* في "أ": الآلة .

** ساقطة من "ب".

*** في "ب": المحل ورؤيتهم .

**** في شرح ابن بطال : فعل وكذا هو في الفتح ولعله الصواب .

***** في "ب": انتفاء .

(١) ماذكره المؤلف – عفا الله عنه – من تفسير للرداء ، ماهو إلاَّ تأويل وصرف للنصوص عن ظواهرها دون أي مستندٍ أو دليل ، والنبيﷺ قد أضاف رداء الكبرياء إلى وجه الله الكريم حجاباً له ، فلا يجوز أن يكون رداء الكبرياء مافي أعين العباد من المانع الذي منعهم من رؤية الله كما يقوله المؤلف ، وعلى مقتضى قولهم أنَّه لو زال المانع عن أعين العباد لرأوه في الدنيا . وقد جاء في الحديث الذي رواه مسلم (٢٦٢٠) " العز إزاره ، والكبرياء رداؤه ، فمن ينازعني عذبته " ووصف الله تعالى بأنَّ العظمة إزاره ، والكبرياء رداؤه كسائر صفاته تثبت على ما يليق به ، وكيف يصح لهؤلاء أن يجعلوا الكبرياء التي هي من صفات الله ، صفة للمخلوق مع أنَّ الله قد توعد المتكبر بجهنم فقال : ﴿ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ [الزمر:٧٢] . انظر : شرح كتاب التوحيد للغنيمان (٢/٥٤-٥٦).

وقوله : ((في جنة عدن)) ليس بمكان له تعالى ، وإنّما هو راجع إلى القوم ، كأنّه قال : ومابين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم وهم في جنة عدن ، إلاّ المانع – المخلوق في محل رؤيتهم له – من رؤيته[1] فلا حجة لهم فيه .))[2]

فصل

معنى ((استدارة الزمان)) في حديث أبي بكرة ﷺ : استدارة الحج إلى أن صار في ذي الحجة ، وكانوا حملوه* ، فجعلوا يحجون [عامين] في ذي القعدة وعامين في ذي الحجة ، كذا ذكر الداودي .

وذكر عن بكر : أنّهم نقلوا** الحج إلى سائرأشهر السنة [3]

* هكذا ، ولعلها نقلوه .

** في ((ب)) : فعلوا .

(١) الحديث يدل على أنّ رؤية الله تكون في الجنة ، وإنكار المؤلف لهذا إنّما جاء تبعاً للأشاعرة الذين يثبتون الرؤية إلاّ أنّهم يقولون إنّ الرؤية لا تكون في جهة ، لا أمام الرائي ، ولاخلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ، ولا فوقه ولا تحته هذا القول مخالفة منهم لما أجمع عليه السلف والأئمة ولما أثبته الإمام الأشعري وغيره ، ولذا وقعوا في التناقض لأنّ إثبات الرؤية يقتضي إثبات العلو ، ونفي العلو يقتضي نفي الرؤية ، فيلزمهم أحد الأمرين : إمّا نفي الرؤية كالمعتزلة – أو اللحاق بأهل السنة في إثباتها . ولّما لم يجد متأخروا الأشاعرة حلا لهذا التناقض ذهب بعضهم إلى تفسير الرؤية بنوع من العلم ، بل قد استقر مذهبهم على نفي الرؤية . انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/١٣٧٦-١٣٧٨).

(٢) ما بين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٥٥/أ).

(٣) قال مجاهد : كان المشركون يحجون في كل شهر عامين ، فحجوا في ذي الحجة عامين ، ثم حجوا في المحرم عامين ، ثم حجوا في صفر عامين ، وكذلك في كل الشهور كلها حتى وافقت حجة أبي بكر التي حجها قبل حجة الوداع ذا القعدة من السنة التاسعة ، ثم حج النبي ﷺ في العام المقبل حجة الوداع فوافقت ذا الحجة .أ.هـ. تفسير القرطبي (٨/٨٨).

وقيل : أراد هيئته في* تحريم المحرم عاد كهيئته ، وذلك أنّهم كانوا يؤخرونه إلى صفر ، لأنّه كان يشق عليهم توالي ثلاثة أشهر حرم ، فيؤخرون المحرم إلى صفر ، ويحلُّون المحرم .[١]

وقوله فيه : ((رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان)) هو تأكيد له وبيان ، يريد [أنَّ] **غير [مضر] ، تنقل رجباً إلى غيره من الشهور ، وإن لم تكن تنقله مضر ، نقلته ربيعه إلى رمضان ، فجعلوا رمضان رجباً[٢] ، وكانت مضر تعظمه دون غيرها

والعِرْضُ المذكورفيه ، قال الداودي : يقع على السنين والآباد[٣] [و] على مايصاب به الإنسان في جسده ، وما يصاب [به] من الكلام .[٤]

---

* في ((ب)) : أي .

** في: ((أ)) أنّه .

---

(١) انظر تلاعب أهل الجاهلية في الشهور . أخبار مكة ، للأزرقي (١/١٧٩-١٨٩). إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، للنجم عمر بن فهد (١/٥٨٥-٥٩٠).

(٢) انظر : تفسير القرطبي (٨/٨٥).

(٣) هكذا ، ولم أقف على من ذكر إطلاق العرض على السنين والآباد .

(٤) انظر : النهاية في غريب الحديث (٣/٢٠٨-٢٠٩). اللسان (٧/١٧٠-١٧٢).

٢٥ - بـــاب

ماجاء في قول الله عزوجل : ﴿ إنّ رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ .(١)

ذكر فيه :

[٧٤٤٨] حديث أسامة ﷺ :((إنّما يرحم الله من عباده الرحماء)) وقد سلف(٢)

[أطرافه في : ١٢٨٤ ، ٥٦٥٥ ، ٦٦٠٢ ، ٦٦٥٥ ، ٧٣٧٧]

[٧٤٤٩] وحديث أبي هريرة ﷺ في// اختصام الجنة والنار ، وقد سلف أيضاً(٣) . ب/٢٩٧ب

[طرفاه في : ٤٨٤٩ ، ٤٨٥٠] .

غرض البخاري ـ فيما يظهر ـ من هذا الباب بيان أنّ الرحمة تطلق على المخلوق ، فتكون مخلوقة لله مفعولاً له ، وذلك من آثار رحمته التي هي صفته تعالى كما في قوله صلى الله عليه وسلم جواباً لسعد بن عبادة ، لما قال له : ماهذا قال : هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء ، ولكنه أشار إلى هذه اللفظة كعادته بذكره غير الصريح ، والإكتفاء بالتلويح ، وفي الآية المترجم بها إشارة إلى مراده ، فكأنّه لحظ أنّ الرحمة فيها الجنة ، وهي قريب من المحسنين ، وبذلك تظهر المناسبة بين الآية المترجم بها وأحاديث الباب ، والله أعلم .شرح كتاب التوحيد للغنيمان (٢/٨٠)

(١) الأعراف ، الآية (٥٦) .

(٢) تقدم في باب : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيامّا تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ ص١٩٢ من هذا الكتاب .

(٣) كتاب التفسير ، باب ﴿ وتقول هل من مزيد ﴾ انظر : البخاري مع الفتح (٨/٤٦٠).

[٧٤٥٠] وحديث أنس ﷺ : « أنَّ النبي ﷺ قال : » ليصيبنّ أقواماً سفع من النـار بذنـوب أصابوهـا عقوبـة* ، ثـم يدخلهـم الله الجنـة ، بفضـل رحمتـه ، يقـال لهـم الجهنميون » [طرفه في : ٦٥٥٩] .

وقال همام عن** قتادة ثنا أنس ﷺ ، عن النبي ﷺ .

الشرح

إنّما أتي بمتابعة همام ، لتصريح قتادة فيه بالتحديث[١] .

وقال : " قريب " ، ولم يقل " قريبة " لأوجه :

لأنّه أراد بالرحمة : الإحسان

ولأنّ مالايكون تأنيثه حقيقياً*** يجوز تذكيره وتأنيثه ،

قال الفراء : إذا كان القريـب في معنى المسـافة يذكـر ويؤنـث ، وإن كـان في معنى النسب فيؤنث . فلا خلاف**** إذا .[٢]

وفي بعض الأخبار أنه قال : " يارب إذا كان***** رحمتك قريب مـن المحسنين ، فمن للعاصين ؟! قال : أنا بنفسي تبارك وتعالى . "

---

* في « أ » : و عقوبة .

** في « ب » : حدثنا .

*** في « ب » : حقيقه .

**** في « ب » : اختلاف .

***** كان ساقطة من « ب » .

---

(١) قال الحافظ ابن حجـر : وأراد بـه هنـا أنَّ العنعنـة الـتي في طريـق هشـام محمولـة على السماع بدليل رواية همام ، والله أعلم .أ.هـ. الفتح (١٣/٤٤٧).

(٢) انظر : الصحاح (١/١٩٨).

⟪ والرحمة قسمان : صفة ذات وصفة فعل ، فالأول يرجع بها إلى إرادته إثابة المحسنين ، كما قلنا[1] ، وإرادته صفة ذاته ، ومثله قوله عليه السلام : « إنّما يرحم الله من عباده الرحماء » معناه : إنّما يريد إثابة الرحماء لعباده من خلقه ، ويحتمل أن تكون صفة فعل ، فالمعنى : أنّ نعمة الله على عباده ، ورزقه لهم ، بنزول المطر وشبهه ، قريب من المحسنين ، فسمى ذلك رحمة لهـ[م] لكونه بقدرته وعن إرادته مجازاً واتساعاً ، لأنّ من عادة العرب تسمية الشيء باسم سببه ومايتعلق به ضرباً من التعلق ، وعلى هذا سمى الله الجنة رحمة [فقال] * أنت رحمتي ، فسماها ـ مع كونها [فعلا من أفعاله] ** ـ رحمة ، إذ كانت حادثة بقدرته وإرادته تنعيم الطائعين من عباده ⟫ .[2]

فصل

واختصام الجنة والنار يجوز أن يكون حقيقة ، وأن يكون مجازاً ، كما قال المهلب : بأن يخلق الله فيهما حياة وفهماً*** ؛ لقيام الدليل على كونه تعالى قادراً على ذلك أو [هو] على ماتقول**** العرب من نسبة الأفعال إلى مالايجوز وقوعها منه في تلك الحال كقوله :

---

* في « أ » : فقالت .

** مابين المعقوفتين ساقطة من «أ» و «ب» ،وهي مثبتة في شرح ابن بطال،أثبتها لاقتضاء السياق ذلك.

*** في « ب » : زيادة كلمة : وحده .

**** في « ب » : ماتتأوله .

---

(1) تقدم كلام المؤلف – رحمه الله – ومناقشته فيما يتعلق بهذه الصفة انظر ص (١٩٤،١٩٥)

(2) مابين القوسين من شرح ابن بطال (٤/٣٥٦/أ) .

امتلأ الحوض وقال قطني [١] .

فالحوض لا يقول ، وإنّما ذلك عبارة عن امتلائه ، أو أنّه لو كان ممن يقول لقال ذلك . وقولهم : " قالت الضفدع " .

وعلى هذين التأويلين يحمل قوله تعالى : ﴿وتقول هل من مزيد ﴾ [٢]

واختصامهما هو افتخار بعضهما على بعض ممن يسكنها ، فالنار تتكبد بمن ألقى فيها من المتكبرين ، وتظن أنّها آثر بذلك عند الله من الجنة .

وفي أصول البخاري : « وقالت النار » ، ولم يذكر القول ، وزيد في بعض النسخ : // [يعني] * أوثرتُ بالمتكبرين » .

أ / ٨٥١

فادّعى ابن بطال[٣] أنّه سقط قول النار من هذا الحديث في جميع النسخ ، وهو محفوظ ، « وقالت النار : اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين » : رواه ابن وهب ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ﷺ* من رواية الدار قطني[٤]

---

* زيادة يقتضيها السياق .

---

(١) تقدم البيت صـ (٢٣٥) .

(٢) سورة ق ، الآية (٣٠) .

(٣) انظر شرح ابن بطال (٤/٣٥٦/ب) .

(٤) في كتابه : غرائب مالك . كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/٤٤٦) والحديث بهذا اللفظ رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب ﴿ وتقول هل من مزيد ﴾ قال : حدثنا عبدالله بن محمد ، حدثنا عبدالرزاق ، أخبرنا معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة به . (٨/٤٦٠ فتح) ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون (١٧/٢٦٤) قال : حدثني محمد بن رافع ، حدثنا شبابه ، حدثني ورقاء، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، به (ح٢٨٤٦) وأحمد في المسند (٢/٣١٤) بسند البخاري المتقدم قريباً .

، وتظن الجنة ضد ذلك لقولها : ((مالي لا يدخلني إلاّ ضعفاء الناس وسقطهم ، فكأنّما أشفقت من إيضاع المسأله* عند الرب تعالى فحكم [تعالى للجنة] بأنّها رحمة لا يسكنها إلاّالرحماء من عباده ، وحكم للنار بأنّها عذابه يصيب** بها من يشاء من المتكبرين ، وأنّه ليس لأحدهما فضل من طريق من يسكنها الله من خلقه إذ هما اللتان للرحمة والعذاب ، ولكن قد قضى لهم بالملء من خلقه .

فصل

((قوله : ((وينشيء للنار خلقاً)) [1] يريد من قد شاء أن يلقي فيها ممّن قد سبق له الشقاء ممن عصاه [و] *** كفر به ، قاله المهلب[2] .

---

* هكذا في ((أ)) و ((ب)) ، وعند ابن بطال : المنزلة .

** في ((ب)) : يعذب .

*** في ((أ)) : أو كفر به ، والمثبت من ((ب)) وشرح ابن بطال .

---

(1) هذا اللفظ غلطه بعض الأئمة وعدوه من الأحاديث المنقلبة على رواتها ، لمخالفته حديث أنس عند البخاري (٧٣٨٤) وحديثه (٧٤٥٠) قال ابن القيم : " وأمّا اللفظ الذي وقع في صحيح البخاري في حديث أبي هريرة ((وأنّه ينشيء للنار من يشاء ، فيلقي فيها فتقول : هل من مزيد)) فغلط من بعض الرواة ، انقلب عليه لفظه والروايات الصحيحة ونص القرآن يردّه ، فإن الله سبحانه أخبر أنّه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه ، وأنّه لا يعذب إلاّ من قامت عليه حجته ، وكذب رسله ، قال تعالى : ﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير،قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبناوقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال بين﴾ [الملك : ٨، ٩] ولا يظلم الله أحداً من خلقه .أ.هـ حادي الأرواح ص (٤٧٨) وكلام أبي الحسن القابسي الآتي قريباً يؤيد هذا، وانظر: الفتح (١٣/٤٤٦) .والله أعلم

(2) شرح ابن بطال (٤/٣٥٦/ب).

وقال غيره : ينشيء الله لها خلقاً لم يكـن في الدنيـا ، قـال : وفيـه حجـة لأهـل السنة في قولهم : إنَّ لله تعالى أن يعـذب (مـن يشـاء ، علـى*) مـن يقـول إنَّ الله تعـالى لوعـذب مـن لم يكلفـه [لكـان] ** ظالماً ، // – حاشـاه – ٠وهـذا الحديـث حجـة عليهم»[1] [2] ب/٢٩٨أ

قال أبو الحسن : "لا أعلم في شئ مـن الأحـاديث أنـه ينشـئ للنـار إلاَّ في هـذا الحديث ، والمعروف أنَّه للجنة ، ويضع قدمه في جهنم "٠[3]

فصل

وقوله : ((حتى يضع فيها قدمه)) قد سلف قريباً بسط القول فيه[4]

* مابين القوسين ساقط من ((ب)) ٠

** في ((أ)) : لم يكن ، والتصويب من ((ب)) شرح ابن بطال ٠

(١) هذه المسألة وهي : هل يعذب الله من لم يكلفه ، إذا كان المراد القـدرة فـلا أحـد ينـازع في ذلك، وإن كان المقصود الوقوع فقـد نـزه الله نفسـه عـن ذلـك حيـث قـال : ﴿ وماكنـا معذبين حتى نبعث رسـولاً﴾ [الإسـراء:١٥] وقـال : ﴿ رسـلاً مبشـرين ومنذريـن لئـلا يكون للناس على الله حجة بعـد الرسـل وكـان الله عزيـزاً حكيمـاً ﴾ [النسـاء:١٦٥] ، والأشاعرة يخالفون في هذا ويقولون إنَّ الله لو عذب هؤلاء لم يكن هـم ظالماً ، لأنَّ الظلـم عندهم هو التصرف في ملك الغير ، والله إنّما تصرف في ملكه ٠ وانظر هـامش (٣) ص (٤٣١) من هذا الكتاب. أمَّا كون هذا الحديث حجة للأشاعرة في ماذهبوا إليه فالجواب عنه ما تقدم آنفاً من كون الحديث انقلب على راويه فصار ماللجنة للنار ٠ والله أعلم ٠

(٢) مابين القوسين من شرح ابن بطال باختصار يسير (٣٥٦/٤/ب)٠

(٣) انظر : الفتح (٤٤٦/١٣)٠

(٤) انظر : ص (٢٣٣ – ٢٣٧) من هذا الكتاب ٠

فصل

قولـه في حديث أسامة ((ونفسه تقلقـل)) أي تصـوت وتتحـرك [فيـه] وتضطـرب يقـال : قلقلـه قلقـالاً ، إذا كسـرته كـان مصـدراً ، وإذا فتحته كان اسماً مثل : الزلزال [١] ، والشّنّه – بالفتح – القربة الخلـق ، وكأنّها صغيرة ، ذكره في الصحاح .[٢]

فصل

فيه أنّهما مخلوقتان ، وأنّهما تفعلان ، وأنّ الأشياء توصف بالأكثر ، لأنّ الجنة قد يدخلها من ليس بضعيف ، ويدخل النار من ضعفاء الأمم من شاء [الله] دخوله[٣] .

والسقط : الفقراء ، قاله الداودي .

وفي الصحاح : " الساقط والساقطة : اللئيم في حَسَبِهِ ونفسه[٤] ، ولعله إنّما مثل به في الحديث ، على ماعهدوه أنّ اللئيم ليس بجبار ، وإنّما هو ضعيف مسكين ".[٥]

---

(١) انظر : الصحاح (١٨٠٥/٥).

(٢) (٢١٤٦/٥).

(٣) ذكر الحافظ ابن حجر هذا القول معزواً إلى الداودي ، انظر : الفتح (٤٤٧/١٣).

(٤) (١١٣٢/٣).

(٥) قال الحافظ ابن حجر : قوله : (ضعفاء الناس وسقَطَهم) بفتحتين أي : المحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم ، هذا بالنسبة إلى ما عند الأكثر من الناس ، وبالنسبة إلى ما عند الله هم عظماء رفعاء الدرجات ، لكنهم بالنسبة إلى ماعند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له في غاية التواضع لله والذلة في عباده . أ.هـ الفتح (٤٦٢/٨) .

فصل

اختلف في معنى قول النار ((هل من مزيد)) فقيل : هو سؤال للزيادة ، وهو معنى الحديث .

وقيل : إنّما تقول : هل في [من] مزيد .

والسفع : السواد ، قاله الداودي ،

وفي الصحاح : سفعته النار والسموم ، إذا لفحته لفحاً يسيراً ، فغيرت لون البشرة .[1]

(١) (٣/١٢٣٠).